

تشجير الأذهان

بسيرة بلاد العرب والسودان

تأليف
محمد بن عمر التونسي

حققه وكتب حواشيه
دكتور خليل محمود عساكر دكتور مصطفى محمد مسعود

راجعته
دكتور محمد مصطفى زبادة

القاهرة
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والناشر والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩٦٥



محمد بن عمر التونسي ، مؤلف الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

هذا الكتاب « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » للتونسي ، أهم مصدر للتعريف بأحوال اقليم هام من أقاليم السودان . اذ المقصود ببلاد العرب والسودان هنا : بلاد السودان التى تسكنها القبائل العربية ، الى جانب سكانها الأصليين من السودان ، واطليم دارفور بصفة خاصة . وقد عرف هذا الاقليم باسم أقدم شعب سكنه ، وهو شعب الفور ، الذى أضحى اسمه علما عليه . وحوالى منتصف القرن السابع عشر الميلادى ، قامت فى هذه البلاد سلطنة اسلامية ، كانت تكون وقتذاك حلقة فى سلسلة الممالك الاسلامية السودانية الواقعة بين الصحراء الكبرى ومصر فى الشمال ، وبين الغابات الاستوائية فى الجنوب ، وتمتد من البحر الأحمر شرقا الى المحيط الأطلنطى غربا ، وتشمل ممالك سنار وكردفان ودارفور ووادى وباجرمى وبرنو أو الكانم وممالك الحوصة ثم مالى .

أما اقليم دارفور ، وهو أقصى مديريات جمهورية السودان فى الغرب حاليا ، فهو ذو صفات بشرية خاصة ، منشؤها نشاط الفور أنفسهم ، حينما سرى فيهم وعى قبلى واضح ، وذلك فضلا عن محاولاتهم التوسعية الدائبة ، منذ صارت لهم سلطنة فى هذا الاقليم . يضاف الى هذه الصفات البشرية ، صفات طبيعية ، نابعة من الوضع الجغرافى لهذا الاقليم . ففى الشمال ينتهى اقليم دارفور عند الصحراء الليبية ، وفى الشرق تقع ، سلسلة عريضة من التلال الرملية ، تعرف بالأقواز ، وفى الجنوب يقع بحر العرب والمنطقة التى ينتشر فيها ذباب تسى تسى . أما الناحية الغربية من اقليم دارفور ، فليس بينها وبين المساحات الممتدة غربا : مثل وادى

وباجرمى ، ومنطقة تشاد حواجز جغرافية ولا فروق جوية أو نباتية . بل خضعت حدود دارفور من هذه الناحية ، اما لعوامل سياسية أو قبلية .

أما عن تاريخ دارفور فمعلوماتنا عنه قليلة ، وتعتمد أساسا على الروايات الشفوية التى حفظها أهل البلاد جيلا بعد جيل ، وهى روايات يكتنفها التناقض والغموض . فتاريخ دارفور القديم لا نكاد نعرف عنه شيئا على وجه التحقيق ، وربما تكشف الأبحاث الأثرية فى المستقبل عما غمض من تاريخ ذلك العصر . وكل ما يمكن أن يقال هنا : ان شعب الفور هم أصحاب البلاد الأصليون ، ويستقلون بالمنطقة الجبلية الوسطى ، وبها جبل مرّة . ومنذ حوالى القرن السابع الميلادى ، وفد على هذا الاقليم قبائل من الشمال عن طريق النيل من ناحية ، وعن طريق الصحراء من ناحية أخرى . فمن ناحية النيل جاءت جماعات نوبية من الميذوب والبرقد ، على حين جاءت جماعات ليبية من البدايات والزغاوة من شمال افريقيا . واستطاعت هذه القبائل النوبية الليبية ، أن تطرد جماعات السود الى الجبال ، وأن تقيم فى هذه المنطقة ممالك خاصة ، وأدت هذه الهجرات الشمالية كذلك الى ازدياد تجارة الرقيق .

أما الهجرات العربية الرئيسية الى هذا الاقليم ، فيبدو أنها جاءت من مصر وشمال أفريقيا ، عبر السهوب والبرارى الواقعة بين النوبة واقليم تشاد ، وذلك بعد أن قامت فى مصر وشمال أفريقيا دول اسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية .

وتبدأ العصور الوسطى فى دارفور حوالى القرن الثانى عشر ، حيث أقام الداو سلطنة فى هذه البلاد . ويبدو أن أولئك الداو جاءوا من الشمال . وحدد ابن سعيد وأبو الفدا وابن خلدون مواضعهم خلال القرنين الثانى عشر والرابع عشر غربى الواحات المصرية ، بين النوبة والكانم ، وعرف الداو عند هؤلاء المؤرخين باسم التاجوين ؛ وكانوا يقطنون على مقربة من قبيلة الزغاوة . واقتصر نفوذهم على الجزء الجنوبى الشرقى من دارفور .

وأعقب هذه القبيلة فى التسلّط على الفور ، قبيلة التنجور فى القرن الخامس عشر الميلادى . غير أن سلطان هذه القبيلة الثانية اقتصر على انجزء الشمالى من دارفور . ومن المحتمل أن مملكتى الداجو والتنجور قامتا جنباً الى جنب ، حتى القرن السادس عشر . ويبدو تاريخ دارفور أكثر وضوحاً منذ مجيء التنجور ؛ غير أن أولئك التنجور لم يستمر سلطانهم على ما تغلبوا عليه فى دارفور طويلاً . فقد أدى اختلاط العرب بالفور الى ظهور طبقة الكشجارة التى نالت نصيباً من الدماء العربية . ومن هذه الطبقة ظهرت أسرة كبرا التى انتزعت حكم دارفور من التنجور . وظل هذا البيت من الفور يحكم دارفور من حوالى منتصف القرن السابع عشر ، حتى نهاية حكم على دينار سنة ١٩١٦ م . وأول سلاطين هذا البيت « دالى » ، ثم « كورو » ، ثم « سليمان سولونج » ابن « كورو » . ثم نزع من بيت المثلث فى دارفور أمير اسمه توتنسام ، وهو الأمير الذى حاربه سليمان وطرده من دارفور ، فأسس مثلك المُسبَّعات فى كردفان .

ومع أن الاسلام أخذ يشق طريقه الى هذه البلاد منذ حوالى القرن الثالث عشر الميلادى على الأقل ، حيث أخذت تنهال عليه الهجرات العربية من الشمال والشرق والغرب ، فإن الاسلام لم يصبح الدين الرسمى للبلاد الا حين تولى سليمان سولونج عرش سلطنة دارفور سنة ١٦٤٠ م . ومنذ ذلك الحين ، بدأ اقليم دارفور يدخل نطاق التاريخ العام ، وذلك على الرغم من أنه يعتمد على روايات أهل البلاد . اذ لم يُعثر على تاريخ مدوّن ، أو وثائق ذات قيمة تاريخية ، اللهم الا ما سجله عن تاريخها ومظاهر حضارتها ، الرحالة الذين زاروا هذه البلاد . وأول أولئك الرواد الذين زاروا اقليم دارفور ، الرحالة الانجليزى براون "W. G. Browne" وذلك فى عهد سلطان دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد . وقد سلك براون فى رحلته الى دارفور طريق درب الأربعين ، من أسبوط الى الفاشر . وظل براون فى دارفور نحو ثلاث سنوات من يوليو سنة ١٧٩٣ م

الى مارس سنة ١٧٩٦ م ؛ غير انه ظل في أثنائها شبه سجين ، فلم يسمح له بالتنجول في البلاد أو جمع معلومات عنها ، بسبب ارتياب السلطان في نواياه ، باعتباره أوريبيا مسيحيا ، وفي المهمة التي من أجلها جاء هذا الأوربي المسيحي الى دارفور . ثم ان براون لم يعثر في دارفور على تاريخ مدوّن لهذه البلاد ، ولذا جاءت المعلومات التي استطاع الحصول عليها من أهلها قليلة سطحية ، يشوبها الاضطراب وقلة العمق ، وذلك باستثناء بعض ملاحظات خاصة بأحوالها الجغرافية والاقتصادية ، وقتذاك (١) .

وبعد حوالي سبع سنوات من رحلة براون الى دارفور ، أى في سنة ١٨٠٣ م ، زار هذه البلاد رحالة عربى ، هو محمد بن عمر التونسي ، مؤلف هذا الكتاب الذى تقدمه اليوم بعد تحقيقه . وأتيح للرحالة محمد بن عمر التونسي أن يلمّ المأما وأسعا بأحوال دارفور الاجتماعية والاقتصادية ، ونظمها السياسية والادارية والحربية ، وعلاقاتها بجيرانها ، فضلا عن ذكر تاريخها على ما سذكره مفصّلا بعد .

وفي المدة من سنة ١٨٤٩ م الى سنة ١٨٥٥ م قام الرحالة المعروف هنرى بارت Henry Barth برحلته المشهورة من طرابلس الغرب الى بحيرة تشاد . وقد ارتاد بارت خلال هذه المدة بلاد السودان ما بين تمبكت وباجرمى . والمعروف أن بارت لم يقيم بزيارة دارفور أو واداي ، ولكنه استطاع — أثناء اقامته في برنو — أن يجمع تنقفا قليلة عن تاريخ هذه الأقاليم ، معتمدا في ذلك على بعض الروايات الشفوية التى نقلها عن أهل البلاد أنفسهم ، فضلا عن اشارات قليلة لبعض المؤلفين القدامى من العرب (٢) .

(١) انظر رحله براون الى سوريا ومصر ودارفور فى كتابه وعنوانه

Browne : Travels in Africa, Egypt and Syria

(٢) انظر Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa

وفي سنة ١٨٧٤ م ، وصل الرحالة الألماني جوستاف ناختيجال «Gustav Nachtigal» الى دارفور ، بعد أن قضى ستة أعوام تقريبا في رحلته التي بدأها من طرابلس الغرب متجها الى دارفور عن طريق بحيرة تشاد وباجرمي وواداي . وفي مدينة الفاشر عاصمة دارفور ، صرف ناختيجال ستة شهور ، جمع أثناءها كل ما استطاع جمعه من روايات شفوية ومكتوبة عن تاريخ دارفور النوسيط ، بمساعدة سلطان دارفور آنذاك — السلطان ابراهيم بن محمد حسين — وأحد الأمراء الفوراويين ، واسمه باسي طاهر . وعلى الرغم من هذا ، فان ناختيجال لم تتح له الفرصة الكاملة لدراسة اقليم دارفور دراسة كافية . ذلك بأن السلطات الحاكمة في دارفور ، لم تسمح له بالتجول في أنحاء البلاد ، فلزم الطريق الرئيسي الذي يقطع دارفور من الغرب الى الشرق . ثم انه جمع بياناته عن دارفور في مدينة الفاشر . وقد يكون هذا راجعا الى ارتياب السلطان في مهمته ، لا سيما وأن الحكومة المصرية كانت تستعد آنذاك لضم دارفور الى بقية أقاليم السودان التي كانت تحت ادارتها . ومع هذا فان رحلة ناختيجال الى واداي ودارفور تعد مصدرا أصليا لتاريخ هذين الاقليمين ، ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الأسرة الحاكمة في دارفور ، ونظم البلاد السياسية والادارية في عصره .

هذا عرض موجز للرحالة الذين أسهموا بجهودهم في محاولة اجلاء بعض ما غمض من تاريخ سلطنة دارفور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد . وسواء أكان الهدف من هذه الرحلات التي قام بها أولئك الرحالة ، خدمة مصالح استعمارية ، أو البحث عن الحقيقة وخدمة العلم ، فانهم كانوا — باستثناء محمد بن عمر التونسي — موضع ارتياب السلطات الحاكمة في دارفور وقلتها ، فلم يتمكنوا من التنقل بحرية في أنحاء البلاد ، ومن ثم لم يتيسر لهم دراسة أحوال البلاد دراسة كافية .

أما محمد بن عمر التونسي ، فيختلف عن أولئك الرحالة الأوربيين .

فهو تونسي الأب والجد ، مصرى الأم والتربية ؛ أفادته عربته في الوصول الى دارفور ، موطن كثير من القبائل العربية التي تربطه واياها رابطة الأصل واللغة والدين ، وتربطه بأهلها من السودان — ومعظمهم وقتذاك من المسلمين — العروة الاسلامية الوثقى . صحيح أن محمد بن عمر التونسي لم يذهب الى دارفور حبا في الاستطلاع أو الدراسة أو الكشف الجغرافي ، ولكنه ذهب للحاق بأبيه عمر التونسي الذي رحل قبله الى سنار ثم الى دارفور . ومن قبل رحل جده سليمان الى سنار . وأفاد محمد بن عمر التونسي في الامام بأحوال البلاد السياسية والاجتماعية والتاريخية ، علاقة أبيه وجده من قبل بهذه البلاد التي صاهرا أهلها ، وأضحى لمحمد بن عمر التونسي فيها اخوة وأعمام . وقد اشتغل هؤلاء جميعا بالعلم والتجارة ، وتنقلوا بين تونس ومصر والحجاز وسنار ودارفور ووادي . وصارت لهم مصالح تجارية واسعة ومراكز سياسية مرموقة ، ومكانة دينية عظيمة عند ملوكها وفقائها . ومما لا شك فيه أن خبرة هؤلاء جميعا تضيف كثيرا الى ما اكتسبه محمد بن عمر التونسي من خبرة بأحوال هذه البلاد خلال اقامته بها .

ومما يسر للتونسي التعرف على نواحي الحياة في البلاد ، سهولة التخاطب مع كافة الطبقات باللغة العربية ، التي لا يجهلها سوى القليل من أهل دارفور . وأتيح للتونسي — بما ناله أبوه عمر من مكانة لدى السلطان والأمراء والوزراء والفقهاء — أن يكون من ذوي الخطوة لديهم جميعا . فحضر مجالس السلطان ، ووقف على كثير من أسرار السياسة ، وتقاليد البلاط ، ونظم الحكم والادارة والقضاء ، وشهد بعض الحوادث السياسية والحربية الهامة . وأتيح للتونسي أن يتجول في كل أنحاء دارفور في حرية تامة ، وأن يمر بمدنها وقراها وأسواقها ، وأن يدخل المناطق الجبلية الوعرة ، التي لا يسمح لأحد بالدخول فيها الا بأذن من السلطان ، وهي المناطق التي يسكنها « أعجام الفور » على حد قول التونسي . ولذا تتميز كتابات التونسي عما شهد في هذه البلاد — رغم

حدثاته وقتذاك — بالدقة وقوة الملاحظة ، والقدرة على النفاذ الى أعماق الأمور . وبذا استطاع التونسي أن يدرس حياة الناس على اختلاف سلالاتهم وطبقاتهم ولغاتهم دراسة علمية طيبة (١) .

أما ترجمة حياة محمد بن عمر التونسي ، فانه أودعها مقدمة كتابه . غير أن هنالك بعض ملاحظات توجب الالتفات ، وأول هذه الملاحظات أن مصر كانت كعبة حجّ إليها الجدّ سليمان ، والابن عمر ، والحفيد محمد بن عمر . اذ تلقى الجدّ سليمان علومه الدينية واللغوية في الأزهر ، وشاعت المقادير أن يخرج من تونس للحج فلا يعود إليها ، بل سافر الى سنار حيث طاب له العيش ونسى أهله في تونس . وشاعت المقادير مرة ثانية أن يخرج سليمان في قافلة من سنار الى مصر للتجارة ، وأن يذهب عمر ابنه صحبة خاله أحمد بن سليمان الأزهرى من تونس للحج ، وأن يلتقى ثلاثتهم في مصر ، فيتواعد الجميع على المقابلة مرة ثانية في القاهرة بعد انتهاء موسم الحج . غير أن أحمد بن سليمان الأزهرى مات ودفن في مكة . ولما عاد عمر الى مصر ولم يجد أباه ، انصرف الى تلقى العلوم الدينية في الأزهر . ولما أعياء الانتظار ، رحل الى سنار ، ولكنه عاد الى القاهرة بعد أن يش من اقناع أبيه بالعودة الى تونس . وواصل عمر دراسته في الأزهر ، وتزوج من فتاة مصرية أنجب منها ابنه محمدا سنة ١٣٠٤ هـ (١٧٨٩ م) ثم انتخب عمر تقيبا لرواق المغاربة بالأزهر . ولما علم عمر بوفاة أبيه ، سافر الى سنار ليضم اليه اخوة له غير أشقاء ، بيد أنه لم يعد الى مصر أو الى تونس ، بل طاب له كذلك العيش في سنار ، وبعدها انتقل الى دارفور .

أما ابنه محمد ، فانه نشأ في مصر ، وتلقى دروسه في الأزهر ، حتى اذا بلغ الرابعة عشرة من عمره ، اعتزم البحث عن أبيه في بلاد السودان . وشاعت المقادير مرة ثالثة أن يلتقى محمد بن عمر التونسي بصديق لأبيه ، هو السيد

(١) راجع مقال مصطفى مسعد : سلطنة دارفور — تاريخها وبعض مظاهر حضارتها. مجلة الجمعية المصرية التاريخية ، العدد ١١ ، ١٩٦٣ ، ص ٢١٩ — ٢٢٣

أحمد البدوي ، من أكبر تجار دارفور . فسافر معه محمد صحبة قافلة مسافرة الى دارفور . وسلك محمد بن عمر التونسي درب الأربعين ، وهو الطريق الذي سلكه قبل ذلك بعشر سنوات ، الرحالة الانجليزى براون . ولما وصل محمد ابن عمر التونسي الى دارفور ، استقبله هناك عمه غير الشقيق أحمد زروق ، وصحبه الى حيث يقيم أبوه عمر التونسي في اقطاعه الذي منحه اياه السلطان عبد الرحمن الرشيد في « أبو الجدول » .

كان السلطان وقتذاك ، أى سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) ، هو الحدث محمد فضل ، الذى خلف أباه عبد الرحمن الرشيد على حكم دارفور . وتولى الوصاية عليه الوزير الأعظم الأب الشيخ محمد كثرًا . ولم يفت عمر التونسي أن يقدم ابنه محمدا الى أولى الأمر في البلاد . فأرسله الى تندلتى محملاً بالهدايا الى الوزير الأعظم الأب الشيخ محمد كثرًا والفقيه مالك الفوتواوى . ولما عاد محمد بن عمر التونسي الى « أبو الجدول » محملاً بالهدايا والخلع ، سافر عمر الى تندلتى ليستأذن في السفر الى تونس لرؤية أهله وأقاربه ، وليخبر الوزير الأعظم أنه سيترك ابنه محمدا في « أبو الجدول » ليجمع خراج اقطاعه وينتفع بزراعته . فسمح له الوزير الأعظم بالسفر ، بعد أن وعده عمر بالعودة مرة ثانية الى دارفور .

أعطى عمر ابنه محمدا وثيقة الاقطاع في « أبو الجدول » ، ثم غادر دارفور قاصدا تونس بطريق واداي . غير أنه لما وصل الى واداي ، تطلع للحصول على منصب رفيع في حاشية السلطان محمد عبد الكريم صابون سلطان واداي وقتذاك . واستطاع عمر أن يظفر بمنصب وزير في حكومة واداي ، وحصل على أملاك في قرية أبالي كذلك . وظل عمر على ذلك عدة سنوات ، انتظر خلالها وصول ابنه محمد الى واداي . ولما تأخر وصوله ، استعد عمر للسفر الى تونس بعد أن أوصى أن يخلفه في الوزارة أحمد الفاسى ، وعهد الى أخيه أحمد زروق أن يشرف على أملاكه في أبالي ، ويرعى أسرته وبنيه فيها .

أما محمد بن عمر التونسي ، فانه عاش في دارفور نحو سبع سنوات ونصف سنة ، ألمّ خلالها بأحوال البلاد الماما تاما ، ولم يتمكن من مغادرة دارفور الى واداي ، الا بعد انتهاء الحرب بين البلدين ، فسافر محمد بن عمر التونسي الى واداي على رأس وفد من قبل السلطان محمد فضل . واستقبله السلطان محمد عبد الكريم صابون استقبالا طيبا ، وأسبغ عليه من عطفه ما أسبغه على أبيه من قبل .

أقام محمد بن عمر التونسي في واداي مدة لم يلبث بعدها أن واجهته بعض المشاكل ، التي تغيرت بسببها أحواله . وأول هذه المشاكل أن عمه أحمد زروق — الذي استأمنه عمر على أملاكه وعياله — طمع في هذه الأملاك لنفسه ، ولم يعط منها محمدا الا الفتات . وثانيتها أن الوحشة ازدادت بينه وبين أحمد الفاسي الذي وشى به عند السلطان ، فارتاب فيه ، وقلب له ظهر المجن . ثم لبى عمر دعوة ابنه له في الحضور الى واداي ، واستطاع بنفوذه لدى السلطان صابون ، أن يعزل أحمد الفاسي من الوزارة ، ولكنه لم يلبث أن استرد منصبه بعد رحيل عمر الى تونس .

وبعد أن قضى محمد بن عمر التونسي نحو ثمانية عشر شهرا في واداي ، استأذن السلطان صابون في السفر الى تونس ، فأذن له ، وبلغها حوالي سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) أي بعد حوالي عشر سنوات منذ غادر القاهرة الى دارفور .

لم يبق محمد بن عمر التونسي في تونس طويلا ، بل رحل الى القاهرة ، حيث التحق بخدمة الجيش المصري في وظيفة واعظ باحدى فرق المشاة ، وهي الفرقة التي اشتركت في حرب المورة سنة ١٨٢٧ م . ولما رجع التونسي من المورة سنة ١٨٣٢ م ، اشتغل بتتقيح الترجمة العربية لكتب الطب ، التي كانت تدرس في كلية الطب البيطري بأبي زعبل . وهناك التقى محمد بن عمر التونسي بالدكتور

بيرون الفرنسى . وتلقى بيرون دروسا فى اللغة العربية على يد محمد بن عمر التونسى .

ولما علم بيرون برحلة التونسى فى بلاد السودان — دارفور ووادى — شجعه على كتابة مذكراته عنها . وكان الغرض من هذا العمل أول الأمر أن تصبح هذه المذكرات كتبا للمطالعة العربية . ومن مؤلفاته :

— كتاب تشجيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان .

— رحلة وادى . وقام بيرون بترجمتها الى الفرنسية ، ونشرها فى باريس سنة ١٨٥١ . أما النص العربى لهذه الرحلة ، فانه لم ينشر حتى اليوم ، ولا نعرف عنه شيئا ، ولعله فى حوزة ورثة بيرون ^(١) .

ولما عين بيرون مديرا لمدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٣٩ ، أوصى بتعيين التونسى كبيرا للمراجعين فيها ؛ فأتاح هذه الوظيفة الجديدة للتونسى فرصة الاسهام فى خدمة اللغة العربية فى عصر الترجمة فى مصر فى منتصف القرن التاسع عشر . فانه فضلا عما قام به من تصحيح الكتب المترجمة الى العربية ، أو الموضوعات فى العلوم الحديثة ، ساعد على استخدام كثير من المصطلحات العلمية المتعلقة بعلوم الطب والنبات والحيوان . ومن مؤلفاته فى هذه الناحية :

— الشذور الذهبية فى المصطلحات الطبية ، وهو الكتاب الذى صنفه بتكليف من كلوت بك ، مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٤٦٤١ ، ويوجد منه بدار الكتب المصرية أربع نسخ مصورة عن نسخة بباريس . ولم يطبع منه سوى الجزء الأول .

أما الكتب الطبية والعلمية التى تم نقلها الى العربية ، وقام التونسى بتصحيحها وتحريها فمنها :

Encycl. of Islam, art. "Tunsi". (١)

— الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع .

— كنوز الصحة ويواقيت المنحة .

— روضة النجاح الكبرى في العمليات الجراحية الصغرى .

— الدر الغوال في معالجة أمراض الأطفال (١) .

ولمحمد بن عمر التونسي فضل لا ينكر في مراجعة بعض المؤلفات العربية القديمة التي طبعت في مصر على عهده . ومن هذه المؤلفات : مقامات الحريري ، والمستطرف للأبشيهي . ثم انه أشرف على طبع القاموس المحيط للفيروز أبادي بمطبعة بولاق ، وذلك بعد مراجعة نسخة كلكتا على نحو سبع نسخ مخطوطة لهذا القاموس .

. . . وجرى محمد بن عمر التونسي ، في أواخر أيامه ، علىلقاء دروس في الحديث بمسجد السيدة زينب ، في يوم الجمعة من كل أسبوع ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) بعد أن عمّر سبعين سنة هجرية (٢) .

* * *

كان الأصل المعتمد في نشر كتاب « تشحيذ الأذهان ، بسيرة بلاد العرب والسودان » هو النسخة المطبوعة بالحجر ، التي كتبها المستشرق بيرون Perron بخطه ، ونشرها في باريس سنة ١٨٥٠ م ، كما جاء في آخر النسخة حيث نجد ما نصه : « وقد طبع بالحجر هذه النسخة الجليلة ، المنمقة الجميلة ، بدار طباعة السيد كيئيلين^(٣) الفاخرة ، الكائنة بمدينة باريس الباهرة ، وذلك برسم وخط السيد بيرون ، بنعمة الله وعون . وكمل طبعه على ذمته ،

(١) جمال الدين الشيال : (دكتور بيرون والشيخان محمد عيساد الطنطاوي ومحمد بن عمر التونسي) ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد الثاني ١٩٤٤ ، ص ٢٢١ .

Encycl. of Islam, art. Tounsi. (٢)

Kaeplin (٣)

ونظره واهتمه ، فى سلخ شهر نونبر سنة خمسين وثمانمائة بعد الألف المسيحية ،
والحمد لله فى البدء والنهاية ، ونسأله من الخير بلوغ الغاية ، آمين » .

وفى الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية ^(١) ، أن النسخة العربية
التي نشرها بيروت عام ١٨٥٠ « هى النسخة التي كتبها المؤلف بخط يده » ،
ومن المؤكد أن المترجم التبس عليه الأمر ، فالعبارة المذكورة فى آخر النسخة
العربية صريحة فى بيان أن النسخة مكتوبة برسم بيروت وخطه ، فضلا عن أن
الأصلين الألماني والانجليزى للدائرة يفيدان أن النسخة العربية كتبها بيروت
بخطه .

وقد نشرت الطبعة التي بالحجر فى نطاق ضيق للغاية ، اذ كان عدد النسخ
التي طبعت من الكتاب آنذاك لا يتجاوز المائة ^(٢) ، فنسخه منذ طبع نادرة ،
وهى اليوم أندر .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الكتاب طبع قبل وفاة المؤلف بسبع سنين ، وأن
المؤلف كان يعيش حينذاك فى القاهرة حيث كان يعمل بيروت .

وفى آخر النسخة المطبوعة بالحجر تصويبات كثيرة تربو على السبعين ، منها
الملفى الذى عدل فيه عن لفظ الى لفظ غيره ، ومنها ما هو اضافة لفظ أو عبارة
أو عبارات سقطت عند النسخ فاستدركت عند المراجعة من مثل قول المؤلف
فى الأصل : « فتخرج الشابات من النساء صفوفا صفوفا » . وقد صحح عند
المراجعة فصار : « فتخرج الشابات من النساء متزينات ، والشبان من الرجال
فى أكمل زينة يقدرون عليها ، وتصطف النساء صفوفا صفوفا » ^(٣) .

(١) مجلد ٦ ص ١١٧ ، مادة « التونسى » .

(٢) راجع كتاب « محمد بن عمر التونسى » للدكتور عبد العزيز عبد المجيد طبعة
القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٧ .

(٣) تسمى الاضافات التي من هذا النوع اذا كتبت فى هامش المخطوطة عند
المراجعة الحاقا جمع لحق ، بفتح اللام والحاء .

وجود هذا القدر الكبير من التصويبات والاستدراكات في آخر النسخة جعلنا نطمئن الى أنها روجعت بدقة وعناية ، وأن المتن بعد المراجعة في جملته سليم ، غير أننا وجدنا بالمتن عند التحقيق وانعام النظر غموضاً أو خفاءً أو خللاً في طائفة من المواضع ، فكان لايسعنا في استجلاء الغامض وإظهار الخفى وسد الخلل غير الرجوع الى الترجمة الفرنسية .

فان للكتاب ترجمة فرنسية عملها بيرون كذلك وطبعها في باريس سنة ١٨٤٥ م ^(١) أى قبل الطبعة العربية بخمس سنوات ، وجعل عنوانها : في الفرنسية — بعد نقلها من العربية — في شيء من التصرف كالاتى :

Voyage au Darfour, ou :

L'aiguinement de l'esprit, par le voyage au Soudan et parmi les arabes
du centre de l'Afrique.

وكتب بيرون في آخر الترجمة ملاحظات وتوضيحات تقع في أكثر من تسعين صفحة ، أكثرها مستمد من التونسي مؤلف الكتاب ، ورمز له بكلمة « الشيخ » ، وأقلها للمترجم الذى أضاف الى الترجمة فصلاً من تأليفه جعله ملحقاً لها ، وعنوانه : « السلطان أبو مدين » .

ونحن نعلم أن التونسي ألف كتابه « تشجيد الأذهان ... » تلبية لرغبة صديقه بيرون ، وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن التونسي كتب مذكراته عن الرحلة الى دارفور ثم حررها وجعل منها هذا الكتاب الذى نستطيع أن نعتبر نسخته هى النسخة الأصلية ، وهذه اعتمد عليها بيرون في أمرين :

الأول : في الترجمة الفرنسية التى نشرها قبل أن ينشر النسخة العربية كما سبق القول .

(١) وللرحلة كذلك ملخص باللغة الانجليزية مطبوع بعنوان

Travels of an Arab Merchant in the Sudan

(راجع عبد العزيز عبد المجيد : « محمد بن عمر التونسي » ص ٧) .

والآخر : فى كتابة النسخة العربية التى طبعت بعد ذلك برسم المترجم وخطه .
وهذه النسخة الأصلية التى هى نسخة المؤلف ، والتى يمكن أن نرمر لها
بالرمر (أ) لم تصلنا ولا نعرف عنها شيئا ، فهى فى حكم المفقودة . ومما لا شك
فيه أنها كتبت قبل عام ١٨٤٥ م بفترة .

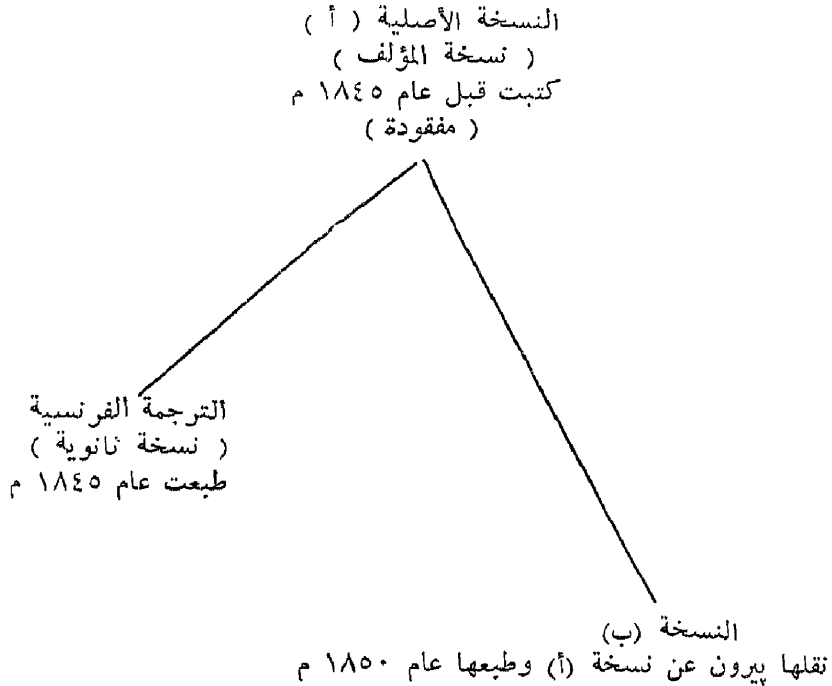
أما النسخة الأخرى وهى نسخة المترجم فهى التى وصلتنا مطبوعة بالحجر
عام ١٨٥٠ م ، بخط بيرون نفسه ، وهذه يمكن أن نرمر لها بالرمر (ب) .

أى أن الترجمة الفرنسية التى طبعت عام ١٨٤٥ م والنسخة العربية (ب)
التى كتبها بيرون تنتميان الى أصل واحد هو نسخة المؤلف .

وعلى هذا يسوغ لنا أن نعتبر النسخة العربية المطبوعة بالحجر بمثابة نسخة
خطية للكتاب ، كتبت فى زمان المؤلف ثم روجعت بعد الطبع وقوبلت على نسخة
المؤلف وكتبت التصويبات فى آخر الكتاب ، ولو حدث أن روجعت بعد نسخها
بوصفها مخطوطة لكتبت التصويبات فى هامش المخطوطة ووضعت العبارات
المستدركة عند المراجعة فى الهامش كذلك على شكل إلحاق ، كما يتبع فى
تصحيح المخطوطات ومراجعتها ومقابلة بعضها على بعض .

أما الترجمة الفرنسية فتعتبر نسخة ثانوية تقوم مقام نسخة المؤلف فى تقويم
المتن وإكمال ما فيه من نقص عند الضرورة . والذى يؤكد لنا أن بيرون عمل
الترجمة عن نسخة المؤلف سقوط ألفاظ أو عبارات أو ما يكاد يقرب من
الصفحة ، من متن النسخة (ب) ، فلم يستقم لذلك سياق الكلام بدونها . ومن
أهم ما أضيف الى المتن اعتمادا على الترجمة الفرنسية ما جاء فى صفحتى ٢٠٦ ،
٢٠٧ من الكتاب وقد بلغت مواضع الإضافات التى من هذا النوع حوالى
ثلاثين موضعا .

وفيما يلي جدول لبيان ذلك :



والنسخة (ب) المعتمدة في نشر الكتاب مكتوبة بقلم النسخ المعتاد وتقع في ١٥٧ ورقة ، وهى خالية من أرقام الصفحات ، ولكننا وضعنا لصفحاتها أرقاما انتهت الى رقم ٣١٤ على ضوء التصويبات الموجودة في آخر النسخة ، وفي الصفحة سبعة عشر سطرًا . والنسخة مضبوطة بالشكل في كثير من المواضع ، وبخاصة الأعلام ومصطلحات الوظائف والرتب والألقاب وأسماء النبات والأشجار والأمراض والأطعمة والملابس والحلى وغيرها ، وكذلك متون الأغاني سواء أكانت بالعامية أم بلغة الفور . غدير أن هناك مواضع غير لغوية لم تضبط بالشكل ، ولم يسعفنا في ضبطها الا الترجمة الفرنسية .

ولا بأس من أن نقف الآن وقفة عند أسلوب التونسى في كتابه هذا فهو أسلوب من نوع خاص . ذلك بأننا نلاحظ في مواضع كثيرة من المتن خروجاً

على قواعد النحو والصرف ، كما نلاحظ مجافاة الأسلوب العربي السليم .
ثم نجد بعد ذلك عدم اكتراث بالقواعد الإملائية أحيانا .

ولو أن المؤلف توخى أسلوب اللغة العربية الفصحى وسار على النهج
القويم ، ملتزما في كتابه ما تقتضيه علوم اللغة لكان الطريق الى تقويم المتن
وتحريره واضحة لا خلاف فيها ، ولكن الذى لاحظناه منذ البداية أن المؤلف
كان يلتزم العربية الفصحى بصفة عامة في كتابه ، غير أنه كان يزواج حيناً بين
الفصحى والعامية ؛ أو يجنح حيناً آخر في بعض العبارات الى العامية الخالصة .

وقد جعلنا هذا الضرب من التأليف نفكر ونقدر ونترث قبل أن نقوم بأى
تغيير في المتن . ولو أن النسخة كانت مكتوبة بخط التونسي نفسه وأنه هو
الذى ضبطها بالشكل على نحو ما جاء في نسخة بيرون التى بين أيدينا لما كان
هناك للتفكير والتقدير والترث مجال ، فإن النسخة في هذه الحالة تشر كما هي
بدون أدنى حرج وإذا كان للناشر ملاحظات أو اعتراض على شيء فيها كتب
ذلك في الحاشية ، ولكن النسخة كتبها مستشرق بخطه نقلا عن نسخة المؤلف ،
ثم قابلها عليها كما سبق القول .

ومهما يكن فقد حاولنا جهد الطاقة تفهم الأسلوب الذى جرى عليه المؤلف
وهو أسلوب لا يسير على وتيرة واحدة ؛ وهو بحاجة الى شيء من الدراسة التى
لا بد منها لتقديم صورة محررة من المتن أقرب ما تكون من الصورة التى يرجح
أن المؤلف توخاها وقصد إليها .

ومما لاحظناه وسبقت الإشارة إليه أن المؤلف يتجاوز أحيانا عما تقتضيه
القواعد النحوية مراعاة للسجع ، لدرجة يصبح معها تصحيح المتن نحويا ضربا
من افساده . ومن الأمثلة على ذلك قول المؤلف (١) : « واعتذر بعذر ساقط ،
لا يجد له لاقط » . وقوله (٢) : « ففسد ما به من النخيل ، وذهب رونقه بعد

(١) صفحة ٣٤

(٢) صفحة ٤٨

أن كان جميل » . والراجح أن ما جاء في آخر النسخة وهو قوله : « وذلك برسم وخط السيد بيرون ، بنعمة الله وعون » انما هو من هذا القبيل .

ومما هو مزيج من الفصحى والعامية قوله ^(١) : « فاغتاظ وعرف أنها حيلة وتمت عليه » وقوله ^(٢) : « قد انكسرت سفينته ، وضاع ما كان حيلته » وقوله : ^(٣) « فحينئذ يحملها الغيظ على أن تفتن عليه » .

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة ففيما ذكرنا ما يكفى فيما نظن لبيان أن أسلوب المؤلف هو حقيقة من نوع خاص . ونحن نرجو أن تكون الصورة التي انتهى إليها المتن في هذه الطبعة هي الصورة المثلى له أو هي أقرب .

* * *

علامات ورموز جديدة :

وردت في كتاب « تشحيذ الأذهان » للتونسي بمض الأغاني بلغة الفور ، وأعلام لأشخاص وبلاد وأماكن ، وأسماء لمناصب إدارية ، وكذلك ألفاظ وعبارات عامية . واضبط ذلك كله ضبطاً صحيحاً دقيقاً ، استعملنا العلامات الآتية ^(٤) :

(١) علامة خاصة بالإمالة وهي : (e = َ) وتوضع تحت الحرف الممال . وتنطق كما تنطق ال e في الكتابة اللاتينية . وإذا مدّت هذه الحركة أتبناها الياء ، كما في :

كوبيه ، تارنيه ، بيت ، شين ، دار صليح ، مرهيب .

(١) صفحة ١٧ (٢) صفحة ٣١ (٣) صفحة ٢٥٥

(٤) انظر بحثاً لخليل عساكر القاه في مؤتمر المجمع اللغوي وناقش المؤتمر البحث في يناير ١٩٥٠ ، ونشر بمجلة المجمع (العدد الثامن) وعنوانه : « طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية » . وبهذه الطريقة نفسها مع اضافات يسيرة كتبت خمسة كتب صغيرة للقراءة بمدارس جنوب السودان بلغات الدنكا والزاندى والبارى والمورو واللاتوكا وطبعت بمكتبى النشر بالخرطوم وجوبا فيما بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠

(٢) علامة خاصة بالضمة الممالة وهي (ُ = o) وتوضع فوق الحرف ، وتنطق كما تنطق ال o في الكتابة اللاتينية . وإذا مدت هذه الحركة أثبتناها الواو كما في :
مِيدَوْب ، الدَّاجُو ، شَعْلَوْب ، شَوْتَر .

(٣) الجيم ذات النقطتين (جـ) ، وهذه يرمز بها للجيم الشديدة غير المعطشة ، المعروفة بالجيم القاهرية ، وتنطق كما ينطق صوت ال g في الكلمة الإنجليزية : go .
ومثالها : مَوْحِيه .

(٤) النون والجيم الشديدة غير المعطشة (نـجـ) ، وتنطق كما تنطق ال ng الموجودة مثلا في اللفظة الإنجليزية singer ، ومثالها :
رَوْنَجِيه ، دُونَجِيه ، دِنَجِيَايه .

أما الطريقة التي اتبعت للدلالة على هذه الأغراض في النسخة التي كتبها
بيرون ، والتي لا ندرى هل هي من عمله أو من عمل التونسي فهي أن مجموعة
الكلمات الأولى مثلا — وكلها تنطق بالامالة — كتبت على النحو التالي :
كُوبِيَه — تَارْنِيَه — بَيْت^(١) — شَيْن^(٢) — دار صَلِيح — مَرْهَبِيْب
وليس في كتابة هذه الكلمات هكذا شيء من الدقة لأنها تدعو الى اللبس .
وأما المجموعة الثانية من الكلمات — وكلها تنطق بالضمة الممالة — فقد
كتبت هكذا :

مِيدَوْب — الدَّاجُو — الشَّعْلَوْب — شَوْتَر

وكتابتها على هذا النحو مدعاة للبس كذلك .

وفي النسخة رمز الكاف ذات النقط الثلاث . وقد لاحظنا أن هذا الرمز

(٢،١) المقصود هنا نطق اللفظين في العامية لا في الفصحى ، وهو نطقهما بامالة
انباء والشين .

استعمل للدلالة على صوت الجيم الشديدة غير المعطشة (ج) ، كما استعمل أيضا للدلالة على صوت النون مع الجيم الشديدة (نج) الذى ينطق كما تنطق ال (ng) فى الكلمة الانجليزية (singer) ، فأثرنا استعمال نوعين من الرموز منعا للبس .

* * *

ثم ان هناك مجموعة من الكلمات وردت فى النسخة مكتوبة بالقاف ونود أن نلفت النظر الى نطق هذه القاف التى وردت فى مثل الكلمات : باقرمه وبرقو وقرلى وغيرها . فان هذه القاف لا تنطق على النحو الذى تنطق به فى العربية الفصحى وانما تنطق كما تنطق الجيم الشديدة غير المعطشة أو كما ينطق صوت ال (g) فى الكلمة الانجليزية (go) . وهذه الطريقة التى اتبعها التونسى للدلالة على صوت الجيم الشديدة غير المعطشة بالقاف هى التى اتبعها الفقيه محمد ود ضيف الله المتوفى عام ١٢٢٤ هـ — أى قبل أكثر من قرن ونصف قرن — فى كتابه المعروف « طبقات ود ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان » ، وهى كذلك التى لا يزال السودانيون يتبعونها حتى اليوم اذ يكتبون مثلا : قراند هوتل ، وقاقارين ، بالقاف .

ولا بأس من ايراد طائفة من هذه الكلمات لتكون تذكرا للقارىء حين يطلع عليها فى ثنايا الكتاب وتلك هى :

أَبْ دَرَقِ ، أَدِقَزْ ، باقِرْمَه ، بِرَقِدْ ، بَرَقو ، بَقَو ، تُرْقُنْكَ محمد ، دار فَنَقَرَو ، دار قِمِر ، دَقَرَه ، دُقْلَه ، دَمَزوَقَه ، دِنَقار ، دُود بَنَقَمَا ، الرِّزِيقات ، الشَّايِقِيَّة ، صَقَل ، فَلَاقِنَه ، فَلَقْنَاوِي ، فَاَقَو ، قُدَانِي ، قُطَيَّة ، قُويَا ، لِقْدَا بَه ، مِتْقَال .

ملاحق الكتاب :

رأينا من المناسب اكتمالا للفائدة المنشودة من نشر هذا الكتاب اضافة
ثلاثة من الملاحق اليه :

الملحق الأول : وعنوانه « الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور ، ومشروع
الحملة المصرية على دارفور سنة ١٨٤٣ م » ^(١) ، كتبه الدكتور بيرون في كتاب
Voyage au Darfour نقلا عن الأمير أبي مدين نفسه أثناء اقامته في مصر من
سنة ١٨٣٤ م الى سنة ١٨٤٣ م . وهذا الملحق وثيقة تاريخية هامة انفرد بيرون
بتسجيلها ، وهى تلقى كثيرا من الضوء على تاريخ الأمير أبي مدين ، وعلى علاقة
مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر بسلطنة دارفور ، قبل دخولها
تحت الادارة المصرية في السودان .

أما الملحق الثانى الذى عنوانه « تاريخ سلطنة دارفور منذ أول نشأتها الى
الفتوح المصرى » فنقلناه من كتاب : « تاريخ السودان القديم والحديث
وجغرافيته » ، تأليف : نعوم شقير . وتناول فيه المؤلف شرح أصول هذه
السلطنة الاسلامية السودانية وتاريخها . واستمد نعوم شقير مادته من الشيخ
الطيب محمد بن أحد علماء دارفور اللاجئيين الى مصر أواخر القرن التاسع عشر .
وأورد المؤلف في هذا الملحق تراجم للسلطين السابقين للسلطان محمد تيراب ،
وهم السلطين الذين لم يرد لهم ذكر في كتاب : تشحيذ الأذهان . فهو لهذا
يحتوى على مادة تاريخية ، تضيف كثيرا الى ما أورده التونسى في كتابه ، وذلك
فضلا عن أنه يتيح للباحث فرصة المقارنة وترجيح رأى على آخر . وليس في

(١) قام مصطفى مسعد بترجمة هذا الفصل الخاص بأبى مدين .

نقل هذا الملحق من كتاب مطبوع ما يقلل من قيمته ؛ ولكن العكس هو الصحيح ، فكتاب شقير غدا من الكتب النادرة التى يصعب الحصول عليها .

ولدينا ملحق ثالث من نوع جديد ، يحتوى على ثلاثة أقسام (١) :

الأول : معجم عربى -- فوراوى ؛ مترجم عن المعجم الفرنسى — الفوراوى ، الذى جمعه المسيو جومار وأودعه المقدمة التى كتبها للترجمة الفرنسية Voyage au Darfour .

والثانى : ألفاظ عربية — فوراوية — رونيماوية ؛ وهذه أيضا مترجمة عن الألفاظ الفرنسية — الفوراوية — الرونيماوية ، وتشمل الألفاظ التى جمعها جومار بنفسه والتى نقلها عن التونسى وعن براون ، وقد أودعها المقدمة كذلك . أما القسم الثالث فيحتوى على ألفاظ وعبارات عربية فوراوية جمعناها مشافهة عن أهل جبل مرة أثناء الرحلة التى قمنا بها الى دارفور فى شتاء عام ١٩٦١ . وهذه الأقسام الثلاثة من المعجم مكتوبة على الطريقة التى سبق شرحها فى صفحة ٢١ .

وللقسمين الأول والثانى من هذا الملحق قيمة لغوية اذ أن مادتهما اللغوية جمعت قبل أكثر من قرن ونصف قرن عندما بدأ علماء أوربا يهتمون بدراسة اللغات الافريقية فى قلب افريقيا ويسجلون مفرداتها ويستنبطون القواعد النحوية لها .

وأما ما جمعناه أثناء الرحلة فكان يقصد المقارنة بين بعض المفردات التى كانت ضمن ثروة هذه اللغة آنذاك ونظائرها فى لغة الفور اليوم .

ومما أضفناه الى الكتاب كذلك عدد من الصور والأشكال والخرائط .

(١) قلام خليل عساكر باعداد ما ورد فى هذا الملحق بأقسامه الثلاثة ، من ترجمة وجمع وترتيب .

فهناك صورة للمؤلف في أول الكتاب وهذه أخذناها من الترجمة الفرنسية
لرحلة المؤلف الى واداي وعنوانها : Voyage au Ouaday

وهناك كذلك صورة للأمير أبي مدين وضعت أمام صفحة ٣٤٣ وأخرى
للمرجيه (ص ١٩٠) وهاتان مأخوذتان من الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour
التي أخذنا منها أيضا خريطة سلطنة دارفور والمدونة الموسيقية بعد نقلهما
الى العربية .

أما خريطة دارفور وجيرانها ، وخريطة مديرية دارفور فقد أخذناها من
مجلة السودان في مذكرات ومدونات (S N R)

وأما جدول سلاطين دارفور بصفحة ٧٨ فقد اعتمدنا في ترتيبه على
ما ورد في المتن فضلا عما ورد من تفصيلات في مادة : «دارفور» في دائرة المعارف
الاسلامية ، وفي نعوم شقير (تاريخ السودان) ، وبذلك استطعنا أن نضيف
أسماء سلاطين وأمرأ غير واردة في زامباور (الترجمة العربية ج ١ ص ١٣٩) .

* * *

وعندما بدأنا العمل في تحقيق هذا الكتاب واعداده للطبع ، رأينا من
الضرورى أن نقوم برحلة الى مديرية دارفور وجبل مرة بها ، وتهيأت للرحلة
أسبابها حين قمنا مع فريق من زملائنا أساتذة كلية الآداب بفرع جامعة القاهرة
بالخرطوم ، ومعنا طلاب السنة الرابعة من قسم اللغة العربية ، برحلة علمية في
ديسمبر سنة ١٩٦١ ، استطعنا أن نجتمع أثناءها ذخيرة لغوية وأدبية وتاريخية
 واجتماعية ، أفادتنا في تحقيق على الطبيعة لما ورد فيه من روايات تاريخية ،
ومصطلحات ادارية ، وألفاظ وعبارات وأناشيد باللغة القوراوية .

ويرجع الفضل في تيسير مهمتنا الى السيد اللواء حمد النيل ضيف الله ، قائد
المنطقة الغربية سابقا ، ورئيس أركان حرب الجيش السودانى . وكان ممن
اتصلنا بهم ونقلنا عنهم من أبناء جبل مرة : الشرتاى منصور شرتاى بلدة

كاس ، والشيخ سيف الدين عمدة نيارتتى ، ثم الأمير سليمان ابن السلطان على دينار ، ومحمد الحجة من أعيان الفاشر .

ونود أن نختم هنا برجاء الى كل قارئ كريم أن يمدنا بما عساه يتراءى له من ملاحظات تساعدنا على استيفاء ما هناك من مواضع تستأهل إعادة النظر في اخراج الكتاب ، لا سيما وأن هناك تفكيراً في اخراج كتاب « رحلة واداي » ، وهو الكتاب الثانى من رحلات التونسى ، ونأمل أن يمدنا القارئ بما يكون لديه من معلومات تنير الطريق الى العمل فى هذا الكتاب الثانى .

المحققان

خليل محمود عساكر و مصطفى محمد مسعد

القاهرة فى } ٢٧ من صفر سنة ١٣٨٥ هـ
٢٧ من يونية سنة ١٩٦٥ م

المحتوى

صفحة	
٥	تصدير ، بقلم المحققين .
٢٩	فهرس الكتاب
٣٥	المراجع

المقدمة

وفيها ثلاثة أبواب :

الباب الاول :

٧ في السبب الباعث لرحلة التونسي لبلاد السودان

الباب الثاني :

٤١ الرحلة من الفسطاط الى دارفور

الباب الثالث :

٩٩ في ذكر نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد ،
وأول أمره وولايته ووفاته

المقصود

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الاول :

وفيه خمسة فصول

١٣٢	—	في صفة دارفور	الفصل الاول
١٦٦	في عوائد ملوك الفور	الفصل الثاني
١٧٩	في مناصب ملوك الفور	الفصل الثالث

الفصل الرابع : فى كيفية مجلس السلطان ١٩٤
الفصل الخامس : فى ملابس ملوك الفور .. ٢١٠

وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى اصطلاح تزويج الفور ٢٢٧

الفصل الثانى : فى التخصيان المعروفين فى مصر بالطواشيه ٢٤٩

وفيه فصلان :

	الفصل الأول	: فى أمراض السودان والمأكولات وصحة الأقاليم
٢٦٨	والصيد وبعض الحيوانات
٢٩٦	الفصل الثانى	: فى معاملة أهل دارفور

باب :

فيما ينبت في دارفور من النبات ، وفي السحر والتعزيم وضرب
الرمل ، وغـير ذلك — ٣٠٣

ملحق رقم (١) :

الأمير أبو هدين : مترجم عن ملحق باللغة الفرنسية ، بقلم :
 يرون مترجم الكتاب

ملحق رقم (۲) :

تاريخ سلطنة دارفور . منقول من كتاب : تاريخ السودان القديم
والحديث وجغرافيته ، لنعوم شقير — ٣٦٧

ملحق رقم (٣) :

معجم عربی - فورای . مترجم عن معجم فرسی - فورای	
جمعه : چومار .	۴۱۵
الفاظ عربیة - فورایة - رونجایة	۴۲۸
الفاظ وعبارات عربیة - فورایة	۴۳۱

کشف الکتاب

٤٣٩	فهرس بأسماء الأعلام والبلاد والأماكن
٤٥٩	مصطلحات الوظائف والرتب والألقاب
٤٦٢	العملة وأنواع الضرائب ، والأدوات المنزلية وغيرها ، والملابس ، والحلي ، وأنواع الطيب
٤٦٦	النبت والأشجار ، والأطعمة والأشربة ، وفصول السنة وشهورها
٤٧٠	الأمراض
٤٧٢	المساكن والمبانى وأقسامها
٤٧٣	أنواع الرقص
٤٧٣	السحر وضرب الرمل
٤٧٥	تصويبات واستدراكات

الصور والأشكال والتخرايط والمدونات الموسيقية

صفحة	
١٠٥	سـفـرـوك
١٤٧	جدول يبين كيفية دار الفور ووضع منازل القبائل والأعراب المحتفين بها
١٦٨	كرابيج من الحديد
١٦٩	دنقـار ، أى : طبل عظيم من خشب
١٧٠	ريش ، وهى مروحة كبيرة من ريش النعام
١٧٢	هيثة ديوان السلطان
١٧٦	صفة دخول السلطان بعد العرض
١٨٦	قرعة جافة فيها بعض حصباء تستعمل آلة موسيقية
١٨٧	تكـجل ، أى : دريكة
١٨٨	عصابة يلبسها الموجيه على رأسه
١٨٩	عصا معوج أعلاها تكون بيد الموجيه
١٩٠	صورة الموجيه
١٩٤	خشبة بأخرها شعبتان ، تستعمل فى بناء اللقدابة
١٩٥	حمر على شكل سطور متقابلة يدخلون فى كل حفرة خشبة
١٩٦	مربع مستطيل فى وسطه مربعات يوضع فوق البلدايات
١٩٧	ديوان السلطان ، وبه محل عال ، مركزه أعلى من جانيه لجلوس السلطان
٢٠٢	سـكـتـايـة
٢٠٣	تكلتى
٢٠٤	ثياب حمراء وبيضاء ، يكسو بها السلطان أعلى سكاته وتكاليه
٢٠٥	أعواد مربطة بالقد ، على هيثة شباك ، تستعمل أبوابا لوريديا
٢٠٨	صفة دار السلطان (خريطة)
٢١٣	خزام حلقى
٢١٣	خزام شموكى
٢١٥	عقد بفرعين
٢١٥	عقد بأربعة فروع
٢١٦	جلجل أو ودعة على هيثة عنقود تجعل أسفل التسمية
٢١٧	لدأى يوضع قريبا من جهة المرأة ويشبك فى شعرها
٢٦٩	آلة لقطع زائدة كلسان العصفور عند أصل لسان الطفل

صفحة	
٢٧١	كيمات السرة
٢٧٥	تشريط الأضلاع
٢٨٩	حرية
٢٩١	شبكة الصيد العصافير
٣٠١	حشاشة بدون قضيب
	اشكال ضرب الرمل :

٣٣٤	الطريق
٣٣٤	الجماعة
٣٣٤	الليحان
٣٣٤	النكيس
٣٣٥	الاجتماع
٣٣٥	العقلة
٣٣٥	العتبة الداخلة
٣٣٦	العتبة الخارجة
٣٣٦	القبض الداخل
٣٣٦	القبض الخارج
٣٣٦	البياض
٣٣٧	الحمرة
٣٣٧	الجودلة
٣٣٧	نقى الخسد
٣٣٨	النصرة الداخلة
٣٣٨	النصرة الخارجة
٣٣٨	ضرب الرمل

٥	... أمام صفحة	صورة مؤلف الكتاب
٣٤٣	... أمام صفحة	صورة الأمير أبى مدين
٤٧٨		جدول سلاطين دارفور

ملحقة بآخر الكتاب	}	خريطة سلطنة دارفور
		خريطة دارفور وجيرانها
		خريطة مديرية دارفور
		مدونة موسيقية ، لبعض الأغاني الفورانية

المراجع^(١)

أولا : المراجع العربية

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبيد الله ، ت ٧٧٩ هـ ١٣٧٧ م) :
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، جزآن - مصر ١٩٣٨ م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ اجزاء ، مصر ١٢٨٤ هـ .

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) :
لسان العرب أبو الفدا .

أبو الفدا (اسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب ، ت ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) :
جغرافيته . نشر رينو ودى سلان ، باريس ١٨٤٠ م .

أحمد كاتب الشونة :

مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصريه . تحقيق
الشاطر بوصيلى عبد الجليل ، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، طبع ادارة
(احياء التراث) القاهرة ١٩٦١ م .

الادريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس) :
صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزعة المشتاق
فى اختراق الآفاق ، نشر دوزى ودى خويه ، ليدن ١٨٦٦ م .

(١) تتضمن هذه القائمة المراجع الواردة فى حواشى الكتاب ؛ كما تتضمن
ما أمكن جمعه من المراجع المتعلقة باقليم دارفور ليستعين بها الباحث على دراسة
هذا الاقليم .

بوصيل (الشاطر) :

معالم تاريخ السودان وادى النيل ، القاهرة ١٩٥٥ .

حسن محمود (الدكتور) :

الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، طبعة نائية، القاهرة ١٩٦٣ .

شبيكة (الدكتور مكى) :

السودان فى قرن ، القاهرة ١٩٤٧ م .

شقىر (نعوم) :

تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته . ٣ أجزاء فى مجلد واحد ،
القاهرة ١٩٠٤ م .

الشيال (الدكتور جمال الدين) :

دكتور بيرون والشيخان محمد عياد الطنطاوى ومحمد بن عمر التونسي ، مجلة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد الثانى ١٩٤٤ ، ص ٢٢١ .

عابدين (الدكتور عبد المجيد) :

(١) تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، القاهرة ١٩٥٣ م
(ب) دراسات سودانية ، الخرطوم ١٩٥٧ .

عبد المجيد (الدكتور عبد العزيز أمين) :

(١) التربية فى السودان .
(ب) محمد بن عمر التونسي - القاهرة ١٩٥٦ .

عساكر (الدكتور خليل) :

طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية . مجلة المجمع
اللغوى ، العدد ٨ ، سنة ١٩٥٥

العمري (ابن فضل الله ، ت ٧٠٣ هـ - ١٣٤١ م) :

(١) التعريف بالمصطلح الشريف ، مصر ١٣١٢ هـ
(ب) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، الجزء الثانى والثالث . مخطوطة
مصورة بدار الكتب المصرية ، معارف عامه ٥٥٩ وتاريخ برقم ٣٥٦٨ .

عوض (الدكتور محمد) :

السودان الشمالى - سكانه وقبائله . القاهرة ١٩٥١ .

الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) :

القاموس المحيط .

القلقشندى (أبو العباس احمد ، ت ٨٣١ هـ - ١٤١٨ م) :

صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزءا ، مصر ١٩١٣ - ١٩١٧ م .

مصطفى مسعد (الدكتور) :

(١) الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى - القاهرة ١٩٦٠ .

(ب) سلطنة دارفور - تاريخها وبعض مظاهر حضارتها - مجلة الجمعية

المصرية للدراسات التاريخية (العدد ١١) سنة ١٩٦٣ .

المقريزى (تقى الدين احمد ، ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م) :

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزآن بولاق ١٢٧٠ هـ .

(ب) السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة من

سنة ١٩٣٤ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(ج) البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، نشر الدكتور عبد المجيد

عابدين ، القاهرة ١٩٦١ .

ود ضيف الله (محمد) :

كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان،

مصر ١٩٣٠ م .

ثانيا : المراجع الأوربية

- Arkell, A.J. : A History of the Sudan up to A.D. 1821. London, 1955.
- Browne, W.G. : Travels in Africa, Egypt and Syria, 1792-1799, London, 1806.
- Bruce, J. : Travels to discover the Sources of the Blue Nile, Edinburgh, 1805.
- Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, its History and Monuments, London 1907.
- Burchardt, J.L. : Travels in Nubia, London 1819.
- Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951.
- Gleichen, Count, A.E.W. : The Anglo-Egyptian Sudan, 2 vols., London, 1905.
- Halt, P.M. Modern History of the Sudan, 1961.
- Hamilton, J.A., de Ce ed. : The Anglo Egyptian Sudan from Within, London 1935.
- Hill, R.L. : Egypt in the Sudan, 1821-1887, London 1955.
- Jackson, H.C. : Tooth of Fire, being some account of the Ancient Kingdom of Sennar. Oxford, 1921.
- Leo Africanus : A History and Description of Africa, done into English by John Pary, 1600, ed. Browne, Hakluyt Society 1896, Vol. III, London.
- MacMichael, H.A. : A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols., Cambridge, 1922.
- "The Coming of the Arabs in the Sudan". Anglo Egyptian Sudan from within, London, 1935.
- Meek, C.K. : Tribal Studies in Northern Nigeria, London, 1931.
- Sudanese Kingdom, London.
- Palmer, R. : The Bornu Sahara and Sudan, London, 1936.
- Roland Oliver, ed., : The Dawn of African History, London, 1961.
- Seligman and Brenda, Z. : Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, London, 1932
- Shukri, M.F. : Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, Cairo, 1937.

- Slatin, R. : *Fire and Sword in the Sudan*, London, 1896.
- Trimingham, J.S. : *Islam in the Sudan*, London, 1949.
- Tunsi, al (Moh. ibn Omar): *Voyage au Darfour*. Transl. Perron, Paris, 1845.
- *Voyage au Ouaday*. Transl. Perron et Jomard, Paris, 1851.
- Villard, Ugo Monneret De : *Storia Della Nubia Cristiana*, Roma, 1938.
- Encyclopaedia of Islam*.

* * *

PERIODICALS

- Arkell, A.J. : "The Coinage of Ali Dinar, S.N.R.⁽¹⁾, XXIII, (1940), part 1, pp. 150-160.
- *Darfur Antiquities I*, Ain Farah, S.N.R., part 2, (1936), pp. 301-312.
- II, XX, part 1, (1936), pp. 91-106.
- *The Steel and Tinder in Darfur*, S.N.R., XIX, (1936), part 2, pp. 320-321.
- *Rock Pictures in Northern Darfur*, S.N.R., XX, (1937), part 2, pp. 281-288.
- *The Tigda or Reaping Knife in Darfur* S.N.R., XX, part 2, (1937), pp. 306-307.
- *Beads made in Darfur and Wadai*, S.N.R., XXII, (1945), part 2, 305-310.
- *Darfur Antiquities*, S.N.R., XXIII, (1940), pp. 185-202.
- *Darfur Pottery*, S.N.R., XXII, (1939), part 1, pp. 79-88.
- *Throwing Sticks and Throwing Knives in Darfur*, S.N.R., XXII, (1939), part 2, pp. 251-268.
- *More about Fung Origins*, S.N.R., XXVII, (1946), pp. 87-97.
- *The History of Darfur, 1200-1700 A.D.*, S.N.R., XXXII, (1951), part 1, pp. 37-70.
- S.N.R., XXXII, (1951), part 2, pp. 207-238.
- S.N.R., XXXIII, part 1, (1952), pp. 129-155.
- Auriant, A. : *Histoire d'Ahmed Aga le Zantiote Un projet de conquete du Darfur (1796-1799)*, *Revue de l'histoire des colonies françaises*, 14, (1926), pp. 181-234.
- Baustead Bey, J.E.H. : *The Youth and last days of Ali Dinar*, S.N.R., XXII, (1939), part 1, pp. 149-154.

(1) S.N.R. = Sudan Notes and Records.

- Beaton, A.C. : The Fur, S.N.R., XXIX, (1948), part 1, pp. 1-39.
- Fur Dance Songs, S.N.R., XXIII, (1940), part 2, pp. 305-330.
- Cooke, R.C. and Beaton, A.C. Bari and Fur Rain Cults and ceremonies, S.N.R., XXII, 1939, part 2, pp. 181-204.
- Gillan, J.A. : Darfur 1916, S.N.R., XXII, (1939), part 1, pp. 1-26.
- Henderson, K.D.D. : Origin of Dagu., S.N.R., XV, (1932), part 2, pp. 151-152.
- Lampen, E. : A Short account of Meidob., S.N.R., VI, (1928), pp. 55-68.
- Lampen, G.D. : The Baggara Tribes of Darfur, S.N.R., XVI, (1933), Part 2, pp. 97-118.
- History of Darfur, S.N.R., XXXI, (1950) part 2, pp. 177-209.
- Lynes, H. : Notes on the Natural History of Jebel Marra., S.N.R., IV, No. 3, (1921).
- Macintosh, E.H. : A Note on the Dagu Tribe., S.N.R., XIV, (1931), part 2, pp. 171-178.
- MacMichael, H.A. : Nubian elements in Darfur, S.N.R., I, (1918), pp. 30-48
- Note on the Burial Place of Fur Sultans of Tura in Jebel Marra., S.N.R., IX, (1926), part 2, pp. 75-77.
- Michelmore, A.P.G. : A Possible Relic of Christianity in Darfur., S.N.R., XV, (1932), part 2, pp. 272-273.
- Palmer, H.R. : A Bornu Mahram and the Pre-Tunjur Rulers of Wadai, S.N.R., V, No. 3-4, (1922), pp. 197-199.
- Shaw : Darb el Arbaén, S.N.R. XII, 1930, pp. 63-71.
- Walker, J. : The Coinage of Ali Dinar, S.N.R., XIX, (1937), part 1, pp. 147-150.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . يا من سيرَ أقدامِ الأنعامِ بإرادته السَّنيَّة ، وجعل رحلةَ الشتاء والصيف بحكمته البهيَّة ، نحمدُك حمدَ من تلذذ بحلاوة الراحة بعد مرار مشقَّة السفر ، ونشكرك شُكْرَ من تنعم بالإقامة بعد كدِّ الرحلة والكدر ، ونسألك يا مالك الأملاك ، بما قدرت من سير الكواكب في الأفلاك ، أن تهطل شأيبَ رحمتك ورضوانك ، وتُنزل غيثَ صلاتك وسلامك ، على أفضل من ارتحل وأقام ، وسافر من مكة إلى الشام ، سيدنا ومولانا محمد ، الشفيع يوم العَرْض في المذنبين ، الذي أنزلت عليه : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ^(١) » ، وعلى آله الذين رحلوا من أوطانهم في حُبِّه ، وأصحابه (٣) الذين هاجروا للمدينة رغبةً في قُربِهِ ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد : فيقول الفقير إلى رحمة ربِّه المنان ، محمدُ بن السيد عمر التونُسيِّ

ابن سليمان :

لما وقَّفى الله تعالى لقراءة غنومِ العربية ، وأترع كلُّى من بينها بالفنُونِ الأدبية ، حتى حُسبتُ من بنى الأدبِ وذويه ، وعشيرته التي تُؤويه ، أناخ الدهرُ

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٠ .

بكلِّكـله على ما بيديَّ من العَيْن^(١) ، فغادره أُنْراً بعد عين . وكانت هَمَّتْ إِذْ ذاك مصروفةً
بتحصيل العلوم ، وجمع المنثور منها والمنظوم .

وحين شاهدتُ معاندةَ الزمانِ لِمْقَتَى ، تمثَّلتُ بقول العلامة الصفّتي ،
من الكامل :

هبطت ثريّاً الشارداتِ لَهْمَّتِي وصعدتُ في العرفانِ كلَّ سماءِ
وقفهت غيري في العلوم وإنما بيني وبين المالِ كلُّ تنائي
فمجبّتُ إِذْ عُقِدَ اللّواءُ للجاهل والفقرُ عمَّ عمائمَ الفقهاءِ
ولما صِفرتُ الراحةَ ، وقَرَعَتِ^(٢) السَّحابةَ ، ومالَ المالُ ، وحالَ الحالُ ، وغار
المنبَعُ ، ونبا المربَعُ ، أنشدتُ من مقالِي ، على شرحِ حالي ، شعراً من الكامل :

ما حيلتِي ولذا الزمانِ متاعِبٌ يؤذِي الشريفَ وللوضيعِ يصونُ
زمنٌ له حربٌ على أَهلِ التقى بإزائه حربُ البسوسِ يهونُ^(٣)
فقره يرفع كلَّ غَمَرٍ^(٤) جاهلٍ ويسىءُ كلَّ مَهْذَبٍ ويُهينُ
(٤) وتمثَّلتُ بقول القائل ، من الوافر :

تبَيَّتُ الأَسَدُ في الغاباتِ جوعاً ولحُمُ الضأنِ يُلقَى للكلابِ
وخنزيرٍ ينامُ على حريرٍ وذى عِلمٍ ينامُ على الترابِ
ثم ناجتني القُرُونَةُ^(٥) ، أن أسألَ من بعضِ الناسِ المُعَوَّنةَ ، فتذكَّرتُ أنْ ليس كلُّ

(١) في الأصل : العين بالباء ، وهو تصحيف لكلمة العين التي يريد بها الذهب والفضة والثياب كما سيرد في الباب الثالث من المقدمة .

(٢) قرعت : خلت ، وفي اللسان : قرع المكان خلا ولم يكن له غاشية يغشونه .

(٣) الحرب مؤنثة وقد تذكر .

(٤) الغمر : من لم يجرب الأمور .

(٥) القرونه : النفس (القاموس) .

أحمر لجة ، ولا كلُّ أبيض شحمة ، وربما يُريق الإنسان ماء وجهه ، ولا يحظى بقصده ، وإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيّا ، سيّا إذا وقع النفس والنكس ، وكان الطلب من نحس ، قال الشاعر ، [من] الرّجَز :

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَنَكُ حَبْسٍ وَنَزْعُ نَفْسٍ وَوَرْدُ رَمْسٍ
وَلَفْحُ نَارٍ وَحَمْلُ عَارٍ وَيَسْعُ دَارُ بَرْبَعِ فَلْسٍ
وَقَوْدُ قَرْدٍ وَفِرْطُ بَرْدٍ وَدَبْعُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسٍ
وَفَقْدُ إلفٍ وَضَيْقُ خَسْفٍ ^(١) وَضَرْبُ أَلْفٍ بِأَلْفِ قَلْسٍ ^(٢)
أَهْوَنُ مِنْ وَقْفَةٍ لُحْرٍ يَرْجُو نَوَالًا يَبَابُ نَحْسٍ
لَا سِيًّا وَقَدْ وُجِدَ عَلَى بَعْضِ الْأَحْبَارِ ، بقلم قدرة العزيز الجبار : « كُلُّ مَنْ كَدَّ يَمِينِكَ ، وعرق جبينِكَ ، وإنَّ ضَعْفَ يَقِينِكَ ، اسأَلُ اللَّهَ يُعِينِكَ . »

فدخلتُ في خدمة من تزيّنت بلطائفه صفحات الأيام ، ونارت ^(٣) بعوارفه حوالك الظلام ، ظلُّ الله الظليلُ على (٥) البلاد والأمصّار ، حامى ذمار الإسلام ، وقامع الفجار ، مَنْ أنام الأنام في وارف حِلْمه وإحسانه ، وأذاقهم حلاوة الأُمْنِ بنجدته وأمانه . [شعر] من الخفيف :

مَلِكٌ مَاجِدٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ ، جَوْدُهُ نَاسِخٌ لِكُلِّ الْوُجُودِ
نَاشِرُ الْعَدْلِ ، وَهُوَ لِلجَّوْرِ طَائِرٌ ، وَاقِفٌ فِي الْأَحْكَامِ عِنْدَ الْحُدُودِ
صَالِحُ الْفِعْلِ صَادِقُ الْقَوْلِ وَافٍ بَوْفَا الْعَهْدِ مَنِيحٌ لِلْوَعُودِ

(١) الخسف : مخرج ماء البئر (القاموس)

(٢) القلس : حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما ، بهذا شرحه القاموس .
ولعله هو الذى يسمى فى بعض ريف مصر بالالس ويكون غالباً من ليف ،
ويستعمل فى ربط الدواب .

(٣) نارت ونورت وأنارت بمعنى .

هُمُّهُ الْقَطْعُ لِلْفَسَادِ وَإِصْلَاحُ جَمِيعِ الْبِلَادِ وَالتَّهْيِيدُ
 نَحْنُ مِنْ رَوْضِ أَمْنٍ دَوْلَتِهِ فِي خَفِضِ عَيْشٍ بِهِ وَظِلٍّ مَدِيدٍ
 أَبْهَى الْمَالِكُ الَّذِي يَحْتَمِي عَنْ حَدِّ أَوْصَافِهِ الْعُلَا بِحُدُودِ
 أَنْتَ مِنْ حَصْنِ رَبَّنَا فِي أَمَانٍ مِنْ عِيُونِ الْعِدَا وَكَيْدِ الْحُسُودِ
 أَلَا وَهُوَ فَاتِحُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِجَيْشِهِ الْمَنْصُورِ ، وَمَالِكُ الْأَقْطَارِ الشَّامِيَةِ بِإِبْرَاهِيمِهِ
 الْبَطْلِ الْغَضَنَفَرِ الْمَشْهُورِ ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ عَلَى بَاشَا^(١) وَلِيُّ النِّعَمِ ، أَعْلَى اللَّهِ سَرَادِقُ
 عِزِّ دَوْلَتِهِ ، وَأَبَدُ مُلْكِهِ بِمَجْدِهِ وَصَوْلَتِهِ .

وكان أول خدمتي بوظيفة واعظ في الآلاي الثامن من المشاة ، وسافرتُ معه إلى المورة
 وكابدتُ المشَقَّاتِ ، وكنتُ قبل ذلك سافرتُ إلى بلاد السودان ، ورأيتُ فيها من العجائبِ
 ما إذا سَطَّرَ يكون كزهرِ بستان . ثم استُخدمتُ في مدرسة أبي زعبل لتصحيح الكتبِ
 الطبية ، وخصُصْتُ منها (٦) بتصحيح كتب الأجزاءية .

ومكنتُ على ذلك حتى اجتمعتُ بأبرع أهل زمانه حذاقةً وفهماً ، وأذكرُ أهل
 عصره صناعةً وعلماً ، معلِّمَ الكيمياء الحكيم « پيرون » الفرنسي ؛ وقرأتُ على كتاب
 « كليلة ودمنة » باللغة العربية . فذكرتُ له بعضَ ما عاينته في أسفارِي من العجائبِ
 البهيَّةِ ، فحملني على أن أزيِّن وجه الدفتر بإيضاح ما شاهدته من العجائبِ ، وأخبرته
 بما حصل لي في تلك الأسفار من الغرائبِ ، فامتثلتُ أمره لما له عليَّ من اليد البيضاء ،
 ورأيتُ أن ذلك أجملُ بي أيضاً ، لقول صاحب « المقصورة »^(٢) ، من الرجز :

(١) هذه عبارات تقليدية كان الكتاب يلتزمونها خضوعاً لأوضاع العصر ، حتى لقد
 بلغ من المبالغة فيها أن سمي (محمد علي) « أمير المؤمنين » !
 (٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عتاهية الأزدي المعروف بابن دريد * عاش
 في فارس في بلاط والي نيسابور عبد الله محمد بن ميكال وابنه اسماعيل ، =

إنما المرء حديثٌ بعدَهُ فكن حديثاً حسناً لمن وعى
 فشرعتُ في إبراز فرائدها من صدف الأذهان ، وكشف حجاب خرائدها الحسان
 إلى العيان ، وضممت لذلك من النوادر ما سمعته من الثقات ، أو نقلته من الكتب على
 سبيل الاستطراد للمناسبات ، لتكون هذه الرحلة روضةً يانعة الأزهار ، لمن تأمل فيها ،
 وحديقة دانية الثمار ، لمن تصفح معانيها ؛ ولم آل جهداً في إيضاح معانيها للمتأملين .
 ولم أتعقّب في غريب اللغة ليسهل فهمها على السامعين .

ورتبته على مقدمة ومقصد وخاتمة ، وفي كل منها أبواب كما يُعلم من الفهرسة ،
 وسميتها : « تشحيد الأذهان » ، (٧) بسيرة بلاد العرب والسودان^(١) . والله أسأل أن
 ينشر عليها حلة القبول ، ويقبها شرّ حاسد يطعن فيما فيها من المَقُول ،

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الذهب السقيم
 على أنى وإن أتقنتها وهذّبتها ، وفي أحسن قالبٍ سبكتها ، لا أقول إنها عاريةٌ
 عن الخلل ، بريئة^(٢) عن الزلل ، لأنى إنما أنا بشرٌ من الإنسان ، محلٌّ للخطأ والزلل
 والنسيان . لكن إنما أتعوذ من غمر يرمقها بعين الحسد ، ويندّد بأنها من الخرافات عند
 كل أحد .

= وكتب في مدحهما قصيدته المشهورة « المقصورة » ومطلعها :
 يا ظبية أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا
 وتقع في أكثر من مائتين وخمسين بيتاً ، ولها عدة شروح . وتوفى ابن دريد
 في ١٨ رمضان سنة ٣٢١ هـ .
 (١) سوف يتضح للقارئ مما يلي أن المقصود ببلاد العرب في هذا العنوان بلاد
 السودان التي تسكنها القبائل العربية ، وأن المقصود ببلاد السودان في هذا
 العنوان كذلك إقليم دارفور .
 (٢) في الأصل : بريئة .

وهبني قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ^(١) عن الضياء ؟
فرحم الله امرأَ رأى الزَّلَلَ فسُتِرَه ، وشاهد الخللَ فجَبَرَه .
إن تجدد عيباً فسُدَّ الخللَا جَلَّ من لا عيبَ فيه وعَلَا
وبالله أستمدُّ التوفيقَ ، إلى أقوم طريقَ ، وهو حسبي ونعم الوكيلَ ، نعم المولى
ونعم النصير .

(١) في الأصل : أتعمرى المعاملون •

المقدمة

وفيها ثلاثة أبواب

الباب الأول

في السبب الباعث لرحلتي لبلاد السودان

حكى لى والدى عليه سحائب الرحمة والرضوان ، أن جدّه كان من عظام أهل تونس ،
وكيلا من طرف سلطان المغرب المولى الأكل ، الملك المظفر العادل ، المرحوم الشريف
محمد الحسنى^(١)؛ فاجتمع له بذلك مال جزيل ، حتى صار من أغنى أهل (٨) زمانه. ولما مات
كان قد خلف من الولد ثلاثة بنين ؛ فتنازعوا تراث أبيهم ، وباعوا دارهم التي كانت
تؤويهم^(٢) ، وسكن كل منهم على حدّته ، بأولاده وزوجته .

فاتفق أن أباه كان من أهل العلم ، جيد الخط ، ينسخ الكتاب فيبيعه بضعف ما يبيع
به غيره ، وكان يعرف صباغة الثياب بالألوان ، فكان أرفه لإخوته معاشا ، وأحسنهم
ارتياشا ، فاتفق له أنه اشتاق لرؤية البيت الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام ، فباع بعض

(١) ترجم بيرون هذا اللفظ الى Hosny انظر : Voyage au Darfour, p. 9

(٢) في الأصل : تاويهم

عَقَارٍ كان له وتأهَّب للسفر ، واشترى معه أحرمة وطرايش ، وأعطاه الناس أموالا كثيرة يتَجَرَّ لهم فيها ، لما يعلمون من صدقه وأمانته ، حتى أنه وسق من السفينة جانباً عظيماً .

وحين توجه ودَّعه إخوانه حتى وصل إلى السفينة ، فركبها وأقلعت بهم بريح طيبة . ثم اختلفت الرياح على السفينة ، حتى أنهم أخذوا طريقاً غير طريقهم : وذلك أنهم جاءوا على طريق رودُس^(١) . وبينما هم آمنون مطمئنون^(٢) ، إذ هبَّ عليهم قاصف ريح ، وكانوا إذ ذاك بجانب رودُس ، فتلاطمت عليهم أمواج البحر ، وبدَّل الصفو بالكدر ، على حدِّ قول الشاعر . شعر من البسيط :

حَسَنْتَ ظَنَّنَكَ بِالْأَيَّامِ مَذْ حَسُنْتَ وَلَمْ تَحْفَ سَوْءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمْتَنَ اللَّيَالِي وَاغْتَرَّتْ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ
(٩) وَكَانَ بِسَفِينَتِهِمْ خَلَلٌ ، فَلَمَّا تَلَاطَمَتْ عَلَيْهَا الْأُمُوجُ ، وَسَطَتْ عَلَيْهَا سَطُوءٌ^(٣)
الْحِجَابُ ، تَحَلَّلَ تَرْكِيبُهَا ، وَفَسَدَ تَرْتِيبُهَا ، وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهَا ، وَانْفَصَلَتْ أَفْلاذُهَا ، وَغَرِقَ
مِنْ فِيهَا ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ رَاكِبِيهَا .

وَكَانَ مِنْ نَجَا مِنْهُمْ جَدِّي الْمَذْكَورُ ، فَخَلَصَ بَعْدَ غَصِّ الرِّيقِ إِلَى الْبَلَدِ الْمَذْكَورِ .

[شعر] من الطويل :

إِذَا سَلِمْتَ هَامُ الرِّجَالِ مِنَ الرَّدَى فَمَا الْمَالُ إِلَّا مِثْلُ قَصِّ الْأُظَافِرِ
فَسَكَتَ فِي رُودُسَ مَدَّةً ، وَنَفَعَهُ فِيهَا هَمِيَانٌ^(٤) كَانَ فِي وَسْطِهِ ، فِيهِ بَعْضُ ذَهَبٍ ،

(١) كتبت رودس هكذا بضم الدال في الأصل .

(٢) في الأصل : آمنين مطمئنين .

(٣) في القاموس : سطا عليه وبه قهره بالبطش .

(٤) الهميان : وعاء للدراهم (القاموس)

فكان ينفق منه مدة إقامته . ثم اشترى زاداً وركب في سفينة إلى نهر إسكندرية ، وكان ذلك إبان الحج ، والذهاب إلى العجّ والثجّ^(١) ، فتوجّه في الحال ، من غير إهمال ، إلى تلك البقاع ، وبلغ مأمولَه قدرَ ما استطاع ، وكان لسان حاله يقول ، قبل بلوغ المأمول ، من الرمل :

أبرك الأيام يومٌ قيلَ لي هذه طَيِّبَةُ هَذِي الكُتُبِ
هذه رَوْضَةُ طَه المصطفى هذه الزَّرْقَا^(٢) لديكم فاشربوا
والياء في « هذى » بدل عن الهاء .

ولما قضى ما وجب عليه ، وتملّى بزيارة الحبيب وصاحبيّه ، أفاق من دهشته ، وفاءً إلى سكينته ، وافتكر في ضياع ماله ، وتشتّت حاله ، وافترض من (١٠) دخوله إلى تونس ذا عُسرٍ وفاقة ، بعد أن كان ذا يُسرٍ وإفاقة . وكيف يصبر بعد الرفاهية على السكّد ، أو يراه على هذه الحالة أهل البلد ؟ !

ولما تذكر ما قد حدث ، أنشد على وجه الجِدِّ لا العبث ، من الطويل :

سأضربُ في الآفاق شرقاً وغربها وأكسبُ مالاً أو أموت غرباً
فإن تلبّثت نفسي فله ردّها وإن سلمتُ كان الرجوعُ قريباً
ومن المعلوم أنه يسهُل على المرء أن يعيش في تعب ونصب وكدّ ، في بلد لا يعرفه فيه أحد ، خصوصاً في هذا الزمن الذي يُكْرَم به اليهوديُّ لماله ، ويُهَن الشريّفُ لفقره وسوء حاله ، ورحم الله القائل ، من السكامل :

(١) العج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : صب الدم وسيلان دماء الهدى أى الذبح ، وفى الحديث : أفضل الحج ، العج والثج (اللسان) .
(٢) في الأصلي : الزرقاء بالهمزة ، وهي عين بالمدينة .

يغدو الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضِدَّه والأرضُ تُغَلِّقُ دونه أبوابها
وتراه محمقوتاً وليس بمذنبٍ ويرى العداوةَ لا يرى أسبابها
حتى الكلابُ إذا رأتْ ذا ثروة مالتْ إليه وحركتْ أذنانها
وإذا رأتْ يوماً فقيراً عارياً نبحتْ عليه وكشّرتْ أنيابها
ولذا قال الإمام على كرم الله وجهه : الفقر داءٌ لا دواءَ له ، إن أذعته فضحى ،
وإن كتمته قتلى . وقد قيل : إذا افتقر الإنسان خونه من كان يأمنه ، وأساء
فيه ^(١) الظنَّ من كان يحسنه ، وأبعده من (١١) كان يقربه ، وماله من كان يحبّه .
شعر من البسيط :

إن قلَّ مالى فلا خِلْ يساعذنِي وإن غَنيتُ فكلَّ الناسِ خِلانِي
وليت الإنسان إذا افتقر ، يترك هو وشأنه ولا يحتقر ، لا والله بل يكذب
في المقال وإن كان صواباً ، ويهان وإن لم يكن عاباً . شعر من الكامل :

من كان يملك درهمين تعلّمت شفتاه أنواع الكلام فقلا
وتقدّم الإخوان فاستمعوا له ورأيتَه بين الورى مختالا
لولا دراهمُه التي في كيسِه لرأيتَه أسوأ ^(٢) البرية حالا
إن الغنى إذا تكلم بالخطا قالوا : صدقت وما نطقت محالا
وإذا الفقير أصاب قالوا كلُّهم : أخطأت يا هذا وقلت ضلالا

(١) كذا ، وهو تعبير عامى بدل : أساء به ، وقد دأب المؤلف على هذا الاستعمال
فى جميع الكتاب .
(٢) فى الأصل : اسوء .

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالاً^(١)
 فهي^(٢) اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح^(٣) لمن أراد قتالا
 وإذا كان كذلك فالموت خير لدوى الأحساب ، من أن تلصق أيديهم بالتراب .
 شعر من مجزوء الكامل :

الموت خير للفتى من أن يعيش بغير مال
 والموت خير للكريم من التضرع والسؤال
 ولما علم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن الفقير يهان بعد (١٢) الإكرام ، ويذل
 بعد العز والاحترام ، قال : « أكرموا عزيز قوم ذل ، وغنى قوم افتقر » . لكن
 كل ذلك بحسب ما سطر في أم الكتاب ، وقدّر في علمه العزيز الوهاب . وإلا فكم
 من فقير أسعفته الأقدار ، وكم من غنى أصبح لا يملك ربع دينار !
 ومن ذلك ما حكى : أن الوزير المهلبى كان في أول أمره فقيراً ، لا يملك
 نقيراً^(٤) ، واتفق أنه سافر راجلاً من بغداد إلى مكة في قافلة ، وقد أضر به الجوع ،
 وأحرمه^(٥) الهجوع ، فأنشد يقول ، من الوافر :
 ألا موت^(٦) يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

(١) في رواية : وجمالاً .

(٢) في الأصل : وهي .

(٣) في الأصل : اسلاح .

(٤) النقيير : نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة (اللسان)

(٥) كذا في الأصل . وقد دأب المؤلف على استعمال هذه الصيغة في أكثر من موضع من الكتاب والصواب حرمه

(٦) في الأصل : موتاً .

ألا رحم المهيمَنُ روحَ عبد تصدَّقَ بالوفاءِ على أخيه
فسمعه أحد التجار فأعطاه رغيفاً ودرهماً .

ثم تغيرت الأحوال ، فترقى المهلبى للوزارة ، وافتقر التاجر حتى صار لا يملك قوت
يومه ، وبلغه أن المهلبى ترقى للوزارة ، فذهب إليه ، وكتب له فى رقعة ما صورته ،
من الوافر :

ألا قُلْ للوزير فدته^(١) مقالاً مُذَكِّراً ما قد نسيه
أذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت^(٢) يباع فأشتره

وأرسلها له مع بعض خدمه . فلما قرأها بكى واستهبر ، وتذكر ما قد سلف ،
(١٣) وأمر له بعمل وسبعائة درهم ، وكتب له على رقعة : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ »^(٣) الآية .
فعلم من ذلك أنه ينبغي إكرام من افتقر بعد غناه ، وذلَّ بعد أن بلغ فى العزِّ منتهاه . وإذا
عنت للإنسان حاجةٌ وأراد [أن] يسأل فيها الناس ، فإن كان عاقلاً لا يسأل إلا مَنْ
كان ذا فضل ومروءة ، ولا يسأل من تمول بعد فقره ، وعزَّ بعد ذلِّه ، قال الشاعر ،
من الطويل :

سلِ الفضلَ أهلَ الفضلِ قِدمًا ولا تسَلْ غنيًّا رُبِّيَ فى الفقرِ ثم تمولاً
ثم إن المالَ تميلُ إلى صاحبه القلوب ، وتنضمُّ عليه أزرارُ الجيوب ، به تتمُّ

(١) فى الأصل : فداته .

(٢) فى الأصل : موتا . .

(٣) سورة البقرة ، آية ٢٦١ .

الإرادات ، وتُقضى جميع الحاجات . ولقد أجاد الحريري في مدح الدينار ، حيث قال ،
من مشطور الرجز :

أكرم به أصفر راقته ^(١) صفرة	جواب آفاق ترامت ^(٢) سفرة
مأثورة سمعته وشهرته	قد أودعت سر الغنى أسرته ^(٣)
كأنما من القلوب تفرته ^(٤)	به يصول من حوته صرته
وقارنت نجح المساعي خطرته	وحببت إلى الأنام غرته
وإن تفسانت أو توانت عثرته	يا حبذا نضاره ونصرته ^(٥)
وحبذا مغناؤه ^(٦) ونصرته	كم أمر به استتبت إمرته
ومترف لولاه دامت حسرته	وجيش هم هزمته كثرته
وبدر تم أنزلته بدرته ^(٧)	ومستشيط تنلطي جمهرته
(١٤) أسر نجواه فلانت شرته ^(٨)	وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته	وحق مولى أبدعته فطرته

لولا التقي لقلت جلّت قدرته

(١) راقته : أعجبت .

(٢) ترامت : بعدت .

(٣) الأسرة : الخطوط التي في الجبهة ، وعنى بها هنا النقوش التي في الدينار .
مفردها سراد ، وجمع الأسرة الأساريير .

(٤) النقرة : القطعة المذابة من الذهب والفضة .

(٥) في الأصل : نصرته بضم النون . والنصرة : البهجة والحسن .

(٦) مغناؤه : غناه وكفايته .

(٧) البدره : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

(٨) شرته : نشاطه وحدته .

ولقد شوهد أن الألكن إذا استغنى يصير فصيحاً ، والأعمش إذا ثُمِّلَ يعود
بصره صحيحاً .

ومصدق ذلك ، أنى رأيت فى سفرى هذه رجلاً يسمى محمد المكنى^(١) ، وكان
خادماً على باب يوسف باشا صاحب طرابلس الغرب ، وكان أعمش العينين ، مُسَلَّق^(٢)
الجفنين ، ترشح دموعه ، ويقلُّ هجوعه . ودام كذلك إلى أن تولى حاكماً على إقليم
فزان ؛ فبرئ عَمَشُهُ ، ونبت رمشه ، وذهب وجعه ، وبطل دمعُه ، وصار أجمل أهل
عصره ، وأوجه أهل قطره .

قلت : ولعل الأمراض إنما تعترى الفقراء ، لما يرونه من الذل والمسكنة والعُزى
والمسغبة ، فيهتمون لضيق معاشهم ، وعدم ارتياشهم ، فتتشوش أذهانهم ، وتسقم
أبدانهم . والغنى ليس كذلك . نعم ، وإن كانت له هموم ، لكنها من جهة أخرى .
شعر من الطويل :

ومن يحمّد الدنيا لشيء يسره فسوف - لعمرى - عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً^(٣) هوومها

لكن الغنى إذا بذل الدينار ، يبلغ الأوطار .

ومن ذلك ما حكى (١٥) أن على باشا الأول^(٤) صاحب تونس ، كان قبل
ولايته فارساً بالجزائر ، مستجيراً بما كُفِّه أن يمدّه بعساكر ليأخذها من ابن عمه حسين باشا ،

(١) ضبط الميم بالضم عن الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour , p. 401 وبقاى
الضبط وارد فى الأصل .

(٢) الانسلاق فى العين : حمرة تعترىها فتقشر . وبهذا يتضح المعنى .

(٣) فى الأصل : كثير .

(٤) انظر ترجمة حياته فى : « الخلاصة النقية فى أمراء أفريقية » لمحمد الباجى
المسعودى ، ص ١٢٢ - ١٣٠ .

وكان صاحبُ الجزائر يُعدهُ بذلك ، والأخبارُ تردُّ على حسين باشا بذلك ، فكان يغمُّ إذا سمع شيئاً من ذلك ، لما يعلم مما يطرأ عليه من انحطاط شأنه ، وذهاب ملكه وسلطانه .

فاتفق أن ورد عليه خبر أقلقته وأهمَّه ، وأحزنه وأغمه ، فركب وهو ضيق الصدر ، كثير الفسکر . وشق في وسط تونس بموكبه ، وكان أحد وزرائه محاذياً له يتحدث معه ، فراه على تلك الحالة ، فسأله عن سبب تغيره ، فأخبره بما سمع من الخبر . فقال الوزير : أيَّد الله مولانا ونصره ، أتهم بأمر لا أصل له ؟ على أنى أقول إنك ما دمت موجوداً ، لا تقوم له قائمة . والتفت عن يمينه - وكان بمحلٍّ يسمى : سوق البلاط - فرأى ساقَ شجرة يابساً ملقًى على الأرض ، فقال له : إن كان هذا الساق يعود شجرة خضراء ، يملك على باشا تونس ويصير حاكماً عليها . وأراد بذلك اطمئنان^(١) صاحبه .

فما مرت إلا أيام قلائل ، حتى جاء على باشا بجيش كثيف من الجزائر ، وقتل حسين باشا ، واستوزر الوزير المذكور مدةً حتى تمهَّدت له الأمور .

فاتفق أنه ركب يوماً في موكبه ودخل تونس ، و [كان] الوزير (١٦) المذكور محاذياً له كما كان محاذياً لحسين باشا ، فتماديا في سيرهما حتى وصلا إلى سوق البلاط . فالتفت على باشا فرأى ساقَ الشجرة ملقًى بمكانه ، فقال للوزير : إن عاد هذا الساق شجرة خضراء ، يعود على باشا حاكماً على تونس .

وكان بعض أعداء الوزير ألقي إليه ذلك ، فأسرَّه في نفسه إلى ذلك الوقت ، ثم أعرض عنه ، ولم يحدثه بعد ذلك . فعلم الوزير أنه مقتول لا محالة ، لما يعلم من أخلاق على باشا ، لأنه كان سقاً كالأدماء ، حتى أنه كان يقتل على الهفوة الصغيرة ، فضلاً عن مثل هذه .

(١) في الأصل : اطمئنان .

وتمادياً على ذلك حتى وصل الباشا إلى محل سلطنته ، وإيوان أبيته ، فتقدم إليه الوزير قبل أن يأمر فيه بأمر ، وقال : أيّد الله مولانا ، إن ابن عمك حسين باشا حين سمع بقدمك أودع عندى أموالاً جمّة خبأتها في محل لا يعرفه غيرى ، وأنا محقق أنك قاتلى ، وأخاف إن أنا متّ وهى بمكانها ، لا ينتفع بها مولاي . فإن رأى سيدنا أن يُسرّحني لآتيه بها فليفعل . ففرح على باشا وظنّ صدقه ، وأمره بالتوجه ، وأن تصحبه عشرة حَوانب^(١) . والحوانب في لغة تونس هم القَوَاصِة^(٢) بلغة أهل مصر . وقبل توجههم ، قال للحوانب : إن فرّة منكم قتلتمكم أجمعين .

فتوجهوا معه حتى وصل لداره ، فأوقفهم أسفل الدار ، وصعد ليُبعد الحريم عن الطريق فوقفوا . وحال صعوده لم يكن له همٌّ إلا أنه قصد خزانة أمواله ، فملاً منها جيو به ذهباً ، وأخذ معه صندوقاً صغيراً ، يسمّى في عرف أهل تونس بالقنّيق ، مملوءاً ذهباً أيضاً . وصعد على السطح وتسوّر من دارٍ أخرى ، وخرج إلى الشارع وتوجه إلى دار قونصل الإنجليز ، فدخل عليه وأخبره أنه مُستجير به ، وأعلمه بالقصة ، وأعطاه الصندوق بما فيه ، وقال له : أريد أن تأمر بإحدى سفائنك تتوجّه^(٣) بي في هذه الساعة إلى إنجلترا . فكتب له القونصل في الحال كتاباً إلى أحد قبُوداناته^(٤) أن : سافر إلى إنجلترا حال حلول جوابنا هذا إليك ، ولا تتأخّر دقيقة واحدة . وأعطاه الكتاب ورافقه بترجمانه ، ونزلا البحر حتى وصلا إلى السفينة . فحين قرأ مدير السفينة كتاب القونصل ألقه عن المرسى وأطلق مدفعاً علامة للقونصل بتوجّهه .

(١) الحوانب ، جمع : حونب .

(٢) في الأصل : « القواص » . والقواص ، مفرد جمعه قواصة .

(٣) في الأصل : يتوجه .

(٤) القبُودان هو القبطان في اللهجة المصرية .

واستبظأه الحوالب ، فنَادَوْا : يافلان ، انزل . فقال الحريم : إنه نزل من وُقْتُ صعوده . فكذَّبُوهُنَّ وجموا الدار^(١) فلم يروا فيها أحداً . وعلم على باشا يافلاته ، فاغتاز وعرف أنها حيلة وتمت عليه .

فانظر - رحمك الله - إلى هذه القضية ، أترى أن هذا الوزير لو لم يبذل هذه الدنانير ، أكان يبلغ مأمته^(٢) ؟ لا والله ! بل كان يُقتل ويُؤخذ ماله ولا ينفعه (١٨) بشيء ، لأن الدرهم والدينار إذا لم يُبدلا ، لم ينفعا ولا تُقضى لصاحبهما حاجة ؛ بل إن كان والياً عُزل ، وإن كان تاجراً احتُفِر .

وفي هذا المعنى أنشد شيخُ مشايخنا العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير - حين عُزل خورشيد باشا إلى مصر سابقاً ، وتولّاها صاحبُ السعادة ، لعدم إعطاء مرتبات العساكر - شعراً ، من مجزوء الكامل :

عَزَلُوكَ لِمَا قَلْتَ : مَا أُعْطِيَ ، وَلَوْ أَنَّ مَنْ بَذَلَ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنْ « مَا »^(٣) حَرَفَ يَكْفُ عَنْ الْعَمَلِ
ولقد أجاد أبو القاسم الحريري في ذم الدينار ، من حيث إنه لا ينفع صاحبه إلا إذا فرّ من يده ، حيث قال ، من مشطور الرجز :

وشرٌّ ما فيه من الخلائق^(٤) أن ليس يُغنى عنكَ في المضائق

(١) كذا في الأصل ، بدل . على الدار .

(٢) في الأصل : مامته .

(٣) في الأصل : بانما .

(٤) الخلائق جمع خليفة وهي العادة والطبيعة .

إلا إذا فرَّ فرارَ الأبقى وأها لمن يقذفه من حالق^(١)
ومن إذا ناجاه نجوى الوامق^(٢) قال له قول المحق الصادق
لا رأى^(٣) فى وصلك لى قفارق

وفى الأمثال التونسية : إذا وضعت الدينار على فم البلاء أسكتته . وفى الأمثال
المصرية : حبيب ماله ، حبيب ماله . أى : من أحب ماله وخزنه ، لا حبيب له .
ومن هذا القبيل حكاية وقعت بتونس وهى^(٤) : أن المرحوم الأجد أبو محمد^(٥)
حمودة باشا^(٦) - برّده الله (١٩) ثراه - كان له وزير يسمّى يوسف صاحب الطابع^(٧) ، ومعناه :
المهردار ، أى : الذى فى يده الخاتم الذى تُختَم به الأوامر . وكان يوسف المذكور قبل ذلك
مملوكاً لقائد صفاقس المسمّى محمد الجلولى ، وكان [على جانب] من الجمال والأدب
والحياء ، فُنمى خبره إلى الباشا ، فأرسل إلى الجلولى يقول له : إنه قد بلغنى أن عندك
مملوكاً صفته كذا ، واسمه يوسف ، فإذا وصلك كتابى هذا ، أرسله حجة حامله والسلام .
فلما قرأ الجلولى الكتاب ، لم يجد بداً من إرساله . فلما صار فى حيازة الباشا ،
أعجبه حسنه وذكاؤه وفطنته ، وصدقه وأمانته .

واتفق أن بعض الممالك اتفقوا على قتل الباشا ، ودخلوا عليه وهو نائم ، ووضعوا
الشفرة على مذبجه ، فاستغاث منهم . ولبخت يوسف المذكور كان خلاص الباشا منهم

-
- (١) الحالق : الجبل المرتفع .
(٢) الوامق : المحب .
(٣) فى الأصل : لا ارى .
(٤) فى الأصل : وهو .
(٥) كذا فى الأصل .
(٦) أنظر ترجمته فى : الخلاصة النقية فى أمراء أفريقية ، ص ١٣٤ - ١٣٩ .
(٧) أنظر ترجمته فى : الخلاصة النقية فى أمراء أفريقية ، ص ١٣٥ - ١٣٨ .

على يده . فنزل عنده منزلة عظيمة ، وأحله محلّ ولده ، وقّله الولاياتِ العظيمة ، وصارت الأولوية تخفّق على رأسه حتى صار يشار إليه بأطراف البنان .

وكان يوسف المذكور سعيداً الطالع ، جيّد التدبير ، مظفرافى الحروب ، ميمون الحركة ، سخيّ الكف ، يجذبُ القلوب بلطفه ، حتى أن الباشا جعله رئيساً على العساكر البريّة في محاربة صرّاط^(١) ، وهي محاربة وقعت بين حاكم تونس وصاحب الجزائر ، فيمنّ صاحب (٢٠) الطابع ، كانت الدائرة على أهل الجزائر . واغتنم عسكرُ تونس أخبية الجزائريّ وخيله وإبله وسلاحه ، وأسّر من عسكر الجزائر في هذه الواقعة جمّاً غفير .

ثم صار مُدبّر الجيوش البرية بحلق الواد^(٢) ، وذلك حين قدم أسطول الجزائر لمحاربة تونس أيضاً ، فكان مقيماً ببرج حلق الواد يدبّر أمر الجيش والسفن والشوّانى والعسّس على الشاطئ ، وكانت أكابرُ تونس تأتي إليه لقضاء أشغالهم بحلق الواد ، لأن زمام الأمور كلّها بيده .

وكان من جملة مَنْ يحضر ديوانه محمد الجلولي ابن سيّده سابقاً . لكن كان يأتي بتيهٍ وخفّر ، مع عدم سلوك طريقة الأدب اللائقة بأمثاله . وكان صاحبُ الطابع يرى منه ذلك ويتغافل عنه ، حتى أن أكابر ديوانه تكلموا معه في شأن ذلك . وذكروا له أموراً كثيرة ، حتى قالوا : إنّه يراك إلى الآن مملوك أبيه ، وقد صرّح بهذا مراراً . فنقيم ذلك عليه ، وتحيل في طريق الانتقام منه .

فأخبر أنه يدخل داره راكباً ، ولا ينزل خارج الدار كبقية الأمراء ، وأن

(١) كذا في الأصل ، وفي الخلاصة النقية ، ص ١٣٧ : سراط ، وهي مكان بين

تونس وقسنطينة Voyage au Darfour p. 406

(٢) حلق الواد : ميناء في تونس Voyage au Darfour p. 406

سائسَه يأخذُ بغلته ويربطُها في مَرَبط دوابِّه ، فدعا برئيسِ الشَّيَاس وقال له : قَدْ بَلَغْنِي
 أَن سائِسَ الْجَلُولِي يربطُ بغلته في مَرَبط دوابِّي . إِن بَلَغْنِي أَنه ربطها في مَرَبط خيلي بعد
 اليوم لا تلوَمَنَّ^(١) . إَلا نَفْسَكَ . فقال : سمعاً وطاعة . (٢١) ثم إِن الْجَلُولِي جاء ونزل
 على عادته ، وأخذ سائسَه البغلة وربطها كالعادة - والسائِسُ كان غائباً - وصعد هو إلى
 مجلس صاحب الطابع وجلس .

و بينما هو جالس إِذ سمع هَيْصَةً^(٢) وصياحاً ، فنظر من أَحد الشبابيك فرأى بغلته
 تركض عائرة^(٣) ، وسائسَه مضروباً والدمُ ينبع من رأسه ، فانزعج ونزل ، فأخبره
 سائسَه أَن كبير الشَّيَاس^(٤) جاء ووجد البغلة مربوطة ، فأطلةا وضربها ، فخرجت عائرة ؛
 فسمعتُ بذلك ، فقلت له : لِمَ تُطَلِّقُ بغلة سيدي ؟ فشتمني وشتمك ، فرددتُ عليه ،
 فضر بني وترك حالي كما ترى .

فرجع الْجَلُولِي إلى صاحب الطابع وهو مغضَبٌ وقال له : أَتَطَلِّقُ بَغْلَتِي وَيُضْرَبُ
 خادمي وَأَنت موجود ؟ فلم يلتفت إليه ، ولم يردَّ عليه جواباً . فزاد حَنَقُه ، وعلم أَن
 الخادم لا يفعل مثل هذا الفعلِ إِلا بِإِذْنِ سيِّده .

فنزّل وركب من ساعته ، وتوجّه إلى الحضرة ، ودخل على المرحوم حمودة باشا ،
 وشكا له جميع ما قد جرى عليه من صاحب الطابع فما أشكاه ، ولا التفت إليه ،

(١) كذا .

(٢) في الأصل : هيضة ، ولعل المؤلف يقصد اللفظ العامي «هيضة» الذي أثبتناه
 في المتن .

(٣) من : عار الفرس أى ذهب كأنه منفلت (القاموس) .

(٤) في الأصل : السائيس .

فكاد يتميز من الغيظ ، ونزل من الحضرة ، وتوجّه لداره كئيباً حزيناً ، لا يدرى ماذا يصنع .

فاجتمع عليه بعض أصحابه ورآه على تلك الحالة ، فسأله عن سبب حزنه ، فأخبره الخبر ، فلام عليه فيما صنع ، لا سيما في شكواه للباشا ، وقال له (٢٢) : أما تعلم أن صاحب الطابع هو المقبول ، وكنيته هي المسموعة ؟ أنريد أن تعاديه وتشكوه للباشا ، ويسمع لك عليه دعوى ؟ بلئسما فعلت ، وساء ما توهّمت ، أدرك نفسك ، وتلاف أمرك ، وإلاّ حلّ بك ما يحلّ^(١) من التّلف وأنت المذموم . أما سمعت قول الشاعر ، من الكامل :

وإذا العناية صادفتُ عبدَ الشُّرا تمشى على ساداته أحكامه

فقال الجلولي : وكيف الخروج من هذا الأمر ، و [ما] الحيلة في الخلاص منه ؟ قال له صاحبه : اعلم أنّ المال إذا لم يبذله صاحبه في مثل هذا المهمّ كان هو [و] حجارة الدار سواء ؛ والحيلة أن تحتفل في هدية سنية وتقدمها بين يدي صاحب الطابع ، وتتوسل إليه بأعزّ أحبائه عليه ، كحضرة ابن أبي الضيّاف ، وقاسم البوّاب ، وصالح أبي غدير ، وأضرابهم ؛ وتبذل لهم من المال ما يرضيهم وينشطهم للشفاعة ، لأنّ المال لا يطلب إلاّ لمثل هذا المهمّ .

فأخذ الجلولي نصيحته بقبول ، واحتفل في هدية عظيمة منها : سيف لا يقوّم بمالٍ لحسن جوهره ، وخاتم من الماس عظيم لا يقوّم أيضاً ، وخنجر مرصّع بماس وياقوت ، وغلبة نُشوق وساعة مرصعتان^(٢) ، وعشرة آلاف محبوب^(٣) . وأخذ مالاً جزيلاً غير

(١) في الأصل : ما يحل بك .

(٢) في الأصل : مرصعتين .

(٣) في الأصل : محبوبا .

هذا ، وتلطّف حتى اجتمع بأصحابِ صاحب الطابع ، وأخبرهم أنه متوسّل بهم إليه ، أن يتوسّلوا له في العفو ، وبذل لهم ما أرضاهم ، (٢٣) وسأهم الهدية . فأخذوها وذهبوا إلى صاحبهم ، وأخبروه أن الجلولي جاء معتذراً يطلب عفو سعادته ؛ وأطلعوه على الهدية ، وزينوا له أمر الصلح ، والعفو عنه ، وترك الانتقام منه إلا إن عاد لمثلها .

فشرهت نفسه [على] الهدية ، وقبلها وعفا عنه ، وأمرهم بإحضاره ، وأن يبالغوا في وصيته على سلوك طريق الأدب ، وأن يترك ما كان عليه من التكبر ، ولا يرى لنفسه على غيره فضلاً ؛ بل يقف على قدم العبودية ، لأنه هو وأحد القواد عندنا على حدّ سواء ، وإن عاد إلى مثيلها لا يلومنّ إلا نفسه .

فامثلوا أمره وأحضروه ، وبالغوا^(١) في وصيته ، ثم أدخلوه على صاحب الطابع . فلما رآه بشّ في وجهه ، وأمره بالجلوس ، وأجلّ مجلسه ، واعتنى به ، ولم يفارقه في شيء مما كان .

ثم إن صاحب الطابع كتب إلى مخدومه الباشا ، وأعلمه بما وقع من الجلولي ومنه ، وأن الجلولي استرضاه بهدية ، وأنه رضی عنه ، وأرسل الهدية صحبة الكتاب .

فلما وصله الكتاب قرأه ، وأحضر الهدية ونظرها ، ثم ردّها إليه ، وكتب له ما صورته : قد بلغنا كتابك ، وفهمنا ما انطوى عليه ، ووقعت منا الهدية أحسن موقع ، لكننا [لمّا] رأينا كلّ ما فيها يصلح لك لآلنا ، فقد ردّناها عليك ، وسأحناك فيها ، لأنك شاب وتحبّ الزينة ، ونحن بمعزل (٢٤) عن ذلك . وأما العشرة آلاف [محبوب] فاصرفها في مصالح العسكر . وقد رضينا عن الجلولي لرضاك عنه والسلام .

(١) في الأصل : بالغوه .

ولما كان من الغد دخل الجلولى على الباشا ، فأعظم مَلَقاه ورحَّب به ، وأضاف له عملاً على ما بيده من الأعمال ، وصار فى أحسن حال .

فتأمَّل - رحمك الله - فى هذه القضية بعين الاعتبار . أترى أن الجلولى [لو] لم يبذل هذا المال ، أكان يرجع لحاله الأول ؟ لا والله ! بل تؤخذ من يده الأعمال ، وربما قُتل فى الحال .

وإذ قد انجَزَّ الكلام إلى سيرة المرحوم - حَمُودَة باشا ، ووزيره المرحوم يوسف صاحب الطابع ، فلنذكرُ نبذةً من سيرتهما ؛ لأن المقصد ألاَّ تتخلو رحلتنا عن الفوائد الجيلة . ولا أجمل من ذكر الملوك العادلين ، الذين حسَّنت سيرتهم ، فتفعمت بهم رعيتهم . ونبدأ بذكر الباشا فنقول :

هو المولى الأجلّ ، الفاضلُ العادل ، الفطنُ الحازم ، أبو محمد حَمُودَة باشا ، بن على باشا ، ابن حسين باشا بن على . وُلد ليلة السبت الثامنة عشر [ة] من ربيع الثانى سنة ١١٧٣^(١) ، وبُوع له يوم وفاة أبيه سنة ١١٩١^(٢) ، وتوفى ليلة عيد الفطر ١٢٢٩^(٣) .

كان من الحزم وحسنِ الرأى والعدل بمكان ، شجاعاً مهاباً ، غفيف النفس ، عالىَ الهمة . أنشأ بستان مَنُوبَةً^(٤) المشهور الآن ، الذى أخفى ذكرَ بستان أبى فِهر ، الذى قال فيه أبو عبد الله محمد الـوزْغِى^(٥) ، (٢٥) من البسيط :

(١) ربيع الثانى سنة ١١٧٣ هـ = ديسمبر سنة ١٧٥٩ م .

(٢) سنة ١١٩١ هـ = ١٧٧٧ م .

(٣) غرة شوال سنة ١٢٢٩ هـ = أكتوبر سنة ١٨١٣ م .

(٤) هذا الضبط عن : Voyage au Darfour p. 411

(٥) هذا الضبط عن : Voyage au Darfour p. 411

وَقَفَ^(١) هنا بأبي فِهْرٍ الجليل فقد مضتْ به دولةُ الشَّمِّ العرَّانينِ
ترى الحنايا كسطرٍ النخل مدَّ به بعضُ لبعضٍ العراجينِ
أو خرَّجٍ نهضتْ للرقص فاعتنقت كيلاً ثجىً برقصٍ غير موزونِ
وسوَّر على تونس السورَ العظيم ، وحصَّنها بالأبراج والمدافع ، وشجَّن الأبراجَ
بالعسكر ، ورفع التلالَ التي كانت بين تونس والبحيرة . وقد كانت مثال الجبالِ العظيمة
مانعةً لجودة الهواء ، يُخشى على البلد منها ، وهى من مدة دولة بنى حفص ،
فاجتهد فى نقلها فى مدة سبع سنين ، حتى ترك محلَّها مزرعةً عظيمة ، وكشف بذلك نُحمةَ
أهل تونس .

وأنشأ محلاً لإنشاء المدافع العظيمة ، وحصَّن حلقَ الواد بالأبراج والأبنية العجيبة ،
بحيث صار لا تدخله فلوكة إلا ويفتح لها بابان ، وبني قلعة الكاف .

وأخرج تونس وأعمالها من ربة الرق من أهل الجزائر إلى الحرية المطلقة . وكان
مظفراً ميموناً لا يعاديه أحد إلا خذِل ، فلم تقدر له أهل الجزائر على شيء .

ومن سعادته أنه استوزر يوسف صاحب الطابع المذكور ، وأطلق يده فى جميع
الأمر ، كما قدَّمناه . فكان يوسف المذكور جيِّدَ الرأى ، حسنَ التدبير ، عالىَ الهمة . محبًّا
للعلماء وأهل الفضل ، مجبولاً على فعل الخير ، جواداً مهاباً . بنى الجامع المشهور به الآن
بسوق الحلفاويين بتونس ، وبني (٢٦) بإزائه مدرسةً عظيمة لطلب العلم ، ورتَّب فيها وفى
الجامع رواتبَ جليلة ، منها :

أنه جعل نظر المدرسة لأوحد أهل زمانه علماً وديانة ، المولى الأجل الأديب البارع ،

(١) فى الأصل : وقف بضم الواو .

سيدي الشيخ إبراهيم الرياحي، شيخنا وشيخ المشايخ الآن بتونس . وشرط عليها قراءة
درسین فی کل يوم : درس فی الفقه ، ودرس فی التفسیر . وزاد الشيخ من نفسه درساً
فی الحديث ، ودرساً فی النحو .

وصرف صاحب الطابع على بناية الجامع والمدرسة المذكورين مالا جزيلاً ، حتى أن
جامعہ الآن ، فی الحسن والإتقان ، أعظم جامع يوجد بتونس ؛ بل يمكن ألا يوجد أتعن
منه ولا أعجب منه - وإن كان صغيراً - إلا فيما لم نشاهده . ولقد رأيت عدة جوامع
بالقاهرة ، و بطرابلس الغرب ، والمورة ، والحجاز ، فلم أر أتعن منه ، اللهم إلا أن يقال :
إن الجامع الأموي بدمشق ، أو جامع القرويين بفاس ، أو جامع أياصوفيا بقسطنطينية ،
أعظم منه .

وبني أمام الجامع سوقاً عظيماً للتجار ، وبني فوقه سراًية عظيمة لجالوسه ، وأنشأ
عدة مكاتب وموارد في جملة مواضع .

ولقد رأيت أحد الموارد التي أنشأها ، مكتوباً عليها تاريخ^(١) لشيخنا العلامة الشيخ

إبراهيم الرياحي ، وصورته ، من مجزوء الرجز :

ذا مَورِدٌ جَادَ بِهِ	راجي ثواب ربِّه
(٢٧) يوسفُ خُوجَةُ الرَضَى	صاحب طابع البهي
فخرُ العِلا حَمُودُهُ	باشا وذا من سيِّبه
ياواردًا اذْعُ وقل :	تاريخه بِشْرِ به

١٢٠٩

(١) في الأصل : مكتوب عليها تاريخا .

وهو على طريقة أَيْقَش^(١) ، أى طريقة حساب المغاربة .

قلتُ : وهذا التاريخ ، أعنى : قوله « بَشْرُ به » غير بليغ ، أى : ليس فيه من

(١) تقوم طريقة « أَيْقَش » عند المغاربة وطريقة « أبجد » المنتشرة فى سائر البلاد العربية على أساس القيم العددية للحروف العربية فى حساب الجمل المعروف .

وتتكون طريقة أَيْقَش من الكلمات الآتية : أَيْقَش - بكر - جلس - دمت - هنت - وصخ - زعد - حفص - طغظ . وقد عرفت الطريقة بهذا الاسم لأن « أَيْقَش » أول كلماتها . أما قيم حروفها العددية فكما يلى :

ا	ى	ق	ش
١	١٠	١٠٠	١٠٠٠
ب	ك	ر	
٢	٢٠	٢٠٠	
ج	ل	س	
٣	٣٠	٣٠٠	
د	م	ت	
٤	٤٠	٤٠٠	
هـ	ن	ث	
٥	٥٠	٥٠٠	
و	ص	خ	
٦	٦٠	٦٠٠	
ز	ع	ذ	
٧	٧٠	٧٠٠	
ح	ف	ض	
٨	٨٠	٨٠٠	
ط	غ	ظ	
٩	٩٠	٩٠٠	

وتتكون طريقة « أبجد » من الكلمات التالية : أبجد - هوز - حطي - كلمي

المعنى شيء حسن . وأين هذا من تاريخ الأديب البارع المولى الشيخ محمد شهاب الدين

= سعفص - قرشت - ثخذ - ضظغ . وقيم حروفها العددية كما يلي :

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ى
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	
ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ	
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠	

وتتفق الطريقتان من ناحية القيمة العددية لكل حرف ، عدا ما يأتي :

(١) تساوى الشين فى طريقة أيقش ١٠٠٠ وفى طريقة أبجد ٣٠٠

(٢) تساوى الصاد فى طريقة أيقش ٦٠ وفى طريقة أبجد ٩٠

(٣) تساوى السين فى طريقة أيقش ٣٠٠ وفى طريقة أبجد ٦٠

(٤) تساوى الغين فى طريقة أيقش ٩٠ وفى طريقة أبجد ١٠٠٠

وكان كثير من الشعراء وبخاصة فى العصر الحديث ينظمون شعرا يتوخون فيه أن ينتهى بتاريخ يدل على العام الذى وقع فيه ما يريدون تأريخه ، كوفاة أحد العظماء أو كسوة لكعبة بيت الله الحرام ، أو انشاء مورد يستقى منه الناس أو غير ذلك . ومن هنا سمي هذا النوع من الشعر شعر التأريخ . وتكون الكلمات الدالة عليه فى آخر بيت من القصيدة أو المقطوعة فى الغالب ، كما تكون تالية لأحد الألفاظ الدالة على التاريخ ، كأن يقول الشاعر مثلاً : « السعد أرخه » أو « والسعد قال مؤرخا » أو « لاغرو أن أرخته » أو « ادع وقل تاريخه » أو غير ذلك .

وفى شعر التأريخ السابق الذى أوله : « ذا مورد جاد به » نجد أن كلمة « بشر به » إذا جمعت قيم حروفها العددية على طريقة « أيقش » كانت كما يلي :

$$\begin{array}{ccccccc} & & & & \text{ب} & \text{ر} & \text{ش} \\ & & & & \text{هـ} & \text{ب} & \text{ر} \\ ٢ & + & ١٠٠٠ & + & ٢٠٠ & + & ٢ + ٥ = ١٢٠٩ \text{ هجرية} \end{array}$$

راجع فيما يختص بطريقة أيقش الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 417.

المصرى ، فى السبيل الذى أنشأه محمود أفندى بالحروسة ، السكائن بين الأزهر والمقام الحسينى . وصورته ، من البسيط :

يا وارداً سلسبيلاً راقٍ منهله	اشرب هنيئاً فهذا العذب ^(١) مورود								
وانظر إلى حسنه والسعد أرحه	سبيله عاطف للخير محمود								
	<table border="0"> <tr> <td>٩٨</td> <td>٨٧٠</td> <td>١٦٠</td> <td>١٠٧</td> </tr> <tr> <td colspan="4">١٢٣٥</td> </tr> </table>	٩٨	٨٧٠	١٦٠	١٠٧	١٢٣٥			
٩٨	٨٧٠	١٦٠	١٠٧						
١٢٣٥									

ومن^(٢) بعض تواريخ أديب زمانه ، الشيخ على الدرويش ، فى كسوة البيت الحرام ، ونصه ، من مجزوء الرجز :

يانور ناظر كسوة ^(٣)	يزهو بهى آخر وزر								
بشرى خليل ناظراً	فله بهى سعد نجز								
والسعد قال مؤرخاً	ستر لبيت الله عز								
	<table border="0"> <tr> <td>٧٧</td> <td>٦٦</td> <td>٤٤٣</td> <td>٦٦٠</td> </tr> <tr> <td colspan="4">١٢٤٥</td> </tr> </table>	٧٧	٦٦	٤٤٣	٦٦٠	١٢٤٥			
٧٧	٦٦	٤٤٣	٦٦٠						
١٢٤٥									

وأين هذا التاريخ من تاريخي اللذين^(٤) نظمتهما للمرحوم السيد محمد المحرقى ، حين أنشأ الزاوية التى تجاة زاوية الشيخ العفيفى ، بالقرافة الصغرى ، والمورد الذى أنشأه ببركة الرطلى بالحروسة ونص الأول ، من الكامل :

انظر لزاوية تكامل حُسْنها وصبا إليها لب كل مشوق

(١) فى الأصل : العذب ، بضم العين .

(٢) معطوف على : « من تاريخ الأديب » .

(٣) بكاف مكسورة فى الأصل ، وفى القاموس : الكسوة بالضم ويكسر .

(٤) فى الأصل : الذين .

وَبَدَتْ بِاتِّقَانٍ فَأَعْجَزَ وَصْفُهَا	ذَا النُّطْقِ بِالْمُفْهَمِ وَالْمُنْطَوِّقِ
وَقَدْ اسْتَضَاءَتْ بِالسِّيَادَةِ أَرْخُومًا	مُلِئَتْ بِنُورِ السَّيِّدِ الْحُرُوقِ
٢٨٠	٢٥٨
١٠٥	٢٩٥
١٢٣٨	

ونصُّ الثاني ، من الطويل :

تَأْمَلْ لِمَا شَادَتْ يَدُ الْعِزِّ وَالْبَهَا	تَرَى مُورِدًا بِاللُّطْفِ وَالْحَسَنِ قَدْ زَهَا
وَقَدْ شَادَهُ مِنْ نَسْلِ أَكْرَمِ مُرْسَلِ	هُمَاؤُ لَهُ مَجْدٌ عَلَى ذِرْوَةِ السُّهَا
مَحْمَدُ الْحُرُوقِ أَنْشَأَهُ رَاجِعِيًّا	ثَوَابَ إِلَهٍ حَادُّهُ مَالُهُ اتِّهَا
وَمُذْتَمَّ قَالَ السَّعْدُ لِلشَّرْبِ ^(١) أَرْخُومًا	زَلَالٌ شَفَاءٌ جَيِّدٌ وَهُوَ مُشْتَبَى
٦٨	٣٨١
١٧	١٧
٧٥٥	١٢٣٨

توفى المرحوم يوسف خوجة ، صاحب الطابع ، في شهر صفر سنة ١٢٣٠^(٢) ، ومات قتيلاً ، وطيفَ بِشَاوِهِ^(٣) يُجَرُّ فِي الْأَسْوَاقِ ، بعد أن كان البصرُ يَحْشَى أَنْ يَمْتَدَّ إِلَيْهِ؛ فسبحان المعزِّ المذلِّ .

ورثاه شيخنا العلامة الشيخ إبراهيم الرِّياحِي ، بأبياتٍ كُتِبَتْ عَلَى قَبْرِهِ ، وهي هذه ، من مجزوء الكامل :

لِلَّهِ قَدْ وَجِبَ الدَّوَامُ	وَسِوَاهُ نَهَبٌ لِلْحِمَامِ
(٢٩) سَيَّانٍ فِي تَنْغِيصِهِ	عَالٍ وَمُنْخَفِضُ الْمَقَامِ
أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَيْنَ مَنْ	كَانَتْ لَهُمْ تَرْغَى الدِّمَامُ

(١) فِي الْأَصْلِ : لِلشَّرْبِ بِكسر الشين . والشرب بفتحها : القوم يشربون (اللسان).

(٢) صفر سنة ١٢٣٠ هـ = يناير ١٨١٥ م

(٣) الشلو : الجسد .

لم يظفروا بسوى الذى	عملوه من خير فدام						
هذا الذى بصنيعه	قد رame هذا الهام						
من فعل خير عز أن	يعنى الأنام عن الغام						
وجوامع ومكاتب	وموارد تسقى الأوام ^(١)						
الله يرحم يوسفًا	ختم الكرام بلا كلام						
لا غرو أن أرخته	بماته يسم الكرام						
	<table border="0"> <tr> <td>٢٩٢</td> <td>٤٥٠</td> <td>٤٨٨</td> </tr> <tr> <td colspan="3">١٢٣٠</td> </tr> </table>	٢٩٢	٤٥٠	٤٨٨	١٢٣٠		
٢٩٢	٤٥٠	٤٨٨					
١٢٣٠							

ولنرجع إلى ما نحن بصدده .

ثم إن جدى خرج من مكة المشرفة إلى بندر [جدة] ، أى : مرسى جدة ، ومكث ينسخ الكتب بالأجرة ، وكان جميل الخط كما قدمنا . فاتفق أنه اجتمع فى تلك المدة بأناس من أهل جزيرة سنار^(٢) ، وتودد إليه بعضهم ، وارتبطت بينهم صُحبة ، فسأله : من أى البلاد أنت ؟ فقال : من تونس . فسأله عن سبب إقامته بجدة ، فأخبره بقصته وما جرى عليه . فقال له السنارى : ألا تتوجه معنا إلى مدينة سنار^(٣) ويحصل لك العز والافتخار ؟ لأن مـكـنـا^(٤) أى ملـكـنا - رجل ميسوط اليد ، لا يبالي بلجـين

(١) الأوام : العطش أو حره (القاموس) .

(٢) المقصود بجزيرة سنار المناطق المحصورة بين النيلين الأبيض والأزرق وتعرف فى الوقت الحاضر بأرض الجزيرة أو جزيرة النيل الأزرق . انظر : نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ١ ، ص ٢١ .

(٣) مدينة سنار عاصمة مملكة الفونج من سنة ١٥٠٤ م حتى الفتح المصرى للسودان سنة ١٨٢٠ . انظر شقير : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٤) الملك فى السودان هو الملك ، وقد يطلق على شيخ القبيلة ، وجمعه مكوك .

(٣٠) ولا تُسجد ، يحبُّ الفضلَ وأهله ، ويُحِلُّ كلاً منهم محلّه ، وينيلُ الأشراف ،
عما يقدرُ عليه من الإسعاف . وأنا ضامن لك - إن ذهبتَ معنا - أن يجبرَ كسرَكَ ،
ويسدَّ خللَكَ ؛ وتصبحَ ذا مال ونوال ، ورقيق وجمال .

فقطع جدّي في نوال الملك المذكور ، وتوجه معهم يأمل الفرح والسرور . وحين
وصل معهم إلى جزيرة سنار ، قابلوها به الملك ، وأعلموه أنه رجل من أهل العلم ، غريبُ
الديار ، قد انكسرت سفينته ، وضاع ما كان حيلته^(١) . فرحبَ به وأعظمَ ملقاه ،
وبشّره باليسر وهنّاه ، وأنزله دار إكرامه ، وأمر له بجزيل إنعامه . فكان فيما أنعم
عليه به : جارية مَكَادِيَّة^(٢) ، بهيئة سنّية ، غالية القيمة ، تسمّى : حليلة . فتسرّاهَا
جدّي لجمالها ، فجاءت له بسلامٍ وجارية مثاليها . وأجرى عليه رزقاً ، فاستقرَّ جدّي
بسنّار ، ونسى أهله بتونس وأولاده الصغار .

وكان حين خروجه من تونس ترك ثلاثة أولاد مع أمهم ، أكبرهم عمّي المرحوم
السيد محمد ، كان عمره تسع سنين ؛ وأوسطهم المغفور له والدي ، وكان عمره ستّ
سنين ، وأصغرهم عمّي المرحوم السيد محمد طاهر ، وعمره ثلاث^(٣) سنين . هكذا سمعتُ
من والدي وجدّي - عليها سحائب الرحمة - والعهدُ عليهما .

فأنحني عليهم خالهم المولى الأجلّ الأكمل الأمثل ، الفقيه المحدث ، العالم الفاضل ،

(١) « ما كان حيلته » عبارة عامية معناها : ما كان يملكه من مال وغيره . وعلى هذا
يسوغ ضم التاء الذي يقتضيه السجع ، كما يحسن تسكين النون في سفينته ،
واللام في حيلته .

(٢) نسبة إلى «مكادة» وهم الأحياش النصاري . شقير : تاريخ السودان القديم
والحديث وجغرافيته ، ج ١ ، ص ٦٤ .

C/f Palmer. R. : Bornu Sahara and Sudan pp. 38, 94, 137.

(٣) في الأصل : ثلاثة .

السيد أحمد ابن العلامة الرُّحْل (١) (٣١) السَّنَدِ السيد سليمان الأزهرى ، صاحبُ التصانيفِ
العديدة ، والتأليفِ المفيدة .

كان السيد أحمد عالماً فاضلاً ثقةً حجةً في المنقول . عُرض عليه منصبُ القضاء
بتونس فامتنع منه ؛ وكان مشغولاً بالتدريس ، ووُلِّيَ وظيفةَ التدريس بـمدرسة على باشا
الأول فلازمها . وأصيب في آخر أمره بداء أزمَنهُ (٢) ، فكان يقرأ الدروسَ في داره ،
وتحضره أكابر طلبة العلم والفضلاء . ولم يزل كذلك حتى شبَّ والدى وبلغ مبلغ الرجال ،
وكان حفظ القرآن ، وحضر بعضَ دروس في العلم على خاله وغيره .

وبينما هو كذلك إذ تحرَّك شوقه إلى الحج ، فاستشار خاله في السفر ، فتحرك شوقه
هو أيضاً. فتجهزاً للسفر معاً ، وركبا البحر من تونس إلى إسكندرية ، ومنها إلى مصر ، ومن
مصر توجَّها إلى القصير ، وكان ذلك قبل أشهر الحج .

وبينما هما سائران في القافلة ، إذ عرضت لهما قافلة قادمة من سنّار ، فناداهما منادٍ :
يا أيها المغاربة ! هل فيكم أحد من تونس ؟ فقال أبى : نعم ، نحن منها . فقال :
هل تعرفون السيد أحمد بن سليمان ؟ فقال أبى : نعم ، نعرفه ! ومن أنت ؟ قال :
أنا نسيبُ أحمد ، قد خرجتُ من تونس منذ كذا وكذا ، وتركْتُ أولادى وأهلى ،
ولا أدرى أهم أحياء أم أموات ؟ وكان خال أبى في شُبْرِيَّة (٣) مُرْحَى عليها ستر . فسمع
ذلك كله ، فقال لأبى : يا عمر سلِّم على أبيك . فأكبَّ والدى يسلم على أبيه ويقبل يده ،
وأعلمه أن خاله (٣٢) في الشُّبْرِيَّة : فجاء جدى وسلِّم على نسيبه .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) أزمَنه : سبب له عاهة .

(٣) الشُّبْرِيَّة هى المعروفة فى مصر بالتخت روان .

وبعد انقضاء السلام قال أبي لوالده : أيسوغ لك أن تتركنا هذه المدة بدون نفقة ونحن صغار ، ولولا أن الله سخر لنا خالنا كنا^(١) ضائعين ؟ فقال والدى : ما حيلتى والقضاء والقدر يجريان على وفق الإرادة العلية ، مفرد من الكامل :

إِنَّ الْمَقْدَرَّ كَائِنْ لَا يَنْمِجِي وَلَكَّ الْأَمَانُ مِنَ الَّذِي مَا قُدِّرَا
فقال أبي لوالده : ألم يأن لك أن ترجعَ إلى بلدك ، وتقرَّ أعيننا برؤيتك ؟ فقال : يكون ذلك إن شاء الله . قال له والدى : متى ؟ قال : أنا الآن متوجه إلى القاهرة ، أبيعُ ما معي من الرقيق ، وأرجعُ إلى سنّار ، وأخذُ متاعى وأولادى ، وآتى^(٢) إلى القاهرة ، وأتما تتوجهان للحج ، وترجعان إلى القاهرة ، فنجتمع هناك ، وكل من سبق صاحبه انتظره هناك . ثم ودّعهما وتوجه كلٌّ منهما إلى سبيله ، على حد قول الشاعر ، من الكامل :

لَمْ أَسْتَيْمَ سَلَامَهُ لِقُدُومِهِ حَتَّى ابْتَدَأْتُ سَلَامَهُ لَوَدَاعِهِ
فتوجه والدى وخاله إلى الحج ، وتوجه جدّى إلى المحروسة . أما جدى فباع رقيقه وتسوّق ، ورجع إلى سنّار . وأما والدى وخاله فتوجّها إلى الحجاز ، ومكنا بالطائف حتى جاء وقتُ الحج ، فقدمَا مكة وحجّبا . وبعد انقضاء الحج توفّى خاله في مكة المشرفة ، ودُفن بباب المغلّى ، ثم رجع والدى إلى القاهرة فما وجد أباه ، فأقام ينتظره مدة فلم يأت . (٣٣) وكان أبى فى هذه المدة يحضرُ العلوم بالجامع الأزهر ، ولما أعياه الانتظار ، توجه إلى سنّار ، مع قافلة أنت . فلما وصل إليه ، وجده قارّاً فى داره ، مغتبطاً بأولاده وعياله ، لا يسأل عن غيرهم ، ولا يحطّر له السفر على باله . فسأله عن سبب خُلف الوعد ، ولم جمل

(١) كذا فى الأصل .

(٢) رسم الكلمة فى الأصل : وآتى .

الهزل مكانَ الجِدِّ؟ فاعتذر بعذر ساقط ، لا يجذله لاقط^(١) . فقال له : يا بُنَيَّ ! إن لي ديوتاً على بعض الناس ، وقد ماطلونى فى دفعها ، ولا يمكننى الارتحال ، إلّا بعد خلاصها على كل حال ، ليستقيم بها أودى ، ويقوى فى السفر عضدى .

فكث معه نحو ستّة أشهر ؛ وبعد ذلك تجهّزت قافلة إلى الأقطار المصرية ، فسأل أبى والدّه فى أحد أمرين ، بأن قال له : هذه القافلة متوجهة [إلى مصر] ، فإما أن تتوجّه بنا صُحبَتها ، أو تأذن لي بالتوجه معها . فأبى عليه فيها ، وقال : أما الذّهاب فلا سبيل إليه ، لِمَا علىّ فى تونس من الأموال ، لاسيّما وقد أُخبرتُ بأن أمّك تزوجتْ ؛ وأما الإذن لك فيكونُ ، لكنّ فى قافلةٍ أخرى إن شاء الله تعالى ، حتى أجمعَ لك ما تسافرُ به من الرقيق والجِمال ، والذهب والأحمال ، بحيث إنك لاتعودُ إلّا مجبوراً الخاطر . فأبى والدى المُكث ، واستطال اللُّبث^(٢) ، وقال : إني مشتاق أطلب العلم ، وفى إقامتى هنا ضياعُ زمن بغير فائدة . فاختلف رأيهما ، وحصلت بينهما وحشة .

فخرج والدى مُغضباً ، وتوجّه مع القافلة لايملك شيئاً ، فألحقه والدّه بعد ثلاثة (٣٤) أيام بثلاثة جمالٍ ، وأربع جوارى ، وعبدَين ؛ وعلى الجمال أهبّة السفر ، من مؤونة وماء ، وعلى أحد الجمال حمل صَمغ ، فأخذها والدى وسار صحبة القافلة .

وبينما هم سائرون ، إذ ضلوا عن الطريق ، وأدركهم العطش ، وطال عليهم الأمد ، فمات الرقيق والجِمال ، ورجع إلى مصر فقيراً كما كان . مفرد من الطويل :

إذا أقبلتُ كانت تُقَادُ بشعرةٍ وإن أدبرتُ كانت تُقَدُّ السَّلاسلا

(١) كذا بالأصل ، وقد عدل المؤلف عن نصب لفظ « لاقط » مراعاة للسجع .

(٢) فى الأصل : اللبث .

فمن لطف الله عز وجل [أن] مرض خبير القافلة بصداع أحرمه^(١) المجوع ، وعجز
عن شفائه المجوع ؛ وبلغ والدى هذا الخبر ، فكتب رقعةً وأخذها الخبير باعتقاد ، ووضعها
محلّ الألم ، فبرئ لوقته ، فاعتقد فى والدى الصلاح ، وأمر أن يُحملَ ، ويُحملَ له عدلٌ
صمغ على إبله .

فوصل والدى إلى القاهرة بعد غصّ الريق ، وباع عدل الصمغ بخمسة وسبعين
فندقلى^(٢) ؛ ودخل الجامع الأزهر لطلب العلم ؛ وتزوج والدتى إذ ذاك ، ومكث معها نحو
سنتين ، جاءت منه بولد سمّاه أحمد ، عاش سنة وثلاثة أشهر ، ثم مات ، فحزن عليه وتمثّل
بقول الشاعر ، مفرد من الطويل :

لقد خانت الأيامُ فيك فقربت
يوم الردى من ليلة الميلاد^(٣)
وبقول الآخر ، من الكامل :

عجباً لمولودٍ قضى من قبل أن
يقضى لأيام الصبا ميةً ماناً
(٣٥) فكانه من نسكه وصلاحه
وهب الحياة لوالديه وماتا
وبقول التهامى فى [رثاء] ولده ، من الكامل :

يا كوكبا ما كان أقصر عمره
وكذا تكون^(٤) كواكب الأسحار
ثم إن والدى توجه إلى تونس ، وأخذ أمى وأمها معه ، وكنت إذ ذاك حملاً .

(١) كذا بالهمز ، وقد دأب المؤلف على استعمال هذه الصيغة فى غير موضع من الكتاب .

(٢) الفندقلى المستعمل هنا قطعة ذهبية من العملة كانت تتراوح قيمتها بين ثلاثة قروش وأربعة . راجع ما جاء فى هامش صفحة ١٨ من الترجمة الفرنسية التى طبعت عام ١٨٥٠ .

(٣) هذا الشطر من الرجز لامن الطويل .

(٤) فى رواية : وكذاك عمر .

فلما وصل إلى تونس ، نزل بدار أخيه المرحوم السيد محمد ، وكان من مشاهير المعلمين بسوق الشَّوَّاشِيَّة^(١) ، أى : الطرايشيَّة^(٢) . فولدتُ بعد ذلك بخمسة أشهر ، فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة منتصف ذى^(٣) القعدة سنة ١٢٠٤^(٤) . ومكثَ بعد ذلك نحو ثلاث سنين ، ثم حصلتُ بينه وبين أخويه وحشة ، ففقل بنا إلى القاهرة سنة ١٢٠٧^(٥) ؛ فصار يطلب العلم فى الأزهر ، ويحضر^(٦) درس العلامة المرحوم الشيخ عرفة الدسوقي المالكي ، وشيخ مشايخنا العالم الأوحى المرحوم الشيخ محمد الأمير الكبير . وتولَّى تقيماً برواق السادة المغاربة ، وكان فى عيش متوسط .

وما زال كذلك إلى أن دخلتُ سنة ١٢١١^(٧) ، ووَرَدَ^(٨) عليه كتاب من أخيه لأبيه من سنار مع القافلة ، مضمونه بعد السلام :

إنَّ والدنا توفَّى إلى عفو الله تعالى ، وترك جملةً من الكتب ، فسرقها منا رجل يسمى بأحمد البنزرتى ، أمناه على بيتنا ؛ لأنه ادَّعى القرابة لوالدنا ، وبقينا فى حالة تسرُّ العدوِّ ، [و] تسيء الصديق . فإذا وصلت (٣٦) كتابى هذا ، عَجِّلْ بالقدوم علينا لتأخذنا معك ، نعيش بما تعيشُ به ، والسلام .

فلما قرأ الكتاب ، بكى واستعبر ، وأخذته الشفقة على أخويه ، فتمعَّجَل وسافر

(١) التسواشية جمع شاشية ، أى : طربوش .

(٢) فى الأصل : طرايشه .

(٣) كذا .

(٤) ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م .

(٥) ١٢٠٧ هـ = ١٧٩٢ م .

(٦) فى الأصل : وتحضر .

(٧) ١٢١١ هـ = ١٧٩٦ م .

(٨) فى الأصل : ورد .

إليهما . وكنتُ إذ ذاك ابنَ سبع سنين ، قد ختمت القرآن بدايةً ، ووصلتُ في العيادة^(١) آخرَ آلِ عمران ؛ وكان لي أخ عمره أربع سنين ، وترك لنا نفقةً تكفينا ستة أشهر . فكثنا سنة ، باعت فيها والدتي أشياء كثيرة من نحاسٍ وحُلِيٍّ .

ثم جاء عمي الصغير المسمّى بالطاهر ، فأنحنى علينا يرينا . وكان قد جاء للحجّ والتجارة ، ومعه ولد كالشمس الضاحية ، في السماء الصاحية ، اسمه محمد ؛ وكان أسنّ مني بنحو سنة ونصف ؛ فكان يذهب معي إلى المكتب لقراءة القرآن ، حتى سافر به والده إلى الحجّ آخر سنة ١٢١٢^(٢) .

ثم دخلت الفرائيسُ القاهرة ومكّوها في أول سنة ١٢١٣^(٣) ، وكان عمي إذ ذاك مع الحُجّاج ، فهرب^(٤) الغزّ ، وتمزقوا كلّ ممزّق . ودخل الحُجّاج ، فوجدوا الفرائيسَ في مصر وأعمالها ، ومكثوا كذلك إلى أول سنة ١٢١٦^(٥) ، [ثم جاء الوزير [يوسف باشا]^(٦) بالمساكر ، وخرجت الفرنساويين .

وكان ابن عمي المذكور قد حفظ القرآن ، وابتدأ يحضّر دروسَ العلم ، وكان من الحياء والأدب بمكان .

فوقعت في تلك السنة أمراضٌ وبائيةٌ ، وألّمتُ بآبن عمي المذكور ، فأخرجته من القصور إلى القبور ، (٣٧) بل للملاعبة مع الحُور . ولما قُضِيَ عليه ، حزن عليه والده

(١) في الأصل : العيادة . والعيادة هنا حفظ القرآن للمرة الثانية ، وأما حفظه للمرة الأولى فيسمى بداية . يقال ختمت أو حفظت القرآن بدايةً وعبادة .

(٢) في الأصل : ١٣١٢ ، و ١٢١٢ هـ = ١٧٩٨ م .

(٣) في الأصل : ١٣١٣ .

(٤) في الأصل : فُهرت .

(٥) في الأصل : ١٣١٦ ، و ١٢١٦ هـ = ١٨٠١ م .

(٦) ما بين الحاصرتين مأخوذ عن الترجمة الفرنسية . Voyage au Darfour, p. 21

أشدَّ الحزن ، حتى كادَ يهلك أسفاً ، ويدخلُ رسمه توجُّعاً ولهفاً . ورحم الله القائل ،
من الرجز^(١) :

الناس للموت كحيل الطرادُ فالسابقُ السابق منها الجوادُ
والموت ثقاد ، على كفه جواهرٌ ، يختار منها الجيادُ
وكره المقام بمصر نخلوها من ولده ، وفلذة كبده ، وفي ذلك قلت ، من الوافر :

إذا رحل الحبيبُ من الديار كرهتُ لبعديه تلك الديار [١]
فأراد أن يبرِّد ناره ، ويوارى أواره ، بحجَّ بيت الله الحرام ، ورؤية قبر نبيه عليه
الصلاة والسلام . والله درُّ من قال ، من الكامل :

نقلُ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ
وفي هذا المعنى قال عاوية الصلاة والسلام : « إذ أصيبَ أحدُكم بمصيبة فليذكرْ
مصيبته بي ، فإنها أعظمُ المصائب » . [شعر] من الكامل :

اصبرْ لكل مصيبةٍ وتجلدِ واعلم بأن المرءَ غيرُ مُخلدِ
وإذا أصبتَ بفقدٍ من أحبته فاذكر مصابك بالنبى محمدِ
فتوجه إلى الحجاز وتركنى بمصر لطاب العلم بالأزهر ، وأبقى لى نفقةً تكفيننا أربعة
أشهر ، ومكث هو أكثر من ذلك ، فنفدت^(٢) وضاق ذرعى لذلك - وأنا إذ ذاك
في شرخ الشباب - فبقيت متحيراً لا أدري ما أصنع . واستنكفت أن أترك طلب العلم ،
وأتعلم إحدى (٣٨) الصنایع .

وبينا أنا متحيرٌ في طلب المعاش ، وضيقُ الصدر لعدم الارتياش ، إذ بلغنى أن

(١) فى هامش الأصل : المنسرح .

(٢) فى الأصل : فنفدت .

قافلةً وردت من بلاد السودان ، من دارفور . وكان قبل ذلك بلغنا أن والدى توجه من سنار إليها صحبة أخيه . فلما استقرت بوكالة الجلالة ، توجهتُ إليها لأسأل عن أبي ، أهو حيٌّ يتوقع ، أم أودعَ اللحدَ البلقع ؟

فلقيتُ على سبيلِ المصادفة ، رجلاً من أهلِ القافلة مُسنِّناً ، ذا هيبه ووقار ، يسمي السيد أحمد بدوى . فقَبَلْتُ يَدَه ، ووقفتُ أمامه بُرهة . فسألني بلطفٍ وقال لى : ماذا تريد ؟ قلت : أسأل عن رجلٍ غائبٍ لى فى بلدِكم ، لعل يعرفه منكم أحدٌ^(١) يدلُّنى عليه . فقال : مَنْ هو ، وما اسمه ؟ فقلت : اسمه السيد عمر التونسى ، وهو رجلٌ من أهل العلم . فقال : على الخبيرِ به سقطتْ ؛ هو صاحبى وأنا أعرفُ الناسَ به ، وأرى بك شهباً له ، فكنْ ابنه ! فقلت : أنا هو ، على تغيرِ حالى ، وتبَلُّبِ بالى . فقال : يا بُنى ، ما يُعِدُّكَ عن اللِّحاقِ بأبيك ، لترى عنده ما يَهْنِكُ ؟ قلت : قلَّةُ ذاتِ يدي ، واعتدادى وعُددى . فقال : إن أباك من أعظم الناس عند السلطان ، وأكرمهم عليه دون أهل الديوان . وإن أردتَ التوجُّهَ إليه فأنا على مؤونتك ، ومركوبك وراحتك ، حتى تصلَ إليه ، وتقفَ بين يديه . فقلت : أحقُّ ما تقول ؟ فقال : إى^(٢) ، وحياتِ الرسول ، لأن أباك فعل معى معروفًا لا أقدر على (٣٩) مكافأته فيه ، ولو بذلتُ جميعَ ماتملكه يدي وتحويه . فقلت : أنا أطوعُ لك من نعلك ، وأتبعُ لك من ظِلِّك .

فعاهدتُه على ذلك ، واستوثقتُ منه هنالك . وجعلتُ أتردَّد عليه ، حتى تأهب

(١) كذا بالأصل وهو كما يبدو أسلوب ركيك ، وذلك بدل ان يقول مثلاً : لعل أحدا منكم يعرفه .

(٢) اى ، بمعني : نعم .

[لارحيل] وقال لى : السفرُ غداً ، فإن شئتَ بِتَّ عندنا لنُصِبحَ على السفرِ مبكرين .
فقلت : على الرأس والعين .

فَبِتُّ عِنْدَهُ فِي الدَّاعِشِ وَأَهْنَاهُ ، وَأَحْسَنَ حَالٍ وَأَصْفَاهُ ، إِلَى أَنْ لَاحَ ابْنُ الذِّكَا^(١) ،
والتَّحَفَ الْجَوُّ بِالضُّيَا ، [ف] نَهَضْنَا لِلْمَكْتُوبَةِ^(٢) فَأَدَّيْنَاهَا ، وَأَبْرَزْنَا الْحُمُولَ^(٣) وَأَخْرَجْنَاهَا .
وَجِئْتُ حِينَئِذٍ بِالْجَمَالِ ، وَحُمِلَتْ عَلَيْهَا الْأَحْمَالُ ، فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ ، إِلَّا وَقَدْ تَمَّ التَّحْمِيلُ ،
وَأَخَذْتُ الْعِيسَ^(٤) فِي الذَّمِيلِ^(٥) . وَلَا زَالَتْ كَذَلِكَ حَتَّى أُنِيخَتْ بِالْفُسْطَاطِ عَلَى شَاطِئِ
النَّيْلِ ، وَابْتَدِئْتُ فِي شَحْنِ الْفُلِّكُ بِهَا ، حَتَّى تَمَّتْ كُلُّهَا . ثُمَّ صَبَرْنَا حَتَّى صَالَيْنَا الْجُمُعَةَ خَلْفَ
الْإِمَامِ ، وَنَزَلْنَا الْفُلَّكَ وَوَدَّعْنَا مَصْرَ بَسْلَامٍ .

-
- (١) كَذَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي الْأَصْلِ . وَفِي اللِّسَانِ : ذَكَاءُ اسْمِ الشَّمْسِ لَا تَدْخُلُهَا الْأَلْفُ
وَاللَّامُ . وَيُقَالُ لِلصَّبِيحِ ابْنُ ذَكَاءٍ .
(٢) يُرِيدُ الصَّلَاةَ .
(٣) الْحُمُولُ : الْهُوَاجِ أَوْ الْإِبِلُ عَلَيْهَا الْهُوَاجِ (الْقَامُوسُ) .
(٤) الْعِيسُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ مَعَ شَقْرَةٍ يَسِيرَةٍ ، وَاحِدُهَا أُعَيْسٍ وَعَيْسَاءُ (اللِّسَانُ) .
(٥) الذَّمِيلُ : السَّيْرُ اللَّيِّنُ .

البَابُ الثَّانِي

من المقدمة

[الرحلة من الفسطاط إلى دارفور]

لما امتطينا الدَّهْمَاءَ لهذا السفر العظيم ، قلنا : « بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »^(١) ولما أقلعنا عن ساحل الفسطاط ، ناوين^(٢) البُعد والشَّطاط^(٣) ، تذكَّرتُ متاعبَ الأسفار ، وما يحصلُ فيها من الأخطار ، خصوصاً لمن كان حاله كحالي في الفقر المُدَقِّع ، والعسر المُقْنِع . وتوسَّس صدرى وانزعج ، وبقيتُ في مشقَّةٍ وحرَجٍ ، لاسيما وقد وجدتُ نفسى ، مع غير أبناء جنسى ، بل بين (٤٠) أقوامٍ لا أعرف من حديثهم إلاَّ القليل ، ولا أرى فيهم وجهاً صبيحاً جميل^(٤) . فقلتُ ودعنى بادية^(٥) :

فَجَسْمُكَ مَعَ ثِيَابِكَ وَالْمُحَيَّا
سَوَادٌ فِي سَوَادٍ فِي سَوَادٍ .

وندمتُ على تغريرى بنفسى مع أبناء حام ، وتذكَّرتُ ما بينهم من العداوة لأبناء سام ،

(١) سورة هود ، آية ٤١ .

(٢) كذا فى الأصل ، وهى صيغة عامية . والصواب : ناوين ، بياء واحدة .

(٣) الشطاط والبعد مترادفان .

(٤، ٥) عدل المؤلف عن نصب « جميل » مراعاة للسجع ، كما كتب لفظ « بادية » بالياء لتتناسب فى السجع مع كلمة : « سواد » فى آخر البيت التالى .

فداخلى من الملع مالا أقدر على وصفه ، حتى كدت أن أطلب الرُّجوع ، إلى الربوع .
ثم أدركنى الطافُ الله الخفيّة ، وتذكرتُ ما مدحت به الأسفار على السنة
البلغاء الأدبية ، خصوصاً ما ورد في الأثر ، عن خالق البشر : « سافر أحدث لك رزقاً
جديداً » . وإن أفضل الأنام ، سافر من مكة إلى الشام . وقد قالت العلماء : إن السفر
يسفر عن أخلاق الرجال ، وهو المميز للذكور عن ربّات الحجال . وقد قيل : إن الدرّ
للمنقل من معدنه كما رُصّعت به التيجان ، ولو لم يسر البدر لكان في غاية النقصان .
قال الشاعر ، من الكامل :

سافر تنل رتبَ المكارم والعُلا فالدرُّ سارَ فصار في التيجانِ
والبدرُ لولا سَـيْرُهُ في أفقه ما كان إلا زائداً النقصانِ

وقال الآخر ، من الطويل :

تفرَّب^(١) عن الأوطان في طلب العُلا وسافرُ ففى الأسفار خمسُ فوائدِ
تفرَّجُ همٌّ واكتسابُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ
(٤١) وإن قيلَ في الأسفار ذلٌّ وغربةٌ وتشتتُ شملٌ وارتكابُ شذائِدِ
فموتُ الفتى خيرٌ له من حياته بأرضِ هوانٍ بينِ واشٍ وحاسِدِ

ولله درّ الطُّغرائى حيث يقول ، من البسيط :

إنّ العُلا حدثنى — وهى صادقةٌ فيما تحدّثُ — أن العِزَّ في النُقْلِ
لو كانَ في شرفِ المأوى بلوغُ مئى لم تَبْرَحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ
على أنى لو كنتُ أقمتُ بالقاهرة في هذا الحال ، ما كنت أرى فيها إلّا الوبال ،
وحينئذٍ تمثلتُ بقول الطُّغرائى المفضل ، حيث قال ، من البسيط :

(١) فى الأصل : تعرب .

فيم الإقامة بالزَّوراء لا سكني فيها ولا ناقتي فيها ولا جملي
وبقول الآخر ، من البسيط :

إرحل بنفسك من أرض تَهَانُ بها ولا تكن من فراقِ الأهلِ في حَرْقِ
ألم ترَ التَّبرَ تَرْبًا في معادِنِه وفي التَّغرُّبِ محمولاً على العُنُقِ
فوطَّنتِ نفسى على الأسفار ، ولو كنتُ أكوى بالنار .

وكنا قد أفلعنا بريح طيب ظالَّ معنا يومه ، وسفينتنا تَمِيسُ به عَجَبًا ، وتهايلُ
بحسنه طَرَبًا ، وقد ملأ شراعها ، وأطالَ في المسيرِ باعًاها .

وعلى ذكر السفينة ووصف سيرها ، تذكَّرتُ لغزى ، الذى كنتُ سألتُ فيه
العلامة الشيخ مصطفى كساب ، شيخ مدرسة الطب البيطرى ، التى أنشأها صاحبُ
السعادة بإزاء مدرسة الطب البشرى ، (٤٢) بأبى زَعَبَل ، وهو هذا ، من الطويل :

أمولائى يا كسابُ للعلم والتقى	ويا بحرَ عرفانٍ لَدَى الناسِ يعذبُ
سألتكَ عن شيء ثلاثى أحرفٍ	به كَلِيفُ قلب الشقى ^(١) معذبُ
لقد جاء فى التنزيل والأمر واضح	ومثلُكم يتلوه دَوْمًا ويكتبُ
وأيضاً له إسمٌ خماسى قد أتى	مُؤنثَ لفظٍ للبرية يُعجبُ
يهِيمُ به المَضْنَى وتجرى دموعه	ومادَّتَه ^(٢) يُشتقُّ منها المَهْذَبُ
كذلك له إسمٌ شهير لدى الورى	رباعى حروفٍ وهو منها مركبُ
مسمًى الذى قد قلتُ ، يا حَبْر ، واحد	وأنت لبيب ليس ذا عنك يُحجَبُ
مَطِيَّةٌ عَزَى الآن دَهْمَاهُ قد أتت	إليك ، فريدَ العصر ، والحلَّ أطلبُ

(١) فى الأصل : السقى • (٢) كذا ، وتقرأ الكلمة بغير مد ليستقيم الوزن •

وأوصاف ما قد قلت أضحمت شهيرة
 تيس متى تكسى ويكثر سعيها
 وتحمل ما يعسر على الناس حمله
 وفي سعيها تمشي على حُرّ ظهرها
 تطيع الهوى تخشى اشتداد عصفه
 وحسبك توضيح فهاهنا جوابه
 فأجاب^(١) - حفظه الله - بما نصّه ، من الطويل :

أيا عالمًا بالعالم منه وبالنهى
 (٤٣) ومن حذقه قد شاع شرقًا ومغربًا
 ولم لا ، وقد حاز القريض^(٢) بأسره
 وأنّى لقسّ وامرئ القيس مثله
 أتيت بشعر كالنسيم لطافة
 وألغزت في اسم عمّ في البحر نفعة
 ونوح تولاه وأبدع صنعة
 وقال : اركبوا فيها فبالله مجراها
 وقد حلّ لغز التونسي محمد
 فلا زال يبدى من نتائج فكره
 وبالفضل عند العالمين محبب
 ومن هو بالشعر المهدب يغرب
 وطاوعه ما قد يضل ويعزب
 كلام يثير العاشقين يطرب
 فمن يدعيه فهو لاشك كاذب
 ويحمل أثقالًا تكل وتعب
 ونجى من الطوفان والموج لاعب
 كذلك مرّساها فلا تقرّب
 إمام له العلياه تسمى وتنسب
 نفائس درّ تنب^(٣) عنها المطالب

(١) في الأصل : فاحاب .

(٢) في الأصل : جاز الفريض .

(٣) كذا ، بدل : تنبو . وقد حذفت الواو مراعاة لوزن الشعر .

وقد أغزتُ في لفظِ « بحر » فقلت ، من الطويل :

ألا قل لتحرير العلومِ ومن غدا	له الغرُّ طوعًا قد يزولُ نِقابُهُ
فدينتك ما اسمٌ من ثلاثة أحرفٍ	مُسَمَّاه يسطو بالأَنام عِبابُهُ
وفي قلبه معنى اتساعٍ لمن أتى	وإن شئتَ فعلاً ماضياً لا تهابُهُ
وأولُ حرفٍ منه إن كنتَ حاذقاً	فسمِّ بضدِّ البردِ وهو انقلابُهُ
بتشويشٍ تبدو معاني ثلاثة	تأملُ لها فهو العجيبُ عِجابُهُ
إمامُ علوم ، والمداد ، وثالث الـ	معاني ^(١) أمرٌ لا يسرُّ مُصَابُهُ ^(٢)
وإن تحذفَ الثاني فضدُّ لاسمِهِ	يصيرُ ، فلا يعسرُ عليك جوابُهُ

(٤٤) وقلت ماغزاً في « مصباح » ، من الطويل :

ألا قل لمن حاز البلاغة والفهما	وأعطاه ربُّ العرشِ بين الورى علما
فذاك أبى ، ما اسمٌ خماسيُّ أحرفٍ	به النفعُ ، يا حَبَرَ البريةِ ، قد عَمَّا
صغيرٌ كأنَّمُلَةً إذا قستَ جسمه	ويملاً يبتغا وهو في حجمه جَزَماً
إذا ما نسيمٌ هبَّ مال صبابَةً	ومهما تقوى مات من وجده حَتَماً
فريدٌ بأوصافٍ حسنةٍ سما بها	وأحسنها إرشادُ شخصٍ له أَمَّا ^(٣)
ويمرضُ مهما طال ، يا صاح ، أنفه	وإن قُطعتْ يصحُّ ولا يذكر الغَمَّا
ويزهو متى حلَّ البهيمُ ، وإن رأى الـ	الغزاة ذرَّتْ نالَ من ضعفه وضمَّا
ومن اسمِهِ حرفان شئٌ محبَّب	إذا كان من حُلُو المَراشِف ، أئى : أَلهى
وباقية فعلٌ ماضٍ كن متفطناً	وفاعله في الناس يستوجبُ الذمَّما

(١) كذا ، ويقضى الوزن تشديد الياء . (٢) فى الأصل : مصبابه .

(٣) أم : قصد .

وأول حرفٍ منه فاحذف ، ترى الذى تبقى رديفًا للغداقِ فكن شهما
وحسبى لقد أوضحتُ . هاتِ جوابه وقد جاء فى التنزيل فانظره قد تمّا
وقلت ملغزاً فى « السماء » ، من البسيط :

يا من رَقَى لسماء العلم والحكم وفضله قد غدا ينهل كالدَّيَمِ
بينُ لنا ما اسمُ شىء راق منظره وحسنه قد بدا للعرب والعجمِ
لكنه ذو ارتفاع لا يحلُّ^(١) به إلا^(٢) الذين حُبُّوا من بارى النسمِ
منه المصايحُ تبدو وهى زاهية بها الهداية فى داجٍ لنا بهمِ
(٤٥) وحسنه الباهرُ الزاهى نَقَرُ به لأنه جاء فى التنزيل ذى الحكمِ
مركب من حروفٍ أربع رُسمت فى النظم ، كن فاعما للنظم والكلمِ
قد تم ، أرجو جواباً شافياً حسناً لا زلت ، يا حَبْرُ ، فى عالٍ من المهمِ
وقد تكرتُ بهذه الأغاز ما ألغز^(٣) به خاتمةُ المحققين الإمام ابن حَجَر الشافعى
- رحمه الله - فى لفظة « مُدام » ونصّه ، من الوافر^(٤) :

وما شىء حَسَاهُ فيه داء وأوله وآخره سَوَاهُ
إذا ما زال آخِرُهُ فجمع^(٥) يكونُ الحدُّ فيه كذا المضاهِ^(٦)
وإن أهملتُ أوله ففعلٌ له بالرفع والنصب اعتناه

-
- (١) فى الأصل : لا يحل ، بضم الياء وكسر الحاء وتشديد اللام .
(٢) كتبت كلمة « الا » فى الأصل فى آخر الشطر الاول .
(٣) فى الأصل : ما للغز .
(٤) فى هامش الأصل : الهزج .
(٥) فى الأصل : بجمع .
(٦) فى الأصل : المعناه .

ولنُسْكُ عِنانَ القلم عن جريه في هذا الميدان ، إذ لو تَبَّعْتُ ما قلته من الأشعار والألغاز ، لطال الحال ، وجَلَبَ الملال . ونرجعُ إلى ما نحن بصدده فنقول :

وعند المساء سكن الهوا^(١) وبطل هبوبه ، وفقد شماله وجنوبه ، وقد جئنا مقابلَ المنية ، وكان فيها جماعة من الغز ، الذين ابتزَّ الله منهم حلة العز ، فأخذونا بالقوة والقهر ، وأمالوا سفينتنا إلى جانب البر ، وكان معسكرهم مخيماً في عرض البلد على النيل . وكانوا مقيمين هناك لنهب السفار المارين . فغرموا صاحبنا جملةً من المال ، وبعد الخلاص أفلعنا عنهم في الحال .

وفي اليوم الثالث حللنا منفلوط ، فأخذنا منها ما احتجنا إليه^(٢) ، ثم أفلعنا حتى دخلنا (٤٦) بنى عدي ، فأقمنا فيها ريثما تأهبت القافلة ، وخرزوا أسقيتهم ، وصنعوا زادهم .

ثم جيء بالمطى فحُمَّت أحمالها ، وضربنا مهممها^(٣) قفراً ، حتى وصلنا إلى الخارجة في عشية اليوم الخامس ، فوجدناها قد دار بها النخيلُ دورة الخالخال بالساق ، أو التفاف يدى العاشق على معاطف المعشوق للعناق . وفيها من التمر ما تشبهه الأنف ، وتلد به الأعين ، مع رخص الأسعار ، وحسن تلك الثمار^(٤) ، فأقمنا بها مدة خمسة أيام .

وفي صبيحة اليوم السادس ارتحلنا ، وسرنا نحو يومين ، وفي الثالث حللنا بلدة

(١) فى الأصل : الهوى

(٢) فى الأصل : ما احتاجنا .

(٣) المهمه : المفازة القاحلة البعيدة (القاموس) .

(٤) فى الأصل : التمار .

يقال لها : أبيريس^(١) ، وهى بلدٌ قد استولى عليها الخراب من ظلم الحكام ، وتمزق شملُ
أهلها بعد الانتظام ، ففسد ما به من النخيل ، وذهب رونقه بعد أن كان جميلاً^(٢) .
فقمنا بها يومين ، حتى أفقت دوابنا ، وزال عنها العنا .

ثم سافرنا يومين ، ونزلنا فى ثالثهما بلداً يقال لها : بولاق^(٣) ، وهى^(٤) من الساكن
فى إملاق ، قد دُرست معالم أكثرها ، وتصدّع بناء أقومها وأشهرها . ومن العجائب
أن نخاها فى غاية القصر ، وهو حامل للتمر ، لا يتسكّف جانبى القيام ، بل يتناول منه
ولو فى هيئة النيام ؛ فتذكرتُ باسمها بولاق مصر الحميّة ، حرسها الله من كل آفةٍ
وبليّة ، فانهملتُ دموعى ، وهاج وجدى ووُلوعى ، فأنشدت أقول شعراً ، (٤٧)
من الطويل :

تذكرتُ بولاقاً ومصر وأهلها

وأذكرنى هذى التى تُدعى^(٥) بولاقاً

فبالله يا عيني اسعفينى بأدمع^(٦)

عسى يبردُ القلبُ الذى زاد إحراقاً

(١) ورد اسم هذه البلدة فى Browne, W.G. : Travels in Africa, Egypt and Syria,

p. 186. بدون ألف بريس (Beiris)

(٢) كذا بالأصل : وقد عدل المؤلف - كما هو ظاهر - عن نصب خبر كان مراعاة
للسجع .

(٣) يقول المؤلف انه مر بالخارجة ثم أبيريس ثم بولاق ، على حين يقول براون الذى
سلك نفس الطريق (درب الأربعين) سنة ١٧٩٣ م انه مر بالخارجة ثم بولاق

ثم بريس . Browne W. G. op. cit. p. 186

انظر كذلك : شو Shaw فى مقال له عن درب الأربعين .

راجع : S.N.R. Vol. XII. Part I, PP. 63-71.

(٤) فى الأصل : وهو

(٥) تقرأ هذه الكلمة بحذف حرف العلة مراعاة للوزن .

(٦) فى الأصل : يادمع .

ثم سافرونا مجددين من غير لبس ، حتى نزلنا عشيّة النهار على بلد يسمّى: المّشّ (١) .
مفرد من الرجز :

وبلدة ليس بها أنيس

إلا اليعافير (٢) وإلا العيس

قيل إن هذا البلد ، كان أعمّر من كل بلد ، فأخنى عليه الذى أخنى على لبد ،
وتمزّق شمل أهله ، ولم يبق به أحد . وليس به من الأشجار إلا ما قلّ ، وهو بعض أثل
وعبل . فأقمنا فيها يومين وملأنا القرب وارتملنا ، ولمفازة الحقيقية دخلنا . فكشنا خمسة
أيام في مهمّة قفرا (٣) ، وببداء غبرا ، ليس فيها من الحشائش إلا عاقول قليل ، كما لا يوجد
بها شجره يصلح للمقيل . وكان يطبخ لنا في تلك المدة بما تلتقطه الخدم من بعز الإبل
الجاف ، لقلة الوقود (٤) الذى يحصل به الإسعاف .

وفي عشيّة اليوم الخامس ، وردنا محلاً يقال له: الشبّ (٥) ، وهو محل بين غرود (٦) من

(١) ورد هذا الاسم فى : (Browne : op. cit. p. 186) بالغين بدل القاف « Mughess »
وهذا هو النطق الشائع للقاف فى اللهجة السودانية

(٢) اليعافير جمع يعفور وهو ظبى بلون الثراب (القاموس) .

(٣) كذا بالأصل وقد يكون المؤلف عدل هنا عن جر اللفظ ليتناسب مع « غبرا » .

(٤) فى الأصل : الوقود . والتصحيح عن القاموس ، ففيه : الوقود كصبور الحطب
كالوقاد بكسر الواو والوقيد .

(٥) ذكر لها اسم آخر فى هامش الترجمة الفرنسية هو « عين شب » Voyage, p. 30.
وفى براون أنها تشتهر بإنتاج حجر الشب ، ويسكنها جماعة من العبادنة
هاجروا إليها من جهة النيل . Browne, op. cit. p. 186 .

(٦) غرود جمع غرد ، بفتح الغين ، وهو - كما فى القاموس - الخص بضم الحاء

الرمل عليه ريحُ الوحشة قد هبَّ ، فأرحنا فيه يومين وارثلحنا ، ولمفازة الثانية دخلنا ،
فقطلعناها عَنقًا وذمياً في مدة أربعة أيام ، نزلنا في مُضَيَّ خامسها يبئر يُقال له : سَلِيمَة ^(١) ؛
وبهذا البئر رسومُ أبنية قديمة ، وهو في عرض جبل يسمى بهذا الاسم أيضاً ، (٤٨) فكشنا
فيه يومين ، حتى قضينا منه غرضاً . ومن خواص ^(٢) هذا المحل ، أن الحالَّ به يستأنس به ،
ولا يستوحش منه .

ومن العجائب أن الشبان من أهل القافلة يصعدون على الجبل الذي هناك ،
ويضربون الحجارة بعصى صغار كما يضربون الطبول ، فيسمع لها صوت كالطبل ،
ولا يعرف سبب ذلك ، أهو تجاوب في الحجر ، أو هي موضوعة على خاوي ؟ فسبحان من
يعلم حقيقة ذلك . وأخبرني أهل القافلة أن في بعض الليالي — وأظنهم قالوا في ليلة كل
جمعة — يُسمع من الجبل أصوات طبول ، وكأنه عُرس ، ولا يعرفون حقيقته .

ثم ارتحلنا صبيحة اليوم الثالث بعد ملء أدوات الماء ودخلنا مفازة ، سافرنا فيها
خمسة أيام ، وصلنا في ضحى سادسها إلى محل يقال له : لَقِيَّة ^(٣) . فوجدنا هناك آباراً محاطةً
بالرمل ، وماؤها عذب زلال . وقبل وصولنا لهذا المحل عَرَضَتْ لنا قافلة صادرة من بئر

(١) تقع هذه البئر في واحة سليمة القريبة من قرية عكاشة عند خط عرض ٣٢:٢١
وخط طول ١٩ : ٢٩ . وكانت هذه الواحة في الزمن القديم تحت حكم أميرة
اسمها سليمة . واشتهرت في الأساطير بكثرة اغاراتها على جيرانها في بلاد
النوبة . Browne, op. cit. pp. 186-187.

(٢) في الأصل : خواص .

(٣) ورد اسم « لقية » في براون بهذا الرسم : " Leghea " Browne, op. cit. p. 187.
وفي مقال شو عن درب الأربعين " Lagia " وهي على مسافة ١٤٠ ميلاً جنوب
غربي سليمة S.N.R. XII. Part I, p. 68.

النَّطْرُون^(١) المسمى بالزَّغَاوِي ، وأهلها من عرب يقال لهم : العمايم ، فقابلونا بالسلام ، ثم انصرفوا عنا بسلام .

فكُنَّا في لَيْمَةَ يَوْمَيْن ، وفي صَبْحِية اليَوْمِ الثَّالِثِ ارتحلنا للزَّغَاوِي قاصدين ، وإذْ بِهِجَّانٌ أَقْبَلَ مِنْ نَاحِيَةِ دَارْفُورٍ يُخْبِرُ بِوَفَاةِ الْمَرْحُومِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الْمَجِيدِ ، السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّشِيدِ ، مَلِكِ دَارْفُورٍ وَمَا وَالَاهَا ، وَسُلْطَانِ أَقْصَاهَا وَأَدْنَاهَا ؛ وَأَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى مِصْرَ لِتَجْدِيدِ الْخَاتَمِ (٤٩) الَّذِي تَحْتَمُّ بِهِ الْأَوَامِرُ السُّلْطَانِيَّةُ ، لَعَدَمِ مَنْ يَتَقَنَّهُ هُنَاكَ ، لِابْنِهِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ فَضْلًا ، وَذَلِكَ لِلْيَالِ مَضَتْ مِنْ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ ١٢١٨^(٢) . فَخَزَنَ أَهْلُ الْقَافِلَةِ عَلَى مَوْتِ سُلْطَانِهِمْ ، وَخَافُوا مِنْ وَقُوعِ الْفِتَنِ فِي أَوْطَانِهِمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ سُلْطَانًا عَادِلًا كَرِيمًا ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَذَوِيهِ ، مَبْغِضًا لِلْجَهْلِ وَمَنْ يَلِيهِ . وَسَنَتَكَلَّمُ عَلَى عَدْلِهِ وَأَحْكَامِهِ فِيمَا يَأْتِي بِأَبْسَطِ عِبَارَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ سَافَرْنَا مِنْ هُنَاكَ^(٣) ، خَمْسَةَ أَيَّامٍ ، أَنْخَلْنَا فِي سَادِسِهَا بَيْتَ الزَّغَاوِي ، وَهُوَ بَيْتُ النَّطْرُونِ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ دَارْفُورٍ مَسِيرَةُ عَشْرَةِ أَيَّامٍ كَامِلَةٍ . فَأَقْنَابَهُ أَحَدَ عَشَرَ^(٤) يَوْمًا ، نُصْلِحُ شُؤُونَنَا وَنَرْتَاحُ ، وَتَرْعَى دَوَابَّنَا^(٥) ، لِنَتَقَوَّى عَلَى قِطْعِ هَذِهِ الْمَفَاذَةِ الدَّهْمَاءِ . وَنُحَرِّثُ فِي إِقَامَتِنَا تِلْكَ عِدَّةَ جُزُرٍ ، وَفُرَّقَ لِحْمُهَا عَلَى أَهْلِ الْقَافِلَةِ . وَاجْتَمَعْنَا هُنَاكَ بِأَعْرَابِ الْبَادِيَةِ مِنْ دَارْفُورٍ ،

(١) بئر النطرون : يذكر براون أن اسمه بئر الملحَة وعلى مسافة قريبة منه يستخرج النطرون الذي يأخذه التجار إلى مصر حيث يبيعون الكمية القليلة منه بثمان

مرتفع . Browne, W.G. op. cit. p. 187.

(٢) رجب سنة ١٢١٨ هـ = نوفمبر ١٨٠٣ م .

(٣) في الأصل : ثم سافرنا من هناك ثم سافرنا خمسة أيام .

(٤) في الأصل : إحدى عشر .

(٥) في الأصل : دوابنا .

وَأَتَوْنَا بِلِينَ الْإِبِلِ وَسَمْنَهَا ، فَاشْتَرَيْنَا مِنْهُمْ مَا احْتَجْنَا إِلَيْهِ . وَكَانُوا أَتَوْا لِهَذَا الْبَيْتِ لِأِيْخُذُوا^(١)
مِنْهُ مِلْحًا وَنَظَرُونَا لِدَارْفُورَ ، لِأَنَّ النَّظَرُونَ وَأَكْثَرَ الْمَلَحَ لَا يُجْلِبُ لَهَا إِلَّا مِنْ هُنَاكَ .
وَكُنَّا قَبْلَ حُلُولِنَا بِالزَّغَاوِي ، أَرْسَلَتْ أَهْلُ قَافِلَتِنَا هَجَانًا لِدَارْفُورَ بِأَوْرَاقٍ إِلَى الدَّوْلَةِ
وَالِإِلَى أَهْلِهَا ، تُعَلِّمُهُمْ بِالْحِجَى وَأَنْهُمْ قَدْ قَفَلُوا سَالِمِينَ . وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ مَعَهُمْ كِتَابًا
لِلْوَالِدَى وَنَصَّه :

إِلَى حَضْرَةِ وَالِدَى ، وَأَعَزَّ النَّاسِ عِنْدِي ، (٥٠) السَّيِّدِ عَمْرِو التُّونُسِيِّ أَبَقَاءَ اللَّهِ آمِينَ .
بَعْدَ تَقْبِيلِ أَيَادِيهِ الشَّرِيفَةِ ، إِنِّي قَدْ أَتَيْتُ مَعَ قَافِلَةِ الْخَبِيرِ^(٢) فَرَجَ اللَّهِ ، صَحْبَةَ السَّيِّدِ
أَحْمَدَ بَدْوِي صَاحِبِكُمْ وَحَبِيبِكُمْ ، وَفَعَلَ مَعْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَجْلِ خَاطِرِكُمْ ، مَا لَا نَقْدِرُ عَلَى
وَصْفِهِ لِسَعَادَتِكُمْ ، وَالسَّلَامَ .

كَاتِبُهُ

وَلَدَكُمْ مُحَمَّدُ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمَانَ

فَأَخَذَهَا الْهَجَّانَ وَارْتَحَلَ مِنْ وَقْتِهِ . وَلَمْ أَرِ فِي أَسْفَارِي الَّتِي سَافَرْتُهَا أَهْوَنَ مِنْهَا ، لِأَنِّي
كُنْتُ فِيهَا فِي غَايَةِ الرَّاحَةِ : وَذَلِكَ أَنَّهُ^(٣) حَالَ خُرُوجِنَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَمَرَ السَّيِّدُ أَحْمَدَ

(١) فِي الْأَصْلِ : لِأَيْخُذُونَ .

(٢) الْخَبِيرُ : لِقَبْ يُطْلَقُ عَلَى قَائِدِ الْقَافِلَةِ فِي الصَّحْرَاءِ ، وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ بِالطَّرِيقِ ،
وَفِي دَارْفُورَ يَبْقَى مَتَمَتْعًا بِهَذَا اللَّقَبِ كُلِّ جَلَابِي (أَي تَاجِر) دَافِقٍ - وَلَوْ مَرَّةً
وَاحِدَةً - الْقَافِلَةُ الَّتِي تَسِيرُ سَنَوِيًّا مِنْ شَمَالِ بِلَادِ دَارْفُورَ مَخْرُوقَةُ الصَّحْرَاءِ
وَمَارَّةٌ بِدَرْبِ الْأَرْبَعِينَ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ شَمَالِ الْبِلَادِ وَيَنْتَهِي
فِي أَسْیُوطَ . وَمَنْلَ هَذَا الْقَائِدُ أَوْ الدَّلِيلُ تَعْيِينُهُ الْحُكُومَةُ كُلِّ مَرَّةٍ عِنْدَمَا تَقُومُ
الرَّحْلَةُ . وَلَكِنَّ اللَّقَبَ يَظَلُّ صَاحِبِهِ يَحْتَفِظُ بِهِ . هَذَا وَمِنْ الْوَاجِبِ مِلَاحَظَةُ أَنَّ
هَذَا الْخَبِيرَ غَيْرَ الْخَبِيرِ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَى رَئِيسِ الْجَلَابَةِ فِي الْإِقْلِيمِ .

Nachtigal, Gustav: Sahara und Sudan, Teil III, S. 333.

(٣) فِي الْأَصْلِ : إِنْ .

بدوى عبيده أن يضعوا الخيمة على أهْدَا^(١) جبل ، وأن يُوطِّئوها لركوب تَوَطُّئةً حسنة ، ففعلوا . وأخذ يبدى إلى أن سلَّنى خِطَامَ الجبل ، وأمر أن يأتوا بزمنية ملائنة ماء ، فجيئتُ وعُلِّقت على الجبل ، وقال : هذا جملك تركبه مهما أردت ، وتنزلُ عنه مهما أردت ، وهذه الزمنية تُشربُ منها كلما احتججت إلى الشرب ، وكلما فرغتُ مرُّ أحد العبيد يملأها^(٢) لك . وأمر جميع العبيد والخدمَة بطاعتي في ذلك .

وكان معه من العبيد الكبار سبعة ، وعبد صغير ، وثمانية من الخدمة ، ومعه من الجمال ثمانية وستون جملاً ، قد أعدَّ منها ثمانية للماء ، وأربعة للزاد . وفي وقت الدخول إلى المفازة كان يعلّق على كل جبل قربتين . وكان معه من السراري (٥١) خمسة ، وسادستها ابنة عمّه السيدة جمال ، وكانت من أجمل نساء [عصرها] ، وكان معه حصان دُقلاوى أسود ، لا يُقوِّم بمال الحُسْنِه ، وعليه سرجٌ غشاؤه قطيفة خضراء ، يقوده عبدٌ خاص به .

وكان السيد أحمد يلاطفنى ملاطفة الوالد لولده . فكنتُ إذا نزلت القافلة ، ربما نمتُ من تعب الرُّكوب ، وهزَّ الجبل ، وحرَّ الشمس ، فكان يدَثِّرُنِي ، وإذا جىء بالعشاء يوقظُنِي بلطفٍ ، ويطلب ماءً ويغسلُ وجهي ويدي ، ويأمرني بالضمضة لأفريق من النوم ، ويأخذ يدي ويضعها في الإناء ، وربما أخذ الطعام ووضعه في فَيٍّ ؛ ولم يزل هذا دأبه^(٣) معي حتى وصلنا بالسلامة .

ثم ارتحلنا من بئر الزغاوى ، [و] سافرنا عشرة أيام سفر الحجد ، نأخذ من أول

(١) كتب اللفظ في الأصل : أهدي .

(٢) في الأصل : يملأها .

(٣) في الأصل : دأبه .

الليل قطعة ، ومن آخره دجلة^(١) ، حتى وصلنا ضحى حادى عشرها إلى المَرْزُوب^(٢) ، وهو بئر في أول أعمال دارفور ، وقبله بنحو ثلاث ساعات أو أربع ، جاءتنا أعرابٌ بِقَرَبٍ من الماء واللبن ، فاستبشرنا بالسلامة ، ثم نزلنا البئر المذكور فأقننا فيه يومنا ، وفي صبيحته ارتحلنا نحو أربع ساعات ووردنا بئراً يقال له : السَّوِينَة^(٣) ، وهناك قابلنا قائدُ الولاية وحاكمها ، وكان يسمّى الملك^(٤) محمد سَنَجَقٍ ، وهو قائد الزَّغاوة^(٥) ، وهى قبيلة عظيمة من السودان - وأهل السودان يسمّون القائد ملكا - ومعه جيش كثيف أظنه نحو خمسمائة فارس ؛ (٥٢) فسلمَ عَلَى أهل القافلة ، وهنأهم بالسلامة .

فأقننا فى هذا المحلّ يومين ، ثم ارتحلنا وتفرقت الناس ، فكل أناس أخذوا طريق

(١) فى القاموس أن الدجلة السير من أول الليل ، وقد جعلها المؤلف السير من آخره .
(٢) لعل « المَرْزُوب » من مجموعة الآبار التى أشار إليها براون أثناء رحلته الى دارفور ، وقال انه أول بئر فى حدود دارفور ، ويقع فى وادى مسروق المعروف الآن بوادى زروق الواقع عند خط عرض ١٥ وخط طول ٢٥ -

Cf. Browne, op. cit. p. 189, S.N.R. XII Part I, p. 70.

(٣) بئر السوينة : بالقرب من بلدة " Sweini " حيث يقيم حاكم من قبل سلطان دارفور وهناك يتحتم على جميع الأجانب وتجار دارفور القادمين بالقوافل أن يبقوا مدة حتى يخطر السلطان بمقدمهم ، ثم يدفعوا الضرائب المفروضة على بضائعهم • Browne, W.G. op. cit. pp. 189-190

(٤) دأب المؤلف على أن يطلق لقب « ملك » فى ثنايا كتابه على كل حاكم فى سلطنة دارفور من شيخ القبيلة فصاعدا حتى السلطان ، وهو لفظ استعاره الفور من القبائل العربية التى هاجرت الى دارفور •

(٥) الزغاوة : خليط من الزنوج والتبو والليبيين • ويبدو مما ورد فى كتب المؤلفين العرب مثل المسعودى وابن سعيد والادريس وابن خلدون ، أن أوطان الزغاوة كانت تمتد غربا الى اقليم النيجر • غير أنهم يعيشون فى الوقت الحاضر شمال غرب دارفور • ولهم شعبة تسكن اقليم كامجار "Kamgar" فى كردفان • ويتكلم معظم الزغاوة اللغة العربية الى جانب لغتهم الأصلية وهى لغة التبو •

MacMichael, H. A. op. cit. p. 54.

بلادهم ، لأن أهل القافلة كلهم ليسوا من بلدة واحدة ، فأكثرهم من بلادهم المشهور المسمى كُوبسيه ^(١) ، وبعضهم من كُبْكَايِيَّة ^(٢) وبعضهم كالسيد أحمد بدوى صاحبي من سَرْف الدجاج ^(٣) وبعضهم من الشَّعِيرِيَّة ^(٤) ، وبعضهم من جديد كُريو ^(٥) ، وبعضهم من جديد السَّيْل ^(٦) .

(١) كوبيه : من أكبر مدن دارفور وقتذاك . تقع عند خط عرض ١١ : ١٤ وخط طول ٠٥ : ٢٨ وهي مركز تجارى هام عند ملتقى عدة طرق فى شمال دارفور . طولها حوالى ميلين من الشمال الى الجنوب ، ولكنها ليست عريضة ، وهي محاطة من جميع الجهات بحلات عديدة تعتمد فى حياتها على ما يجلب من كوبيه . ومعظم سكان كوبيه من الأجانب أو التجار . Browne, W. G. op. cit. pp. 234-5. ولقد اندبرت معالم كوبيه فى الوقت الحاضر ولم يبق سوى الوادى الذى يحمل اسمها وهو وادى كوبيه : راجع خريطة الفاشر نشر مصلحة المساحة السودانية .

(٢) كبكايية : مدينة هامة أهلة بالسكان على بعد ٩٢ ميلا غربى الفاشر . وكبكايية المنفذ الرئيسى للطرق المؤدية الى الأقاليم الغربية ومحطة لمنتجات هذه الأقاليم . Ibid. op. cit. pp. 237-8 ويذكر Lampen أن سلطان وادى أغار على دارفور زمن السلطان أحمد بكر (١٦٨٢ - ١٧٢٢ م) ونشبت بينهما عدة وقائع كان آخرها قريبا من مكان عرف فيما بعد باسم هذه الواقعة التى أحرز فيها سلطان دارفور نصرا على أهل وادى . وكبكايية اسم مركب من كلمتين «كبى-كاييه» ومعناها فى لغة الفور «ألقوا دروعهم»

S.N.R. XXXII, Part I, P. 185.

(٣) سرف الدجاج : اسم يطلق على بلدة وعلى آبار وربما كان المقصود بها آبار سرف الدجاج الواقعة قرب كبكايية عند خط عرض ١٤ : ١٤ وخط طول ١ : ١٤ . ومعنى سرف فى اللغة الفورية : سرف الجداد . وسرف فى لغة الفور معناها : بركة ، بكسر الباء

(٤) الشعيرية : اسم قرية وواد يقعان على مقربة من الفاشر عند خط عرض ٢٨ : ١٤ وخط طول ٣٦ : ٢٥ .

(٥) جديد كُريو : لفظ «جديد» من الأسماء المألوفة فى اقليم دارفور . ويحمل بعض القرى والآبار والوديان والجبال ، اسم جديد فقط ، أو يحمل اسم جديد مضافا اليه اسم آخر ، مثل جديد رأس الفيل وجديد السيل الخ . غير أن «جديد كُريو» لم يرد له ذكر فى تقويم الأماكن والبلدان السودانية ، ولعله هجر .

(٦) جديد السيل : يقع قريبا من الفاشر عند خط عرض ٥٢ : ١٣ وخط طول ٢٨ : ٢٥ .

فذهب كل منهم في مذهبه ، وأخذنا طريقَ سَرَفِ الدجاج ، فسافرنا سفراً هيناً نحو ثلاثة أيام ، ونزلنا في رابعها قربَ الظهر في ظلِّ جبلٍ بقرب بئرٍ ، فقلَّنا هناك . وجاءت أناسٌ كثيرون^(١) يهتفوننا بالقدوم ، وجاء هناك بدوى ابن السيد أحمد ، ومعه عبيدٌ وخدم بأطعمةٍ كثيرة ، فسلمَ على والده وهنَّاهُ بالسلامة ، وتغدينا وأقنا حتى أُنهرَ النهار ، وأخذ الشمسُ الظِّلَّ والاصفرار ، [ثم] تحلَّتْ الأحمال^(٢) ، ورُفعتْ الأثقال ، فلم يأتِ المغربُ إلَّا ونحن على ظهر [رواحلنا] مُقِلُّون ، [و] على الجادَّةِ سائرون . فدخلنا سرفَ الدجاج بعد العشاء . مفرد من الطويل :

فالقَت عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ
وبتنا تلك الليلةَ في مشقةٍ من كثرة المسامين ، وازدحام الداخلين والخارجين ، ومع ذلك لم يتهاون السيد أحمد بأمرى ، ولا شغلُهُ (٥٣) ماهوفيه عني ، بل أفرد لي حجرة ، وجعل فيها من الفرش والآنية ما أحتاج إليه ، وأنا لا أعلم ذلك ، بل حين طال على السهر دخلتُ عليه ، وقلت له : أين أنام ؟ فنادى بأحد العبيد وقال له : أَرِ^(٣) سيِّدك حجرته . فأخذني وأدخلني حجرةً رأيت فيها سريراً وفرشاً وآنية ، بل وجميع ما أحتاج إليه . وبِتُّ بأنعم ليلة ، حتى إذا أصبحتُ لبست ثيابي ودخلتُ عليه ، فوجدته جالساً في أُبهةٍ عظيمة ، بين خدمه وجواريه وأولاده ، قارًّا سارًّا ، كأنه لم يكن مسافراً .

فرحَّب بي وأكرمني ، فقبِلْتُ يده وجلست معه ، ثم قال لي : إن ابن أخى السيد أحمد الصغير ، قد صنع في هذا النهار وليمةً القدوم ، والتمس منى أن تتوجَّه إليه ،

(١) فى الأصل : كثيرون .

(٢) فى الأصل : الاحملا .

(٣) فى الأصل : أرى ، بضم الهمزة .

وتشرف مجلسه بحضورك ، فإن رأيت بك نشاطاً وأردت جبر خاطره فذاك إليك ، وما أريد أن أشق عليك . فقل : سمعاً وطاعة ، لكنني لا أعرف منزله . فأمر أحد غلمانه أن يعرفني منزله ، فذهبت وحضرت ضيافته ، فأعظم ملاقاي ، ورحب بي وكان يوماً عظيماً .

ثم إن جميع أهل القافلة صاروا يصنعون الولائم فتوالت ، وكل وليمة يدعوني فأحضرها ، حتى جاء عمي وتوجهتُ صحبته إلى والدي . وذلك أني كنت في ضيافة بعض الأصحاب ، وأتيت قرب المساء ، فدخلت الحجرة المعدة لي ، فرأيت فيها رجلين (٥٤) وعبدَيْن .

أما الرجلان ، فأحدهما أسمر قصير ، ذوهيئة حسنة ، جميل البزة ، يقرب لونه من لون الحبشة ، والآخر أسود رث الهيئة . فسلمتُ عليهما فردّا عليّ السلام ، وجلستُ متعجباً كيف دخلا في حجرتي بغير إذني ، فرأيتهما يتغامزان ، ويقول أحدهما للآخر : أهو هو ؟ فيقول الآخر : نعم ، هو . ولا أعرف علام^(١) يقولان ذلك . ثم سألتني الرجل الأول وقال لي : أنت من هنا ؟ فقلت : لا ، أنا من مصر ، جئت ملتصقاً لأبي . فقال : ومن أبوك ؟ فقلت : أبي السيد عمر التونسي . فقال لي السوداني : سلم على عمك السيد أحمد زروق . فسلمت عليه حينئذ . وبعد السلام أخرج لي مكتوباً فيه بعد السلام :

إنه قد جاءنا كتاب من ولدنا السيد محمد ، أخبرنا فيه أنه قدم صحبتك وفعلت معه من المعروف ما أنت أهلُه ، فجزاك الله عنا خيراً ، وهذه منّة لا أكاد أقوم بشكرها ،

(١) في الأصل : علي م .

وصنيعةٌ لا أقدر على مكافأتها ، ومن المعلوم أن المهاداة^(١) سنة من أول الزمان ، وقد قبل الهدية سيّد ولد عدنان ، ولذا قال عليه صلاة ربنا المنان . « تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء من قلوبكم » . وقد أرسلت لحضرتك صحبة أخى السيد أحمد زروق عبدّين سداسيين^(٢) ومُهراً أحمر ، أرجو من سعادتك قبولهم ، وهم على قدر مقامى ، لا (٥٥) على قدر مقامك ، والله [دَرُّ] القائل ، شعراً ، من البسيط :

جاءت سليمان يوم العرض هُدهدٌ أتت له بجرادٍ كان في فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلةً إن الهدايا على مقدار مُهديها
لو كان يُهدى إلى الإنسان قيمته لكان قيمتك^(٣) الدنيا وما فيها
ومنا السلامُ عليكم وعلى أولادكم وأهلِ منزلكم ، ومن يحويه مجلسكم السعيد .

وقال لى : خذ هذا الكتاب وقرأه على عمك السيد أحمد . فذهبت به وقرأته عليه ، وأحضرت الهدية فرآها وبارك فيها ، ثم قال : إني قبلتها ووهبتها لابنى هذا . يعينى . فألححت عليه أنا وعمى في قبولها فأبى إلا ذلك ، وقال : إني لو أفنيت أموالى كلّها فى مرضاته ، لما كان ذلك جزاء له بما صنع معى من المعروف ، فتجاسرتُ عليه حينئذ ، وسألته بالله العظيم ، إلّا ما أخبرنى عن هذا المعروف الذى صنعه معه .

فقال لى : اعلم يا ولدى أن أعدائى وشوّابى إلى حضرة السلطان بآنى أبيع

(١) فى الأصل المهادات .

(٢) العبد السداسى : هو الذى يبلغ طوله ستة أشبار من أخمص قدمه الى شحمة أذنه . Voyage au Darfour, p.39.

(٣) وفى رواية : لكنت أهديتك .

الأحرار^(١) وزخرفوا له القولَ حتى استقر في ذهنه أن الأمر صحيح . فغضب لذلك وقال :
 تاجرٌ مثلُ هذا في غنائه يفعلُ هذا الفعل ؟ ! الفقر أولى به ! فأحضرني من دارى على
 غير صورة ، وحين دخلتُ عليه وبخني وقرّعتني بالكلام المؤلم ، وطلبتُ تحقيق ما قيل فيَّ
 فلم أتمكن من ذلك ، ولا أسمع لى قولٍ ، (٥٦) بل أمر بالقبض علىَّ ، وأن توضع الأغلال
 في عنقي ، ويضيقَ علىَّ في الحبس .

وكان من لطف الله تعالى أن أباك حاضر بالجلس ، فلم يتجاسر أحد [على أن] يشفعَ
 لى عنده لما قام به من الغضب . وحين رأى والدك ذلك تقدّم وتحنّح ، وذكر أحاديثَ
 في العفو عن الجاني ، وتلا : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا »^(٢) .
 ثم شفع فيَّ فشفعه السلطان وأمر بإطلاقي ، وبعد ذلك ظهرت له براءتي ؛ ولكن لولم
 يُسخره الله لى في تلك الساعة لذهبتُ نفسى وأموالى كلها ! فأبى جميل أ كبر من هذا ،
 وأبى صنيع^(٣) أعظم من هذا !

ومع ذلك كله فأجرُ أبيك فيما فعله معى على الله ، وإبنى طالما كنتُ أترقب له
 حاجةً تأتى على يدي فأقضيها له ، فلم^(٤) يتيسر لى إلا هذه الخدمة ، وعسى أن يكون فيها
 قضاء بعض ما وجب علىَّ ، ولا أظن ذلك .

ثم أراد عمتى أن يسافر صبحَ ذلك النهار ، فأبى السيد أحمد . فكنتنا بعد ذلك ثلاثة^(٥)

(١) فى الأصل : الاحرارى .

(٢) سورة الحجرات ، آية ٦ .

(٣) فى الأصل صنع .

(٤) فى الأصل : لم .

(٥) فى الأصل : ثلاثا .

أيام ، وفي صبيحة اليوم الرابع دخلتُ عليه لأودّعه ، فأعطاني خرزاً كثيراً يضعنه^(١)
نساء السودان في أوساطهنّ من قبيل الزينة يسمّى عندهن : رُقَادَ الفأقة ، ومعناه : نوم
الراحة . وأعطاني خرزاً آخر غالى الثمن ، يجمعانه في أجيادهن ، وهو على أنواع .
منه ما يسمّى بالرّيش ، وهو (٥٧) خرز أبيض مستطيل ، فيه بعض خطوط سُمر،
معروف بهذا الاسم في مصر أيضاً .

ومنه ما يسمّى بالنصوص ، وهو خرز أصفر من كهربان^(٢) مستدير مفرطح .
ومنه خرز كروي الشكل أحمر غير ناصع ، يسمّى بالعقيق ، فأعطاني منها ما يزيد
على عقدين ، وثمنه ينوفُ عن ثلاثة رؤوس من الرقيق .
وأعطاني عمامة خضراء من الشاش جديدةً ، وسُنْبُلاً ومَحَلِّباً وصَنْدَلاً كثيراً ،
وهذه الثلاثة من العِطاريّات ، يتطين بها نساء السودان . وقال : فرّق هذه الأشياء
بين نساء أبيك . وذبح لنا شاةً وحَنَذاً^(٣) . وبلغتهم يقال لها : نِصِيص ، ثم زوّدناها
وودّعنا وركبنا .

وكان مع عمّي عبد آخر كبير . فركبتُ الفرس ، وركب عمي هجيناً ، وركب
الرجل حماراً فارها ، وسعت العبيد أماننا ، وسرنا قاصدين محل أبي . وكان بمحل
يقال له : أبو الجدول^(٤) ، وبينه وبين سَرَف الدجاج ستة أيام سفر .

(١) كذا بنون النسوة وقد دأب المؤلف على مثل هذا التعبير في مواضع كثيرة من
الكتاب . وسترى بعد قليل قوله : « يتطين بها نساء السودان » .

(٢) كذا بالباء ، بدل : كهرمان .

(٣) حند الشاة : شواها وجعل فوقها حجارة محمّاة لتنضجها فهي حنيد . أو هو
الحار الذي يقطر ماءؤه بعد النّس . (القاموس)

(٤) أبو الجدول : منطقة كانت تستعمل زمن المؤلف على عدة قرى جنوبى الفاشر .
ويطلق هذا الاسم الآن على قرية وواد في هذه المنطقة عند خط عرض ٠٢ : ١٣
وخط طول ٢٨ : ٢٥ .

فخرجنا من سرف الدجاج ، ومررنا بالبلد المسمى بكَبْكَايَّة ، وهى بلد أشبه ببلاد ريف مصر ، إلا أنها أعمر منها وأخصب ، لأنها آهلة بالسكان ، مغتصّة بالقاطن . وأهلها تجار أغنياء ، وعندهم من الرقيق ما لا يحصى كثرة .

ولهم نخيل وأرض واسعة^(١) ، فيها آبار قريبة الماء ، يزرعون بها أنواع الخضروات والبقول ، من بامية وملوخية وقرع وباذنجان وفقوس وفنّاء وبصل وحلّبة (٥٨) وكمّون وفلفل وحبّ رشاد ، وكلّه كما نعهد إلا الفلفل ، فإنه حب رفيع أغلظ من الشعير بقليل . وعندهم بعض شجر الليمون الحامض .

وبقرهم جبل يقال له : مرّة ، وهو جبل يشق إقليم الفور من أوله إلى آخره مع الاستقامة ، وله عدة طرق تصعد الناس منها إليه ، ولكل قطعة منه اسم خاص به غير الاسم^(٢) العام . والفور يسكنون فى أعلاه ، ولا يألفون الوهاد ، بل يرون أن ذلك أصون لهم ولأموالهم . وسأتى لهذا مزيد توضيح .

وحين مرورنا بكَبْكَايَّة وجدنا سوقها عامرا ، فأخذنا منه ما احتجنا إليه ، ثم توجهنا فسافرنا ثلاثة أيام فى عرض جبل مرّة ، وصرنا نبيت ببلاد أقوام مستوحشين يكرهون الضيوف ، خصوصا إن كانوا من أولاد العرب . فأصابتنا منهم مشقة عظيمة ، حتى صرنا لا نبيت عندهم إلا كرها عليهم ، مع أن معنا أزوادنا ولا نحتاج لهم فى شيء ، فكانوا ينفرون منا بالطبع .

وبعد ذلك خرجنا إلى السهل فبتنا ليلة واحدة بمحل يقال له : تارّنيه^(٣) ، فأكرمونا هناك وصنعوا لنا ضيافة عظيمة .

(١) فى الأصل واسع . (٢) فى الأصل : اسم .
(٣) يقع هذا المحل الى الجنوب الغربى من الفاشر حسبما جاء فى خريطة المؤلف المنشورة ضمن الكتاب . والموجود مكانه فى الخرائط الحديثة راد وجبـل يحملان هذا الاسم عند خط عرض ١٧ : ١٣ وخط طول ٥٦ : ٢٤ .

وفي صُحى اليوم السادس دخلنا البلدة التي فيها والدى ، المسماة : بَجَلَّة جُولْتُو ، وهي من جَمَلَة حِلَل أبي الجدُول . فرأينا على باب دار والدى خيلاً وحيداً وخدمًا لأضيافٍ كانوا عنده ، فدخلنا الدار ، وعرضنا جوارى وعبيداً يَسْلَمون علينا ويُهَنُونِي (٥٩) بالسلامة . ثم جاء والدى بعد أن ركب أضيافه وسلم على ، فقامت وقبلت يده ، ووقفت أمامه خِدْمَةً له . فأمرني بالجلوس فجلست . فسألني : ما الحرفة التي تعلمتها ؟ فقلت له : القرآن وشيئاً من العلم . فسُرَّ لذلك وصنع ثاني يوم مجيئى وليمة ذبح فيها عدة شياه وبقر ، ودعا الناس ، فجاء خلق كثير فأكلوا وكان يوم سرور .

ثم إنه بعد ثلاثة أيام جهَّزنى وعمى السيد أحمد إلى الأعتاب السلطانية ، بهدايا من عنده إلى حضرة السلطان ، ووزيره الأعظم إذ ذاك [الأب] الشيخ ^(١) محمد كُرا ، والفقيه مالك الفُوتَاوى ، وهو وكيل أبى ، وحوالجه التي تعرضُ للدَّولة كلها على يده ، وهو من

(١) منصب الأب الشيخ من أهم المناصب وأشدّها خطراً فى سلطنة دارفور بعد السلطان . فهو الوزير الأعظم - أى رئيس الوزراء ، والقائد العام للجيش . فضلاً عن أنه كان يتولى حكم إحدى الولايات الأربع التى أقطعها إياه السلطان . والمعروف أن الرسم جرى فى دارفور ألا يتولى منصب الأب الشيخ سوى عبد خصى ، ومع هذا تولاه محمد كرا وهو من الأحرار . وتفسير ذلك أنه التحق بحرس السلطان تيراب ثم غدا مشرفاً على تربية أولاده ومصالحه الخاصة . ويقال انه خصى نفسه بيده ليدفع عن نفسه تهمة خيانة سيده ، فألحقه السلطان بخدمة أحد الوزراء وأبدى كفاية ممتازة فى عمله . ثم تمكن بمهارته أن يساعد عبد الرحمن الرشيد فى الوصول الى عرش السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان تيراب ، فعينه فى منصب الأب الشيخ . Voyage au Darfour. pp. 44, 62, 65, 78 . 80, 137, 173 . وكان الاب الشيخ يتولى - فضلاً عن ذلك - النظر فى القضايا الهامة التى يحتاج الفصل فيها الى الرجوع الى قانون دالى ، وهو القانون العرفى للبلاد . فقد كان الأب الشيخ المرجع الأعلى لهذا القانون . S.N.R., XXXIII. I, pp. 134-135 . ثم انه كان الأمين على نحاس السلطنة . سقير نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

[فُوتِه إِحْدَى حِلَل] ^(١) قبيلة تسمى : الْفَلَان ^(٢) . وَأَهْلُ دَارْفُورِ يَسْمُونَهَا . الْفَلَاتَةُ ، وَفَلَاتَا بِالْأَلْفِ فِي الْآخِرِ أَصَحَّ . وَالْفَقِيهُ مَالِكُ الْمَذْكُورِ أَعْظَمُ الْوُزَرَاءِ مِنْ أَوْلَادِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ يَوْمُئِذٍ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ فَضْلِ بْنِ الْمَرْحُومِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَغِيرًا . وَكَانَ زِمَامُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِ [الْأَبِ] الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ كُرًّا ، وَ [كُرًّا] مَعْنَاهُ بِالْفُورَاوِيَّةِ : الطَّوِيلُ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَضَدَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ فَضْلَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِ مَلِكِهِ ، وَنَابَ عَنْهُ فِي الْأَحْكَامِ وَتَدْيِيرِ الْمَمْلَكَةِ لِصِغَرِ سِنِّهِ ، وَقَدْ شَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ [مِنْ] أَهْلِ دَارْفُورِ أَنَّهُ مِنْ عِبِيدِ السُّلْطَانِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ هُوَ حُرٌّ ، خَدَمَ السُّلْطَانُ ، وَأَغْنَى فِي خِدْمَتِهِ ، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ ^(٣) (٦٠) الْأُمُورِ حَتَّى تَرَقَّى لِلْوِزَارَةِ الْعِظْمَى بِحَسَنِ تَدْيِيرِهِ ، وَتَصَرَّفَ فِي مَمْلَكَةِ دَارْفُورِ حَتَّى كَانَ لَا تَعْلُو عَلَى كَلِمَتِهِ كَلِمَةٌ غَيْرَ [كَلِمَةِ] السُّلْطَانِ . وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهِ دَهَاءٌ وَمَكْرٌ ، وَشَجَاعَةٌ وَإِقْدَامٌ ، وَحِيلٌ عَلَى الْأُمُورِ حَتَّى يَنْفِذَ أَغْرَاضَهُ ، وَسَتَاتِي سِيرَتِهِ وَسِيرَةَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَابْنَهُ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ فَضْلَ ، وَأَخِيهِ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ تِيرَابَ مَفْصَلَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) أَضْيَفَ مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ عَنْ التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ * Voyage au Darfour, p. 44

(٢) يَعْرِفُ الْفَلَانُ فِي السُّودَانِ بِاسْمِ الْفَلَاتَا ، وَلَا يَقْتَصِرُ هَذَا الْاسْمُ عَلَى الشَّعْبَةِ الَّتِي تَعِيشُ فِي جَنُوبِ جَبَلِ مَرَّةَ ، بَلْ يُطْلَقُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْهُمْ انْتَشَرَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ جِهَاتِ السُّودَانِ وَلَا سِيَّمَا فِي شَرْقِهِ * وَهُمْ مِنَ الْحَمَامِيِّينَ الَّذِينَ امْتَزَجَتْ دِمَاؤُهُمْ بِالْدِمَاءِ الْعَرَبِيَِّّةِ * وَإِذَا كَانَتْ بَعْضُ جَمَاعَاتٍ مِنْهُمْ هَاجَرَتْ مِنْ مَوَاطِنِهَا الْأَصْلِيَّةِ ، شَمَالَ نِيجَرِيَا وَغَرْبَ أَفْرِيقِيَا فِي أَزْمَنَةِ حَدِيثَةِ إِلَى دَارْفُورِ ، فَإِنَّ غَالِبِيَّتَهُمْ هَاجَرَتْ إِلَيْهَا مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ . وَلَعَلَّ أَكْبَرَ هِجْرَةٍ لَهُمْ كَانَتْ زَمَنَ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بَكْرٍ (أَوَاخِرَ الْقَرْنِ ١٧ م) ، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَيَعِيشُونَ عَلَى نَسْقِ الْحَيَاةِ

الَّذِي اعْتَادُوهُ فِي غَرْبِ أَفْرِيقِيَّةِ * MacMichael, H.A.: op. cit. p.83 .

(٣) فِي الْأَصْلِ : بَعَاءٌ *

فرسبنا من أبي الجدول إلى تندلتي^(١) ، وهو مقر السلطان^(٢) ، في أول شعبان سنة ١٢١٨^(٣) ، ويسمى بلغتهم : الفاشر^(٤) . وكل محل سكنه السلطان يسمى فاشراً . فسافرنا يومين سافراً غير شطيط ، ودخلناه ضحوة الثالث ، فوجدنا بلداً يموج بالسكن ، ويرتج بالقطن ما بين راكب وماشي^(٥) ، وجالس وغاشي^(٦) ، وطبول ترعد ، وخبول تركض .

فدخلنا دار الفقيه مالك ، فوجدناه جالساً بين خدم وحشم ، وأرباب الحوائج محتقون به . فدخلنا عليه ، فسلم عليه عني ، فأعظم ملاقاه ورحب به ، فعرفه عني بي ، فسلم على وبش في وجهي ، ورحب بي .

ثم إن عني أعطاه الكتاب الذي له ، والكتب التي للدولة ، فقرأ كتابه ورحب [بنا] ، وأفرد لنا محلاً وضعنا فيه متاعنا ، ثم أخذنا في الحال إلى دار [الأب] الشيخ محمد كراً ، فرأينا داراً على بابها من الخيل والدواب ما لا يحصى كثرة ، ودخلنا فرأينا جالساً في (٦١) مجلس

(١) تندلتي : اسم قديم لبحيرة (أي : فولة) ، وقد نشأت حولها مدينة الفاشر

الحالية . S.N.R. XXXIII, Part I, p. 138.

(٢) في الأصل : السلطاني .

(٣) شعبان سنة ١٢١٨ هـ = ديسمبر سنة ١٨٠٣ م .

(٤) كان يطلق اسم الفاشر أول الأمر على مجلس السلطان . ولما كان هذا المجلس ينعقد في الغالب في ميدان واسع يقع أمام قصر السلطان ، فقد عرف الميدان كذلك باسم الفاشر ، ثم صار الاسم يطلق بعد ذلك على أي مكان يستقر فيه السلطان .

Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa, Vol. III,

pp. 552-53.

(٦٥) في ورود اللفظين : « ماشي » ، و « غاشي » ، بالياء في الأصل دليل على أن المقصود هو الاستعمال العامي وليس الفصيح الذي يقتضي حذف الياءين . ومن هذا وكثير غيره نلاحظ أن المؤلف يزاوج كثيراً بين الفصحى والعامية في أسلوبه .

حَقْل ، وأرباب الدولة محتفون به ، فسلم علينا ولم يعلم مَنْ أنا ، ثم سأل وقال : من هذا ؟ فقال له الفقيه مالك : هذا ابن الشريف عمر التونسي ، العالم ، المقيم بأبي الجُبدول ، وقد أرسله مُحبّة عمّه ليسلم على سعادتك ، وهذا كتاب أبيه .

فأخذ الكتاب وفتحه ، ولما علم ما فيه صار يلاطفني ويحييني^(١) إكراماً لوالدي ، وقدّمَت له الهدايا فقبلها ، وأمر بإدخالها إلى خزائنه ، وأقبل يلاطفني بالتحية إكراماً لوالدي ، ثم أمر الفقيه مالك أن يبقينا عنده حتى يأذن لنا في التوجّه ، فبقينا عند الفقيه مالك ثلاثة أيام ، ونحن في أكرم ضيافة وألذّ ائتناس .

وفي اليوم الرابع دعانا [الأب] الشيخ محمد كُرّا على يد الفقيه مالك ، وكساني كشميراً أخضر ، وجبة خضراء ، وقفطاناً من القطن الهندى ، وأمر لى بجاريتين وعبد ، وكتب لأبى كتاباً قرأته بعد ذلك عند أبى وصورته :

من حضرة من أكرمه الكريم ، ولا يفارقه الخير والنعم ، الوزير الأعظم ، المتوكّل على مَنْ يسمع ويرى ، الأب الشيخ محمد كُرّا ، إلى حضرة الأستاذ الأعظم ، والملاذ الأفخم ، علامة الزمان ، ومُحبّة سلاله سيد ولد عدنان ، السيد الشريف عمر التونسي دام مجده آمين .

أما بعد : إنه قد حضر لدينا نبجلكم المكرم ، مُحبّة أخيك المحترم المعظم ، بما أهدىتموه لنا ، حسبما هو مشروح في جوابكم ، وفرحنا غاية الفرح (٦٢) بأمرين : الأول اجتماع شملك بقرّة عينك . والثانى بأننا نؤمل إقامتك فى بلدنا ، وهذا هو المقصود الأعظم ، لتحصل لنا البركة بكم أهل البيت . وقد أتحفناه بما صحبه ، ونرجو أن يكون مقبولاً لديكم .

(١) فى الأصل : يحيينى .

ولولا ما نحن فيه من الأشغال ، لكان الأمر أبلغ من ذلك ، فالمعذرة إليك ، وأؤمل ألا تنساني من صالح دَعَوَاتِكَ ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

ثم إن الفقيه مالك قدّم لي جاريةً ناهدًا ، وجواباً قرأته بعد ذلك أيضاً ، مضمونه بعد السلام :

إنه قد ورد علينا كتابكم ، صُحبةً نجلّسكم وأخيمكم ، وقدّمناهما إلى حضرة [الأب] الشيخ محمد كُرّا ، وقد دخل عليه من السرور ما لا يعلمه إلا اللهُ بقُدوم نجلّك ، كما يُفصح لك كتابه عن ذلك ، ونحن أشد فرحاً منه ، لما بيننا من المودة ، وما أهداه [الأب] الشيخ محمد كُرّا لنجلّك يُتلى عليك ، ويصل بين يديك ؛ وها نحن قد أتمخفنا لنجلّك الكريم بجارية كَوْعَبَةٍ مَتْرَبَةٍ — أراد هنا : كاعبة^(١) ، وأما قوله : مَتْرَبَةٍ ، لا^(٢) معنى له ، وذلك من جهل الفقيه ، وهذا أى « كاعبة » و « مَتْرَبَةٍ » مذكور في القرآن في وصف الحُور^(٣) ؛ وأراد الفقيه أنه يدعى عالماً فإنه غلط^(٤) ، وقال هنا قولاً بدون معنى — واسمها حُمَيْدَة^(٥) ، عسى أن تُلاحظ بالقبول ، كما هو المأمول ، والسلام .

فأخذنا جميع (٦٣) ذلك ، وتوجّهنا لوالدي فرحين مسرورين ، ففرح بقُدومنا ، ثم أقننا جميعاً مدة شهر رمضان ، وحين انقضاءه توجّه أبى إلى الفاشر للسلام ، وقابل الأب

(١) يقال : جارية كاعب ، أى : نهّد ثديها ، ولا يقال : كاعبة .

(٢) كذا في الأصل بدون فاء ، وكثيراً ما تحذف الفاء في مواضع آخر كهذا الموضع .

(٣) يقصد بذلك قوله تعالى : « وكواعب أترابا وكأسا دهاقا » سورة النبأ ، آية ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) كذا في الأصل : وهى عبارة مضطربة الاسلوب .

(٥) بدون ضبط في الأصل : وقد ضبطناه هكذا في المتن عن الترجمة الفرنسية

الشيخ محمد كركرا، وطلب منه الإذن في التوجه إلى تونس ليرى أمه وأخويه، ويجتمع بهم قبل وفاة أمه. وأعلمه أنه سيتركنى في بيته وبلاده، لأن البلد التي كان فيها إقطاع له، أقطعهما له المرحوم السلطان عبد الرحمن قبل وفاته، وكان قبل ذلك أقطعه بلاداً في المحلّ المسقى بقرلي^(١)، فأبى والدى الإقامة فيه لعجمة لسان أهله، وعدم معرفتهم العربى، فنقله إلى هذه البلد.

وهذا الإقطاع يشتمل على ثلاثة بلاد: حلة جولو الذى فيه بيتنا، والدبة، وأم بعوضة^(٢). فاتفق مع الشيخ محمد كركرا أن يتركنى في هذه البلاد، أجمع خراجها، وأن تنفع بزرها. فأخذ عليه الموائيق بالعود، وأذن له، وكتب له عدة أوامر إلى العمال الذين بطريقه أن يعطوه جميع ما يحتاج إليه، وأن يرسلا معه جنداً يوصله إلى محل الأمن. وودّعه ورجع إلينا مهتماً بأمر السفر.

فجهز نفسه في أقرب وقت: وذلك أنه باع ما عنده من القطن، وكان عنده قطن كثير ينوف عن^(٣) مائة قنطار، لأنه كان زارعاً قطعة أرض تزيد عن^(٣) عشرين فداناً من أقدنة بر مصر قطناً، وكانت هذه القطعة يجمع منها وقت (٦٤) هجوم القطن في كل يوم أربع عشرة ريكة^(٤)، والريكة في عرف أهل دارفور كالقفة في عرف أهل مصر.

(١) قرلي: يقع هذا المحل شرقى كيكابية كما ورد فى خريطة المؤلف المنشورة مع الكتاب، وجنوبى كيكابية كما ورد فى خريطة المترجم بيرون، وفى لامين فى S.N.R. XXXI Part. II p. 186 أنه يجوار كيكابية. ولم يرد لهذا المكان ذكر فى تقويم البلدان والأماكن السودانية، والراجع أنه هجر.

(٢) الدبة وأم بعوضة حلتان كانتا تقعان فى منطقة جولتو فى الجنوب الغربى من الفاشر، وليس لهما ذكر فى تقويم البلدان والأماكن السودانية.

(٣) كذا، بدل: على، فى الموضعين.

(٤) ريكة تنطق هذه الكلمة: بامالة الراء.

وهي رثما لو صُبت فيها غلال تسع^(١) نحو خمسة أرباع بالربيع المصري . فباع كل ذلك ، وباع مراح غنم كان عنده ، وكذا باع البقر والحير ، وأخذ جواريه وعبيده ، وما حصل لى من السيّد أحمد بدوى ، ومن الأب الشيخ محمد كُرا ، ولم يترك لى إلّا جارية بعينها بياض تسمى فرحانة ، وعبدَيْنِ وامراتيهما ، وحماراً وهجيناً ضعيفاً ، وترك لى إحدى نسائه [و] تسمى : زهرة ، وامرأة أخيه ، وكلٌّ منهما^(٢) معها بنت . وباع مطامير الغلال ، ولم يبق لى إلّا مطموراً واحداً ، وأعطاني وثيقة الإقطاع التى كتبها له المرحوم السلطان عبد الرحمن حين أقطعه الأرض المذكورة ونصّها :

من حضرة السلطان الأعظم ، والملاذ الأتم ، سلطان العرب والعجم ، ومالك رقاب الأمم ، سلطان البرّين والبحرين ، وخادم الحرمين الشريفين ، الواثق بعناية الملك المبدى المعيد ، السلطان عبد الرحمن الرشيد^(٣) ، إلى حضرة الملوك^(٤) والحكام والشرّاتى^(٥)

(١) فى الأصل : يسع .

(٢) فى الأصل : منها .

(٣) السلطان عبد الرحمن الرشيد (١٧٨٧ - ١٨٠١ م) . كان من بين الألقاب التى تلقب بها عبد الرحمن : اليتيم والعاقل والرشيد . ويقال انه لقب باليتيم لأن أباه مات وتركه طفلاً رضيعاً . ولقب بالعاقل لعدله ، وبالرشيد لأنه أرسل هدية للسلطان العثمانى فأرسل اليه السلطان كتاباً يشكره فيه على هديته ويلقبه بالرشيد ، وهو اللقب الذى عرف به فى اختتام سلاطين دارفور . شقيق: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ٢ ص ١١٨ ، وستأتى سيرته مفصلة فى هذا الكتاب .

(٤) سبقت الإشارة الى هذا اللفظ فى ص ٥٤ حاشيته ٤ .

(*) الشرّاتى أو الشرّاطى ، جمع مفردة : شرّتاى أو شرّطاى . وهو لقب يطلق على حاكم الاقليم . وفى MacMichael. H.A. op. cit. p. 104 أن الفور يطلقون على الشرّطاى لقب « كيزو » أو « كيزونج » .

والدمالج^(١)، وأولاد السلاطين والجبايين^(٢)، وأهل دولة السلطان، من العرب والسودان .
أما بعد : فإن السلطان المذكور المبرور ، المؤيد المظفر المنصور ، تفضل وأمدَّ
بمعونته ، وأعطى العلامة السيد الشريف عمر التونسي قطعة من الأرض ، كائنة بأبي (٦٥)
الجدول ، حاوية لثلاث حِلل^(٣) : حِلَّة جوتو والدَّبة وأمَّ بعوضة ، بحدودها المعروفة ،
وأَتْخامها الموصوفة ، حسبما حدَّده الملك جَوهر لملك خميس عزفان^(٤) ، لا يعارضه فيها
معارض ، ولا ينازعه من أهل المملكة ، خصوصاً جبايي العيش^(٥) يتصرف فيها
بأى نوعٍ من وجوه التصرفات شاء ، هبةً لوجه الله تعالى ، وطلباً لثواب ، في دار المآب .
والحذر ثم الحذر من الخلاف ، والتعرض من الخاص أو العام .
ثم إن والدى حمل أثقاله ، وأخذ رقيقه وسُرَّيته وأخاه ، وتوجَّه وأبقاني
في الحِلَّة .

وفي شهر رجب سنة ١٢١٩^(٦) ، قُتل الأب الشيخ محمد كُراً في حرب عظيم ،

(١) الدمالج جمع : دمالج . وهو لقب يطلق على شيخ القبيلة . ويرأس
الشرتاى عدداً من الدمالج . والدمليج لفظ عربي معناه : السوار . وقد حور
الفور اللفظ الى دلمونج وجمعوه على : كلمو ، بكسر الكاف راجع :

Mac Michael, H.A. op. cit. p. 104

(٢) الجبايين جمع جباى أى جابى . وهو لقب يطلق على من يجبى الضرائب
المفروضة على أهل اقليمه . ويعرف رئيس الجبابة عند الفور باسم : ملك
الجبايين Voyage au Darfour. p. 51

(٣) فى الاصل : حلل من .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى الترجمة الفرنسية : عرمان ، بالميم

Voyage au Darfour p. 51

(٥) العيش : بامالة العين ، معناه فى اللهجة السودانية : الذرة بأنواعها ، ويعمل
منها الخبز .

(٦) رجب سنة ١٢١٩ هـ = أكتوبر - نوفمبر سنة ١٨٠٤ م .

وقع بينه وبين السلطان محمد فضل . وسببه : أن أعداء الأب الشيخ محمد كُروا دخلوا بالفتنة والسعاية بينه وبين السلطان ، وقالوا للسلطان : إن الأب [الشيخ] يريد نزع المملكة منك ، ويولّي عليها أخاه باسى^(١) عوض الله ! فأظلم الجوؤ بينهما ، واحتال السلطان وجماعته في القبض عليه ، فلم يتيسّر له ذلك . وانعزل الأب [الشيخ] بجماعته في بيت آخر كان له بتندلتي ، بعيد عن بيت السلطان . وأرسل له السلطان أن يأتي إليه فأبى ، فلما لم يجد السلطان وجماعته حيلةً للقبض عليه وامتنع عنهم^(٢) ، منعوه الماء . فكثّ ثلاثة أيام يستقي من جديد السيل . ثم لما اشتدّ العطش بجماعته قالوا له : إنّا قد (٦٦) عطشنا ، وليس عندنا من الدوابّ والقرب ما يأتي لنا بالماء الذي يكفينا ، فارحل بنا إلى محلّ آخر نشرب منه الماء ، أو دبّر لنا حيلة .

فركب حينئذٍ هو وعسكره ، وتوجّه للرّهد ، وهو غدير الماء بتندلتي ، فوجد عليه حارساً من دولة السلطان ، مع عسكري كثيف يمنع جماعته ، وهو الملك محمد دلدن ، ابن عمّة السلطان محمد فضل ، فقتله وقتل جماعته قتلاً ذريعاً .

وسمع بذلك جماعة السلطان فخرجوا عليه ، ونشب الحرب بينهما ، فأنكشفت جماعة السلطان ، وكان [ذلك] ظهر يوم الخميس ، وخاف السلطان على نفسه ، ففرّ إلى جديد السيل . وكان يوماً على السلطان وجماعته لا لهم ، وما زال الحرب بينهم حتى أمسى المساء ، فنزل [الأب] الشيخ محمد كُروا بجماعته في عرض الغدير ، ونزل جماعة السلطان قبائهم من الجانب الآخر ، حتى أصبح الصباح .

(١) باسى : لقب ، معناه في لغة الفور : عظيم أو طويل ، وعمل صاحب هذا اللقب الاشراف على أمراء البيت المالک في دارفور ومراقبة سلوكهم وتصرفاتهم . ويشترط فيمن يحملون هذا اللقب ان يكونوا من نسل السلاطين السابقين :

Nachtigal : op. cit. p. 427, S.N.R, XXXII, Part I, p 44.

وكان الأب [الشيخ] افتقد بالليل جماعته ، فوجد أخاه باسى عوض الله قد قُتل في الحرب . فحزن لذلك وقال : لمن أقاتلُ وقد مات أخي وأعزُّ الناس عندي . وكان قد أخرج معه باسى طاهر بن السلطان أحمد بُكر^(١) ، عم السلطان محمد فضل ، وبايعه على السلطنة . وتلك حيلة عملها لثلاث تنفر منه أهل دارفور ، لأن من عاداتهم ألا يتولّى عليهم إلا من كان من أولاد الملوك ، من (٦٧) بيت سلطنتهم^(٢) .

ولما علم بقتل أخيه قال لمن حوله : إني قد كرهت الحياة ، فني غدٍ إياكم أن تقتلوا ، بل أدخلوني في الحرب وانجوا أتم بأنفسكم . فحين شاع عنه ذلك ، فرّت جميع عساكره الأبعد ، ولم يبق معه إلا ذور قرابته في نفر يسير ، تبلغ عدّتهم ألفاً أو أكثر بقليل .

فلما أصبح ضربت طبول الحرب ، وركبت جماعة السلطان ، وركب هو أيضاً في جماعته ، وأدخلوه في الحرب ، والتحم القتال ، وغاص الأب [الشيخ] في جماعة السلطان ، واخترق الصفوف حتى لم يبق بينه وبين السلطان أحد ، ولو أراد قتله لفعل ، ولكن تذكر معروف أبيه ، فمنع يده عنه ، ووقف أمامه برهة وقال له : يا ابن الفاعلة ، أسمع

(١) حكم هذا السلطان بلاد دارفور أربعين عاماً من ١٦٨٢ الى ١٧٢٢ م ، وأحبته رعيته لما اشتهر به من الحزم . واليه يرجع الفضل في تعميم الاسلام في بلاد دارفور . واعتنى هذا السلطان ببناء المدارس والمساجد واستقدم عددا من المشايخ من مختلف البلاد ومنحهم أراضي وأعفاهم من الضرائب . وجعل هذا السلطان عاصمته أحيانا في قرلي وأحيانا في مرة وأحيانا أخرى في أبو عسل ، وأخضع جماعات القمر لسلطانه . واستعان السلطان أحمد بكر بالأمراء المماليك في مصر لمداده بالأسلحة لدفع اغارات أهل وادى .

Lampen, G.D. op. cit. pp. 185.

(٢) في الأصل : سلطانتهم .

فِي كَلَامِ النَّاسِ ، وَيَكُونُ هَذَا جَزَائِي مَعَكَ ؟ ! وَخَافَ السُّلْطَانُ حَيْثُ ذِي عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَفِرَّ ، وَنَادَى : قَدْ جَاءَ ائِقْتَلْنِي ! فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَدَارُوا بِهِ كَالْحَاتِمِ بِالْأَصْبَعِ ، وَلَمْ يَجِدْ مَعِينًا وَلَا مُسَاعِدًا ، فَقَاتَلَ حَسْبَ طَاقَتِهِ ، وَقَتَلَ عِدَّةً أَبْطَالٍ ، وَجُرِحَ جِرَاحَاتٍ غَيْرَ بَالِغَةٍ فَلَمْ يَكْتَرِثْ بِهَا ، وَخَافُوا أَنْ يَدْرِكَهُ أَحَدٌ مِنْ جَمَاعَتِهِ فَيَخْلُصَ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، مَعَ أَنَّ جَمَاعَتَهُ كُلَّهَا انْكَشَفَتْ عَنْهُ ، وَبَقِيَ فِيهِمْ وَحْدَهُ ، فَصَارَ يِقَاتِلُهُمْ نَحْوَ سَاعَةٍ ، ثُمَّ لَمَّا عَجَزُوا عَنْهُ (٦٨) عَقَرُوا جِوَادَهُ ، فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَمَا اسْتَطَاعَ النَّهْوضَ لِثِقَلِهِ : لِأَنَّهُ كَانَ لَا بَسًا دَرَعَيْنِ مِنَ الْحَدِيدِ ، فَتَكَاثَرُوا وَتَكَالَبُوا عَلَيْهِ بِالرَّاحِ وَالسُّيُوفِ ، حَتَّى قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . وَلَقَدْ جُرِّدَ بَعْدَ مَوْتِهِ فَوُجِدَ فِيهِ مَا يُنُوفُ عَنْ مِائَةِ جُرحٍ ، مِنْ ضَرْبَةِ سَيْفٍ وَطَعْنَةِ رِمَحٍ .

وَرَجَعَ ابْنُ زَوْجَتِهِ مُحَمَّدٍ شَيْلُفُوت^(١) ظَنًّا مِنْهُ أَنْ يَجِدَهُ حَيًّا فَيَنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَوَجَدَهُ قَدْ قُتِلَ ، فَجُرِّدَ سَيْفَهُ وَغَاصَ فِيهِمْ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِدَّةً أَبْطَالٍ وَهُوَ ينادى : يَا لثَارَاتِ [الْأَبِ] الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ كَرًّا ! وَأَخِيرًا تَكَالَبُوا عَلَيْهِ ، وَقُتِلَ هُوَ الْآخِرُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ مِنَ الْمَعْدُودِينَ .

وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَقْتَلَ الْأَبِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ كَرًّا ، فَلْنَذْكُرْ مَبْدَأَ أَمْرِهِ ، وَكَيْفَ تَرَقَّى بِهِ الْحَالُ .

وَنَتَعَرَّضُ لِسُلَاطِينِ دَارْفُورٍ حَسَبِ مَا عَلِمْنَا مِنْ ثِقَاتِهِمْ ، وَأَخْبَرْنِي بِهِ الْجُمْهُورُ الْغَفِيرُ مِنْ مُسْتَنِيِّهِمْ ، فَأَقُولُ :

إِنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ فَضْلٍ ، هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بُكْرٍ .

(١) شَيْلُفُوت : لَفْظٌ عَرَبِيٌّ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ عَامِيَتَيْنِ هُمَا : « شَيْل » وَ « فُوت » ،

أَيُّ : أَحْمَلُ وَامْضُ • Voyage au Darfour pp. 54,55

قبل : إن السلطان أحمد بُكر كان له من الولد سبعة بنين ، وهم : عمر^(١) وأبو القاسم^(٢) ورينز ورينا وتيراب^(٣) وطاهر وعبد الرحمن^(٤) ، وهو المدعو باليتيم ، لأن أباه مات وتركه حملاً ، فلما حضرته الوفاة جمع أرباب دولته ، وجعل ولاية العهد لجميع أولاده ، يتولّاها كلّهم الأكبر فالأكبر ، وشرط ألا يتولّى هذا الأمر أحد من أولادهم إلا بعد (٦٩) انقراضهم . فلما توفى تولّى أكبرهم المسمّى بعمر . فكث في الملك سبع سنين ، ثم قُتل في حرب كان بينه وبين السلطان [محمد]^(٥)

(١) امتد حكم هذا السلطان من ١٧٣٢ الى ١٧٣٩ م . وتذكر المراجع أنه لم يكن ابن السلطان أحمد بكر ، بل حفيده ، وأنه خلف أباه السلطان محمد دوره ابن السلطان أحمد بكر . وفي شقير : (تاريخ السودان ، ج ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦) أن عمر هذا من أعدل سلاطين دارفور وأكثرهم محافظة على الكتاب والسنة وفي Lampen, G.D. op. cit. pp. 185-186 انه لقب بعمر ليلة ، أي : عمر الحمار ، بسبب ما اشتهر به من عناد وقسوة .

(٢) حكم هذا السلطان من ١٧٣٩ الى ١٧٥٢ م ، وهو ابن السلطان أحمد بكر ، وجاء بعد ابن أخيه عمر ليلة في حكم دارفور . وبدأ أبو القاسم عهده بمحاربة جماعات العبيد دون الأحرار ، وامتألت وظائف الادارة والحكم بالعبيد ، فكره الناس حكمه ، وعزم على الانتقام لسلفه عمر ليلة من أهل واداي . وأدى اختفاؤه وإشاعة قتله في أثناء حربه ضد أهل واداي الى تنصيب أخيه محمد تيراب عرش السلطنة . ولما ظهر أبو القاسم بعد شفائه على يد الأعراب الذين آووه ، أصر رجال الدولة على أن يتنازل لأخيه عن السلطنة ، وما زالوا بتيراب حتى وافق على خنقه ودفن في مدافن السلاطين بتره Lampen, G.D. : op. cit. p. 186

٣ و ٤) سياى ذكر هذين السلطانين : تيراب وعبد الرحمن بالتفصيل .

(٥) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour p. 56

جَوْدَة^(١) ، سلطان دار صُليح^(٢) المسمّاة بدار وَدَاي^(٣) و بدار بَرْقَو^(٤) .

ثم تولى بعده أخوه أبو القاسم ، فكث ثمان سنين ، وقُتل في الحرب مع سلطان بَرْقَو أيضاً .

ثم تولى بعده السلطان محمد تيراب ، فكره الحرب وأقام في بلده آمراً ناهياً سلطاناً ، ثلاثاً وثلاثين سنة . [و] إنما سُمِّي تيراب أرض الشام ، لأن الفور يسمعون أن أرض الشام مخصبة ، وأنها من أرض الجنة ، سيّاً وفيها الحشر . وهي عُشُّ الأنبياء . فلقّبوه بهذا اللقب ، لصدور الأفعال الجميلة منه ، كما أن أرض الشام نباتها كلها جميل ، ومعنى التيراب بلغتهم : الحبوب التي تُزرع في الثراب ، [و] التي يُعَبَّر عنها أهل مصر بالتقاوى . وأهل المغرب بالزريعة . ولقّبوه بذلك لأنه كان رجلاً كريماً حليماً ، واسع

(١ و ٢) كانت الأقاليم الواقعة بين كردفان وبحيرة تشاد خاضعة لحكم التنجور ، ثم قامت على أنقاض دولة التنجور في القرن السابع عشر للميلاد ثلاث ممالك إسلامية هي من الشرق إلى الغرب : سلطنة دارفور وسلطنة واداي وسلطنة باجرمي . أما سلطنة واداي فتأسست حوالي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) على يد أسرة من قبيلة الجوامعة تعرف بالـ **باجير** بقيادة زعيمهم وودا . ثم دخل هذا الزعيم مدة في خدمة ملك التنجور واستطاع حفيده عبد الكريم أن يقضى على حكم التنجور سنة ١٦١١ م وأن يؤسس دولة اشتهرت باسم واداي نسبة إلى جده وودا . وخلف السلطان عبد الكريم من سلالته عدة سلاطين منهم السلطان محمد جودة الذي عرف كذلك باسم محمد صليح أي المخلص وذلك لأنه نجح في صد هجوم قام به أبو القاسم سلطان دارفور (١٧٣٩ - ١٧٥٢ م) وغدت بلاده تعرف كذلك باسم دار صليح أو دار واداي

Barth H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa, III, pp. 528-530.

Cf, Palmer, R. : The Bornu Sahara and Sudan, p. 102.

(٤) سبقت الإشارة إلى أن البرقو من سكان واداي ، وأن جماعة منهم هاجرت إلى دارفور . وقد تعرف بلاد واداي كذلك ببلاد برقو نسبة إلى سكانها .

الصدر ، جيّد التدبير ، شُفوقاً^(١) على المساكين . وكان إناءة^(٢) ، وكان فيه مُجُون ، يحبُّ الزينة وأنواع الملاهي .

وكانت أيامه كلها خصباً ودعةً ورخاءً أسعار . إلاّ أنه^(٣) آخر أمره كرهته الناس ، لظلم أولاده ، لأن له ما ينوفُ عن ثلاثين ولداً ذكراً^(٤) غير الإناث . فصاروا يركبون ويحوسون خلال البلاد ، وكلّما سمعوا بشيء جميل أخذوه من (٧٠) صاحبه ، ويسكّفون الرعية ما لا تطيق ، حتى كان فيهم ابنٌ له يقال له : مُساعد ، كان من عتوّه وتجبّره يأبى أن يركب الخيل ، بل كان يركب ظهورَ الآدميين . فكلما وجد شاباً أمر بالقبض عليه وركبته حتى أعياه ، وربما سافر السّقر البعيد ، لا يركب فيه جواداً ولا حماراً ، بل ينتقلُ على الناس حتى ينتهي سقره . وإذا لم يجد غريباً ركب [رجالاً]^(٥) من جماعته ، وكانت الرعية ترفع شكايتهم لأبيهم ، فكان لا يشكّوهم^(٦) ولا يقبل منهم [شكاية] . بل ربما غضب وقال : إن هذا هو العَجَب . إقليم مثلُ هذا لا يتحمّلُ أولادى ، وكلّما عملوا صغيرةً يشكون إليّ ١٩ فلما رأى الناس ذلك أبطلت الشكوى ، ورفعت أمرها إلى الله عزّ وجلّ .

وكان قد ولى المناصبَ الجليلةَ لأقارب أزواجه ، فكانت جميعُ وزرائه أقارب زوجاته ، وكان أكبر أولاده إسحاق المسمّى بالخليفة .

(١) كذا ، وهو خطأ سائى ، والصواب شفيقا

(٢) كذا بالأصل ، ولعل المقصود : ذا أناة

(٣) فى الأصل : أن

(٤) فى الأصل : ولد ذكر

(٥) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 57

(٦) كذا

وكان إسحاق المذكور شجاعاً مُهاباً ، ذا رأيٍ وحزم ، إلا أنه كان فيه نوع ظلم وجور . وسبب تسميته بالخليفة : أن أباه جعله خليفةً بعده ، ولقبه بهذا الاسم ، وجعل له دولةً كدولته ، ووزراءً كوزرائه . فكلُّ وزيرٍ كبيرٍ له ولد ، كان السلطان يأمره أن يأتي بابنه للخليفة ، ليكون عنده بمنزلة أبيه عند السلطان ، ومكث على ذلك مدةً ، حتى سافر السلطان تيراب (٧١) إلى كُردُفَال^(١) ، وأبقاه خليفةً في دارفور ، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وكان السلطان تيراب يحبُّ الخلعةَ والانبساط ، حتى كانت الشبان تلعبُ مع البناتِ أمامه ، أى يرقصن البناتُ والشبان ، وهو ينظر إليهم . فمما اتفق أن جاءت أمامه طائفةٌ من البرقد^(٢) ، وهم قبيلةٌ من السودانٍ لهم رقصٌ معلوم ، يسمّى : تَنَدُنْجِيَه^(٣) . ومن عاداتهم إذا تعبوا من الرقص ، تجلس كلُّ فتاةٍ وشابٍ معا على حدة . فلبعوا حتى تعبوا ، وتفرّقوا وجلسوا على عاداتهم ، فقال الشاب للفتاة : أترضى^(٤) أن أكون لك زوجاً ؟ فقالت : نعم ، ما الذى تعطينى من المهر ؟ فقال لها : أنا رجل فقير ، ولا أجد شيئاً أعزّ من المُقابلِ لنا هذا ! وأشار إلى السلطان ، وكان السلطان جالساً على كرسيٍّ ، مقابلاً لهما . فقالت الفتاة : قد رضيتُ . ونظر السلطانُ

(١) فى الأصل كوردفال بالواو واللام ، وقد حذفنا الواو لأنها سترد كثيراً بدونها بعد ذلك . أما الصيغة المتداولة فى الوقت الحاضر فهى كردفان بالنون .

(٢) البرقد : قبيلة تسكن شمال وشرق قبيلة الداجو ، بين جبل حريز ومنطقة الرزيقات . وتسكن شعبة منهم على مسيرة يوم شمال شرقى مدينة الفاشر ، وشعبة أخرى فى وأداى : ويقول بارت : انهم من أصل زنجى . انظر .

Mac Michael, H.A. : A. History of the Arabs in the Sudan, Vol, I, pp. 77-79

(٣) فى الأصل : تندكه بكاف فوقها ثلاث نقط .

(٤) كذا بدل : أترضين .

لإشارتهما له ، فدعا بهما ، فلما مثلاً^(١) بين يديه سألهما عن ذلك ، فقال الشاب : إني سألتُ محبوبتي هذه في أن تزوجني فرضيت ، وطلبتُ مني المهر ، فقلت : لا أملك شيئاً أعزّ من هذا المقابل لي . وأشرتُ إليك . فانبسطَ لقوله وقال : أرضيتُ بي مهرًا لها ؟ قال : نعم . فقال السلطان : أترضيني^(٢) بالفداء وأنا أفدي نفسي ؟ قالت : نعم ، أَرْضَى . فدعا بأبيها وخطبها منه ، وعقد له عليها ، وأمهرها جاريتين ، وأعطى الرجلَ (٧٢) عبداً ، وأمر لهما برزقٍ يعيشان منه^(٣) . وهذا نهايةُ مكارم الأخلاق ، إذ لا شيء أعظمُ من جمعِ بين مُتَحَابِّين في الحلال .

ومن ذلك ما حُكي عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه كان في أيام خلافته يطوفُ في المدينة المنورة بالليل ، ليقفَ على أحوال الناس ، ويعلمَ مظلومهم من ظالمهم^(٤) . وبينما هو في طوفه ، إذ سمعَ جاريةً تغنى وتقول ، شعراً من الكامل :

وهويته من قبلِ قطعِ تيممتي ممايسُ مثلِ القضيبِ النَّاعمِ
فكأنَّ نورَ البدرِ يشبهُ وجهه يغيبُ ويبدو من ذؤابة^(٥) هاشم^(٦)

فطرقَ — رضى الله عنه — البابَ ، وقال لها : مَنْ هَويْتِ ؟ فقالت : إليك عني . فقال : لا بدَّ وأنْ تُعلميني . فقالت له : بحقِّ صاحبِ القبرِ إلا انصرفت عني . فقال : والله لستُ بزائلٍ من مكاني هذا حتى تُعلميني .

(١) في الأصل : مثلاً ، بضم الميم .

(٢) كذا .

(٣) في الأصل : فيه .

(٤) في الأصل : ظالم .

(٥) في الأصل : ذؤابة .

(٦) كذا ، والشطر على هذه الصورة من الطويل لامن الكامل .

فَتَنَنْتُ الصُّعْدَاءَ ، وَقَالَتْ :

وَأَنَا الَّتِي قَرَحَ الْغَرَامُ بِقَلْبِهِمَا فُتِنْتُ^(١) بِحُبِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ
فَقَالَ لَهَا : أَحُرَّةٌ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : لَا ، بَلْ مَمْلُوكَةٌ . فَقَالَ : لِمَنْ ؟
قَالَتْ : لِفُلَانٍ . [وَ] سَمَّيْتُهُ لَهُ . فَتَوَجَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْ مُحَمَّدِ
ابْنِ الْقَاسِمِ ، فَوَجَدَهُ غَازِيًا بِالْعِرَاقِ . فَأَرْسَلَ إِلَى مَوْلَاهَا وَاشْتَرَاهَا مِنْهُ ، وَأَرْسَلَهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ
الْقَاسِمِ بِالْعِرَاقِ ، وَكَتَبَ لَهُ الْقِصَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاعْلَمْ يَا بَنِيَّ أَنَّهُ كَمْ مَاتَ بِهِنَّ سَقِيمٌ ، (٧٣)
وَعَطِبَ بِهِنَّ سَلِيمٌ !

وَمِنْ ذَلِكَ مَا حُكِيَ أَنَّ^(٢) سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ كَانَ غَيُورًا عَلَى النِّسَاءِ
جَدًّا ، حَتَّى أَنَّهُ رُبَّمَا سَفَكَ دَمَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ نَظَرَ لِبَعْضِ مَحَاطِيهِ نَظَرَ عِشْقٍ .

فَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ أَحْضَرَ مُعَنِّيًّا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، وَكَانَ فِي النَّهَارِ ، فَأَجْلَسَ الْمُغَنِّيَ تَحْتَ السَّرِيرِ
وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْنَى ، وَاسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ عَلَى السَّرِيرِ ، وَكَانَتْ مَعَهُ جَارِيَةٌ تُرَوِّحُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ
الْحَرِّ ، فَأَخَذَهُ النَّوْمَ ، فَرَفَعَ الْمُغَنِّيَ رَأْسَهُ عَلَى حَيْنِ نَفْثَةٍ ، فَرَأَى الْخَلِيفَةَ قَدْ نَامَ ، وَالْجَارِيَةُ
تُرَوِّحُ عَلَيْهِ . فَتَأَمَّلَهَا فَوَجَدَهَا كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ ، فَافْتَتَنَ بِهَا ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّكَلُّمِ
خَوْفًا مِنَ الْخَلِيفَةِ ؛ فَانْهَمَتْ دُمُوعُهُ ، وَهَاجَ وَلُوعُهُ ، فَأَخَذَ قِرْطَاسًا وَكَتَبَ فِيهِ ، شِعْرًا مِنْ
الْكَامِلِ^(٣) :

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ضَجِيعَتِي مُسْتَرْشِفًا مِنْ رِيْقِ فَيْكِ الْبَارِدِ
وَكَأَنَّنا وَكَأَنَّنا وَكَأَنَّنا يَتَنَنا جَمِيعًا فِي فِرَاشٍ وَاحِدِ

(١) فِي الْأَصْلِ : فَتَنَنْتُ ، بِسُكُونِ النُّونِ وَضَمِّ النَّاءِ الثَّانِيَةِ .

(٢) كَذَا ، وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الْإِسْتِعْمَالُ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى .

(٣) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : الرَّجَزُ .

ثم ألقاه عليها ، فأخذته وقرأته ، وكتبت له فيه ، من السكامل (١) :
 خيراً رأيت ، وكل ما أملتُهُ ستناله مني برغم الحاسدِ
 وتبيتُ بينَ خلاخيلٍ ودماجلي وتحلُّ بينَ مراشني وسواعدي
 ونكونُ أولَ صاحبينِ تلاقيا رغمَ الزمانِ بلا مخافةِ حاسدِ
 ورمتهُ القرطاسَ إليه ، فالتقته (٢) الخليفةُ قبل أن يصلَ إليه . فلما قرأه اجمرتْ
 عيناه ، وكاد يتميَّز غيظاً ، وقال : ما حملَكُما على ما صنعتُما ، أحمبُ (٧٤) قديمٌ بينكما ؛
 أم عشقٌ خامرَكُما في هذه الساعة ؟ فقالا : بل والله في هذه الساعة ، ولم يكن لنا به عهد
 قبل ذلك . وانهمأت دموعُهما ، فلما رأى منهما ذلك رَقَّ لهما ، وقال للمغني : خذها
 ولا تُعدِّ تقارِبُنا . انتهى .

فعاش السلطانُ تيراب مدةً مديدةً كما ذكرنا ، وأكثر من الأزواج والسَّراري ،
 حتى كان له من الولد أكثر من ثلاثين ذكراً راكبينَ الخيل ، غيرَ الإناث والصغار .
 وفي أيامه تلك خدَّمه [الأب] الشيخ محمد كُرَّا ، وكان غلاماً مراهقاً ، فأمره أن يكونَ
 في الكور كُوراً (٣) ، أي : أهل الحرب . أي : يكون مع الجماعة الذين يحملون الحراب خلف
 السلطان ، حين يركبُ وحين يجلس للحكم . ولا خصوصيةً للسلطان في ذلك ، بل كل
 ملكٍ من ملوك القور ، وقائِدٍ من قوادِهم ، له جماعةٌ يحملون الحراب خلفه ، حين يركبُ

(١) في هامش الأصل : الرجز .

(٢) اتفقته : تناوله بسرعة .

(٣) يطلق اسم كوركوا في دارفور على حاملي الحراب وهم حرس السلطان أو غيظه
 من الولاة والشراطي والدمالج ، ويطلق كذلك على الفرقة الموسيقية الملحقة بقصر
 السلطان ومن هم دونه من الحكام كذلك . فمن الكوركوا : المغنون ونافخو
 الصفاير وضاربو الطبول ومن اليهم Voyage au Darfour, pp. 62, 161, 178
 وفي (Arkel: S.N.R., XXXIII, I, p. 59) أن الكوركوا كانوا من طبقة العبيد .

أو يجلسُ للحُكم ، يُسمَّونَ : كُورُ كُورًا . ويرونَ أنَّ ذلك من تمامِ نظامِ الملك ، حفظًا للناموس ، وهيبةً للمخدوم في قلوب رعاياه .

فخدم [الأب] الشيخ محمد كُورًا في تلك الخدمة مدةً ، وظهرت منه علاماتُ النجابة ، فأحبَّه السلطانُ تيراب ، ونقله إلى « سومينْدُقَلَه » ، والشُّوم ، هو : الدُّرَّا^(١) ، و « ين » هو علامةُ الإضافة . و « الدُّقَلَه » هو العيال . ومعناه : دُرَّا العيال . و « الدُّرَّا » بلغتهم العربية : اسم للمحلِّ أو الدار . وأهل « سومينْدُقَلَه » هم الأُمْناء على مصالح المخدم ، يرسلهم في أسرارهِ . [و] رئيسهم (٧٥) أعظمُ مقامًا من رئيس كُورُ كُورًا .

فأغنى في خدمته ، حتى أنَّ السلطانَ كان لا ينادى في أكثر حوائجه غيره . فحسده بعضُ أهل الدار ، فسعى به إلى السلطان قائلًا^(٢) : إنَّ محمد كُورًا خائنٌ غدار ، وأنا أراه يجتمع هو وفلانهُ الحِطِّيَّة في كل ليلة ، وتأتيه بالطعام الجميل ! فغضب السلطان لذلك ، وهمَّ بالبطش به . فبلغ الخبرُ إلى كُورًا ، فأخذ مُدِيَّةً واختلَى بنفسه في حجرة ، واستأصل مذًا كبيرَ نفسه بيده ، وجاء بها إلى السلطان ، وكان قريبًا منه ، وألقاها بين يديه وقال : لِمَ قِيلَ فيَّ ما قيلَ لمصاحبتي لهذه ، وها أنا قد استأصلتها لئلاَّ يبقى في قلب مولاي مني ريب . ثم سقط مغشيًا عليه . فرحمه السلطان وأمر بمداواته ، فموجَّح حتى برئ .

ثم إن السلطان أمره أن يكون صُحْبَةَ الأَمِينِ^(٣) عليَّ ودَّ جامع أحدِ الوزراء

(١) في الأصل : الدار .

(٢) في الأصل : قائل .

(٣) كان مجلس السلطان أو فائسره يضم حوالي اثني عشر وزيرًا من بينهم الأُمْناء

الأربعة أي الوزراء العظام ورئيسهم الأب الشيخ وهو الوزير الأعظم (Balfour-Paul)

V.G. op. cit p. 18) ويبدو أنه كان لكل من أولئك الأُمْناء الأربعة =

العطاء^(١)، ووصى عليه الأمين المذكور، بأن قال له: خذ هذا الغلام إلى دُراك، واعتن به وأكرمته، وإياك أن تتهاون به، فإنى أرجو أن يخلفك فى منصبك. فأخذه الأمين على مَضَض منه، ووضع فى سوميندُقله^(٢)، كما كان عند السلطان. وقد ذكرنا قريباً أن أهل سوميندُقله هم الأمناء على المصالح المهمة، يرسلهم المخدمون فى أسرارهم.

فجلس كُراً فى ذلك الحِلُّ مدَّةً، وكان لا يغيبُ عن باب مخدمه. وكلما نادى الأمين على أحدٍ من أهل (٧٦) سوميندُقله يجيبه محمد كُراً، بل ربَّما لم يجد غيره، فكان يرسله فى قضاء مصالحه، وكان من عادته ألا يذهب لقضاء مصلحةٍ إلا لنجح

= عمل خاص فى الحكومة المركزية • فأمين لشئون العسكر السلطانى وأمين لأموال السلطان وخزائنه، وأمين لشئون الخيل والدواب، وأمين للأسلحة • ويقوم مجلس الأمناء - فضلاً عن مساعدة السلطان فى تدبير شئون الدولة - باختيار السلطان الجديد عقب وفاة السلطان بعد استشارة وجوه القوم حسبما يقضى به الرسم فى وراثة عرش السلطنة • وللأمين مجلس للحكم وحرس وأمناء على مصالحه الخاصة مثل السلطان ما عدا شارات الملك ولكل منهم اقطاع خاص وجيش خاص كذلك Voyage au Darfour, pp. 64, 65, 71, 84, 85, 173, 174.

(١) المقصود بالوزراء العظماء هنا وزراء السلطان فى دارفور ويلاحظ أن الرسم جرى فى سلطنة دارفور على أن يكون لحكام الأقاليم كالشرانى مثلاً نظام حكومى على غرار نظام السلطان، يحمل موظفوه فى الغالب نفس الألقاب التى يحملها موظفو السلطان فى العاصمة cf. MacMichael, op. cit. pp. 104- 105

(٢) أى: وضعه فى السوميندقله الخاص به أى بالأمين • ولعل أهم عمل السوميندقله تربية أبناء السلطان والأمراء وأفراد البيت المالك تربية تؤهلهم - فيما بعد - للاضطلاع بأعباء الحكم • والسوميندقله كاتم أسرار السلطان ومبعونه الخاص • ويلاحظ أنه كان لكل من كبار رجال الدولة سوميندقله خاص، يؤدى عمل سوميندقله السلطان • وعلى جماعة السوميندقله رئيس يعرف بملك السوميندقله وهو «عظيم القدر ذو أبهة عظيمة واقطاع»

Voyage au Darfour, pp. 62, 63, 64, 174.

وَأَغْنَى فِيهَا ، فَأُحِبُّهُ الْأَمِينُ قَهْرًا عَنْهُ ، لِمَا رَأَى مِنْ كِفَايَتِهِ ، فَجَعَلَهُ مَلَكًا^(١) عَلَى أَهْلِ
 سَوْمِينْدُقْلَه ، وَمَيَّزَهُ عَنْهُمْ ، فَصَارَتْ جَمِيعُ الْخِدْمَةِ تَحْتَ يَدِهِ ، يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ .
 وَحِينَ وُلِّيَ هَذَا الْمَنْصَبَ اجْتَهَدَ فِي الْخِدْمَةِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَلَا زَمَّ بَابَ
 مَخْدُومِهِ ، وَكَانَ فِي الْأَمِينِ نَوْعٌ إِهْمَالٍ لِلْأُمُورِ .

منه : أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ مِنَ الطَّعَامِ وَقْتَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ ، مَا يُنُوفُ عَنْ أَلْفِ إِنْاءٍ ،
 فَكَانَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى ذَلِكَ ، بَلْ كَانَ يَأْتِيهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مَا يَكْفِيهِمْ ، وَالْبَاقِي تَتَوَزَّعُهُ
 الْخِدْمَةُ بِغَيْرِ تَرْتِيبٍ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَنِيَةِ مَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَرِيمِ مَلَأْنَا^(٢) ، فَالْتَفَتَ مُحَمَّدٌ كُرًّا
 إِلَى ذَلِكَ ، وَرَتَّبَهُ أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ يَبِثُّ الْخِدْمَةَ فِي أَتْبَاعِ سَيِّدِهِ يَنْظُرُونَ مَنْ
 عِنْدَهُ ضَيْفٌ مِنْهُمْ ، فَيَأْتُونَهُ بِالْأَخْبَارِ وَيَقُولُونَ : فَلَانٌ عِنْدَهُ ضَيْفٌ ، وَفَلَانٌ .
 وَهَلُمَّ جَرًّا^١ .

فَكَانَ إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ ، اخْتَارَ لِمَخْدُومِهِ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكْفِيهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ،
 ثُمَّ يوزَّعُ عَلَى الْخِدْمَةِ كِفَايَتَهُمْ ، ثُمَّ يوزَّعُ الْبَاقِيَّ عَلَى مَحَالِّ الضُّيُوفِ ، كُلٌّ مِنْهَا عَلَى
 حَسَبِ حَالِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ وَالْغِنَى وَالْجَاهِ وَالْعِلْمِ ، وَيُوصَّى الْحَامِلِينَ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ الْأَمِينَ
 أَرْسَلَ لَكُمْ هَذَا ضِيَاغَةً . وَالْأَمِينُ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . فَصَارَتْ النَّاسُ تُشْكِرُ الْأَمِينَ
 وَتَتَمَدَّحُ بِهِ . (٧٧) وَحِينَ يَأْتُونَ إِلَيْهِ يَقُولُونَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . أَرْسَلَتْ لَنَا الضِّيَاغَةَ
 الْعَظِيمَةَ ، فَلَا يَوْجَدُ نَظِيرَكَ فِي أَمْنَاءِ السُّلْطَانِ . وَيُشْنُونَ عَلَيْهِ غَنِيَةً وَحُضُورًا .

فَكَانَ الْأَمِينُ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ يُشْنُونَ عَلَيَّ ، وَيَقُولُونَ إِنِّي
 أَرْسَلْتُ لَهُمُ الطَّعَامَ ، مَعَ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ سَبَبَهُ . وَبَقِيَ مَتَحِيرًا ،

(١) المقصود بالملك هنا رئيس جماعة سوميندقله .

(٢) كذا

كيف يعلم سبب ذلك ، حتى اتفق له أن كان في الحريم عند المساء ، وجاء خارجاً إلى الديوان ، فرأى محمد كُراً يوزع الأطعمة . فلما أحس بذلك تربس وأكمن^(٢) في محلّ ، فسمع [الأب] الشيخ محمد [كُراً] يقول للخدمة : كم في بيت الملك فلان من الضيوف ؟ فقالوا له : كذا وكذا . فقال : احملوا لهم كذا وكذا إنا ، وقولوا لهم : قد أرسل هذا العشاء الأمين . حتى وزع الطعام كله . فقال : من هنا جاء العمل . فضنّ به وأكرمه ، وأعلى رتبته ، وجعله [ملكاً]^(٣) على الكوريات . وفي عرفهم : هو الذي يحكم على الخيل وجميع الخدمة ، وهو منصب جليل عندهم ، وإن كان في عرف غيرهم لم يخرج عن كونه رئيس السّياس .

وأقام محمد كُراً في صحبة الأمين عليّ على هذه الحالة ، حتّى سافر الأمين عليّ إلى كردفال ، صحبة السلطان تيراب ، وسافر معه [الأب] الشيخ محمد كُراً .

سبب سفر السلطان محمد تيراب إلى كردفال^(٤)

قد حكى لى الثقة العارف بالأنساب أن السلطان سلونج^(٥) (٧٨) المدعو سليمان ، الجدّ الأول لسلطين دارفور ، كان له أخ يقال له : المسّبح ، فاقتسم هو وأخوه الإقليمين

(٢٠١) كذا ، بالسّين فى الكلمة الأولى ، والهمزة فى الثانية ولعلهما لهجتان ، بدل : تربص وكمن .

(٣) هذه الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 66 .

(٤) انظر حاشية ١ ص ٧٦ .

(٥) فى الأصل : بفتح السّين ،

والسلطان سلونج أول سلاطين دارفور الذين حكموا البلاد من حوالى منتصف القرن السابع عشر الميلادى الى سنة ١٩١٦ م ويحيط بنسب هذا السلطان الغموض . فتم رواية تقول انه عربى من بنى هلال وانه اتصل بالفور عن طريق المصاهرة . ورواية أخرى تقول انه ابن أحمد المعقور من بنى هلال أيضا أو من سلالته . ورواية ثالثة تقول انه سبق حكم سليمان أربعة عشر سلطانا يحملون =

فأخذ السلطان سليمان إقليم دارفور ، وأخذ المسبّع إقليم كردفان . وتعاهدا ألا يخون أحده
منهما صاحبه ، فبقيا كذلك ، حتى في زمن السلطان محمد تيراب .

كان الوالى على كردفان من أولاد المسبّع ، السلطان هاشم المسبّعوى ، وكان
فيه شهامة وشجاعة ، وإقدام على الأمور الشاقة . فأكثر الغزوات على بلاد التروج^(١)
والعرب البادية ، حتى صار ذا مالٍ عظيم ، وصار عنده من العبيد ما ينوف عن عشرة

= أسماء عربية . ومما زاد هذه الروايات اضطرابا ادعاء كل من الكنجارة
والتنجور الانتساب الى بنى هلال . والراجع أن الكنجارة - وهم خليط من
العرب والفور - صاهروا التنجور ، ونشأ عن هذه المصاهرة ظهور أسرة كيرا
التي انتزعت حكم دارفور من التنجور . وكان السلطان دالى أول سلاطين هذه
الأسرة ثم خلفه ابنه كورو ثم سليمان بن كورو . وهو سليمان سلونج . ومما
يؤيد اتصال سليمان بالنسب العربى أن لقب سلونج فى لغة الفور معناه
« العربى » أو « من يتكلم اللغة العربية » أو « من يدين بالاسلام دين العرب » .
وكيفما كان الأمر فالمعروف أن سليمان سلونج خاض غمار ٣٣ معركة
استطاع بعدها أن يعيد للبلاد وحدتها وأن يخضع لسلطانه جماعات البرقد
والزغاوة والبرتى والبيقو وبعض جماعات المساليط . كما قضى على حركة قام
بها التنجور لاسترداد ملكهم . ثم نفرغ لبناء سلطنته على أسس سليمة
باستئناف حركة نشر الاسلام التي يحتمل أن يكون أصابها الركود خلال
الحروب الداخلية . وتوفى سنة ١٦٧٠ ودفن فى ترة ، فخلفه ابنه موسى .
أنظر :

MacMichael, H.A. op. cit. p. 92, Lampen, S.N.R. XXXI, II, pp. 183-185.
Arkell, S.N.R. XXXIII, II, pp. 266-268.

نعوم شقير : (تاريخ السودان ، ج ٢ ، ص ١١٤ - ١١٥) .

C.F. Nachtigal, op. cit. pp. 356-360

Slatin, Fire and Sward in the Sudan, p. 38

(١) كانت جبال نوبا بجنوب ووسط كردفان - ولاسيما منطقة جبل تقلى زمن
المؤلف - تعرف ببلاد التروج ، حيث دأب السلطان تيراب على جلب اعداد من
الرقيق أسكنهم بجوار مدينة كيكابية . وعرف أولئك الرقيق المجلوبون
إبانئذ باسم العبيدية MacMichael, H.A. op. cit. p. 90

آلافٍ عبيدٍ حاملٍ للسلاح . واجتمعتْ عليه أوباش^(١) الناس من الدناقلة^(٢) والشايحية^(٣) والكبايش^(٤) وعرب الرزيقات^(٥) ، حتى صار في جُندٍ كثيف .

(١) فى الأصل : ارباش

(٢) الدناقلة : احدى المجموعات النوبية الخمس ، وتسكن المنطقة الممتدة على طول النيل مابين بلدتي الدبة وأبو فاطمة . ويتكلم الدناقلة - الى جانب اللغة العربية - لهجة نوبية تشبه لهجة الكنوز فى الشمال . ويشبه الدناقلة فى مظهرهم الطبيعى جيرانهم العرب البديرية ، بسبب كثرة الدماء العربية التى تجرى فى عروقهم . محمد عوض محمد : (السودان الشمالى ص ٣٠٢) .

(٣) كذا فى الأصل بالجيم والشايقية : أبناء عمومة العرب الجعليين . وتمتد أوطانهم على طول ضفتى النيل من نهاية الشلال الرابع الى مصب وادى الملك . ويصف ماكمايكل الشايقية بأنهم يمتازون بغلبة النزعة العسكرية عليهم والميل الى المغامرة . وكان الشايقية فيما مضى تحت حكم أربعة مكوك منهم خاضعين للعبد اللاب فى مدينة قرى . ثم انتهزوا فرصة النزاع الداخلى بين الفونج والعبد اللاب ونالوا استقلالهم . أواخر القرن السابع عشر الميلادى . وفى خلال القرن الثامن عشر أغار الشايقية على بلاد النوبة حتى أرغموا كثيرا من سكانها على هجر أوطانهم ، ووصلوا فى اغارتهم غربا الى كردفان

MacMichael, H.A. op. cit. pp. 213-220.

(٤) الكبايش : من أعظم القبائل الأباله وأكثرها شهرة فى السودان . ويملك الكبايش - الى جانب الابل - أعدادا ضخمة من الضأن وهى أصل ثروتهم ولذا سموا الكبايش . ويمثل وادى الملك المحور الأساسى لأوطانهم الواقعة كلها شمالى خط عرض ١٤ شمالا . وليس للكبايش حدود واضحة فى الشمال . أما فى الغرب فانهم يقتربون من تجوالهم من حدود دارفور ، ويقتربون شرقا فى فصل الجفاف من اقليم دنقلة على النيل . وينتمى الكبايش الى بطون عربية من جبهة مختلطة بعناصر قديمة من بينها البجة والنوبيون (العنج) وهؤلاء لا تتجاوز نسبتهم ٣٠ ٪ كما يبدو من أسماء بعض البطون ذات الصبغة

الحامية . MacMichael, H.A. op.cit. pp. 307-315

محمد عوض محمد : (نفس المرجع ، ص ٢٤٠ - ٢٤٥)

(٥) الرزيقات من أكثر قبائل البقارة فى دارفور ثروة وأشدّها قوة . وموطنهم بأقصى جنوب شرق دارفور . وهم رعاة ماشية . وينقسمون الى ثلاث شعب : الماهرية والمحاميد والنوايبة وهناك ثلاث قبائل بهذه الأسماء فى شمال دارفور ، وكلهم رعاة ابل (أباله) وبعض الرزيقات يعيش على حدود وادى

Mac Michael. H.A., op. cit. pp. 290-92

فطمعتُ نفسه في تملك دارفور ، واستشار أرباب دولته في ذلك ، فأشاروا عليه أن يبت السرايا أولاً على أطراف البلاد ، ليضعفوا أهل مملكة دارفور ، ثم بعد ذلك يتوجه إليها . فسمع قولهم وبت السرايا على أطراف مملكة دارفور ، فقتلت وسبت واغتنمت أموالاً عظيمة . فأرسل السلطان تيراب إلى السلطان هاشم يقول له بعد السلام : يا ابن عمي ، أرسلت سراياك على أطراف ^(١) بلادى ، وأنت تعلم ما بيننا من (٧٩) المودة ، ولم يقع منا ما يخالف المودة ، مع أنك تعلم أن الذين أخذت أموالهم مسلمون ، والذين قتلوا موحدون ، وهذا الفعل لا ^(٢) يبيحه أحد ، ولا يفعله عاقل . فإذا وصلك كتابي هذا فانتبه ، وإلا سيلقى الباغي مضرته والسلام .

فلما وصله الكتاب ما زاد إلا عتوا واستكباراً ، وبت السرايا ثانياً . فعلم السلطان تيراب أنه إن لم يتداركه ويستأصل شأفته ، زاد شره وأخرب البلاد . فتجهز وتوجه إليه . وهذا هو السبب الظاهر .

والسبب الباطن أنه يعلم أن الناس غير راضين ^(٣) عنه ، ولا يرضون بتولية أحد من أولاده ، خصوصاً مع وجود أولياء عهد السلطان أحمد بكر ، الذين هم أعمامهم ، ولا سيما إذا تذكروا ما وقع منه ومن أولاده من الظلم ، وهو يريد أن يعهد إلى أكبر أولاده المسعى بإسحاق الخليفة كما تقدم .

فاغتنم الفرصة حين وقع من هاشم ملك كردفال هذا الأمر ، واغتاز في الظاهر ، وأعلن أن هذا الأمر لا يقوم به غيره ، مع أنه لو بعث الأمين علي أو أحد وزرائه ،

(١) في الأصل : أطرف .

(٢) في الأصل : لم

(٣) كذا وهي صيغة عامية وقد دأب المؤلف على استعمال مثل هذه الصيغة مراراً .

لكفاه مؤونة السفر^(١) والمشقة ، ولكن أراد أن يسافرَ ويأخذَ معه جميع أولادِ السلطان
[أحمد بُكر]^(٢) كباراً وصغاراً ، ويقتحمَ بهم الحروبَ حتى يَهْلِكَهم ، ويُهْلِكَ الوزراء
الذين لا يُجِبُّونَ الولايةَ لابنِهِ ، ليتمكنَ إسحاقُ من البلاد والأموالِ والرَّجالِ ، (٨٠)
وينفردَ بالذِّكرِ .

ولما كانت هذه نيَّته ، جمع جميعَ أولادِ السلطان والوزراء الكبار ، وأبقى مع الخليفة
أولادَ الوزراء ، كلَّ منهم في منصبِ والده ، وارتحلَ بهم على هذه النية ، وإن كان أخفاها
فقد ظهرت ، على حدِّ قول القائل ، من الطويل :

ومهما تَكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على النَّاسِ تُعَلِّمَ
مع أنَّه عُوْمِلَ بخلافِ قصده ، وأَعقبَهُ اللهُ تعالى بقتلِ ولده ، ولم يَنْفَعْ تديُّرُهُ بشيءٍ ،
ورحم اللهُ القائل ، من مجزوء الرملِ^(٣) :

إِنَّ أَلْطَافَ إِلَهِي لَمْ تَدْعُ فِي الْكَوْنِ ضَنْكًا
كَلَّمَا رُمْتُ احْتِيالًا لِي ، قَالَتْ : خَلَّ عَنْكَ
سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَيْنَا ، نَحْنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكَ
وفي كونِ الأمورِ دائماً تَأْتِي على خلافِ المُرادِ قال المتنبي ، من البسيط :
ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ تَأْتِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّقُنُ^(٤)
فَلَمَّا سَمِعَ [هاشم] ملكُ كُرْدُ قَالَ بِقُدُومِهِ ، فَرَّ هُوَ وَجَمَاعَتُهُ ، وَاسْتَجَارَ بِمَلِكِ سِنَّارِ^(٥) ،

(١) في الأصل : للسفر .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 62

(٣) في الأصل : المديد

(٤) وفي رواية : تجرى الرياح بما لا يشتهي السفن والسفن بكسر الفاء الملاح .

(٥) لعل ملك سنار وقتذاك هو الملك عدلان الثاني
وفي نعوم شقير : (تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ج ٢ ، ص ١٢١) =

وأقام عنده ، فدخلها بغير حَرْب ، وصار يَبُثُّ السرايا والجندَ في أطراف البلاد حتى دَوَّخها ، وجَبَى الأموالَ ، واستقامت الأحوال .

فكثَّ على ذلك حتى حال الحَوَل ، وملَّتْ الناسُ من المُقام وسألوه العودَ إلى بلادهم ، فغضبَ لعدم ظَفَره بما أَمَل . لكنه أخفى ذلك وقال (٨١) لهم : كيف ترجعون ، وقد بلغنى أن هاشم استجار بملك سنار ، والملك قد جهَّز له جيشاً ويريد القدوم علينا ؟ فإن رجعنا وجاء بعدنا ، ظنَّ أَنَّا فَرَرْنَا منه ، ونال من البلد مراده ، وبعد ذلك يغزونا ، ويحوِّجنا إلى الرجوع له ثانياً . وأنا الآن مضمِرٌ أَنى أَتوجَّه إليه قبل أن يأتى ، ولكن حتى أَتَحَقَّقَ الخبر .

ومكثوا بعد ذلك مدةً ، فلم يظهرَ لِمَا قاله أثر ، فتنكَّرتْ قلوبُهم ، وساءتْ أحوالُهم ، واشتاقوا إلى أَهلهم وعيالهم . وتذاكروا مع بعضهم فى ذلك فى خَلوة . فقال الوزيرُ الأمينُ على وَدْبَرَقُو ، وكان صِهْرَ السلطانِ ، أى أن السلطانَ كان متزوجاً بابنته : ماذا جعلتم لى إن قتلته وأرحتكم منه . وتؤلون بعده عليكم من شتم ؟ فضمِنُوا له مالا عظيما ، وتعاهدوا معه على ذلك . وجعل بينه وبينهم العلامةَ صوتَ الطبل . فهما سمعوا الطبلَ يكونوا على أهبةٍ مستَحْضَرين^(١) .

= أن السلطان تيراب وصل فى تقدمه شرقا حتى بلدة أم درمان حيث نشب قتال بينه وبين جيش العبد اللاب انهزموا بعده الى سنار . واستولى السلطان تيراب على نحاسهم . وحاول عبور النيل فلم ينجح وعاد الى دارفور وفى طريقه اليها توفى فى بارة . انظر تفاصيل هذا الحادث فى نعيم شقير : (نفس المرجع والصفحة) .

- (١) مستحضرين ، أى : مستعدين ، وهى لفظة عامية .

فصبر الأمين على حتى جن الليل ، ولبس درعين سابغين متينين ، ولبس ثيابه عليهما ، وتقلد بسيفه^(١) . ودخل دار السلطان وقصد حجرة ابنته ، لما يعلم من حب السلطان لها ، لأن السلطان كان له بها مزيد اعتناء ، فكثيراً ما كان يجده عندها . فلما دخل عليها عرفت الشر في وجهه ، وخانه جدّه أن السلطان لم يكن عندها في تلك الليلة . فسألها عن السلطان . فقالت : لا أعلم أين هو . ولكن إن (٨٢) أردت ، بحثُ لك عنه ، وأعلمته^(٢) بقدموك . فقال لها : نعم ما تصنعين ، لأنني شديد الاحتياج إليه في هذه الليلة . وكانت في وقت محادثتها له ، رأت طوق الدرع من تحت طوق الثوب فتأكدت الشر ، وذهبت إلى محل السلطان ، وأعلمته أن أباه جاء طالباً له ، وأنها رأت منه أموراً أنكرتها . منها : أنه لا يلبس درعاً تحت ثيابه ، ومتقلد سيفه . مع أن العادة [أنهم] لا يدخلون على السلطان بسيف أبداً . ومنها : أن في وجهه علامة الغضب . فأحس السلطان بالشر لأنه هو الذي كان يلح عليه بالعود . ويبالغ في القول له . فأمرها ألا تعود إليه . وخرج السلطان ، ونادى كبراء العسس ، وأمرهم بالقبض على من جاء خارجاً من الدار ، وإن أفلت منهم لا يلومون إلا أنفسهم . وأخذ هو جماعة منهم حرساً له ، متأهبين بأسلحتهم ، وغاص في لجة داره ، ودخل في حجرة^(٣) بعض نسائه ؛ واحتاط الحرسُ بها .

فجلس الأمين على في انتظار ابنته تعود ، فلم تعد إليه بخبر السلطان ، أو أن السلطان يأتي إليه ليبلغ أربة منه ، فلم يأت أحد ، بل كان كالباحث عن حنقه بظلفه ، والجادع

(١) كذا .

(٢) في الأصل : واعلمه .

(٣) في الأصل : حجر

مارنَ أَنفِهَ^(١) بِكَفِّهِ ؛ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ ؛ مِنْ مَجْزُوءِ الْمَرْجِ :

إِلَى حَتْفِي سَمَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَأَقَ دَمِي
ولما أَعْيَاهِ الْإِنْتِظَارُ قَامَ يَرِيدُ الْإِذْهَابِ إِلَى دَارِهِ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَطْلُعَ (٨٣) النَّهَارُ
عَلَيْهِ وَيَفْتَضِحَ ، فَشَى قَلِيلًا حَتَّى إِذَا قَارَبَ الْعَسَسَ نَهَضُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : ارْجِعْ
حَيْثُ كُنْتَ . فَأَبَى وَعَرَّفَهُمْ بِنَفْسِهِ ، لِأَجْلِ أَنْ يُخَلُّوا سَبِيلَهُ فَمَا امْكَنَ ، بَلْ قَالُوا لَهُ :
نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالْقَبْضِ عَلَيْكَ ، إِنْ لَمْ تَرْجِعْ إِلَى الْحُلِّ الَّذِي جِئْتَ مِنْهُ . فَسَبَّهَمُ
وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ قَهْرًا عَنْهُمْ ؛ فَهَجَمُوا عَلَيْهِ لِيُوثِقُوهُ حَتَّى يُصْبِحَ ؛ فَقَاتَلَهُمْ وَجَرَحَ أَنْاسًا
مِنْهُمْ ، فَتَكَالَبُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ بَغْيِهِ ، إِلَّا فَنَاءً أَجَلَهُ . وَهَذَا كَمَا قَالَ^(٢)
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لِكُلِّ بَاغٍ مَصْرَعٌ » . أَوْ كَمَا قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - السَّيِّدُ
عَلِيُّ الْغُرَابِ ، حَيْثُ يَقُولُ ، مِنْ الْخَفِيفِ :

زَارِعُ الْبَغْيِ حَاصِدٌ لِلنَّدَامَةِ	فَاطْلُبِ السَّلَامَ إِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ
لَا تَثِيقْ بِالْمَنَى فَمَا كُلُّ بَاغٍ	نَالَ مَا يَرْتَجِي وَوُفِيَ مَرَامُهُ
رَبَّمَا كَانَتِ الْأَمَانِي مَطَايَا	لِلْمَنَآيَا وَمَوْرَدًا لِلنَّدَامَةِ
رُبَّمَا خَيَّلَتْ لِرَاجٍ مَنَالًا	مَثَلَمَا خَيَّلَتْ لِرَاءٍ مَنَامَهُ
رُبَّ سَاعٍ لَيَجْتَئِي طَيْبَ عَيْشٍ	وَهُوَ يَجْنِي - وَلَيْسَ يَدْرِي - حِمَامَهُ

وَأَخْبَرَ السُّلْطَانَ حِينَئِذٍ بِمَوْتِ الْأَمِينِ فَقَالَ : اجْعَلُوهُ فِي رَدَاءٍ ، وَضَعُوهُ فِي مَحَلٍّ حَتَّى
يُصْبِحَ . وَحِينَ بَزَغَ الْفَجْرُ ، أَمَرَ السُّلْطَانُ بِإِحْضَارِ عِيْدِهِ كُلِّهِمْ ، لِابْسِينِ السَّلَاحِ ،
لِخُضْرُوهِ وَرَتَّبَهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَأَمَرَ الْبَوَّابِينَ أَنْ يَفْتَحُوا الْأَبْوَابَ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ

(١) مارنَ الأنف : طرفه أو مالان منه ، وجدعه : قطعة ، ومنه الجادع .

(٢) في الأصل : ولهذا قال .

أغلقوها عليهم ، وأمرهم (٨٤) ألاَّ يدْعُوا^(١) حَواشِيَ الْقَوَادِ^(٢) يدخلون معهم بل لا يدخلُ
إِلَّا الأمراء فقط . ووَصَّى العبيد : إذا أُغْلِقَت الأبواب تأتي جماعةٌ منهم ، ويقفون
أمامه ، محيطينَ بالعالم الذين يكونون^(٣) في المجلس ، ثم أمر أن تُضرب الطُّبولُ ضَرْبَ
حُزْنٍ وإزعاجٍ ؛ لأنَّ لهم في حال السرور ضرباً معروفاً ، وفي حال الحُزن كذلك .
فُضِرَت الطُّبولُ كما أمر .

وجاءت الوزراء والملوك على طبقانهم ، ظَنًّا منهم أنَّ عليَّ وَدَّ بَرَقُوا فعل ما اتَّفَقَ
معهم عليه ، فجاءوا متهيئين ، فحين وصلوا إلى بابِ دار السلطان ، رأوا الأمر على غير
ما يعهدون ، فلم يجدوا بداً من الدُّخول ، ودخلت أتباعهم معهم ، فَمَنَعُوا وَبَقُوا منفردين
عن أتباعهم . وجاء العبيد الذين أوصاهم بالإحاطة بهم ، فأحاطوا بهم شاكِين السلاح ،
مظهريين الغضب ، وخرج السلطانُ عليهم ، غارقاً في ثيابٍ سود ، مُتَطَيِّلِسًا بكشمير
أحمر ، وهذا نهاية الغضبِ .

فجلس السلطان في محله المُعدُّ له ، وأمر بإحضار القتيلى ، فأحضر ملفوفاً بالرداء ،
فأمر بوضعه في وسط الحلقة ، وقال : أريدُ منكم أن تعرفُوا هذا مَنْ هو ؟ فبادروا
إليه وكشفوا وجهه فعرفوه ، ولم يتجاسرَ أحدٌ منهم على التكلُّم ، لما قام عنده من
الغضب . فقال لهم السلطان : هل عرفتُم هذا ؟ فسكتوا كلهم . فقام رجلٌ منهم
ذو دهاء ، و [هو] صهرُ السلطان أيضاً ؛ فقال : قد عرفناه ، (٨٥) وهو الأمين
عليَّ وَدَّ بَرَقُوا ، وقد دَخَلَ عليك باطلاً اعنا أجمعين ، فإنَّ أردتَ قَتَلْنَا فها نحنُ بينَ

(١) في الأصل : يدعون .

(٢) حواشى القواد : الجنود المكلفون بحراستهم .

(٣) في الأصل : يكونوا .

يديك ، وإن عفوت فالأمرُ إليك . فقال السلطان : وما حملكم على ذلك ؟ قال :
 إنك أتيت بنا إلى هنا ، و [أنت] تعلم أن لنا في بلادنا أهلاً وعيلاً وأولاداً ،
 قطعنا عن رؤيتهم ، والتمتع بمعاشرتهم ، وليس لنا هنا شغل ، نعدرك في الإقامة
 بسببه ، ولسنا نراك ناوياً أوبةً ، ولا يطيبُ لنا عيشٌ إلّا بمكاننا ، فأجلُّ ما تصنعُ
 معنا ، أن تردنا إلى أوطاننا ، فإن قلوبنا أنكرت الغربة ، وحنّت إلى الأوطان .
 [شعر] من الطويل :

حَنِينِي وَأَشْوَاقِي لِأَوَّلِ تُرْبَةٍ « وَأَوَّلِ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَابُهَا »
 لا سِماً وقد ورد عن سيّد ولد عدنان : « حبُّ الوطن من الإيمان » .

فلما سمعَ مقالَ ذلك الرجل ، عَرَفَ صدقَه ، وخاف إن يَطشَ بأحد منهم قامت
 عليه القيامة ؛ لأنهم معذورون في ذلك . فتخلّص منهم بأن قال : لا تستعجلوا ^(١) موتي ،
 فإنِّي ميّت لا محالة ، لأنّي مريضٌ مرضاً لا يمكنني إطلاعكم عليه ، وهو الذي يمنعني
 عن السفر ؛ فإن عافاني الله في هذه المدّة رجعتُ بكم ، وإياكم أن تفعلوا مثل هذه
 والسلام .

ثم إنّه بعد ذلك بأيام ، أظهر أنه مريض ، وصار لا يخرجُ إلى الديوان
 ولا ينظرُ في أحوال الناس ، مع أنه مُعافى الجسم ، ولم يعلم أن من (٨٦) تمارض انقلب
 الهزلُ جدّاً ، ومرض حقيقةً ، وربما مات . وقد قال عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ :
 « لا تمارضُوا فتمرضُوا فتموتوا » . فانقلب عليه الدّست ، وحلّ به المرضُ والمُت ،
 وأيقن أنه هالك لا محالة .

(١) في الأصل : لا تستعجلون .

وكتب حينئذ للخليفة كتاباً يقول فيه بعد السلام :

اعلم يا ولدى أنه قد اعترانى مبادئ ما لا بد منه ، ولا محيص عنه ، فإذا وصلك كتابى هذا فخلّف ولدك خليل على دارفور ، وعجّل بالقدوم ، عسى أن تدرّكنى وبى رَمَق ، لعلّى أدبر لك شيئاً ينفعك والسلام .

وختم الكتاب وأرسله صحبة هجّان .

وطاش الخبر أن السلطان ثقل عليه المرض ، وأرجف بموته ، وصارت الناس لا يتحدّثون إلّا بذلك .

وكان محمد كُراً كثيراً ما يدخل دار السلطان ، ويجمع على نسائه . وكان ممن يجتمع عليها إيا كُرى^(١) كِنانة ، أعظم نساء السلطان ، صاحبة الرتبة الجليلة . لأن كل سلطان يتولى لا بدّ وأن يحبّ أحد نسائه ، ومن أحبّها قلّدها أمور الحكم فى بيته ، هى التى تسمى إيا كُرى حقيقة . وهذا اللفظ معناه السيّدة الملكية ، وإن قيل لغيرها من نساء السلطان إيا كُرى ، فذلك من قبيل التعظيم لا غير . وهذه كِنانة كانت صاحبة رأى وتدير ، [و] كان السلطان تيراب لا يألف غيرها إلّا لِماساً^(٢) ، ولهذا قلّدها هذا المنصب ؛ لأن هذا المنصب له (٨٧) إقطاع ومعالم ، وأموال تُجَبّى لها منه ، وتصدّر منها أوامر ، ولها قوّاد يضبطون أموالها وأحوالها .

فلما رأت أن السلطان ميّت لا محالة ، خافت على نفسها ، وكان لها ولد يسمى

(١) إيا كُرى : لقب كان يطلق فى دارفور على السيدة الأولى فى القصر السلطانى ، سواء كانت هذه السيدة أم السلطان أو أخته الكبرى أو زوجة السلطان المتوفى . وهو يقابل لقب ملكة .

(٢) فى الأصل : لِماسا .

حبيب ، خافت عليه أيضاً . فاجتمعت على محمد كُراً ، وقالت له : يا محمد ، هل لك في حيلة تخاّصني وولدي من هذا الأمر ؟ قال لها : نعم ، الحيلة أنك تصلين حبلك باليتيم ، لأنه هو صاحب الدولة بعد السلطان تيراب ؛ لأن كل الناس راضون عنه . فقالت : هل لك أن تجعل بيني وبينه عهداً وتتوثق منه ، بأنه إذا تولى يجعلني إيا كُرى ، ويجعل ولدي حبيب خليفة ؟ فقال لها [محمد] كُراً : أفعُل ذلك ولك ما يسُرُّك إن شاء الله .

وكانت كمنانة تخاف على ولدها حبيب من الخليفة إسحاق ؛ لأنه ابن ضرتها ، وعرفت أن اليتيم لا ولده . فقالت : يربّي ولدي .

فذهب إليه محمد كُراً وأقرأه سلامها ، وأخبره أنها تريد أن تعينه على التولية ، بشرط أن يتزوجها ويجعل ولدها خليفة . فعاهده على ذلك . فقال محمد كُراً : وماذا لي أنا أيضاً إن كتمت سرّك ، وأعنتك بجهدى على التولية ، ودبرت بحيايتي على قدر طاقتي ، من الطويل :

ولا تحتقر كيد الضّعيف فرّبما تموت الأفاعى من سُومر العقارب
فقال اليتيم : إن فعلت ذلك ، وأغنيت فيه ، قلّدتك منصب (٨٨) الأب [الشيخ] .
وعاهده على ذلك . فرجع إليها محمد كُراً وأعلمها أنه استوثق منه بما أرادت ، فاطمأنت لذلك وصارت ترسل معه أخبار السلطان وقتاً فوقتاً .

ولما ثقل مرض السلطان تيراب ، ويئس من مجيء ولده إسحاق الخليفة ، أحضر الأمين على ود جامع ، سيّد محمد كُراً ، والأمين حسب الله جرّان ، والأمين إبراهيم ود رماد ، والأب الشيخ عبد الله جُثّا^(١) ، وأميناً آخر نسيّت اسمه ، وقال : اعلّموا أني

(١) كذا بالشاء ، وفي الترجمة الفرنسية : جنّا بالشاء (Djoutà) Voyage, p. 79

صنعتُ معكم معروفاً ، وأرجو أن تكافئوني عليه بتنفيذ وصيتي ، التي أريد أن أوصيكم بها . فقالوا : سمعاً وطاعة . فقال للأمين علي : إني أوصيك إذا أنا متُ بأن تجمع العساكر كلهم تحت يدك ، وتوصلهم إلى إسحاق ولدي بدارفور . فقال : سمعاً وطاعة . وقال للأمين حسب الله : قد جعلتك أميناً على خزان أموالى ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدى . فقال : سمعاً وطاعة . وقال للأمين إبراهيم ودرماد : قد جعلتك أميناً على دوابي وخيلي ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدى بدارفور . وقال للأب [الشيخ] : قد قللتك الحریم والعیال والخدم ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدى . وقال للآخر : قد جعلتك أميناً على أسلحتي وملبوساتي وأولادي ، إذا أنا متُ توصلها إلى ولدى . فقبلوا منه ذلك بالسمع والطاعة ودعوا له بالعافية . (١٩) وبكوا لما هو فيه من المرض ، لأنهم أصهاره ما عدا الأب [الشيخ] لأنه خفي .

ثم ذهبوا إلى محلهم ، وقضى السلطان نحبته وهم غائبون ، وحين توفي أرسلت كنيانة إلى اليتيم بسبحه السلطان ومنديله وخاتمه وحجابه ، تعلمه بموته على يد محمد كرا . وجاء أولئك الوزراء الذين أوصاهم فوجدوه قضي عليه ، فندموا على خروجهم من عنده ، ودبروا حيلة ، وأجمعوا أمرهم أن يجعلوا السلطان في تحت بعد فتحه ، وإلقاء ما في أمعائه^(١) وتصبيره ، [ثم] يُعطى ويحف بالعساكر ، ولا يتركون أحداً يصل إليه . وكل من سأل عليه قيل له : مريض ، حتى يصلوا إلى دارفور ، ويسلموا كل ذلك إلى ولده إسحاق الخليفة ، و [الأب] الشيخ محمد كرا أخذ الأشياء المذكورة ، وتوجه إلى اليتيم ، وقال له : عوّضك الله في أخيك خيراً . وأعطاه الخاتم والسبحة والمنديل ، فتحقق موت أخيه .

(١) فى الاصل : امائه .

وأخذ الأشياء ، وذهب إلى أخيه الأكبر المسمى برِيز ، فحين أعلمه نهض قائماً ، وأخذ رِيفاً وطاهراً ، وتوجهوا إلى دار السلطان ، فلم يقدر أحد على منعهم . وما زالوا داخلين حتى وصلوا إلى المحلّ الذي فيه الجماعة ، والسلطان تيراب مُسجّى أمامهم ، وهم ييكون عليه . فدخلوا عليهم ولم يخاطبوه ، بل جلسوا حول أخيهم وبكوا حتى فاءوا ، ثم التفتوا إلى الجماعة ، وقال لهم رِيز : أما كفّاكم أن مدة حياة أخينا كان خيرُهُ لكم ، والآن تريدون (٩٠) أن تأخذوا شلّوهُ أيضاً ، لأجل أن يكونَ لكم حياً وميتاً ! ها نحن قد أطلّعنا على موته ، فافعلوا ما بدا لكم ، فقد تركناه لكم .

ثم خرجوا وتركوهم ، فاختلف رأى الجماعة بعدهم ، وقالوا : قد فسد تدبيرُنا ، واطّلّعوا على موت السلطان ، فلا يمكننا أن ننفذ وصيته الآن .

فقال الأمين عليّ ودّجامع : لا بدّ لي من تنفيذ وصيته أو أموت دونها ، ثم نادى : يا محمد كُراً ، اذهب إلى محمد [دُكّمي]^(١) ولدى ، وقلّ له يجمعُ عساكرى ويلبسوا دروعهم وأسلحتهم ، ويأتون إلى باب السلطان . فقال : سمعاً وطاعة . وذهب إلى محمد [دُكّمي] ابن الأمين [على] ، وقال له : إن حضرة الأمين يأمرُك أن تجهّز العساكر ، وتركبَ معهم ، وتذهبَ إلى أولاد السلطان ، وتكونَ مُعيناً لهم حتى يأتِيكَ أمرى . فقال الأمين محمد [دُكّمي] : سمعاً وطاعة . ونادى في العساكر ، فتأهبوا وركبوا ، وتوجهوا إلى أولاد السلطان ، ورجع هو بعد ذلك للأمين [على] وقال له : قد ذهبتُ فوجدتُ سيدى قد أخذ العساكر ، وتوجّه إلى أولاد السلطان . فاغتاظ الأمين عليّ [من] ذلك ، وعلم أنه لا يقدر على تنفيذ وصية السلطان تيراب^(٢) .

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية . Voyage, p. 82

(٢) فى الأصل : تيرب .

وخاف من الايمان واليهود ، فأخرج غُلبَةً صغيرة كانت معه وفتحها ، واستف منها شيئاً مما كان فيها فوق ميثا .

ولما مات انحذل [الأمناء]^(١) الباقون وتفرق رأيهم . وهذه أقوى مكيدهٍ عليها محمد كُراً (٩١) في الأمين [على] وولده ، وبسببها وقعت العداوةُ بينه وبين الأمين محمد بن الأمين علي المذكور .

ثم إن الجماعة تفرقوا وذهب كلٌّ منهم إلى جيشه ، وهاجت الناس وماجت ، وعلموا أنه لا بدّ للدولة من سلطان يقوم بأمرهم ، ويجمع كلمتهم . وكانت أولاد السلطان أحمد بُكر ، الذين هم إخوان المتوفى جالسين هم وأتباعهم على حدة ، وأولاد إخوانهم وأتباعهم على حدة ، والرعايا على حدة . فنهضت جماعة من المدبرين^(٢) ، ودعّوا بالقاضى والعلماء ، وأرسلوهم إلى أولاد السلطان أحمد بُكر ، لأنهم هم الكبراء وأولياء العهد من أبيهم^(٣) ، وقالوا لهم : قولوا لهم بعد السلام :

اعلموا أنه لا بد لهذا الأمر من سلطانٍ يجمع كلمة الناس ، ويقوم بأمرهم ، والمُلك لكم ، وأنتم أربابُه ؛ فعينوا لنا سلطاناً نَرْضَى نحن وأنتم [به] : فتوجهت العلماء والقاضى وأخبروهم بذلك ، فقالوا : قد عينا لهم أخانا ريزا ، لأنه هو أكبرنا وسيّدنا ، ونحن تحت أمره ونهيه .

فتوجهت العلماء لأولاد السلاطين الصغار^(٤) ، وأخبروهم أن باسى ريز يكون

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية : Voyage au Darfour, p. 83 والمقصود بالأمناء هنا : الوزراء .

(٢) المقصود بالمدبرين هنا : الوزراء وكبار رجال الدولة . Voyage au Darfour, p. 84 .

(٣) راجع نظام ولاية العهد فى ص ٧٣ .

(٤) لعل المؤلف يقصد بأبناء السلاطين الصغار أبناء السلاطين الثلاثة عمر وأبى القاسم وتيراب ممن لا حق لهم فى ولاية العهد التى كانت من حق أعمامهم وقتذاك حسبما يقضى نظام ولاية العهد .

عليهم سلطاناً ؛ فأبوا وقالوا : إن باسى ريز عمُّنا ووالدنا ، لَكُنْ لا نريد أن يتولَّى علينا ، لأنه صعب المراس ، فيه حِدَّةٌ ، تُخَشِّي غائلته ، خصوصاً ونحن أولادٌ صغار ، نريد سلطاناً حليماً يربِّينا ، وإن صدر من أحدنا (٩٢) بادرةً يعاملنا فيها بالحلم . وقالت الرعية : إن باسى ريز ملكنا وابنُ ملكنا ، ولكن به حِدَّةٌ ، والأولى أن يختارَ هو غيره ، لأنه هو سلطان ، تولَّى أم لم يتولَّ .

فرجعتُ العلماء وأخبروهم بذلك . فقال باسى ريز : قبلنا عذرهم ، وولَّينا عليهم باسى طاهراً . فأخبروا به أيضاً أولادُ السلاطين^(١) ؛ فقالوا : لا نرضى بعمِّنا طاهر ، لأن له أولاداً كثيرة ، لا ينتبه لتربيتنا بسببهم .

وقالت الرعية : إنما كرهنا السلطان تيراب لكثرة أولاده ؛ فإن يولَّوا علينا طاهراً ، فنحن نرضى بالخليفة^(٢) أن يكون سلطاناً ؛ لأنه أقل أولاداً منه . فرجعوا وأخبروهم ، فقال ريز : قد ولَّينا عليكم اليتيم . فأخبروهم فَرَضُوا به كُلُّهُمْ ، رعيةً وأولادَ ملوك . وانعقد أمرهم عليه وأخذوه ، وتوجهوا به إلى دار السلطان ، وألبسوه الخاتم ، وأقدموه على كرسى الملكة ، ولم يختلف عليه اثنان .

(١) فى الاصل السلطان ، والتصحيح عن الترجمة الفرنسية .

Voyage au Darfour, p. 85

(٢) يريد الخليفة ريز بن السلطان أحمد بكر ، اذ هو أكبر اخوته بعد السلطان تيراب . فهو على هذا الخليفة الشرعى حسبما يقضى به نظام ولاية العهد .

الباب الثالث

من المقدمة

في ذكر نبذة من سيرة السلطان عبد الرحمن الملقب بالرشيد
وأول أمره وولايته ووفاته

قد ذكرنا فيما مضى أن السلطان أحمد بُكر خلف سبعة من الولد ، منهم
السلطان عبد الرحمن المذكور ، وهو أصغرهم ، لأن أباه توفى وهو حَمَلٌ في بطن أمّه ،
ولذلك سُمّي باليتيم .

نشأ على أحسن حال . حفظ القرآن ، وقرأ في الفقه ، وعرف الحلال والحرام ،
(٩٣) ولم ينتبه إلى ما انتبه له أولاد الملوك في دارفور . لأن أولاد الملوك هناك متى كبر
الواحد منهم يخوض في البلاد ، يتضيّف وينهب أموال الناس ، وكلما رأى شيئاً أعجبه
أخذه بدون ثمن ، ويقول إن جميع ما في دارفور من العالم عبيد لأبيه ، إلّا عبد الرحمن ،
فإنه من صِغَر سنّه كان صالحاً تقياً نقياً عفيف النفس . وكان في غاية من ضيق العيش ،
وكان إذا سافر وأمسى عليه المساء في بلد ، قال لمن ينزل عنده : أنا ضيف الله . فإن قبله
مكث ، وإلّا ذهب إلى محل آخر . ولم يُسمع عنه أنه ظلم أحداً قط . وكان لا ينسى
الصنعة لمن فعلها معه ، بل يتذكّرها ويحاذيه عليها .

ومن ذلك أنه كان مسافراً ، فنزل عند رجل من قبيلة يقال لها : البرتي^(١) ،
 فعرفه الرجل وذبح له كبشاً سميناً ولاطفه ، ولما جاء العشاء وحضر الطعام ، رأى السلطانُ
 عبد الرحمن أن الرجل قد تكلف له ، فقال له : يا هذا ، أما كان يُغني عن هذا
 ما هو أقلُّ منه ؟ لو ذبحت لنا دجاجةً لقامت مقامه ، وكنت أديت ما وجب عليك .
 فقال : لا ، يا مولاي ، والله لو ملكتُ جزوراً لنحرتها لك ، ألسن عبد الرحمن
 اليتيم ابن سلطاننا ؟ فقال له اليتيم : ومن أين تعرفني ؟ قال : عرفتُك بحسن خُلقك
 وتقواك ، وإنه سيصيرُ لك شأن . فقال اليتيم : لئن ملكتُ لأطعمنك (٩٤) أسمن
 مما ذبحت لنا . وكان الأمر كذلك .

فإنه لما وُلّي دعا بالرجل — وكان يسمّى محمد دَرْدُوك — وولاه منصباً جليلاً ،
 وأخرجه لجباية أموال قبيلة العرب المجانين^(٢) ، وهي قبيلة عظيمة ، أهلها أصحاب إبل ،
 ففصل منها من الأموال والثوق والجمال ما لا يوصف .

ومنها أنه مرَّ ببلاد الرّيح^(٣) ، ونزل على رجل فقير يقال له : جدو^(٤) فأكرمه
 على قدر طاقته ، وكان هذا الرجل من بيت كبير ، وأبوه كان ملكاً عظيماً ، يقال لمن تولّى

(١) البرتي : قبيلة كبيرة من أصل مختلط تسكن جنوبى تلال ميدوب فى شرق
 دارفور عند خط عرض ٢٤ : ١٤ وخط طول ٤٣ : ٢٥ هجروا موطنهم الأصلى
 فى تلال تجابو بسبب ضغط سلاطين الفور .

Mac Michael, H.A., op. cit. p. 64.

(٢) المجانين : شعبة من قبيلة دار حامد التى تنتسب الى فزارة ، وموطن دار حامد
 فى وسط كردفان * Mac Michael, H.A., op. cit. p. 256

(٣) بلاد الرّيح أو دار الرّيح هى الولاية الشماليه فى اقليم دارفور

Nachtigal, G., op. cit. p. 362

(٤) كذا بالأصل وفى الترجمة الفرنسية : Djiddau

في منصبه : التَّسْكَنِيَاوِي^(١) . فلما وُلِّيَ اليتيم ولَّاه منصب أبيه ، و [قد] رأيته واجتمعتُ به .

ومنها أن الفقيه مالك الفُوتَاوِي الذي أسلفنا ذكره ، كان رأى له منامًا ، وصورته : أنه رأى قرأ في السماء ، والناسُ ينظرون إليه ويقولون : هذا اليتيم . فأوَّلَه أنه ^(٢) يلى الملك . وذهب وبشره بذلك ، فقال : إن صدقت رؤياك لأرفعنَّ قدرك . فكان كما قال .

وكان يصوم الخميسَ والاثنين على الدوام ، ويصومُ رجبَ وشعبانَ ورمضان . وكان يحبُّ أهلَ العلم ويكرِّمُهُم .

وقبل ولايته بأيام ، شاع عند المنجِّمين وأصحابِ خط الرمل ، أن اليتيم هو الذى يتولَّى السلطنةَ بعد السلطان تيراب . وسمع السلطانُ بذلك ، فحَقَدَ عليه وأراد قتله مراراً ، والله يمنعه منه . وكان يدعوهُ للطعام ويـُـعَلُّ له الشَّمَّ فيه ، فكان اليتيم يقول : (٩٥) إني صائم . ولا يأكلُ منه شيئاً .

ولقد أخبرنى من شاهده^(٣) وقت توليته ، حين أدخلوه لدار السلطنة ، أنه كان عليه قميص قد يلى حتى أنَّ كتفيه ظاهران منه . وبيده سُبْحَة من خشب تساوى فى برٍّ مصرَ عشرين فضة^(٤) ، ومكث عزباً حتى بدا الشيبُ فى لحيته ، وما ذاك إلا لفقره ، وعَدَمَ المال الذى يتسرَّى أو يتزوجُ به ، ولم يرَ النساءَ إلا حين سافر إلى كُرْدُفَال ، محبةً

(١) التكنياوى لقب يطلق على الوالى فى ولاية شمال دارفور ، التى كانت تسمى :

دار تكنياوى • Nachtigal, G. op. cit. p. 418

(٢) فى الأصل : أن •

(٣) فى الأصل : شاهد •

(٤) تساوى العشرون فضة نصف قرش •

أخيه السلطان محمد تيراب ، فمرَّ على بلاد يقال لها : البيقو^(١) ، فأعطاه مِلِكُها جاريةً وَخْشًا تسمَّى أَنْبُوسَة ، فغشَّيها فولدت منه السلطان محمد فضل .

ولما انعقد الأمرُ عليه ، أجلسوه على سرير الملك - كما تقدَّم - وبإيعوه ، وكان أولَ من بايعه أخوه الأكبر ريز ، ثم ريفًا ثم طاهر ثم أولادُ السلاطين ، وبايعوه ، ثم القاضي والعلماء ، ثم الأمراء . وضربتُ طبولُ الحزنِ إعلانًا بموتِ السلطان تيراب ، ثم بطَّلتُ قليلا ، وضربتُ طبولُ الهناء إعلانًا^(٢) بتولية السلطان عبد الرحمن .

وكان من عادة ملوك القور أن السلطان إذا تولى يمكثُ سبعة أيام في بيته ، لا يُسأل عن حُكم ولا أمرٍ ولا نهى ، بل يجلس للتهنئة والسرور ، تدخلُ عليه العلماء والوزراء وأرباب الدولة . فلما تولى السلطان عبد الرحمن أبطل تلك العادة ، وخرج صبيحة توليته ، فجاءتُ الوزراء (٩٦) فراؤوه جالسًا في ديوانه ، وتناول بعضُ أحكام فلاموه وقالوا : ليست العادة كذا فقال : بئس العادة . ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله .

ثم جمعَ جميعَ أربابِ الدولة وقال لهم : إن كان لكم أربٌ في أن أكونَ سلطانا عليكم ، تُبطلوا الظلمَ ولا تتحدَّثْ به أنفسُكم ، وتنبؤوا إلى الله تعالى منه ، فإن الظلمَ يُخرَّبُ الدول ، ويقصِّرُ أعمارَ الملوك . فقالوا : سمعًا وطاعة .

ثم لما كانت صبيحة اليوم الثالث ، أمر بإخراج خزائن السلطان تيراب

(١) البيقو : يقال ان موطنهم الأصلي في منطقة الغزال ، وأنهم هاجروا منها الى دارفور منذ زمن بعيد ، حيث منحهم سلطان دارفور أرضا ينزلون بها ، بشرط أن يقدموا للحريم السلطاني فتاة كل عام . ولما كانت أم السلطان محمد فضل (١٨٠٢ - ١٨٣٩ م) تنتمي الى هذه القبيلة فقد أعفاهم من هذا التقليد ومنحهم حريتهم وفرض عقوبة الاعدام على من يتجر في أبنائهم .

Mac Michael, H.A. op. cit. pp. 80-81

(٢) في الأصل : اتملانا

فأُخْرِجَتْ ، ففرَّق ما كان فيها من العَيْن^(١) ، من ذهب وفضة وثياب ، على العلماء والأشراف والفقراء . وَوُجِدَ فيها من الكشمير والجوخ الذى عَثَّ شَيْءٌ كثير ، فأمر أن يُرْمَى خارج الدار ، وكلُّ من وَجِدَ شيئاً ينفعه أخذه . فأُخْرِجَ فسكان كالطَّود العظيم ، واجتمعت عليه الفقراء ينهبونه ، وبسطوا أيديهم بالدُّعاء للسلطان عبد الرحمن .

ثم لما كان سابعُ يوم أُخْرِجَ جوارِي السلطان تيراب وفرنقها أيضاً ، ولم يتركْ إلا الحرائرَ وأمهاتِ الأولاد التى تزوجها أخوه بالعقد . ثم نَصَّبَ المناصبَ ، فجعل محمد دُكْمَى أميناً فى منصب أبيه الأمين عَلى وَدْ جامع ، وأمرهم بالأهْبَةِ للرحيل إلى دارفور فتجهَّزوا .

وحين خرج من كُردُفَال مرَّ على جَبَل التُّرُوج ، فأوقع بهم وأخذ جميع ما فيه من الشَّبَاب والبنات ، ولم يترك (٩٧) فيه إلا المُسْنِينَ

واجتمع بمشايع عرب البادية من الرِّزِيقَات ، وَالْمَسِيرِيَّة^(٢) ، فالتس منهم المسير معه لحرب الخليفة^(٣) ، وكلُّ ما اكتسبوه من المال والسلاح والخيول فهو لهم . فاجتمع عليه منهم ألوف ، وتوجه إلى دارفور ، لكنَّه لم يأتها من جهة المشرق ، بل أتاها من جهة

(١) راجع : ص ٢ حاشية ١ .

(٢) المسيرية : احدى قبائل البقارة ، وكانوا هم والحمير قبيلة واحدة فى وقت من الأوقات ، وقد ورد ذكرها فى كتب الرحالة الذين زاروا دارفور وما يليها غربا . وقالوا انها تتألف من شعبتين : المسيرية الحمير والمسيرية الزرق . ثم انفصل الحمير عن الزرق وأصبحت كل منها قبيلة مستقلة . وموطنهم فى الجنوب الغربى من كردفان .

MacMichael, H.A., op. cit. pp. 284-87

(٣) الخليفة هنا هو اسحاق بن السلطان تيراب الذى عينه أبوه وليا للعهد . مخالفاً بذلك وصية أبيه السلطان أحمد بكر .

الجنوب . وقبل وصوله كتب إلى الخليفة كتاباً يقول فيه :

من عبد الرحمن سلطان دارفور ، إلى ولد أخيه إسحاق ، أما بعد : فإنني أعزيتك في والدك وإن كان أخي ، لأنك أقرب مني إليه ، وأوصيك بهرّ الوالدين ، فإذا علمت هذا فاعلم أنني عمك ، وحرمتي كحرمة أبيك ، وعارٌ على الولد أن يصادرَ أباه أو عمه ، فضلاً عن أن يجرد في وجهه حساماً ؛ فأنهاك عن القتال ، وإياك أن تستغزك رعونَةُ الشباب ، وتسمع قولَ المفسدين ، فيحولوا بيني وبينك . ولك على عهد الله وميثاقه ، أن أقرّك خليفةً كما كنتَ في أيام أبيك ، وأجعلك وليّ عهدي كما كنتَ وليّ عهد أبيك ، فاسمعْ قولي واحقن دماء المسلمين . وإن خالفتَ حلّت بك الندامة ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

فلما وصل الكتاب إلى الخليفة وعلم ما فيه ، كتب إلى السلطان عبد الرحمن ، بعد السلام :

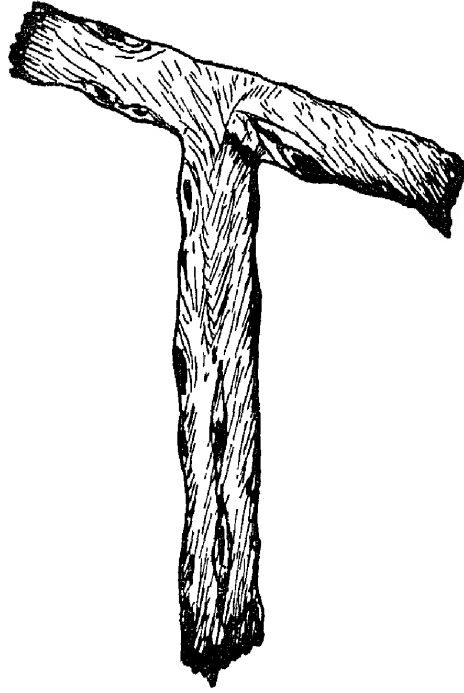
أما بعد : فإنني عاهدتُ الله تعالى ألاّ أطأ غير بساطِ أبي ، وأنا وليّ عهده ، ولا حقّ لك عليّ ، (٩٨) وإن قاتلتني فأنا مظلوم ، والسلام . ثم جهّز له جيشاً كثيفاً بنظر^(١) الحاج مفتاح^(٢) ، داداه^(٣) ، وأكبر عبيده .

(١) في الأصل : لنظر

(٢) ذكر الاسم في الأصل هكذا بدون ضبط ، وفي الترجمة الفرنسية بضم الميم وهو النطق العامي للفظ . Vayage p. 92

(٣) الدادا هم - كما شرحه ناختجال في « يومياته في دارفور » العبيد الذين ينشأون مع أطفال السلطان في القصر الملكي ويعتبرون كأخوة لهم Nachtigal, G., Sahara und Sudan p. 431 ويظهر من الشرح ومن المتن أن لفظ « دادا » يستعمل مفرداً وجمعاً .

فتلاقى هو وجيشُ السلطان عبد الرحمن في محلٍّ يقال له : تَبْلَدِيَّة^(١) ؛ فكان مع كلِّ إنسان من جيش السلطان عبد الرحمن سَفْرُوك ، والسَفْرُوك : قطعةٌ من العِصِيّ صورتها هكذا :



فحين التقى الجمعان ، ألقى جماعةُ السلطانِ السفاريكَ على جماعةِ الخليفة ، وقالوا : الله أكبر . ففرّوا ، وتبعهم جماعةُ السلطان ، يأسرون ويأخذون الأسلابَ والخيول ،

(١) يطلق اسم تبليدية في الوقت الحاضر على بعض الجبال والوديان والأخوار والابار والقرى والبلدان في كل من كردفان ودارفور . ولعل المقصود به هنا حسبما جاء في خريطة التونسي مكان يقع عند جبل تبليدية الواقع جنوب شرق مدينة نيالا الحالية عند خط عرضي ١٣ : ١١ وخط طول ١٣ : ٢٦ .

وتبعهم العرب أيضاً ، فاغتنموا منهم غنيمةً عظيمةً ، ونجا الحاج مفتاح ، وفلّ من أصحابه برأس طِمْرَةٍ^(١) .

وحين دخل الحاج مفتاح على الخليفة قال له : ما وراءك ؟ قال : يا سيّدي ، إني ناصح لك . صالح عمّك . وإن طلب منك مالاً فأعطه إياه ، واجعلني أول ما يُعطى ، فأنا فداؤك .

فلما سمع الخليفة منه هذا الكلام زجره وقال : رجعت إلى أصلك يا عبد الشوّ ، اسكن اللوم علىّ في أن أقدمك على العساكر . ثم إن الخليفة حشد الحشود ، وفتح الخزائن ، وقرق الأموال ، وأعطى الإقطاع . فجمع جيشاً عظيماً لا أوّل له ولا آخر ، وبرز يؤمل النصرة على السلطان ، فوصل إلى محلّ يقال له : تالدوا^(٢) ، فأدركه السلطان هناك ، ولما عين كلّ منهما صاحبه ، رتباً جيوشهما ، وصفاً صفوفهما . (٩٩) وكان مع جماعة الخليفة رجل من الملوك يقال له : « بخر » الجبّاي ، وهو الذي يجي الغلال للسلطنة ، ومعه [من] أتباعه ما ينوف عن عشرة آلاف من الخيل خلافاً الرجاله . فلما تلاقي الجمعان أخذ جماعته ، وزحف على جيش السلطان عبد الرحمن كأنه يريد قتالهم ، ودخل فيهم ، وألصق صفّه بهم ، وبقي يقاتل الخليفة ، فترك في صفوف الخليفة ثلماً عظيماً ، وفرجة ما قدروا على سدّها ، فانكسرت قلوبُ عسكر الخليفة بما فعل الملك بخر ، والتحم القتال ؛ فلم يكن إلا كلمة بارق ، حتى تقهقر جيش الخليفة .

(١) الطمر بتشديد الراء : الفرس الجواد أو المستفز للوثب والعدو أو الطويل القوائم الخفيف . والأثنى طمرة (اللسان) .

(٢) تالدوا اسم يطلق الآن على جبل يقع شمال شرقي مدينة نبالا الحالية عند خط عرض ٢١ : ١٢ وخط طول ٣٢ : ٢٥ .

وحين رأى الخليفة ذلك ، خرج يقائلهم بنفسه ؛ فكان كل من عرفه يُعرض عنه إكراماً له ولأبيه . وما زال يفعل كذلك ، حتى رأى جيشه انهزم ، وبقي هوفى نفر قليل ؛ فلحق بجيشه فرأى [أنه] قد قتل أكثره ، وتبعتهم عساكرُ السلطان يأسرون ويشبّون ، حتى أمسى المساء .

وحكى لى من كان حاضراً : أنه وقت التحام القتال بينهما ، رأى النجوم فى السماء ، وكان الوقت ضحىً . ولقد شاهدتُ محلّ الواقعة ؛ فرأيتُه جذباً فى وقت الربيع ، فسألتُ عن سبب ذلك ، فقيل لى : إنه لا يُنبُت فيه نباتٌ لما سال فيه من الدماء .

ثم إن الخليفة توجه بأصحابه إلى الجهة الشمالية ، وترك السلطان بالجهة الجنوبية ، ولما انفرد الخليفة عن السلطان وأبعد^(١) عنه ، ظلم وتعدّى^(٢) وجار ، وصار يُخرجُ الناسَ معه قهراً عليهم ، وكلّما عثر بجواد (١٠٠) أخذه ، أو بمال استأصله . فاجتمع له بذلك مال عظيم ، وخلق كثير من شره ، وعظم شره ، واستغاثت الناسُ منه إلى السلطان ، فأراد أن يتوجه إليه بنفسه ، ففنع أربابُ دولته ، فكتب له كتاباً يقول فيه :

بعد ما يليقُ ، فإنك طغيت وبغيت ، وظلمت وتعدّيت ، وقد نصحتك أولاً أن تحقن دماءَ الناس فأبيت ، وكان منّا ما كان ، والآن فقد استعنت على قتالنا بظلم العالم ، ونهب أموالهم ؛ وأنا أنصحك ثانياً أن تترك ما أنت عليه من الرعونة والجبر والعُتُو ؛ فإن رجعت إلينا ثانياً قبلناك ، وجعلنا لك ما جعلناه أولاً ، وإن

(١) كذا ، بدل : بعد .

(٢) فى الأصل : وتعدا .

أَيْتَ فَلَا تُحْمِلْ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ الْمَذْمُومُ ؛ وَإِنْ أَصْرَرْتَ عَلَى الْقِتَالِ فَالرَّعِيَّةُ لَا ذَنْبَ لَهَا ،
فَمِغْفَرٌ نَفْسَكَ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَهِيَ هِيَ مَالِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، خَذَ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، حَتَّى
يُحْكَمَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ وَعِلِمَ مَا فِيهِ ، مَزَقَهُ وَلَمْ يَرُدِّ لَهُ جَوَابًا ، وَزَادَ شَرُّهُ ،
وَكَثُرَ شَاكُوهُ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَلِكَ الْجُمْهُورِ الشَّمَالِيَّةِ ، وَيُسَمَّى بِالْتَّكْنِيَاوِي فِي جَيْشِ ،
فَذَهَبَ إِلَيْهِ التَّكْنِيَاوِي فَأَدْرَكَهُ فِي مَحَلٍّ يُقَالُ لَهُ : بَوَّا^(١) ، لَحِينَ رَأَى الْخَلِيفَةُ الْجَيْشَ
قَدْ أَقْبَلَ ، رَتَّبَ صَفْوَةً وَوَقَفَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ الْجَيْشُ ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ ، وَكَانَ جَيْشُ الْخَلِيفَةِ
قَدْ أَثَّرَ فِيهِ الرُّعْبُ مِنْ وَقْعَةِ تَالْدَوَا ، فَأَرَادَ الْإِنْهَزَامَ فَثَبَّتَهُمُ الْخَلِيفَةُ ، وَاقْتَحَمَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ،
هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ تَرَبُّبِهِ^(٢) ، (١٠١) فَكَانَ كَلَّمًا حَلَّ فِي جُمُوعَةٍ يَفْرَوْنَ مِنْهُ ، حَيَاءً لَا خَوْفًا ،
حَتَّى دَخَلَ فِي الْقَلْبِ ، وَوَصَلَ إِلَى التَّكْنِيَاوِي ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ السُّوءِ ، أَلَسْتَ عَبْدَ أَبِي ،
تَغْدُرُ وَتَقَاتِلُنِي ؟ ، وَجَرَّدَ حَسَامَهُ وَضَرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَحِينَ خَرَّ قَتِيلًا تَشَوَّشَ صَفُّهُ ،
وَانْهَزَمَ جَنْدُهُ ، وَتَبِعَهُمْ عَسَاكِرُ الْخَلِيفَةِ ، فَأَخَذُوهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَنَهَبًا ، وَلَمْ يَنْجُ مِنَ الْقَتْلِ^(٣) ،
إِلَّا الْقَلِيلَ . وَغَنِمَ الْخَلِيفَةُ خِيَالَهُمْ وَسِلَاحَهُمْ ، وَمَا كَانَ مَعَهُمْ ، فَانْجَبَرَ خَاطَرُهُ ، وَأَمَّلَ النُّصْرَةَ
عَلَى عَمَّةٍ ، وَتَقَوَّى بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَاجْتَنَظَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ أَخَاهُ رِيفًا مَعَ جَيْشٍ آخَرَ ،
فَأَدْرَكَ الْخَلِيفَةَ فِي بَوَّا أَيْضًا . وَحِينَ رَأَاهُ الْخَلِيفَةُ رَتَّبَ صَفْوَةً وَعَبَّأَ^(٤) عَسَاكِرَهُ . وَكَانَ قَدْ

(١) بَوَّا : وَادٍ يَقَعُ شَمَالِي دَارْفُورٍ عِنْدَ خَطِّ عَرْضِ ١٦ : ١٤ وَخَطِّ طُولِ ٣٧ : ٢٤ .

(٢) التَّرَبُّبُ هُنَا بِمَعْنَى : السِّنِّ

(٣) الْقَتْلُ : الْمَنْهَزَمُونَ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : عَبَّى .

أعدّ كميناً في محلٍّ منخفض ، وقال لهم : إني أتقهقر بالعساكر ، وهم يطمعون فيّ ويأتون خلفي ، فإذا رأيتموهم فعلوا ذلك ، فاصبروا حتى تروهم أمامكم ، ثم اكنُّوا^(١) من خلفهم ، وانزلوا فيهم ، وأنخنوا فيهم ، ونحن نرجع عليهم ، فنكون أمامهم ، وأنتم خلفهم ، فلا يُفِلت منهم أحد .

وكان الأمر كذلك . فحين التقى الجمعان تقهقر جماعة الخليفة ، فظنَّ جماعة السلطان أنه انهزم ، فأوغلوا فيهم ، حتى صاروا أمام الكمين وهم لا يعلمون ، فخرج الكمينُ عليهم ، وأنخنوا فيهم بالقتل ، وكرَّ الخليفةُ راجعاً ، فتضمَّع جيشُ السلطان ، واختلَّ أمرهم ، وتشوَّش (١٠٢) صفُّهم ، وقُتِلَ باسَى ريفاً أخو السلطان [و] أميرُ الجيش ، وقتل أكثر الجيش ولم ينج منهم إلا القليل . وحينئذ قوِّيت شكيمَةُ الخليفة ، وطمع في أن يرجع إلى السلطان ويقاتله ، وما علم أن الأمور بالخواتيم .

ولما سمع السلطان بموت أخيه ريفاً ، اغتمَّ غمّاً شديداً ، ولام نفسه على القعود عن الحرب ، وقال : لو لم أسمع كلامَ الناس ، وتوجَّهتُ بنفسى ، لم يحصلَ هذا الأمر ، « وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً »^(٢) . ثم ارتحل من يومه ، وقصدَ جهةَ الخليفة بجيشٍ يسدُّ السهلَ والوعر ، وجاءت عيونُ الخليفة : فرأوا جيشَ السلطان وما فيه من العساكر ، التي لا يقدر الواصف على وصفها ، والعاذ على حصرها ، وأسرعوا بالخبر إليه ؛ فخاف على نفسه وجماعته ، فأصبح راحلاً قاصداً بلادَ الزَّغاوة ، لأنَّ مملكتها خالَهُ يريد أن ينزل عليه ، لِيُمدَّه بمجنِّدٍ من عنده . فسار يقطع الأرض ليلاً ونهاراً ، والسلطانُ على أثره ، لأنَّ الجواسيسَ أخبروه بقصده ، فخاف السلطان أنه إذا وصل إلى زَغاوة يمدُّه خاله

(١) في الأصل : كنوا .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٣٨

بجيش ، ويعسر أمره ، ويطول الحال بينهما . فجدّ في طلبه ، حتى أدركه بمحلّ يقال له : جَزْكَو^(١) . وكان في طليعة جيش السلطان ، الأمين محمد دُكَيْم بن الأمين على ود جامع ، الذى سمّ نفسه فى كردفال كما سبق .

فلما التقى الجمعان ظنّ الخليفة أن الجيش هذا فقط ، فكرّر راجعاً (١٠٣) عليهم ، وناوشهم القتال ، وقاتل بنفسه ، وفرّقت الناس أمامه ، حتى وصل إلى الأمين محمد دُكَيْم ، فوقف أمامه وصار يضربه بالسيف ، ويقول له : يا عبدُ يا خائنُ يا غدار ، ألك عين ترفعها ، تخون نعمتى ونعمة أبى ، وتأتى لقتالى ؟ والأمين ساكت لا يتفوّه بحلوة ولا مرّة ، لكن كان لابساً درعين ؛ فلم يعمل سيف الخليفة فيه شيئاً . فلما أعيّا الخليفة أمره ، تركه وأراد أن يذهب ؛ فصبر عليه الأمين محمد حتى التفت ، وضربه على عاقه الأمين بالسيف - وكان ذا قوّة - فكسر عظم ترَفُوتِهِ ، وانكسر السيف من متبضه ، وطار فى الحال ، فخذرت يدُ الخليفة وأرخى ذراعه ، وعلم بذلك الأمين محمد ، فطمع فيه وأراد أن يقبض عليه ، فأدركته جماعته فخلّصوه منه . وانهزم حينئذ جيشُ الخليفة ، وتبعه الأمين محمد بجيشه ، وأرسل السيف المكسور إلى السلطان عبد الرحمن يُعلمه بما وقع ، فأرسل السلطان فى الحال للأمين محمد سيفين عظيمين مُحلّين ، وأمره بالمسير خلفه ، وأنه على أثرهم .

وكان حينئذ بالعسكر رجلٌ من أبناء العرب يقال له : زَبَادى ، قيل إنه من فلاحين^(٢) مصر ، وكان يصطاد بالبُنْدُق ويصيب . فتجاسر على السلطان وقال له :

(١) الراجع أن المقصود بذلك جرّكول الواقعة على مسافة قصيرة من مدينة الفاشر عند خط عرض ١٤:٣ وخط طول ٢٥:٥٥ .

(٢) كذا فى الأصل : بنبوت النون فى جمع المذكر السالم المضاف ، وهو ماتبيحه انعامية ولا تعرفه الفصحى .

يا مولاي ، إن أرحمك من عدوك في هذه الساعة ، فإذا يسكون لي عليك ؟ قال السلطان (١٠٤) عبد الرحمن له : إذا أرحمتني منه لك على مائة رأس رقيق . فقال : أرسلني إلى الأمين [محمد] لأكون في عسكره ، وترى ما يصير اليوم . فأرسله في الحال إلى الأمين ، بكتاب من عند السلطان يقول فيه : إن زبادي قد التزم براحتنا من عدونا ، والتزمنا له الجزاء في ذلك ، وطلب أن يكون في عساكرك ، فها هو واصل إليك ، فإن التمس منك شيئا فساعدته وأكرمه ، وإني على أترك . وركب زبادي على هجين ، ولحق بعسكر الأمين ، فأعطاه أمر السلطان ، فقرأه ورحب به ، وسار في الجيش .

وبالأمر المقدّر أن الخليفة آلمه ذراعُه ، وأراد أن ينزل للراحة ، فمنعه أربابُ دولته عن النزول ، فقال لهم : ولم تمنعوني ؟^(١) . فقالوا : إن الأمين محمد قافٍ أثرنا بجيشه ، والقتال بيننا وبينه دائر . فغضب وقال : ألم يرجع عنا ؟ فقالوا : لا . فكرّ راجعا على عسكر الأمين فتعرّضوا له أيضا ، فقال : [أنا ذاهب]^(٢) ولا بد .

وبينما هو ينازعهم على الرجوع ، ويلطفونه في التّرك ، إذ جاء زبادي وتأمل الخليفة وعرفه ، وأخذ عليه النيشان ، وأطلق البندقية فأصابته ، قيل في صدره ، وقيل في رأسه ، فخرّ فأسندوه ومشى قليلا ، وصار يجود بنفسه . فحين رأى أرباب دولته أنه يجود بنفسه ، نصبوا له سرادقا وأدخلوه فيه ، ووقف الجيش يذبّ عنهم عند السلطان ، كلّما وقع منهم أمر مع أعدائهم من القبائل الأخر والقتال دائر (١٠٥) بين فريقين ،

(١) كذا ، بدل : تمنعوني .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 100

حتى وصل الأمين فرأى العسكر وقوفاً ، ونار الحرب تستعر ، فسأل عن الخبر ف قيل له :
إن الخليفة أصيب بالرصاص ، وهو يجود بنفسه ، و [قد] محجز عن الحركة ، فنصبوا له
هذا السراق ، ووقف جيشه يذُبُّ عنه . فقال : أما إذا كان الأمر كذلك ، فاتركوا
القتال وأحيطوا بهم ، حتى ننظر ما يكون .

وأرسل [الأمين] إلى السلطان يُعلمه أن الخليفة أصيب برصاصة من زيادى وهو
يجود بنفسه ، فإن كان يمكن مولانا أن يحضره قبل إزهاق روحه فليفعل . وبعد ذهاب
الرسول إلى السلطان بقليل قضى على الخليفة ، وأعلن بالبكاء . ونزل الجيش الذى كان
يقاتل من ظهور الخيل ، وكذا نزل جيش الأمين . مفرد من البسيط :

لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ دُوْ بَغْيٍ وَلَوْ مَلِكًا جنوده ضاقَ منها السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
مفرد لسكاتبه ، من الكامل :

لَا يَمْنَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيفُ مِنَ الرَّدَى وَلَا يَمْنَعُ الْمَقْدُورَ بُرْجٌ مُشِيدٌ^(١)
وبعدها بقبائل حضر السلطان وجيشه فاخترق الصفوف . وحين رآه جيش الخليفة
أعطوه الطاعة ، فدخل السراق هو والأمين محمد ، وجماعة من أرباب الدولة ، وكشف
الغطاء عن وجه الخليفة ، وبكى بكاء شديداً وقال : يا ولدى ، أنت فعلت هذا بنفسك
ونصحنك (١٠٦) فلم تقبل ، « وكان أمرُ الله قَدَرًا مقدورًا » . ثم التفت إلى أرباب دولة
الخليفة وقال لهم : لقد زينتم القتال لولدى حتى قتلتموه ؛ أمّا فيكم ذو عقل يكفه

(١) ضبط الشطر الثانى فى الأصل بضميتين على الجيم فى « برج » وشدة على الياء
فى « مشيد » . وإذا كان الشطر الأول من بحر الكامل فان الشطر الثانى بهذا
الضبط ليس من الكامل بل من بحر الطويل .

وينصحه ؟ فحافوا كلهم أنهم بُرّاء مما كان فيه ، وأنهم نصحوه فلم يقبل ، وقالوا له : يا سيّدنا ، نحن تقلدنا نعمته ، وقتلنا عنه حتى قضى الله فيه ، وما خنّاه . وإن أنت قبلتنا نقاتلُ عنك كذلك ، ولو خنّاه وخدمناك نخونُك أيضاً . فعرف صحة قولهم وقال : قد عفوتُ عنكم ، فمن أراد أن يكون معي منكم فهو على رتبته ومقامه ، ومن أبى يلقَ خيراً . ثم أمر بدفن الخليفة في ذاك الحبل ، وأبى يدفنه ^(١) في مقبرة المدوك ^(٢) ، وقال : هذا عاقب لا يُدفن في مقابرنا . فدفن هناك .

وأقام السلطان بقيةَ نهاره وليّاته ، وأصبح قافلاً إلى الفاشر ، مخفوقاً بالنصر ، مستبشراً بذهاب العُسر ^(٣) ، كأنّ أبا الطيّب رآه على تلك الحال ، حين أنشد وقال ، من الكامل :

سِرُّ حَيْثُ شِئْتَ تَحُلُهُ الْأَنْوَارُ ^(٤) وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ ^(٥) الْأَقْدَارُ
وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فِرَاقَتُكَ ^(٦) سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ ^(٧) مِذْرَارُ ^(٨)
[وَأَرَاكَ دَهْرَكَ مَا تَحَاوُلُ فِي الْعِدَى حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ] ^(٩)

-
- (١) كذا ، وهو تعبير عامي .
(٢) تقضى التقاليد في سلطنة دارفور أن يدفن السلطان المتوفى في مقابر السلاطين برّة إذا مات ميتة طبيعية • أما إذا مات قتيلاً فإنه يدفن في المكان الذي قتل فيه • وقد سمعنا هذا عن الأمير سليمان ابن السلطان علي دينار بمدينة الفاشر بدارفور .
(٣) في الأصل : عسر .
(٤) في رواية أخرى : « سر حلّ حيث تحلّه الأنوار »
(٥) في الأصل : مراده .
(٦) في الأصل : فشيعتك .
(٧) الديمة : المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق .
(٨) المذار : الدائم الدر .
(٩) الزيادة عن الديوان

وصَدَرَتْ أُغْنَمٌ صَادِرٍ مِنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةٌ لِقُدُومِكَ الْأَبْصَارُ
 أَنْتَ الَّذِي لَهَجَ^(١) الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ الْأَسْمَارُ
 وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الْأَعْمَارُ
 (١٠٧) وَلَهُ - وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ - مَوَاهِبُ دَرَّ الْمُلُوكُ لِدَرِّهَا أَغْبَارُ^(٢)
 لِلَّهِ قَلْبُكَ لَا يَخَافُ^(٣) مِنَ الرَّدَى وَيَخَافُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْكَ الْعَارُ
 وَتَحِيدُ عَنْ طَبِيعِ الْخَلِيقَةِ^(٤) كُلَّهُ وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَّارُ
 يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى الْأَعِزَّةِ جَارُهُ وَيَذِلُّ مِنْ^(٥) سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوقَةٌ^(٦) دُونَ الْلِقَاءِ وَلَا يَشِطُّ^(٧) مَزَارُ
 وَكَانَ الْفَاشِرُ^(٨) إِذْ ذَاكَ بِالْحُلِّ الْمُسَمَّى : قِرْلِي ، وَكَانَ فَاشِرُ السُّلْطَانِ تِيرَابَ الرِّبْلِ^(٩) ،
 وَفَاشِرُ الْخَلِيفَةِ بِجَدِيدِ رَأْسِ الْفِيلِ^(١٠) ، ثُمَّ انْتَقَلَ [السُّلْطَانُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ] بَعْدَ ذَلِكَ وَجَعَلَ
 الْفَاشِرَ بِالْحُلِّ الْمُسَمَّى : تَنْدَلْتِي ، وَهُوَ فَاشِرُ ابْنِهِ [السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ فَضْلٍ] الْآنَ . وَلَمْ يُعْهَدْ لِلْفُورِ
 إِقَامَةٌ فِي فَاشِرٍ كَمَا قَامَتْهُمْ فِي فَاشِرِهِمْ هَذَا ، الْمُسَمَّى تَنْدَلْتِي .

- (١) فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى فِي الدِّيَوَانِ : بَسِيجَ بَكْسَرِ الْجِيمِ أَيْ : فَرْح .
 (٢) الْأَغْبَارُ جَمْعُ غَبَرٍ بَضْمُ الْغَيْنِ وَسُكُونُ الْبَاءِ وَهُوَ بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ .
 (٣) فِي رَوَايَةٍ : مَا تَخَافُ .
 (٤) فِي رَوَايَةٍ : الْخَلَائِقُ .
 (٥) فِي الْأَصْلِ : فِي
 (٦) التَّنُوقَةُ : الْفَلَاةُ الْوَاسِعَةُ .
 (٧) يَشِطُّ : يَبْعُدُ .
 (٨) سَبَقَ شَرَحَ « الْفَاشِرُ » فِي ص ٦٤ حَاشِيَةِ ٤ .
 (٩) الرِّبْلُ : اسْمُ جَبَلٍ يَقَعُ شِمَالُ شَرْقِ مَدِينَةِ نِيَالَا عِنْدَ خَطِّ عَرْضِ ١٢:٢٧ وَخَطِّ طُولِ ٢٥:٣٨ .
 (١٠) جَدِيدُ رَأْسِ الْفِيلِ : اسْمُ يَطْلُقُ الْآنَ عَلَى حَلَّةٍ وَبَثْرٍ يَقَعَانِ شِمَالُ شَرْقِ مَدِينَةِ نِيَالَا وَشَرْقِ بَلَدَةِ مَنَوَاشِي ، عِنْدَ خَطِّ عَرْضِ ١٢:٤٠ وَخَطِّ طُولِ ٢٥:٤٢ .

ولما أراح [اليتيم] ^(١) قلبه من قتال الخليفة وسكن جأشه ، نظر في أمر الرعية ، فأبطل المكوس ، ورفع المظالم ، ووَلَّى المناصب ، وانتبه لعمار البلاد ، ورفاهية الحال ، وقطع الإعلان بشرب الخمر والزنا ، وأَمَّن الطرق وكانت تخوفة . فبعد ذلك صارت أمناً ، حتى أن المرأة كانت تسافر من أقصى البلاد إلى أذناها ، محملة من الحلي والمتاع ، لا تخشى إلا الله . وكثرت التجارات ، وتتابع الخصب ؛ وأظهر العدل التام ، فكان لا يكريم ظالماً ولا يعينه ، ولو كان من ذوى قرابته .

ولقد أخبرني الثقة : أن أعرابيين تعرضا له يوماً - وكان (١٠٨) قادمًا من الصيد - فقال له أحدهما : أنا مظلوم ، يا رشيد ، الله يخليك ، يا رشيد ، أنا مظلوم . ومن عادتهم أن المظلوم إذا جاء أمام السلطان ، يضع إصبعه يده اليمنى ، أى السبابة والإبهام ، على شذقيه ، ويرددُهما مع إخراج صوت عالٍ ، فيه كافٌ واحدة وراءتُ كثيرة مضمومة ، فيخرجُ من فيه صوتٌ يقال له : الكَرُورَاك . وهذا الصوت لا يصوت ^(٢) به أحد ، إلا إذا كان أصيب بمصيبة . فكان الأعرابي يصوتُ كذلك ، ويقولُ بعد كل صوت : الله يخليك ، يا رشيد ، أنا مظلوم . وشغل عنه السلطان ، إمَّا لأمرٍ قام به ، أو لأنه لا يسمعه ، لكثرة الطبول والغناء وأصوات الجند . فكَرُورَاك الأعرابي مرارًا ، فلَمَّا لم يحببه السلطان ، قال له صاحبه : خَلَّه عنك ، رشيدٌ لنفسه لالك . فسمعه السلطان ، فوقف وسأل الأعرابي عما قال ، فقال : إنَّ أخى هذا كَرُورَاك مرارًا ، واشتكى لك ، وهو ينادى : يا رشيد ، أنا مظلوم . فلَمَّا لم تجبه قلتُ له : خَلَّه ، فإنه رشيدٌ لنفسه ، غيرُ رشيدٍ لك . فضحك السلطان وقال : بل أنا رشيدٌ لك أيضًا ، قل لى : مَنْ

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage , p. 103

(٢) فى الأصل : لا يصوته به .

ظلمك ؟ قال : ظلمني باسى خبير . وكان باسى خبير من أقاربه . فقال : وما أخذ منك ؟ قال : أخذ مني خمسَ نياق . فوقف مكانه ، ودعا بباسى خبير وسأله ، فاعترف . فأمر أن يدفع له عشر^(١) نياق ، خمسا حقه ، وخمسا تأديبا (١٠٩) له . فدفعها ، وذهب الأعرابيان ، وهما في غاية الغبطة والسرور .

وفي أيامه تلك نُصِّبَ محمد كُرّا في منصب الأب الشيخ ، وهو أجل المناصب هناك . صاحبُه معلوقُ السيف ، له دولةٌ كدولةِ السلطان ، وشاراتُ كشاراته . ومن عادة هذا المنصب [أنه] لا يتولاه إلا خصي ، لأنه يُخشى من غيرِ الخصي ، إذا تولاه ، وقويتْ شكيمته ، أن يصادرَ السلطان ، ويطلبَ الملِكَ لنفسه . وبعد توليةِ الأب الشيخ محمد كُرّا ، وجَّهه إلى البلاد ، فنزل في أبي الجُدول ، وسلك طريقَ العدلِ في العالم ، وضبطَ الأمور ، حتى أنه قتل أناسا كثيرين ، لما وقع منهم من الظلم .

ولما ظهرَ عدلُ السلطان ، وحُبُّه للعلماء وأهلِ الفضل والأشراف ، وفد عليه الأشرافُ والعلماء من جهاتٍ عديدة ، فكان أولَ وافد عليه والدى ، عليه سحائبُ الرحمة والرضوان . وكان حينَ قدومه إلى دارفور ، نزل بكُوبيه على الفقيه حسن ودَّ عَوْوُضة . وبلغ أهلَ كُوبيه أنه جاءهم رجلٌ عالم من تونس ، فاجتمع عليه أكابرُهم ، كالفقيه محمد كَرَيْتيم ، والشريف سُروور بن أبي الجود ، وعبدُ الكريم ابن الفقيه حسن ودَّ عَوْوُضة ، وأضرابهم . وطلبوا منه قراءةً مختصرِ الشيخ خليل ، فقرأ لهم منه رُبْعَ العبادات . ووصل خبرُه إلى الفقيه مالك القوتاوى ، فأعلم به السلطان ، فأرسل إليه ، فذهب له فأكرمه ، (١١٠) وأعطاه عدَّةَ جوارى ، وأمره أن يكون عند الفقيه نور الأنصارى ، زوج ابنته الميرم^(٢) حواء .

(١) فى الأصل : عشرة

(٢) الميرم : لقب يطلق على كل بنت من بنات السلطان فى دارفور ومعناه : الأميرة ،

وهو مأخوذ عن مملكة برنو • Balfour - Paul (H. G.) History and Antiquities

of Darfur p. 19, SNR, XXXIII, Part I. pp. 129 - 130, Browne : Travels, p. 296.

وكان رجلاً من سلالَةِ الأنصار، محبّاً لأهل العلم ، وفيه فقه^(١) ، فقرأ على والدي نبذة من صحيح البخارى .

وأعلم السلطانَ بِعِلْمِيَّتِهِ ، وأنه ماهر فى العلوم العقلية والنقلية . فأحضره لديه ، وقرأ عليه فى شهر رمضان جزءاً من الحديث ، وتعلّقت به آمالُ الفقيه مالك ، فأمر أولاده أن يحضروا عليه ، فحضر عليه من إخوانه الفقيه إبراهيم ، والفقيه مدنى ، والفقيه يعقوب ، ومن أولاده الزّاكى ، والسُّنوسى ، ومحمد جلالُ الدين ، وابنُ أخيه الفقيه محمد البرّكاوى ، وحضر عليه الفقيه حسين ودّ تُوَرس . وأمره السلطان أن يكتبَ [شرحاً] على الخصائص ، التى أَلَفَ مَتْنَهَا مُعَاطَاى التُّركى ، فكتب عليها شرحاً عظيماً ، نحو ستّة عشر كُرّاساً ، سماه : الدّرة الوفيّة ، على الخصائص الحمديّة . وسأله فى شرح على مختصر الشيخ خليل المالكي فى الفقه ، فكتب عليه شرحاً فى مجلدين ، سماه : الدرّ الأوفاق ، على متن العلامة خليل بن إسحاق . وكتبَ على الآجُرُومِيّة شرحاً كبيراً ، أدخل فيه نحو مائتى بيتٍ من ألفية ابن مالك ، فأتى مجلداً ضخماً ، ثم اختصره فى كرارىس . وكتب على السُّلَمِ المُرَوَّنق ، شرحاً لطيفاً فى كرارىس . وألَفَ (١١١) رسالةً فى علم الكُفِّ^(٢) .

ووفد على السلطان عبد الرحمن ، الفقيه الزاهدُ النّاسكُ الشيخ التّمُرُوثى الفُلّانى ، ووفد عليه الفقيه النّبِيّهُ السّبيحُ حسين عَمّارى الأزهرى . ووفد عليه من أشرف مكة الشريفُ مُساعد ، يقال : إنه من أولاد الشريفِ سرور . وكان قاضيه الفقيه النّزِيّةُ الشيخ عزّ الدين الجامعى ، وهو قاضى القضاة بدارفور وأعمالها .

وكان السلطانُ عبدُ الرحمن جواداً كريماً عادلاً غفيفَ النّفس . وكان وسطاً

(١) كذا .

(٢) فى الأصل : الكتف .

القامة ، شديد السواد ، قد وَخَطَه الشيب ، أْبَحَّ الصوت ، شديد الغضب ، سريع الرضا ، ذا تدبير حسن .

فمن حُسْن تدبيره أنه لما دخلتُ الفَرانساويّة مصر ، وهرب الغزُّ عنها ، توجه إلى دارفور منهم كاشف بسمي : زَوَانَة كاشف . قيل إنه من ممالك مراد بيك ، أو هو أحدُ كُشَّافِ الألفي ، ومعه أكثر من عشرة ممالك ، ومعه أمتعة زائدة ، وبجمالٍ وخَدَم وطَبَّاح وفَرَّاش وسُيَّاس . وأخذ معه مِدْفَعاً وهاوُن بُنْب . فحين حلَّ بدارفور ، أكرمهُ السلطانُ عبد الرحمن ، وأحسن ماقاه ، وأنزله نُزُلًا حسناً ، وأجرى عليه من الأرزاق شيئاً كثيراً ، حتى صار لا يَعْرِفُ رقيقه لكثرة .

ثم طلبَ من السلطان أن يبنّي بيتاً كبيراً في مصر ، فأذن له في ذلك . فضرب الأجر ، واستخدم العبيدَ في قطع الأحجار ، وصنع بيتاً (١١٢) جميلاً ، وسَوَّرَهُ بِسُور ، وجعل السُورَ عريضاً ، وجعل فيه مَزْغَلَتَيْنِ^(١) مقابلَتَيْنِ لبيتِ السلطان ، يضعُ في إحداهما المدفع ، وفي الأخرى هاوُنَ البُنْب .

وكان محلُّ هذا البيتِ أعلى من محلِّ بيتِ السلطان ، بحيثُ كان يَرَى السلطانَ حين يدخلُ وحين يخرج . فسوّلت له نفسه أن يقتلَ السلطان ، ويملكَ البلد ، بأن يرصده^(٢) وهو داخلٌ أو خارجٌ ، ويطلقَ عليه مِدْفَعاً يهلكه به . لكنْ خاف أن قتلَ السلطان لا يطيعوه^(٣) أهلُ المملكة ، وأربابُ الدولة . فاحتال أن اجتمع بالفقهاء الظَّليِّب وذو مصطفى ، وكان هذا الفقيه وزيرَ السلطان تيراب وصهره ، أعنى أن السلطانَ

(١) المزغلة : فرجة في الحائط .

(٢) في الأصل : يرصد .

(٣) في الأصل : يطعوه .

تيراب كان متزوجاً بأخته ، وأتت منه بولد . فلما اجتمع عليه زَوَانة كاشف ، فَنَشَى^(١) سرّه له ، بعد أن عاهده على السكتان ، وقال له : إنه قد بلغنى أن ابنَ أَخْتِكَ ابنُ السلطان ، وأريدُ أن تجعلَ يدَكَ معى ، فنقتل هذا ، ونُوَلِّي ابنَ أَخْتِكَ ، وتصير المملكة بيننا . فرضى الفقيهُ الطيبُ بذلك ، ثم قالوا : إن هذا الأمر لا يتمُّ لنا ، إلَّا بإدخال بعض الناس ، الَّذِينَ تَكُونُ لَهُمْ عِساكَر . فقال زَوَانة : ذاكَ إليك ، وأنت أعرفُ الناسَ به .

فصار الفقيهُ الطيبُ يخادعُ الناسَ ، ويأتى بهم إلى الكاشف ، والكاشفُ يعطيهم الأموال ، وَيُحَلِّفُهُمْ أَن يَكُونُوا معه ، حتى أَدخلوا فى أمرِهِم عدَّة (١١٣) رجال .

واتَّفَق أن رجلاً من الأمراء خادعه الفقيهُ الطيب ، وجاء به إلى الكاشف ، فأعطاه عطية سنّية ، وأُطلعه على الأمر ، وحلّفه على السكتانِ فحلّف . وأخذ العطاء وتوجّه به إلى السلطان ، وأُطلعه على جَلِيّة الأمر وحقيقته . فقال له السلطان : خذْ عطاءكَ واذهب ، وكُنْ معهم على ما أنتَ عليه ، وإيّاكَ أن تُخبر أحداً أنك أتيتنى .

ولما كان من الغد ، جاء زَوَانة كاشف إلى بيت السلطان ، فأكرمه أكثر مما كان يُكرمه ، وأعطاهُ فى ذلك الوقتِ مائةَ عبد ، ومائةَ جارية ، ومائةَ ناقة ، ومائةَ جَرّةٍ سَمّاً ، ومثلها عَسلاً ، ومائةَ حَمَلٍ دُخْناً ، وكساه كشميراً أحمر ، وجُوخه حمراء ، وقلّده سيفاً ، وأعطاه جواداً سرجه من ذهب . وتوجّه الكاشفُ إلى منزله مغتبطاً

(١) كذا في الأصل بالياء وبدون همزة ، وهي صيغة عامية ، بدل : أفشى .

بما حصل له من السلطان ، وقال : هذه أموالُ ساقها الله إليَّ ، أستعينُ بها على هذه المصلحة^(١) .

ولما أمسى المساء ، وكان بعدَ العشاء ، أمر السلطانُ بإحضار ملكٍ من الملوك بعسكره ، وأمره أن يقفَ حتى يرى الكاشف دخل دار السلطان ، [وحينئذ] يعقبه ويضبطُ جميعَ ما في بيتِ الكاشف من الأموال ؛ وحذَّره من^(٢) أن يُفْلِتَ منه شيء . ثم أرسل للكاشف غلامًا يقول له : إن سيدى جلس للسم ، وقد أراد أن تحضر مجلسه الآن . ورتَّبَ عبيدًا للقبض عليه عند أمر السلطان به .

فذهب (١١٤) الغلامُ وأخبره بمقالِ السلطان ، فحضر معه . ولما دخل على السلطان أكرمه ، وكان معه بعضُ من الخدم^(٣) دخلوا معه بابين ، ومنعوا أن يدخلوا من الثالث . وقيل لهم : اصبروا هنا حتى يأتيَ سيدكم . فكذَّبوا مكانهم^(٤) . وجلس السلطانُ يتحدثُ مع الكاشف ، حتى فأتت من الليل حصَّة ، فقال السلطان : إني جائع ، وألتمسُ ما يؤكل . فأُتيَ بلحمٍ نصيص ، أى حنيزٍ غيرِ مقطَّع ، فالتسوا سكينًا فلم يجدوا ، فأخرج الكاشفُ سكينًا كان معه ، وأراد أن يقطع اللحم ، فخلف عليه بعضُ الحاضرين ألا يفعل ، وأنه هو الذى يقطع . فأخذ منه السكين وصار يقطع بها ، فأخرج الكاشفُ الخنجرَ فأخذه آخر ، وحينئذ أمر السلطانُ بالقبض عليه . فلما قبض عليه ، قال له السلطان : أىُّ ذنبٍ جرى لك منى ، حتى أنك تريدُ قتلى ،

(١) يريد بالمصلحة هنا مشروع المؤامرة التى دبرها للتخلص من السلطان .

(٢) فى الأصل : عن .

٣-٣ (٣) العبارة فى الأصل : « دخلوا معه بابين ومنع أن يدخل من الثالث وقيل له اصبر هنا حتى يأتي سيدك فكذب مكانه » . وكذبوا بمعنى : سكتوا .

وَتَغْوَى عَسَاكِرِي وَتَخَادِعُهُمْ ؟ فَقَالَ : أَقْلَنِي . فَقَالَ : لَا أَقْلَانِي اللَّهُ إِنْ أَقْلَيْتَكَ .
وَأَمْرٌ بِذُبْحِهِ فِي الْحَالِ ، فَذُبِحَ كَالشَّاةِ .

وَفِي الْحَالِ جِيءَ بِأَمْوَالِهِ ، وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ رَقِيقٍ^(١) وَغَيْرِهِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ
فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ . وَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِهَدْمِ بَيْتِهِ فَهُدِمَ ، وَحُجِّتِ رَسُومُهُ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ . وَقُبِضَ
عَلَى أَتْبَاعِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَبَاتُوا مَحْبُوسِينَ .

وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، دَعَا بِهِمُ السُّلْطَانُ فَخَضَرُوا ، فَعَفَا^(٢) عَنْهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ ،
وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ خَازِنْدَارَ الْكَاشِفِ ، وَكَانَ يُسَمَّى (١١٥) يَوْسُفَ ، ثُمَّ^(٣) تَتَبَعَ جَمِيعَ
مَنْ تَعَاهَدَ مَعَ الْكَاشِفِ ، وَقَبِضَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .
وَكَانَ آخِرُهُمُ الْفَقِيهُ الطَّيِّبُ ، فَإِنَّهُ قُبِضَ عَلَيْهِ ، وَقَتْلُهُ أَشْرَقَ قَتْلَةً ، وَسَجَنَ ابْنَ أُخْتِهِ
سَجَنَ الدَّوَامِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ .

وَكَيْفِيَةُ الْقَبْضِ عَلَى الْفَقِيهِ الْمَذْكُورِ : أَنَّهُ أَرْخَى لَهُ الْعِنَانَ ، وَبَذَلَ لَهُ الْأَمْوَالَ ،
وَأَظْهَرَ لَهُ الْوَدَّ التَّامَ ، بِحَيْثُ أَنَّ الْفَقِيهِ الطَّيِّبَ لَمْ يَخْطُرُ بِيَالِهِ أَنَّ السُّلْطَانَ مَعَهُ عِلْمٌ بِأَنَّهُ كَانَ
مَعَ زَوَانَةِ الْكَاشِفِ . وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةٌ ، حَتَّى كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، [أَنَّ] حَضَرَ
الْفَقِيهُ الطَّيِّبُ دَارَ السَّاطِنِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ جَالِسًا فِي دِيوَانِهِ ، وَحَضَرَتْ لَهُ إِبِلٌ مَوْقُورَةٌ
عَسَلًا ، فَأَعْطَاهَا لِلْفَقِيهِ الطَّيِّبِ وَأَمَرَ لَهُ بِكُسُوتِهِ ، فَأَحْضَرَ لَهُ كَشْمِيرًا أَحْمَرَ ، وَكُسُوتًا
جَلِيلَةً ، فَلَبَسَهَا وَدَعَا لِلْسُّلْطَانِ بِدَوَامِ الْعِزِّ وَجَلَسَ . وَمِنْ عَادَةِ مَلُوكِ الْفُورِ إِذَا كَسَوْا

(١) فِي الْأَصْلِ : رَقِيقُهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : فَعَفَى .

(٣) فِي الْأَصْلِ : يَوْسُفًا وَثُمَّ .

إنساناً كسوةً حمراء فإنهم [يكونون] في غضب عليه ، ولا بدّ ما يقتلونه^(١) .
وتذكّر السلطان ما كان منه ، ونفاقه مع الكاشف في آخر المجلس . فالتفت
إلى الحاضرين ، وقال لهم : أشهدكم بالله ، هل هذا الفقيه في أيام أخى أرفقه حالاً ،
وأكثر . ألا ، أم [في] هذا الوقت ؟ . فقالوا كلهم : لا والله ، بل في هذا الوقت
[هو] أرفقه وأغنى ، وأنفذ كلمة . فقال السلطان : سأله حينئذ لم خانق وتواطأ
مع الكاشف على قتلى ، وخراب داري ؟ . فسأله ، فأقسم على السلطان (١١٦)
بالله العظيم أن يقتله ، ولا يكلفه جواب هذا السؤال ، لأن الموت عنده أهون من ذلك .
فأبرّ السلطان قسمه حينئذ ، وأمر فذبح كالشاة ، وأخذ جميع ما عنده من الأموال
والضياع ، ولم يُفِلت منه شيء .
وقد سمعت أنه أرسل العساكر لأخذ ماله من ضياعه قبل ذلك بمدة ، وعين
لهم أن يكديسوها في ذلك اليوم بعينه ، خوفاً أن يطيش الخبر ، ويُفِلت منها شيء ،
وذلك كله من سعادته .

ومن سعادته أيضاً أن جميع من رame بسوء يُخَذَل ، ويمكنه الله منه .
ومن ذلك ما حصل من إياكرى كنانة أم حبيب المتقدم ذكرها^(٢) . وذلك أن
السلطان تغافل عنها ، ولم يف بها وعدها به ، إثمًا لأمر قام به ، أو خوفاً على نفسه منها
أو من ولدها . فلما رأت تغافلها عنها^(٣) وكانت في دار السلطان ، وابنها حبيب متأهلاً
في دار له ، عقدت له بالملكة كتابة مع بعض الملوك عقداً ، واتفقت معه أن يساعد حبيباً ليتولى

(١) كذا ، بدل : ولا بد أن يقتلوه .

(٢) راجع ص ٩٣ ، حاشية ١ .

(٣) في الأصل : لها .

سلطاناً ، خصوصاً [و] قد انقطع أمها ، حين رأت أن السلطان وَلَدَ له ، تخافت على ولدها . لكنَّ السلطان ، وإن كان تغافل عنها ، إلا أنه كان مُبْقِيَهَا في منصبها امرأة ناهية ، [و] مقاليدُ أمور الدار كلها بيدها . فلما نوت الغدرَ بالسلطان ، استأذنته في أن حَبِيباً^(١) يريد أن يصنع وليمةً : (١١٧) وأريدُ أن أمدَّه بطعام من هنا ، فأذن لها السلطان في ذلك . فصنعت الطعام ، وصارت تأتي بالجفنت ، وتضع الدروع في الجفنة ، ثم تجعلُ الطعامَ فوقها ، بحيث أن مَنْ يرى الجفنة لا يظنُّ أن فيها غيرَ الطعام . وكانت تضعُ في واحدةٍ دروعاً ، وفي أخرى سيوفاً . فأخرجت ما يزيد عن^(٢) مائةِ جَفْنَةٍ بهذه الصورة .

ثم مكثت مُدَّةَ أيام ، واستأذنت له في وليمةٍ أخرى ، فأذن لها ، ولم يخطر بباله شيء مما في نفسها ، لأنه كان سليمَ الصدر ، غير ظنَّانٍ بالسوء . ففعلت كما فعلت في المرة^(٣) الأولى .

وبعد أيام أيضاً استأذنته كذلك ، وقبلَ إبراز الوليمة الثالثة ، كانت عندها بنتٌ من بناتِ الأكابر ، جميلةُ الصورة ، تربَّيها ، فرآها السلطان على حين غفلة فأحبها ، ونوى في نفسه أن يخاطبَ إياكِرى في شأنها ، ويعقدَ عليها . وكانَّ أمَّ حبيب فهِمت من السلطان ذلك ، فصارت تُؤذِيها لأنها أعدَّتْها لولدها حبيب . فلم تُطِقْ البنت الأذية^(٤) ، خصوصاً وقد انكشفت على غدرِها بالسلطان ، وما تريد أن تصنعه معه . فاختلست نفسها ،

(١) في الأصل : حبيب

(٢) كذا ، بدل : على .

(٣) في الأصل : بالمرّة .

(٤) في الأصل : الاذية .

وقابلتُ السلطان على خلاء ، وأخبرته أن أمّ حبيب أخربتُ خزينةَ السلاح والأمتعة ، وأنّ الولائم كلّها مملوءةٌ بالدروع والسيوف ، وأنها تعاقدتُ مع الملكِ فلانٍ وفلان (١١٨) بأنهم يساعدونها^(١) على قتلِكَ ، وتوليةِ « حبيب » الملكِ وإن كنتُ في شكٍّ مما أقوله ، إقلبِ^(٢) جفنةً من الجفان التي تخرج في الوليمة في غدٍ فإنك تعلمُ صحّةَ قولي . فقال لها السلطان : إرجعي إلى مقرِّكِ ، وإياكِ أن تقولي إنك أعلمتيني^(٣) بشيء . فرجعتُ ، وضاق صدرُ السلطان لذلك ، وأخبر بعض الخدّمة أن : أخبرني في غدٍ ، قبل خروج الوليمة إلى حبيب . واستكتمته فكتم .

وبقى الحال كذلك حتى أصبح الصباح ، وصنعت [أمّ حبيب] الوليمة ، ونادت العبيدَ والجواري يرفقنَ الجفّنات ، فأخبره الخادمُ بأن الوليمة قد تجهّزت . فدخل فرأى أمّ حبيب ترتّبها للحمّل . فقال : على رسلِكُم^(٤) ! ثم قال : ارفعوا الأغطية ، وأروني وليمةَ ولدى حبيب . فرفعوا الأغطيةَ فرأى طعامًا حسنًا ، فجاء إلى جفنةٍ فيها طعامٌ يحبّه ، وقال : اتركوا هذه لي ، واجعلوا مافيها في أوانٍ صغار ، لآكل منها أنا وبعضُ أضيافٍ لي . فقالوا : سمعًا وطاعة .

وجاءت أمّ حبيب حين باغها ذلك ، وقالت : فِداكِ أبي وأُمّي ! عندنا من نوع هذا الطعام كثير^(٥) ، فليتركُ مولاي الجفنة ، ونحن نأتيه بكثيرٍ منه . فقال : قد علمتُ ، وإنما نفسي طَلبتُ من هذه ، ولعلّ ما تأتون به — وإن كان من هذا بعينه — لا تتوقُّ إليه

(١) كذا ، بدل : يساعدونها .

(٢) كذا ، بدل : فاقلب .

(٣) كذا ، بدل : أعلمتني . والصيغة المذكورة بالمتن عامية .

(٤) على رسلِكُم ، أى : تمهلوا .

(٥) فى الأصل : كثير .

نفسى . لِحِينْتُهُ لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنْ طَاعَتِهِ ، وَقَالَتْ : دَغِ الْحَدَمَ يَرْفَعَنَّ هَذِهِ (١١٩) الْجَفَنَاتِ ، وَاحْبِسْ أَنْتَ هَذِهِ . فَقَالَ : لَا ، بَلْ حَتَّى تَفْرَغَ هَذِهِ الْجَفَنَةُ ، وَتَمَلَأَ كَمَا كَانَتْ ، وَيَحْمَلَ كُلُّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً .

ولما جِئَءَ بِالْأَوَانِ ، وَاعْتَرَفَ مِنَ الْجَفَنَةِ ، ظَهَرَ الدَّرُوعُ مِنْ تَحْتِ الطَّعَامِ ، فَنَادَى : يَا أُمَّ حَبِيبَ ، مَا هَذَا ؟ فَجَبَلْتُ وَلَمْ تَحِزْ جَوَابًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهَا ، وَقَلَبَ جَمِيعَ الْجَفَنَاتِ ، فَوَجَدَ فِيهَا كُلَّهَا دُرُوعًا وَسِيُوفًا وَرِيَالَاتَ فَرَّانَسَا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهَا : أَيُّ ذَنْبٍ وَقَعَ مِنِّي حَتَّى ذَبَرْتَنِي^(١) عَلَى هَلَاكِي ؟ فَلَمْ تَرُدَّ جَوَابًا ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَقُتِلَتْ .

وَفِي الْحَالِ أَرْسَلَ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِهِ إِلَى بَيْتِ حَبِيبَ ، بَعْدَ أَنْ دَعَا حَبِيبًا إِلَيْهِ ، فَخَضَرَ عَلَى حَالَةِ الطَّمَأْنِينَةِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ ، أَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَوَضَعَ [فِي] الْمَحْبِيسِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ تَحْتَ جَنْحِ اللَّيْلِ [إِلَى] جَبَلِ مَرَّهَ ، وَاسْتَصَفَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ ، وَرَدَّ الدَّرُوعَ وَالسَّلَاحَ إِلَى مَقَرِّهَا ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ تَوَاطَأَ مَعَ حَبِيبَ ، وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا .

وَتَمَهَّدَتْ أُمُورُهُ ، وَاسْتَوَزَرَ الْفَقِيهَ مَالِكَ الْفُوتَاوَى لِظَنِّ عِلْمِيَّتِهِ وَصَلَاحِهِ ، وَكَانَ يَدَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ سِرَّ الْحُرُوفِ^(٢) ، وَعَلِمَ الْأَوْفَاقَ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَتْ فِيهِ عَامِيَّةٌ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُظْهِرُ الْوَرَعَ وَالصَّلَاحَ ، وَيُبْطِنُ ضِدَّهُ . وَكَانَتْ تُظَنُّ ذَلِكَ مِنْهُ ، حَتَّى حَقَّقَ اللَّهُ ظَنِّي فِيهِ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَرَفَّى الْوِزَارَةُ ، أَدْخَلَ جَمِيعَ قَبِيلَةِ الْفُلَّانِ الَّتِي بَدَارْفُورِ تَحْتَ أَمْرِهِ ،

(١) كَذَا ، وَهِيَ صِيغَةُ عَامِيَّةٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْحَرْفُ .

وصار يذُبُّ عنهم ، وحرَّره عند (١٢٠) الدولة ، حتى صار [لا]^(١) يُجِبِّي منهم مال ،
وكلُّ ما^(٢) نهبوه من غيرهم من القبائل برَدَ^(٣) لهم ، حتى صاروا من أقوى القبائل وأغناها .
فاتَّفَق أن قبيلة الفُلالن أغاروا على قبيلة المساليط^(٤) ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ،
ونهبوا منهم أموالا جمَّة ، من بقرٍ وخيلٍ ورقيق . وجاء رئيسهم — وكان يُسمَّى بِجِدِّ
العَيْال — وأتى بخيلٍ وبقرٍ ورقيقٍ من المنهوب ، هديةً إلى الفقيه مالك ، لِيَذُبَّ عن القبيلة .
وكان في شهر رمضان ، وكان وقت العصر ، والفقيه مالك إذ ذاك يقرأ في تَذَكُّرة
الْقُرْطُبِي ، في صفة أهل النار . فأتى على قوله : ولا زالت النار تقول : يارب زدني ،
حتى يضع الرحمن فيها رِجْلَه . والرَّجُلُ : هي الجماعةُ من الناس ، وعليه قولُ الشاعر :
فَرَّ بنا رَجُلٌ من الحى وانزوى

فقال : ولا زالت النار تقول : يارب زدني . وكان من عادته أن يقولَ بعد كل
كلمة أو كلمتين : أى نعم ، قال الكتاب . فقال : ولا زالت النار تقول : يارب زدني ،
أى نعم ، قال الكتاب . ولا زالت النار تقول : يارب زدني ، أى نعم ، قال الكتاب .
حتى يضع الرحمن فيها رِجْلَه ، أى نعم ، قال الكتاب . والرَّجُلُ هي الجماعةُ من الناس ،
أى نعم ، قال الكتاب . وعليه قولُ الشاعر ، أى نعم ، قال الكتاب . فَرَّ بنا رَجُلٌ ،

(١) زيادة يقتضيها المعنى ، عن الترجمة الفرنسية Voyage p. 119

(٢) فى الأصل : وكلمة .

(٣) أى نبت

(٤) المساليط خليط من الزنوج والعرب ، يتكلمون لغة تختلف عن لغات سكان
دارفور . وتبلغ مساحة دار مساليط ما بين ٧٠٠٠ الى ٧٥٠٠ ميل مربع ،
تحدّها وادى فى الغرب ودار صليح فى الجنوب ودار قمر ودار تاما فى
الشمال ، والفور فى الشرق . وهى بلاد فقيرة وتمثل الأغنام والماشية الثروة
الرئيسية للمساليط . Mac Michael, H.A. : op. cit. pp. 58-88

أى نعم ، قال الكتاب . وكرّرها مراراً ، فقال له السنوسى ولده : يا أبّو ،
فِرْ بِنَا رَجُلٌ . فقَالَ : أى نعم ، فِرْ بِنَا رَجُلٌ . وكرّرها مراراً ، (١٢١) وكنتُ
جالسا ، ولم يسعنى الشكوت ، فأخذتُ نسخةً من رجلٍ بجاني ، فرأيت فيها : فِرْ بِنَا
رَجُلٌ من الحى ، فقلت : يا أبّو ، فِرْ بِنَا رَجُلٌ . فقال لى : اسكت ، أنت الآن
صغيرٌ عن هذا وأمثاله . مع أن هذا هو الذى يصلح لأن يكون شاهداً ، فسكتُ .

ومن عاميَّته ، ما حكى لى والدى — عليه سحائبُ الرحمة والرضوان — أن
السلطانَ التمس من الفقيه المذكور أن يخطب يومَ العيد ؛ فقصدَ والدى أن يؤلّف له
خطبة ، فألّفها وكتب فى آخرها : تمّت على يد مؤلّفها ، الفقير إلى المنان ، عمر التونسى (١)
ابن سليمان ، فى يوم [كذا] وسنة كذا ، وأعطاه إياه . فلما كان يومُ العيد ، صلّى بالسلطان ،
ثم رَقِيَ المنبر فخطب ، وبعد الخطبة قال : تمّت ، إلى آخر ما كُتب . ولم يتفطن أن هذه
الكلمات خارجةٌ عن الخطبة .

وكان من أغنى أرباب الدولة ، وكان له من الإقطاع ما ينوفُ عن خمسمائة بلد .
وذلك غير إقطاع إخوانه .

ثم [إن] السلطان أجالّ مقام [الأب] الشيخ محمد كُرا ، وأعلى كلمته ، حتى
صار لا تعلّى (٢) على كلمته كلمة . وبلغه أن هاشم المسبعاوى ، ملك كردُفال ، رجع إليها
وأخذها من يدِ عامل السلطان . فجهّز جيشاً كثيفاً لنظر الأب الشيخ محمد كُرا ، فتوجه

(١) فى الأصل : التنىسى .

(٢) كذا فى الأصل .

إلى كُردفال وأغنى غنائه حسناً ، وأخذ كُردفال من يد السلطان هاشم ، وقتل عساكره ،
وشرده في القفار . واستوطن (١٢٢) كُردفال مدة سبع سنين .

وفيهما أرسل للسلطان أموالاً جمّة ، من رقيق وذهب وغيره ، وسعى به بعض من
أعدائه^(١) إلى السلطان ، فأرسل السلطان الأمين محمد بن الأمين عليّ ود جامع بجيشه إليه ،
وأرسل معه قيّداً ، وقال له : خذ هذا القيدَ وقيد به ، وأرسله مع جيشه .
وكان ذلك امتحاناً من السلطان . فلما وصل الأمين محمد إلى كُردفال ، ظنّ في نفسه أن
الأب الشيخ محمد [كُرا] يعارضه أو ينازعه ، فلم يفعل شيئاً من ذلك . بل حين وصل إليه
قال له : بماذا أمرك السلطان ؟ قال : بتقييدك^(٢) وإرسالك إليه . فقال : سمعاً وطاعة .
هاتِ القيدَ . فأعطاه إياه ، فأخذه وقيد نفسه بيده ، ودعا الحدّاد وأمره أن يسمّره ويبرّد
عليه ، امتثالاً لأمر السلطان ففعل . وأصبح مسافراً والقيد في رجليه ، حتى وصل إلى
دارفور . وحين أخبر السلطان بقدمه ، أرسل له من ينزع القيدَ من رجليه ، وقال :
أما قلتُ لكم إن محمد كُرا لا يعصاني^(٣) ؟ ثم أمره أن يأتي إلى الفاشر في موكبته ،
فأتى على أحسن حالة ، وخرج إليه السلطان ، وأحسن مَلَقاه ، وسوّره بسوار من ذهب ،
أمّام الوزراء والحاضرين ، وبالع في إكرامه ، وردّه إلى منزلته ، بل صار أعظم مما كان .
وكان هذا الفعلُ من السلطان ، هو عين البختِ التامّ لابنه محمد فضل .

فإنه لما (١٢٣) توفّي السلطان ، قام بأمره الأب الشيخ محمد كُرا ، ولولاه لما نظر
إليه أحدٌ ولا عُني به .

وكيفيّة ذلك أن السلطان لما ثقل به مرضه ، دخل عليه الفقيه مالك الفوتاوى ،

(١) في الأصل : اعداد .

(٢) في الأصل بتقييدك .

(٣) كذا ، وهى صيغة عامية .

فوجد الأب الشيخ محمد كُراً عنده ، فقال له الفقيه مالك : يا سيدي ، إن الوصية فيها خيرٌ عظيم ، وإنك فعلت مع الناس من المعروف ما لا يوصف ، وكل وزرائك وأهل مملكته راضون عنك . فإن وصيت بشيء أظنّه بل أثبتّه أنه ينفذ ولا بُدَّ . فأوص لعل ولدك ينتفع بوصيتك . فقال : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^(١) . فأعاد عليه الفقيه مالك هذا القول ثانياً ، فقال هو ذلك أيضاً . فأعاد عليه ثالثاً ، فقال ذلك أيضاً . فتركه بعد الثالثة ، ثم قضى نحبّه ، عليه سحائب الرحمة .

فحين توفّي بكى عليه الأب [الشيخ] والفقيه مالك . وبعد البكاء قال الفقيه مالك للأب [الشيخ] : ماذا أنت صانع الآن ؟ قال الأب [الشيخ] : سأريك ما أصنع . فقام من وقته ، ودخل الدار ، ودعا محمد فضل ، وكان أكبر ولديه ، لأنه لم يترك من الذكور إلا محمد فضل ، و [محمد] بخاري^(٢) ، ومن الإناث حواء^(٣) ، وست النساء ، وأم سلمى ، فأقعد محمد فضل ولبّسه الخاتم ، وعمّه وقلده بالسيف ، وأجلسه على كرسي السلطنة ، وأدخله في حجرة ، وأرعى عليه ستر ، وأرسل في الحال إلى جماعته ، فحضروا متقلّدين سيوفهم ، شاكين السلاح . فأوقفهم (١٢٤) على الأبواب ، ورتّب منهم جماعة يحرسونه . ونفعه في ذلك بابٌ سرّ كان بين بيته وبين السلطان ، بحيث أن العساكر دخلت منه ، ولم يشعر بها أحد . ثم أرسل إلى أكثر الوزراء جماعة ، وأقواهم شوكة ، الملك إبراهيم وذو رَماد ، إنساناً يقول له : إن السلطان يأمرك بالذهاب إليه . فجاء ، فلمّا دخل الباب وجد العساكر وقوفاً ، فزاعه أمرهم ، ولم يجد بداً من الدخول . ولما وصل إلى محلّ

(١) سورة : الطلاق ، آية : ٣ .

(٢) كان للسلطان عبد الرحمن ولدان آخران ، أحدهما الأمير محمد أبو مدين

والآخر لم يعرف اسمه . Voyage au Darfour, p. 373.

(٣) في الاصل : حوى ، بفتح الحاء والواو .

السلطان ، وجد الأب الشيخ محمد كُراً والفقير مالك ، جالسين ، والسلطان بينهما مُسجى . فلما رآه كذلك بكى ، ثم بعد استرجاعه قال له الأب الشيخ : إن السلطان قد تُوفى ، فماذا ترى ؟ فقال : لا أرى سوى ^(١) رأيك . فقال له الأب [الشيخ] : أتعاهدنى على ذلك ؟ قال : نعم . فخلّفه وأخذ موافقه ، أنه لا يتعدى رأيه . ثم رفع الستر وقال : هذا السلطان . يعنى : محمد فضل . فقال الملك إبراهيم : وهو كذلك . فقال : قم فبايعه . فبايعه حينئذ وجلس .

ثم أرسل إلى الوزراء والملوك ، واحداً بعد واحد ، وكلما جاءه أحد ، فعل معه كما فعل بالملك إبراهيم ، حتى استوثق من أكابر الدولة كلهم ، ولم يترك منهم إلا من لا قوة له .

ثم أعلن بموت ^(٢) السلطان ، وضربت طبولُ الحزن ، وسمعا أولاد السلاطين ، فركبوا وجاءوا شاكين السلاح ، هاجمين على دار (١٢٥) السلطان . فرأوا الأمر مهولاً ، والجند محيطة بها ، حارساً لها منهم ومن غيرهم .

فلما لم يجدوا إلى الدخول سبيلاً ضربوا فى البلاد ، وصاروا ينهبون أموال الناس ، وتجمع عليهم الغوغاء ، حتى صاروا فى جند كثيف ، وثقلت وطأتهم ، وعظم شرهم . فجهز لهم الأب الشيخ جيشاً لينظر الملك ذلك ، الذى أسفلنا ذكره ، وهو ابن عمّة السلطان محمد فضل ، فخرج إليهم ، وأوقع بهم ، وانهزمت الغوغاء الملتفة عليهم . وقتل منهم كثير ، وظفر بأولاد السلاطين ، وجىء بهم إلى الأب [الشيخ] مصفدين . فأرسلهم الأب [الشيخ] إلى السجن فى جبل مرّة ، وسكنت الفتنة ، وتمهدت الأمور .

(١) فى الأصل : سوء .

(٢) فى القاموس : أعلنه وأعلن به .

فَمَ أَمَرَ السُّلْطَانَ بِالْقِرَاءَةِ وَطَلَبَ الْعِلْمَ ، لَصَغَرَ سِنُّهُ ، وَعَدِمَ خِبْرَتُهُ بِالْأُمُورِ .
فَنُقِلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَجِدْ بَدْءًا مِنَ الْإِمْتِنَانِ ، فَكَابِدَ مَشَقَّةَ التَّعْلِيمِ نَحْوَ سَنَتَيْنِ .
وَقَتَلَ [الأب] الشَّيْخَ مُحَمَّدَ كُرَّافِي تِلْكَ الْمَدَّةِ ، بَعْضَ الْمُلُوكِ لِفَتْنَةٍ وَقَعَتْ مِنْهُمْ ، وَرَمَى
بَعْضَهُمْ فِي الشُّجُونِ ، وَكُلَّهُمْ مِنْ أَسْرَةِ السُّلْطَانِ وَعَصَابَتِهِ ، وَوَلَّى مَنَاصِبَهُمْ لِمَجَاعَتِهِ ،
فَنُقِلَ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ ، وَخَافُوا شَرَّهُ ، فَأَغْرَوْا السُّلْطَانَ عَلَى قَتْلِهِ أَوْ سَجْنِهِ ، فَوَقَعَ
بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ ، وَقُتِلَ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

المقصّد

وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول

(١٢٦) في صفة دارفور وأهلها وعوائدهم وعوائد ملوكهم ،
وأسماء مناصبهم ومراتبهم ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول

في صفة دارفور

أمّا دارفور فهو الإقليم الثالث من ممالك السودان^(١) ، وذلك أنّ القادم
من المشرق إلى بلاد السودان ، أولُ مملكة وإقليم يعرض [له] ، مملكةُ

(١) يطلق اسم السودان على جميع الأقاليم شبه الصحراوية من افريقية التي انتشر
فيها الاسلام . وتمتد جنوبي الصحراء الكبرى ومصر ، أى من المحيط الأطلنطي
فى الغرب الى الحدود الغربية للحبشة فى الشرق . وتساير حدودها الجنوبية
بصفة خاصة خط عرض ١٠ شمالا . وتنقسم هذه الأقاليم الى ثلاثة أقسام :
(١) السودان الغربى ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى
لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر . (٢) السودان الأوسط ، ويشمل
حوض شاد . (٣) السودان الشرقى ويشمل الحوض الأعلى والأوسط لنهر
النيل .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، لفظ : «السودان» .

سَنَار^(١) ، ثم سُكْرْدُفَال^(٢) ، ثم دارالفور ، فظهر أنها الإقليم الثالث^(٣) ، وبحسب ذلك [يكون] إقليم ودَدَاي^(٤) هو الرابع ، والباقِرْمَة^(٥) الخامس ، وبرَنُو^(٥) السادس ،

(١) مملكة سنار هي مملكة الفونج وهي المعروفة في السودان باسم السلطنة الزرقاء . قامت هذه المملكة على انقراض مملكة علوة المسيحية أوائل القرن ١٦م على يد زعيم الفونج عمارة دونقس وحليفه عبد الله جماع شيخ عرب القواسمة من جهينة . وامتدت مساحة هذه المملكة من سواكن شرقا الى النيل غربا ، ومن أقصى جبال فازوغلى جنوبا الى الشمال الثالث شمالا . انظر : مصطفى مسعد : (الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ص ٢٠٦) .

(٢) مملكة كردفان أو كردفان هي التي أسسها المسبغات أبناء عمومة سلاطين دارفور . فتذكر روايات أهل البلاد أن سليمان سولونج اقتسم وأخوه مسبيع « تونسام » الحكم فكان لسليمان اقليم دارفور ولأخيه « تونسام » اقليم كردفان . وظل هذا في أبنائهما حتى اذا كان عهد السلطان محمد فضّل سلطان دارفور تم ضم كردفان الى سلطنة دارفور بعد طرد آخر ملوك كردفان ويدعى هانسم المسبعاوى . وتولى حكم كردفان حاكم يعرف بالمقدوم وظلت هكذا حتى الفتح المصرى للسودان سنة ١٨٢٠ ، فأضحت تحت الادارة المصرية . انظر : شقير : (تاريخ السودان ، ج ٢ ، ص ١١٧) .

(٣) سبقت الاشارة الى هذه السلطنة . راجع ص ٦٩ .

(٤) الباقِرْمَة - بجرمى - بقرمى - بكيرمى : تقع هذه المملكة جنوبى بحيرة شاد . وتأسست فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) على يد جماعة من المغامرين الذين قدموا من ناحية الشرق . واستطاع هؤلاء أن يتغلبوا على البلالة ، ثم اندمجوا فيهم ، واستطاعوا بمساعدتهم أن يسيطروا سلطانهم على الفلبة والعرب المستوطنين فى هذه البلاد . وزعم أولئك الغزاة أنهم عرب وأنهم أتوا من بلاد اليمن ، واعتنق أحدهم الاسلام ، وكان معاصرا للسلطان عبد الكريم سلطان واداي . ثم اعتنق أهل البلاد الاسلام على يديه . كانت عاصمة باقرمة زمن الرحالة بارت « Barth » مدينة مسينا .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، لفظ : « بجرمى » .

(٥) برنو : من دول السودان الأوسط . تحد شمالا بالصحراء ، وغربا ببلاد الحوصا ، وجنوبا ب « أدموه » ، وتحد من ناحية الجنوب الشرقى ب « بجرمى » ، وشرقا ببخيرة شاد . وورد ذكر البرنو فى كتب كثير من المؤلفين العرب مثل =

وَأَدِقَزْ^(١) السابع، ونَفَه^(٢) الثامن، ودارْتُنْبُكْتُو^(٣) التاسع، ودار مَلَا^(٤) أو مَلِي

= ابن سعيد، وابن خلدون، والمقریزی، وابن فضل الله العمری • ويسكن برنو أجناس مختلفة وهم الكنورى والسودان والعرب والبربر • وحكمت برنو أسرة تدعى الانتساب الى سيف ابن ذى يزن وظلت على حكمها حتى حوالى منتصف القرن ١٩ م • ونقلت مقر الحكم الى الضفاف القريبة لبحيرة شاد بعد أن حكمت كانه عدة قرون • وعرفت المملكة باسم مملكة برنو أو مملكة كانه • وامتد نفوذ هذه المملكة فى عز أيام توسعها شرقا الى حدود النوبة ومصر •

انظر : دائرة المعارف الاسلامية لفظ : « برنو » •

(١) أدقز - أجز : تحريف للفظ أغاديس وهى التى تقع بالقرب من طريق القوافل

الممتد بين اقاليم السودان الأوسط وبلاد المغرب Voyage au Ouaday p.14

(٢) نفه : اقليم يقع الى الغرب من أغاديس، وتربطه بتونس وطرابلس علاقات

تجارية هامة • وينقسم اقليم نفه الى ثلاثة أقسام أو مدن كبيرة هى : حوصا،

وكشنا، وعفنو Voyage au Ouaday, p. 15

(٣) تأسست مدينة تمبكتو على نهر النيجر حوالى سنة ١١٠٠ م • وكانت تمبكتو -

الى جانب شهرتها التجارية - مدينة اسلامية منذ نشأتها « ما دنستها عبادة

الأوثان، وماسجد على أديمها قط لغير الرحمن » • وغدت تمبكتو مركزا للتعاليم

الاسلامية، وتوافد عليها الطلاب والعلماء • ولقد أننى ابن بطوطة فى القرن

١٤ م على الزنوج المقيمين بها لحماستهم للدين الاسلامى واقبالهم على حفظ

القرآن • وجاءت أول أسرة حكمت تمبكتو من مالى، وظلت على حكمها من

١٣٣٦ - ١٤٣٣ م ثم حكمها بيت آخر ٤٠ عاما حتى سنة ١٤٩٢ م • وبلغت

تيمبكتو شأوا عظيما فى عهد أسكيا الهادى محمد، ثم انتقلت الى حكم مراکش

من ١٥٩٠ الى ١٧٥٠ م ثم استولى عليها الفلبة سنة ١٨٢٧ ثم وقعت فى أيدي

التكرير •

أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٩ - ٢٧٠ : وانظر دائرة المعارف الاسلامية،

لفظ تمبكتو •

(٤) ملا - ملى - مالى : تعرف ملا أو ملى فى المراجع العربية القديمة باسم مملكة

مالى، وتمتد من بلاد السنغال غربا الى ممالك الهوسا المعروفة فى الوقت

الحاضر باسم شمال نيجريا شرقا، وتحد شمالا بالمفاوز والسلاسل الجبلية

الفاصلة بينها وبين بلاد البربر، وتحد جنوبا بجهات ساحل العاج والذهب •

بلغت هذه المملكة أقصى اتساعها فى عهد ملكها منساموسى (١٣١٣ - ١٣٣٨م)

الذى ضم اليها مملكة غانة حتى أصبحت تشمل - حسبما أورد الفلقشندي -

اقليم مالى وصوصو وغانة وكوكو وتكرور • وتعتبر مملكة مالى ومضافاتها أكبر

ممالك غرب افريقية وعاصمتها مدينة مالى نفسها •

الفلقشندي : « صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٨٢ » Incy. Isl. Art. Mali;

Roland Oliver, ed. : The Dawn of African History, p. 40

العاشر ، وهى قاعدة مَلِكُ الْفُلَانِ ، وهم الْفَلَاتَاكَا ، ذَكَرْنَا . وأما الذى يَأْتِى مِنَ الْمَغْرِبِ فإنه يُعَدُّ مَلًّا الْأَوَّلُ ، وَتُنْبِكُو الثَّانِى ، وَنُفَّهَ الثَّالِثَ وَهَكَذَا .

واعلم أَن الْقَدَمَاءَ يَطْلُقُونَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّودَانِ اسْمَ التَّكْرُورِ^(١) ، وَيَعْنُونَ بِهِ أَهْلَ مَمْلَكَةِ بَرْنُو . لَكِنِ الْآنَ قَدْ عَمَّ هَذَا الْاسْمُ عَلَى مَمَالِكَ مُتَعَدِّدَةٍ ، أَوْهَا : دَارُ وَدَائِى أَوْ وَدَدَائِى الْمَعْرُوفَةِ أَيْضًا بِدَارِ صَلِيحٍ ، وَآخَرُهَا : بَرْنُو . فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ بِأَقْرَبِهِ وَكَتَكُو^(٢) وَمَنْدَرَه^(٣) . فَيَقَالُ لِأَهْلِ كُلِّ مِنْهُمُ تَكْرُورٌ ، حَتَّى أَنَّهُ صَارَ عُرْفًا بَيْنَهُمْ . وَلَقَدْ لَقِيتُ مِنْذُ أَيَّامِ رَجُلَا مِنْ أَهْلِ السُّودَانِ ، فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنَ التَّكْرُورِ بَلْ أَظُنُّهُ قَالَ : تَكْرُورِى . فَقُلْتُ : مِنْ أَىِّ (١٢٧) مِنَ التَّكَارِيرِ ؟ فَقَالَ : مِنْ بَاقِرِمَه . لَكِنِّ لَمْ يَخْبِرْنِى إِلَّا بَعْدَ مَشَقَّةٍ ، ظَنَّا مِنْهُ أَنِّى لَا أَعْرِفُ تِلْكَ الْجَهْمَةَ . فَلَمَّا أَخْبَرْنِى وَسَأَلْتُهُ عَنْ بَعْضِ مَوَاضِعَ مِنْهَا ، تَعَجَّبَ تَعَجُّبًا عَظِيمًا ، وَأَلَانَ الْقَوْلَ .

(١) التكرور : شعب من الزنوج يسكن معظم وهاذ فوته السنغالية ، وتعيش شعبة منهم فيما بين النيجر وبحيرة شاد ولاسيما فى سكوتو . ومن المحتمل أن يكون تكرور هو الاسم الذى كانت تعرف به فى وقت من الأوقات مدينة بالقرب من نهر السنغال ، والمملكة التى كانت عاصمتها هذه المدينة ، وموضعها الآن فوته السنغالية ثم أطلق هذا الاسم على شعب هذه المملكة . وجرى العرب من بعد على إطلاق اسم تكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الاسلام ، وهى الممتدة من المحيط الاطلنطى الى حدود وادى النيل . واضحت كلمة تكرورى - فى نظر العرب - مرادفة لكلمة سودانى .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية . لفظ « تكرور » .

(٢) كتكو - مندره :

كتكو : اقليم يقع الى جنوبى اقليم بجرمى ، ويخترقه نهر شارى . ويعتبر اقليم كتكو من أغنى بلاد السودان الأوسط ، ولذا حل حاكمه لقب سلطان ويتبعه خمسة حكام للأقاليم يحمل كل منهم لقب ملك . أما مندره فتقع بالقرب من كتكو وبجرمى ويحمل حاكمها لقب سلطان كذلك . Voyage au Ouaday, pp. 13-14 .

وحدُّ القور من جهة الشرق أقصى الطَّوَيْشَة^(١) ، ومن الغربِ آخرُ دارِ المسالِيط ،
يعنى : مملكة المسالِيط ، وآخرُ دارِ قَمِر^(٢) ، وأولُ دارِ تَاكَمَه^(٣) ، وهو الخلاء السكَّان
بين دارِ صَليح وبينها ، ومن الجنوب الخلاء السكَّان بينها وبين دارِ قَرْتَيْت^(٤) ، ومن
الشمال المزروب ، وهو أولُ بئرٍ يعرض لمن يتوجَّه لها من الديار المصرية .

وتتبعُها^(٥) عدة ممالك صغيرة : فن الشمال مملكة الزَّغَاوَة ، وهى مملكة واسعة ،
وبها خلقٌ لا يُحصَوْنَ كثرةً ، ولهم سلطانٌ وحدهم ، ولسكنه بالنسبة إلى سلطانِ القور أشبهُ

(١) الطويشة اسم كان يطلق على منطقة تكسوها رمال غزيرة ناعمة خالية من
السكان شرقى دارفور . ويطلق فى الوقت الحاضر على بلدة تقع شرقى مدينة
نيالا الحالية ، عند خط عرض ٢٥ : ١٢ وخط طول ٣٠ : ٢٦ .

(٢) دار قمر : تقع شمال بلاد المسالِيط وشرق دار تامه ، وهى بلاد فقيرة فى
مواردها الطبيعية . وتعيش جماعات القمر على زراعة الدخن ورعى الأغنام
والماشية . ويدعى القمر الانتساب الى أصل عربى ولكن على الرغم من أن
معظمهم يتكلمون العربية فإنه ليس هناك ما يؤيد هذه الدعوى

[MacMichael, H.A. op. cit. p. 84

(٣) تقع دار تامه غرب دار قمر على حدود وادى ، وكانت دائما همزة وصل بين
دارفور ووادى ، وكثيرا ما أخضعت الدولتان دار تامه لسلطانها فى أزمنة
مختلفة ولجماعة تامه لغتهم الخاصة MacMichael H.A., : op. cit. p. 85

(٤) الفرثيت : أطلق العرب زمن المؤلف على القبائل الزنجية واللونية التى تسكن
فى أقصى جنوب دارفور وشمال غرب بحر الغزال وفى إقليم وادى كذلك
اسم فرثيت . وفى : MacMichael, H.A. : op. cit. p. 90 أن الفرثيت كانوا
سكان جبل مرة الأصليين وأزاحهم الداجو ثم التنجور والعرب عن مواطنهم
الأصلية فى جبل مرة الى الجنوب . والفرثيت قبائل شتى منها : رونجه ،
وبندلا ، وشت ، وبنجا ، وفراوجيه .

Lampen, G.D. : op. cit. p. 183.

(٥) أى دارفور .

بقائد من قوّاده . ومن جهة الشمال أيضا مملكة المِيدُوب^(١) والْبَرْتِي ، وهما ممالكتان كبيرتان ، إلا أن أهل الثانية أكثر من أهل الأولى ، و [هم] مع كثرتهم أكثر انقياداً لسلطان الفور من المِيدُوب .

وفي خلال دارفور مملكة البرْقِد ، ومملكة بَرْقُو^(٢) والتَنْجُور^(٣) ومِيمَه^(٤) ،

(١) المِيدُوب : اسم جبل يقع في الركن الشمالى الشرقى من دارفور على بعد ٤٠٠ ميل من مدينة الخرطوم الحالية و ٣٥٠ ميلا جنوب غربى بلدة الدبة وعرف سكانه باسمه . ويرجع جماعة المِيدُوب الى أصل نوبى ، ويتكلمون لغة تشبه لغة النوبيين على النيل ، مما يرجح هجرتهم من بلاد النوبة الى منطقة جبل مِيدُوب ومازالوا يحترمون نظام الأمومة فى الوراثة . فاذا مات الملك خلفه فى منصبه ابن اخته . Mac Michael, H.A. : op. cit. p. 97.

(٢) البرقو : من سكان وادى وبرنو . انتقلت جماعات منهم الى دارفور حيث عرفوا مع غيرهم من الجماعات القليلة الوافدة من وادى باسم الماريت . ومعظمهم يسكن شرق ووسط دارفور MacMichael, H.A. : op. cit. p. 83

(٣) التنجور : يذكر أهل البلاد أن الداجو أول من أسس دولة فى منطقة دارفور الحالية وتلاههم التنجور ثم الفور . ومن هذا الاسم الثالث جاء اسم دارفور . واختلفت الآراء فى أصل التنجور . ففى (MacMichael, H.A. : op. cit. pp. 66-71) أنهم من النوبيين وبنى هلال وأنهم هاجروا من بلاد النوبة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد ، واشتهروا هناك باسم التنجور وأسسوا دولة فى شمال دارفور وعاصروا دولة الداجو فى جنوب جبل مرة . ثم بسط التنجور سلطانهم على وادى غربى دارفور فأدى ذلك الى اضعاف سلطانهم فى دارفور خاصة ، ولذا انتزعتهم أسرة من الفور تسمى أسرة كيرا وأسسست سلطنة دارفور . ومن التنجور جماعات موزعة بين دارفور ووادى وكانم وبرنو . انظر Arkell, A.J. : The Hist. of Darfur. S.N.R. XXXII, Part II, pp. 207-218.

Barth, H. : Travels and Discoveries in North and Central Africa, III, p. 430.

Lampen, G.D. : Hist. of Darfur, S.N.R. XXXI, Part I, p. 183.

(٤) ميمه : أسار ابن بطوطة فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى الى بلدة ميمه التى لا تبعد كثيرا غربى مدينة تمبكتو . ولاحظ هذا الرحالة أن معظم سكان مدينة تمبكتو من الميمه أو قبائل الملتمين (الطوارق) ولا بد أن شعبة منهم =

إلا أن مملكة البرقودو التنجور في الوسط ، ومملكة البرقو والميمه من جهة الشرق ، ومملكة الداجو^(١) ، والبيقو من الجهة الجنوبية ، وكذا مملكة فراوجية^(٢) . ولكل من هذه الممالك حاكم يسمى : سلطانا ، لكن يولييه عليهم سلطان الفور ، وكلهم (١٢٨) على نسق واحد في الهيئة والملبوس ، إلا ملك التنجور فإنه يلبس عمامة سوداء . وسألته عن سبب سواد عمامته ، فأخبرني أن أصل مملكة دارفور لأجداده ، وتغلب عليها سلطان الفور . فلبس العمامة السوداء إشعار بحزنه على فقد مملكته .

= انتقلت ناحية الشرق الى دارفور . ويقول الرحالة ناختيجال (ان الميماقبييلة كبيرة في واداي ، ولكن معظمها انتشر جنوبا حيث اختلطوا بسكانها ، ففقدوا صفاتهم الجنسية ، واحتفظت البقية الباقية منهم بلغتهم الخاصة التي تقرب من لغة الزغاوة والقرعان وعليهم ملك منهم » * MacMichael, H.A. : op.cit. p. 82.

(١) الداجو : من أقدم عناصر السكان بدارفور . مواطنهم شرق وجنوب شرق جبل مرة . وتعيش جماعات من الداجو في دار صليح (واداي) وجماعات أخرى في دار مسيرية في جنوب غرب كردفان . والمتواتر أن الداجو أول من أسس دولة في منطقة دارفور ثم أزاحهم التنجور عن وسط دارفور فاستقروا في مواطنهم الحالية Mac Michael, H.A. ; op. cit., pp 71 - 76

Seligman, C.G. : Pagan Tribes of the Nilotic Sudan, pp. 455-457. MacMichael, H.A. : op.cit., pp. 71-76.

ويذكر كل من بامر Palmer و آركل Arkell أن الداجو هم التاجوين أو التاجو الذين ورد ذكرهم في مؤلفات الادريسي وابن سعيد وابن خلدون وأن مواطنهم كانت بين الكانم وبلاد النوبة

Palmer, R. : Bornu Sahara and Sudan, p. 212

Arkell, A.J. : Hist. of Darfur, S.N.R., XXXII, Part I, pp. 62-70.

Balfour-Paul : Hist. and Antiq. of Darfur, pp. 9-10.

(٢) الفراوجية : إحدى قبائل الفريت التي تسكن جنوب دارفور بين خطي عرض ١٠ : ٩ ، ١٣ : ٩ وخطي طول ٢٥ : ٢٥ ، ٣٧ : ٢٥ . وكان الفراوجيه

زمن المؤلف تحت حكم أباديما MacMichael, H.A. : op. cit. p. 90.

قارني مقدمة Voyage au Darfour, p. 44.

وقد أحاط بجانبها الشرقى والجنوبى كثيرٌ من عرب البادية كالمسييرية الحمر والزبيقات والفُلان . وكل قبيلةٍ من هذه القبائل لا تحصى كثرةً ، وهم أهل بقرٍ وخيلٍ وأثاث . وأكثرهم أهل ثروة لا يألون الحاضرة ، بل يتبعون الكلاً أينما كان . ويأحقُّ بهم القبيلةُ المسماةُ ببني حِلْبة^(١) ، لأنهم أهل بقرٍ أيضاً ، لكنهم يتوغلون في دارفور ويزرعون .

وأما أهل الإبلِ فمنهم^(٢) الفزارة^(٣) ، وهم : المحاميد^(٤) ، والمجانين^(٥) ،

(١) بنو حلبة : يعرفون في السودان ببني هلبة • كانوا فيما مضى قبيلة كبيرة ، وطنهم الأصلي في منطقة عد الغنم الى الجنوب الغربى من جبل مرة • وتعيش جماعة منهم شرق جبل مرة وجنوب جبل حريز، وأخرى فيما وراء حدود دارفورٍ وادائى • وقد تعرض بنو حلبة في دارفور لضغط سلاطين الفور الذين كانوا يطالبونهم بدفع اتاوات ضخمة • ومن ذلك أن السلطان أحمد فضل استولى على معظم مواشيهم • MacMichael, H.A. : op.cit. p. 293.

(٢) فى الأصل : منهم

(٣) بنو فزارة : كان اسم فزارة زمن المؤلف يطلق على أكبر مجموعة من رعاة الابل فى دارفور وكردفان • وتعد فزارة من قبائل جهينة فى السودان ، وذلك على الرغم مما هو معروف من أن أصلها من العدنانيين • والتفسير الراجح أن أوطان قبيلة فزارة كانت متاخمة لأوطان جهينة فى الجزيرة العربية ، وأن هجرة القبيلتين الى مصر حدثت فى وقت واحد • فكانت جماعات من الفريقين تنتقل معا ، وكانت بينهم مصاهرات أدمجت إحدى القبيلتين فى الأخرى • انظر ، محمد عوض محمد : (السودان الشمالى ، ص ٢٢٠) •

Cf. MacMichael, H.A. : op.cit. pp. 255-270.

(٤) المحاميد : انظر ص ٩٧ حاشية ١ •

(٥) المجانين : راجع ص ٩٤ حاشية ١ •

وبنو عمران^(١) وبنو جرّار^(٢) والمسيرية الزرق^(٣) وغيرهم . وعلى كلٍّ من هذه القبائل ضريبةٌ ، يأخذها السلطان من أموالهم في كل سنة ، لكن في ذلك تفاوت : أما المسيرية الحمر والزريقات لقوتهم وتوغّلهم في الخلاء ، فلا يُعطون للسلطان إلا أقبّح أموالهم ، ولا يقدر العاملُ أن يأخذ من كرايمها إلا برضاهم ، وإن تآقت نفسه إلى ذلك طرِدَ ، وربما قُتل ، ولا يقدر السلطانُ لهم على شيء .

ولقد بلغني أن الزريقات عصّوا أمر السلطان تيراب ، وجهّز لهم جيشا فكسروه ، فخرج إليهم بنفسه ففروا أمامه ، ودخلوا (١٢٩) في البرّجوب^(٤) بمواشيهم ، فتبعهم فقتلوا منه خلقا كثيرا ولم يملك شيئا .

والبرّجوب : موضع يسافر فيه المسافر عشرة أيام [حتى] يقطعه ، وهو طين لين مغطى بماء يبلغ نحو عانة الرجل ، ومن لين طينته تسوخ فيه قوائم الدواب ، ومع ذلك فهو ذو شجر شائك . وهذا الموضع لا ينقطع عنه المطر إلا شهرين في السنة في فصل الشتاء .

(١) بنو عمران : يذكر بنو عمران أن أسلافهم قدموا من دراو بصعيد مصر تجارا ورجال صوفية منذ سبعة أجيال مضت ، وانتشر بعضهم في وسط كردفان وسط قبيلة البديرية وغيرها ، على حين استقر البعض الآخر في شرق دارفور عند حدود كردفان . MacMichael, H.A. : op. cit. p. 249.

(٢) كان بنو جرار من أقوى قبائل كردفان ودارفور . ويرى ماكمايكل أنهم كانوا يرتبطون بأواصر قريبي مع قبيلة فزارة التي كانت تسكن صعيد مصر في القرن الخامس عشر الميلادي . MacMichael, H.A. : op. cit. p. 264.

(٣) المسيرية الزرق : راجع ص ١٠٣ حاشية ٢ .

(٤) البرجوب : الراجع أن المقصود بالبرجوب هنا مستنقعات بحرى الغزال والجبل ، كما تدل عليه خريطة دارفور الملحقة بالترجمة الفرنسية (Voyage au Darfour) إذ جعل لها المترجم منطقة خاصة في بلاد الشملك والدنكا ، كما صورها له التونسي نفسه .

بم إن طول إقليم دارفور ، من أول بلاد الزغاوة^(١) إلى دارر ونجيه^(٢) ، نحو ستين يوماً . بل إن اعتبار الملحقات بها ، كدار رونجيه ، وفنقرو^(٣) ، ودار بندلة^(٤) ، وبينجيه^(٥) ، وشالا^(٦) كانت أكثر من سبعين يوماً . هذا كله بحسب تعريف البلد ، لكن الذى أظنه أنها لا تصل لذلك ، بل نهاية مساحتها^(٧) تبلغ نحو من^(٨) خمسين يوماً أو أقل ، وإن عُدَّت [معها] ممالك الفرثيت الخمسة المذكورة ، وهى فى ذلك الزمن الملحقات المعاهدة لسلطان دار الفور ، ويؤدون له الخراج فى كل سنة .

فإذا دخلت دار الزغاوة من جهة المزروب ، متوجهاً على خط مستقيم إلى كوبيه ، تمسكتُ نحو ستة أيام ومن كوبيه إلى تندلتي الذى هو الفاشر^(٩) يومان ، ومن الفاشر إلى جديد كرىو يومان ، ومنه إلى الزيل يومان ، فهذا اثنا عشر يوماً . ومن الزيل إلى جديد راس الفيل أربعة أيام ، ومنه إلى تالدوا^(١٠) ثلاثة أيام أو أربعة ، ومنها إلى تبليدية ثمانية أيام . وتبليدية على الحدود الشرقية للفور ، ومنها (١٣٠) يدخل الإنسان فى بلد الداجو والبيقوفيمشى فيها نحو من ثمانية أيام أيضاً ، فهذه أربعة وثلاثون يوماً .

ثم إذا خرجتَ منهما إلى جهة الشرق ، تجد خلاء مشحوناً بأعراب البادية ،

(١) سبق التعريف بها فى ص ٥٤ حاشية ٥ .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) : هذه كلها من القبائل التى عرفت زمن المؤلف باسم فرثيت التى تقع مواطنهم فى أقصى الجنوب من دارفور وشمال بحر الغزال

Mac Michael, H. A ; op cit p. 90

(٧) فى الأصل : مساحته

(٨) كذا فى الأصل .

(٩) فى الأصل : الفاشر بفتح الشين .

(١٠) فى الأصل : تلدوا .

كالمسيرية الحمر والحبانية^(١) والرزيقات ، عالم لا يحصيهم إلا خالقهم . وإن ملت إلى جهة الغرب دخلت في دار أباديا^(٢) ، فتقطعها في نحو عشرة أيام ، ثم تدخل في خلاء تمشى فيه يومين ، وتدخل إلى دار رُونجيه ، ومسافتها نحو ثلاثة أيام ، ودار فنقر أو مثلها أو أقل منها بشيء يسير . ومنهما خلاء يمشى فيه الإنسان نحو يومين ، ومنه يدخل في دار بينجيه وشالاً ، ومسافتها يومان ، فظهر لك بما ذكرناه أن طول دارفور بملحقاتها لا يبلغ نحو خمسين يوماً .

وهذه الملحقات هي البلاد الجنوبية التي بعد دار القراوجيه ، لأن القراوجيه آخره

(١) الحبانية : يعرفون في السودان بالهبانية ، وهم إحدى قبائل البقارة ، وكانوا فيما مضى رعاة ابل . ولهم شعبتان : أحدهما في دارفور ومواطنهم بين الرزيقات في الشرق والتعايشة في الغرب والمسايط في الشمال والدنكا في الجنوب . والشعبة الأخرى تعيش في كردفان جنوب بلدة الرهد

MacMichael, H.A. : op.cit. pp. 278-279.

(٢) أباديا - أباديما : جرى الرسم في سلطنة دارفور بتقسيمها من الناحية الإدارية إلى أربع ولايات على كل منها نائب للسلطان (viceroy) ، وأطلق على كل واحد منهم لقب خاص ومن أولئك « أباديا » أو « أباديما » . ويحكم القسم الجنوبي الغربي من دارفور والذي عرف باسم « دار أباديا » . وتمتد دار أباديا شمالاً إلى وادي أزوم Azum . وعرف سكان هذا الاقليم باسم ديمانجا . Dimanga ، كما عرف حاكمه كذلك باسم ديمسانجوى . وتشمل دار أباديا جغرافياً - حسبما جاء في خرائط ناختيجال - معظم بلاد التعايشة وبنى هلبة والمسايط والفلاتا . وسلطته مطلقة في اقليمه ، ولكن عليه الرجوع إلى السلطان في المسائل الهامة كالحرب مثلاً . وله اقطاع كبير ، ويسير بقواته زمن الحرب أو في الحفلات الرسمية على يمين السلطان

Cf. Voyage au Darfour, pp. 131-132, 137-138, 172-173.

Mac Michael, H.A. : op.cit. pp. 95-96. ; Balfour-Paul : op. cit. p. 19.

Nachtigal, G. : Sahara und Sudan, III, pp. 418-419; Lampen, G.D. : op.cit.

S.N.R., Part II, p. 201.

حدود ممالك الفوراوية الحقيقية ، وما يسميه^(١) أهل الفور بالسعيد^(٢) [هو] المساحة
المتدّية من الرّيل لآخر دار الفور من جهة الجنوب .

ودار أبادِما إنما كانت مساحتها نحو عشرة أيام ، لأن أبادِما يحكم على اثني عشر
ملكاً ، كل ملك له إيالة مستقلة . و [دار] أبادِما هي^(٣) دار تمور كة^(٤) .

وأبادِما اسم منصب ، كما سنذكره ، معناه : الجناح الأيمن للسلطان ، والحاكم
المسمّى بهذا الاسم يحكم على دار تمور كة ، فسمّي لذلك دار تمور كة بدار أبادِما .
ويقابله التكنياوي^(٥) ، الذي هو أيضاً اسم منصب ، معناه : الجناح الأيسر للسلطان .
ويحكم التكنياوي على اثني عشر ملكاً^(٦) أيضاً ، وهو حاكم الزغاوة (١٣١) وما يليها
لجهة الشرق ، ولذلك أيضاً سمّي دار الزغاوة بدار التكنياوي .

وإن قلت : من حيث أن أبادِما والتكنياوي متعادلان^(٧) ، لم كان طول

(١) في الأصل : يسمون .

(٢) كذا في الأصل ، بدل : الصعيد . ويقصد بالصعيد الاقليم الجنوبي في دارفور

(٣) في الأصل هو .

(٤) تموركة : كان التونسي أول من أشار الى أن الفور ينقسمون الى ثلاث شعب
أو بطون : الأولى الكنجارية ومعظمهم في شرق جبل مره (وسيأتي الحديث عنهم
بالتفصيل) والثانية الكراكريت وهم سكان جبل سي الأصليون . والثالثة
التموركة ويعيشون في جنوب غرب دارفور وهو الاقليم الذي يحكمه أبادِما
MacMichael, H.A. : op. cit. pp. 94.

(٥) التكنياوي : نائب السلطان في الاقليم الشمال من دارفور . وهو على قدم
المساواة مع أبادِما في النفوذ والسلطان . انظر مراجع حاشية ٢ في الصفحة
السابقة

(٦) في الأصل : ملك .

(٧) في الأصل متعادلين .

دار أباديما عشرة أيام ، وطول دار التَّسْكِنِيَاوِي خمسة أيام ؟ قلتُ : دارُ التَّسْكِنِيَاوِي
أعرضُ من دار أباديما ، لأن دار أباديما عرضُها نحوُ خمسةِ أيامٍ وشئٌ يسير ، وعرضُ
دار التَّسْكِنِيَاوِي نحوُ سبعةِ أيامٍ ، فما نقص من طولها جُبرِ زيادةِ عرضها .

ثم اعلمُ أن دارفور منظمة تنظيمًا على وجه مُحْكَم ، لأننا ذكرنا أن جبلَ مَرَّةٍ
يشقُّها ، وأن نصفها من جبلِ مَرَّةٍ إلى جهةِ الشرقِ سهل ، وعرضُ جبلِ مَرَّةٍ - بِقَطْعِ
النَّظَرِ عن ارتفاعِ الجبال - نحوُ يومين ، ووراءه من جهة الغربِ سهلٌ أيضًا ، لكن
من جهةِ الشمالِ الزَّغَاوَة والبرِّيَّة ، وهما قبيلتان عظيمتان . فالبرِّيَّة من جهة الشرق ،
والزَّغَاوَة من جهة الغرب . وفي وَسْطِها من جنوبٍ جديدٍ كَرِيو يسكنها التَّنْجُور والبرْقِد ،
وهما قبيلتان عظيمتان . وهكذا إلى جديدِ راسِ الفيلِ وأزَيْد ، بل إلى تَبْدِيَّة ، وإن
كان بينهما بلاد وقبائل صغار .

ثم من هناك إلى الخلاء من جهة الجنوب والشرق ، وجهة دار أباديما يسكنه
الدَّاجُو والبيَّةَو ، فالدَّاجُو من جهة المغرب ، والبيَّةَو من جهة الشرق ، وشرقي
جديدِ كَرِيو يسكنه البرَّقَو والميَّمة ، وهما قبيلتان عظيمتان .

ثم إنَّ جبلَ مَرَّةٍ لا يسكنه إلا أعجام الفور ، وأعجامُ الفور ثلاثةُ قبائل ، أحدها :
كُنْجَارَة^(١) ، وهي تسكن من قِرْلِي إلى بعد الجبلِ الصغير المسمَّى مَرَّةً بِالْخُصُوص ، وهو
مَرَّةٌ حَقِيقَة^(٢) . وبعده بقليل إلى حد دار أباديما ، تسكنه الفور المسمَّون : كَرَا كَرِيَّت^(٣) ،
وأما الفور الساكنون بدار أباديما فيسمَّون : تَمُورَ كَه .

(١) سمعنا من أهل جبل مرة أنه سمي بهذا الاسم لأنه لم يخلق مثله ، فلا ثاني له
ولا نظير .

(٢) المعروف أن الفور تفرعوا ثلاث شعَب ، وهي الكنجارة والكراريت والتموركة ،
وامتاز الكنجارة منهم بتسرب الدماء العربية اليهم . ويقال بصدد اختلاط

وبعد دار أباديما دار رُونَجِيَه ودار فَرَاوُجِيَه ، لَكُن رُونَجِيَه من جهة المغرب ،
وَفَرَاوُجِيَه من جهة المشرق . ودار فَنَقَرُو بعدَ دار فَرَاوُجِيَه . وبعدَ دارِ رُونَجِيَه
دار سِلَا^(١) ، لَكُن تَمِيلُ إلى المغرب أكثر ، ولهذا يحكمها أهلُ الوَادَاي .

واعلم أن جبل مَرَّة ليس جبلاً واحداً كُلُّهُ ، بل هو عِدَّةُ جبالٍ كبار وصغار .
وقبل الدُّخُولِ في دار أباديما ينقطع الجبل ، وتبقى أرضٌ سهلة يسكنها الفُلَّان ، حتى أنهم
يقربون من المَسَالِيطِ من جهةِ المَغْرِبِ . ويلبثهم بنو حِلْبَةِ والمَسِيرِيَّةُ الزُّرْق .
وجميع ما ذكرناه غيرُ البدو الحافئين بها من شمالها وشرقها وجنوبها ، وغيرُ المولدين
من القبائل ، والفُورِ يسمُّونهم : الدَّارَاوِيَّة^(٢) ، أى المنسوبين للدَّار ، فإنهم في الوسط
لا يُعتَبَرُونَ بقبيلة .

وإن أردتَ أن أبين لك كيفية دارِ الفُور ، ووضعَ منازلِ هذه القبائل ، والأعرابِ

=الكنجارية بالعرب، أنه وفد على بلاد دارفور جماعة من عرب بنى هلال بقيادة أحمد
المعقور ، وانهم صاهروا الكنجارية وأن أسرة تدعى كيرا نشأت عن هذه
المصاهرة. ثم استطاعت هذه الأسرة بقيادة زعيمها سليمان سلونج أن تؤسس
سلطنة دارفور في القرن ١٧ م . ويسكن الكنجارية شرق جبل مرة ويسكن
الكراريت جبل سى . أما التموركة فيعيشون في الجنوب

Mac Michael, H.A. : op.cit. pp. 91-95.

(١) دار سلا هي دار صليح أو واداي. ويعرف الاقليم الجنوبي من واداي خاصة

بدار صليح فقط . قارن مقدمة Voyage au Ouaday, pp. 25-26.

(٢) المقصود بالداراوية هنا خليط من قبائل مختلفة ليست لهم عصبية .

المحتفنين بها ، فها أنا أرسم لك ما هو على هيئة الجدول^(١) ، تقريباً للفهم ، وهو هذا .
فنفرض أن هذه الجهة هي جهة (١٣٣) الجنوب .

(١) يعنى بالجدول هنا : الخريطة .

(١٣٥) هذا وإن كنت لم أبتين في هذا الجدول البيان الشافي، لعدم معرفتي بالرسم، ولضيق الورق، فهي^(١) في نفسها كذلك، لكن الماهر يستنتج منها صورة حسنة.

ثم اعلم أن أعمار البلاد من جهة الشمال بلاد البرتي والزغاوة، لكثرة ما فيها من العالم. وانظر حكمة الله: فإن القبيلتين في خط واحد، لكن البرتي أرق قلوباً، وأحسن وجوهاً، وأجل نساء، والزغاوة بالعكس.

كما أن الداجو والبيقو في خط واحد، وبنات البيقو أجل من بنات الداجو. وأما البرقيد والتنجور، فيوجد في كل منهما المليح والقبيح، لكن البرقيد خائنون سراق ليلاً ونهاراً، لا يخافون الله ولا رسوله؛ والتنجور معهم بعض دين، وبعض عقل يمنعهم. وأما أهل الجبل، فكلهم على حد في الوحشة والوخشة^(٢)، لكن متى جمعت في دار أباديما، تجدد الرجال والنساء حسان^(٣)، فسبحان من هذا صنعه.

وأما المساليط ففساؤهم يسبين العقل، ويذهبن باللب. وأجل النساء في دار الفور على الإطلاق نساء العرب، بل ورجالهم كذلك. وبين الواداي ودارفور لا يوجد ساكن ألبتة، ما عدا أهل جبل تامه الذي سنتحدث عنه [ونذكر] أن السلطان صابون^(٤) — وهو سلطان الواداي — غزاه واستولى على أهله.

(١) أي: هيئة الجدول.

(٢) الوحشة: الرداءة، من وخش الشيء بالضم رذل وصار ردينا، أما الوحشة فلفظة عامية بمعنى القبح.

(٣) كذا في الأصل، بدل: حسانا.

(٤) هو السلطان عبد الكريم ولقبه صابون. وهو حفيد السلطان محمد صليح. حارب عبد الكريم صابون أباه السلطان محمد درت وانتزع منه عرش السلطنة سنة ١٨٠٥ م. ونجح في بسط سلطانه على اقليم بجرى الغنى فزادت ثروة البلاد وتوفي سنة ١٨١٥ حين كان يستعد لقتال حاكم برنو
Barth, H.: Travels. III, pp. 530-531.

واعلم أن جميع (١٣٦) البلاد التي في دارفور مقسومة على أكابر الدولة ، فكلّ منهم له فيها على قدر منصبه وحاله ، فأوسمهم داراً^(١) : أباديا^(٢) ، والتكنياوى^(٣) ، لأن كلاً منهما تحت يده اثنا عشر ملكاً ، لكل ملك منهم عمل مستقل ، ويسمون ذلك الملك : شرتاى^(٤) .

(١) فى الأصل : دار .

(٢٢) المعروف أن سلطنة دارفور تنقسم الى أربع ولايات يحكم كلا منها حاكم اقطاعى (نائب سلطان) يلى منصبه بالورانة وبتقليد من السلطان . وتلقب كل من اولئك الحكام بلقب خاص ، هو «أباديما» لجنوب غرب دارفور ، و«التكنياوى» للولاية الشمالية ، و « الأب شيخ » للولاية الشرقية . أما نائب السلطان الرابع فهو «أباؤما - أباؤمانج» ويحكم مقاطعة جنوب شرق دارفور . وفى (Balfour Paul : op.cit, p. 19) أن ألقاب نواب السلطان ليست مشتقة من أعضاء جسم السلطان كما يقول التونسى ، بل ترجع الى اسماء قبلية ، أى أن «أباديما» ينتسب الى مورمينجا ، و «التكنياوى» الى كونبونجا ، و «أباؤما» الى بلدانجا أو سومينجا . أما الأب شيخ فلم يكن كذلك لأنه خصى (Nachtigal : op.cit, p.418) . وتذكر المراجع أن هذا النظام عدل فى عهد السلطان محمد فضل وصارت الولايات تسمى مقدمات مفردة مقدومية يتولاها مقدم بطريق التعيين لا الاقطاع ، كما ألقى منصب الأب شيخ عقب النزاع الذى نشب بين الأب شيخ محمد كرا والسلطان محمد فضل . وبقيت المناصب الاقطاعية : اباديما والتكنياوى واباؤما الى جانب المقاديم وهو ما يعرف بالنظام المزدوج dual organization ، ثم مالبت منصب المقدومية أن أضحي وراثيا بمرور الزمن كذلك

Arkell : S.N.R., XXXIII, Part I, pp. 132-133, Lampen : op.cit. pp. 201-202.

ومن الملحوظ هنا أن الحكام الاقطاعيين الأربعة القدامى كانوا من بين الأعضاء الاتنى عشر الذين يتكون منهم مجلس السلطان ، وهو المجلس الذى كان يتولى اختيار السلطان الجديد بعد السلطان المتوفى . أما عن عمل المقدم واختصاصاته - وهى فى الغالب نفس اختصاصات الوالى الاقطاعى القديم من قبل - فانظرها فى Beaton, A.C. : S.N.R., XXIX, II, p. 5.

(٤) راجع ما كتب عن هذا اللقب فى ص ٦٨ حاشية ٥ .

فأباديما يحكم على التّمور كـ^(١) .

والتّكنيّاوي يحكم على دار الزّغاوة والبرّقي وما ولاهما^(٢) .

وأبأوما^(٣) ويساوي الكامنه^(٤) يحكم على أربعة ملوك من المساليط .

وفورنيج أبأ^(٥) يحكم على أربعة ملوك من الكراكريت .

والأرونْدولونيخ^(٦) وهو وجه السلطان يحكم على أربعة ملوك من بلاد البرّقد ،

(١) في الأصل : التامور كـ .

(٢) كذا في الأصل وقد تكررت في مواضع ، بدل : وليهما .

(٣) انظر الصفحة السابقة حاشية (٢ ، ٣) .

(٤ ، ٥) ليس لدينا من المراجع ما يساعد على التعريف بلقب الكامنه وأصل حامله سوى

طبيعة عمله ، مع العلم بأنه لا يوجد للكامنه معنى في أية لغة من لغات دارفور ،

كما أنه لا يرمز لعضو من أعضاء جسم السلطان كما يقول الثونسي . أما في لغة

كنوري في برنو فان اللفظ مكون من كلمتين : الأولى « كام » بمعنى شخص ،

والثانية « ني » ومعناها ملك . وربما كان المقصود به في دارفور على هذا القياس

الاستنتاجي - ظل السلطان أو نفسه الثانية Cf. MacMichael : op. cit. p.95.

Arkel : S. N.R. XXXIII, Part I, p. 142. ويعرف الكامنه كذلك باسم « فورنيج أبأ »

أي « أبو الفور » . ولعله يرجع بنسبه الى بيت ملكي فورواي قديم . ويبدو أن

صاحب هذا المنصب كان غالبا ما يطعم في ملك دارفور . ومن ذلك ما يشير اليه

ناختيجال بصدد نزاع نشب بين السلطان أحمد بكر والكامنه . وفي ذلك

تفسير لما جرى عليه الفور من قتل الكامنه اذا مات السلطان قتيلا ، بل يقال انه

كان يقتل سواء قتل السلطان أو مات ميتة طبيعية Arkell : S.N.R. XXXII,

II, pp. 337 - 38. والكامنه حاكم اقطاعي على مقاطعة في غرب دارفور ،

غير أن مقره كان دائما بالعاصمة الى جوار السلطان ، وكان الكامنه ذا خبرة

بتقاليد البلاد القديمة وعادات سكانها. ويقال انه كان زمن السلطان على دينار

المستول عن ترتيب زواج الميارم (الأميرات) Arkell : S.N.R., XXXIII, I, P. 142.

(٦) موظف اقطاعي يحكم اقليم البرقد من مقره بالعاصمة حيث يوجد السلطان ،

وهو لا يمثل اوجه السلطان ، بل عتبة باب السلطان فيما يراه آركل . وهو

الموظف الذي يأذن لأصحاب الدعاوى وغيرهم ممن يريد مقابلة السلطان بالمشول

بين يديه . ثم انه كان حاكم مدينة الفاشر العاصمة ورئيس البوليس بها وهو

الذي يفصل في القضايا الجنائية . Arkell : op. cit. p. 140.

ويلاحظ أنه كان لكل شرطاي موظف يحمل لقب أوروندولنج وكان يقوم في

الغالب بعمل القاضي . Cf. MacMichael : op.cit. p. 94.

والأب الشيخ يحكم على أربعة ملوك أيضاً .
وَوَرَّيْح^(١) أبا يحكم على مَلَكين .

وهذه البلاد غير بلاد الأمناء والأشراف والفقهاء العظام والقضاة ، وليس للسلطان
بلادٌ خالصة له إلا بيوت آبائه وأجداده ، مثل قِرْلِي والرَّيْل وتَنْدَلْتِي وغيرها .
ومحلُّ حكم الأب الشيخ من أبى الجدُول إلى الجنوب ، حتى يأخذ أيضاً قطعةً
عظيمة من بلاد البرِّقِد .

والأمناء يحكمون على جهة مَرَّة .

وأما السلاطين الصغار^(٢) ، فإن كلَّ سلطان منهم يحكم على بلاد جماعته ،
كالبرِّقَو ، والميمه ، والتَّنْجُور ، والدَّاجُو ، والبيقُو ، والزَّغَاوَة . وهؤلاء السلاطين لهم
إقطاع يتعيشون منها ، وإن كانت المملكة لها حاكم غيره . فمثلاً سلطان زغَاوَة حاكم
على جماعته ، مع أنه في دار (١٣٧) التَّكْنِيَاوِي ، ولكن له إقطاع من زمن أجداده ،
لا يتعرَّض لها التَّكْنِيَاوِي . وبقية البلاد يأخذ التَّكْنِيَاوِي خيراتها ، وهكذا [الأمرُ
بالنسبة] لغيره من السلاطين الصغار .

وبقية الأقاليم غير الستة المذكورة حكامها ملوكٌ .

وأما عَرَضُ دارفور ، فإنه من انحلال الكائن بينه وبين دار صليح ، أى دار

(١) راجع حاشية ٣٤٢ ص ١٥٠

(٢) جرى الرسم في دارفور بأن يحتفظ بلقب سلطان رؤساء القبائل التي كانت
فيما مضى تتمتع باستقلالها ، ثم خضعت لنفوذ سلطان دارفور وذلك بالرغم من
تبعيتهم له وتلقى الأوامر منه .

وَأَدَانِي^(١)، إلى آخر الطَّوَيْشَة ، أى لأوّل انخلاق ، السَّكَّانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُرْدُقَالِ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ يَوْمًا . وهذا الإقليم نصفه سهل^(٢) ، [و] أرضه^(٣) مُرْمِلَةٌ قَلِيلًا إِلَّا آخِرُهُ مِنَ الشَّرْقِ ، فَإِنَّهُ كَغَنِيْب^(٤) مِنَ الرَّمْلِ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى بِالْقَوَزِ .

وَأَمَّا أَرْضَى جَبَلِ مَرَّةَ ، فَهِيَ طِينٌ أَسْوَدٌ ، وَهُوَ جَبَلٌ يَشُقُّ دَارَ الْفُورِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، حَتَّى قِيلَ إِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِالْمَقَطِّ الْمَطْلِّ عَلَى الْقَاهِرَةِ ، لَكِنَّهُ لَيْسَ قِطْعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ هُوَ مُتَقَطَّعٌ مِنْ عِدَّةٍ أَمَا كُنْ ، وَلَهُ طُرُقٌ عَدِيدَةٌ .

وَفِي هَذَا الْجَبَلِ أُمٌّ وَعَالَمٌ لَا يُحْصَى كَثَرَتُهُ ، وَفِيهِمُ الْقَبِيلَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْكُنْجَارَةِ^(٥) ، الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا سُلْطَانُ دَارْفُورَ . وَفِي هَذَا الْجَبَلِ كَهُوفٌ عَدِيدَةٌ ، تَحْبَسُ فِيهَا أَوْلَادُ الْمُلُوكِ ، وَأُخْرَى^(٥) لِحَبْسِ الْوُزَرَاءِ .

وَفِيهِ مِنْ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مَا لَا يَوْجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَمَاكِنِ . وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنَّ جَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ تَرَعَى وَحْدَهَا بِدُونِ رَاعٍ ، وَلَا يَخْشَوْنَ عَلَيْهَا سَارِقًا وَلَا سَبْعًا وَلَا ذَنْبًا .

وَلَقَدْ اسْتَأْذَنْتُ السُّلْطَانَ مُحَمَّدَ فَضْلٍ سَنَةَ ١٢٢٠^(٦) فِي التَّوَجُّهِ (١٣٨) إِلَى جَبَلِ مَرَّةَ لِلْفُرْجَةِ ، فَتَوَقَّفَ أَوَّلًا فِي الْإِذْنِ خَوْفًا عَلَى مَنْ غَائِلَةِ أَهْلِ الْجَبَلِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِي ، وَعَيْنَ مَعِيَ خُدَّامًا ، وَكُتِبَ لِي فَرَمَانًا إِلَى جَمِيعِ عُثْمَالِ الْجَبَلِ يَقُولُ فِيهِ :

(١) سبق التعريف بها في ص ٧٤ حاشية ٣ .

(٢) فى الأصل : أرض .

(٣) فى الأصل : كثير .

(٤) الكنجارة سبق التعريف بهم فى ص ١٤٤ حاشية ٢ .

(٥) فى الأصل : وآخرون .

(٦) سنة ١٢٢٠ هـ = ١٨٠٥ م .

من حضرة السلطان الأعظم ، والحاقان المكرّم ، سلطان العرب والعجم ،
الواثق بعناية الملك العدل الصبور ، السلطان محمد فضل المنصور ، إلى جميع ملوك
جبل مرة .

أما بعد : فإن السيّد الشريف محمد التونسي ابن الشريف العلامة السيد عمر
التونسي ، التمس منا إذناً في أن يرى الجبل وما فيه ، ويختبر ظاهره وخافيه ^(١) ، وقد
أذناه ^(٢) بذلك ، فلا يُمنع من محلّ يريد النظر إليه ، وأمر ^(٣) كلّ ملك نزل به
أن يكرّمه ويعظم ملّقه . وقد أحببته بقلقناويين ^(٤) من خواصّ فلاقتي ، ليكونا
واسطةً بينكم وبينه ، و [لِيَكُنَّا مِنْ] تبليغ الكلام ، ونيل المرام ، والسلام .

فتوجهتُ صحبة الفلقناويين ، وعبدني لي ، ورجل من أهل البلدة التي أنا فيها .
فسافرنا يومين ، وفي اليوم الثالث أتينا أطراف الجبل ، فنزلنا في بلدٍ يقال لها :
تمّلييه ^(٥) ، ولها رئيس يقال له : الفقيه تمر ، وله ولدٌ يقال له : الفقيه محمد ، وآخرُ
يقال له : سليمان . فنزلنا في بيت رئيس البلدة ، وحضر هو وأولاده واستقبلونا بصدرٍ

-
- (١) كذا ، بدل : خافيه بفتح الياء ، وذلك مراعاة للسجع .
(٢) كذا في الأصل ، وهي عبارة عامية ، بدل : أذنا له في ذلك ، أي سمحنا له به
(٣) كذا في الأصل ، بهمزة مفتوحة على الألف الأولى وهمزة ساكنة على الثانية .
ومن هذه الطريقة في رسم اللفظ نرجح أن المؤلف يريد الصيغة العامية
لا الفصحى التي هي : أمر .

- (٤) المفرد فلقناوي والجمع فلاقنة . ويقوم الفلقناوي عادة بعمل الحاجب والمترجم
والمراسلة كذلك Voyage au Darfour, p. 140.

- (٥) يقع هذا المكان في وسط جبل مرة في منطقة الكراكرت حسبما جاء في خريطة
المؤلف المنشورة ضمن الكتاب . ويلاحظ أن المراجع المتداول في هذه الحواشي
ليس فيها ما يساعد على التعريف به أكثر من هذا .

رَحِب ، فَأَخْبَرْنَاهُمْ بِمَقْصِدِنَا ، وَأَظْهَرْنَا لَهُمْ أَمْرَ السُّلْطَانِ ، فَاهْتَمُّوا حِينَئِذٍ بِشَأْنِي ،
وَأَعْظَمُوا ضِيَافَتِي ، فَبِتْنَا لَيْلَتَنَا تِلْكَ .

ومن الغد (١٣٩) تَوَجَّهُوا بِي إِلَى سَوْقٍ يُنْمَلِيهِ ، وَهُوَ سَوْقٌ يَعْمُرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ ،
[و] يَحْضُرُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْجَبَلِ رِجَالًا وَنِسَاءً ، يَقْضُونَ مَصَالِحَهُمْ . فَرَأَيْتُ أَنْاسًا شَدِيدِينَ^(١)
السَّوَادِ ، مُحَرَّرِ الْأَعْيُنِ وَالْأَسْنَانِ .

وَحِينَ رَأَوْنِي اجْتَمَعُوا عَلَيَّ ، مُتَعَجِّبِينَ مِنْ احْتِرَارِ لَوْنِي ، وَأَتَوْنَا إِلَى أَفْوَاجَا
أَفْوَاجَا ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ رُؤْيَا عَرَبِيٍّ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَأَرَادُوا قَتْلِي عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِهْزَاءِ
- وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ لَا أَعْرِفُ مِنْ لُغَةِ الْفُورِ شَيْئًا - فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ مَنْ مَعِيَ مِنَ
النَّاسِ اخْتَطَفُوا سِلَاحَهُمْ ، وَجَرَّدُوهُ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ ، وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، فَسَأَلْتُ
عَنِ السَّبَبِ ، فَقَالُوا لِي : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ الْفَتَكَ بِكَ . فَقُلْتُ : لِمَاذَا ؟ فَقَالُوا :
لِقَلَّةِ عَقُولِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنْ هَذَا لَمْ يَنْضَجْ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ :
لَوْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ذَبَابَةٌ لَأَخْرَجَتْ دَمَهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اصْبِرُوا ، وَأَنَا أَطْعَمُهُ بِحَرْبَةٍ ،
وَأَنْظُرَ مَقْدَارَ مَا^(٢) يَنْزِلُ مِنْهُ مِنَ الدَّمِ . وَحِينَ سَمِعْنَا مِنْهُمْ ذَلِكَ ، خَفِنَا عَلَيْكَ ،
وَأَحْطَنَّا بِكَ .

ثُمَّ إِنْ الْجَمَاعَةَ أَخْرَجُونِي مِنَ السَّوْقِ ، فَتَبِعَنِي خَلْقٌ كَثِيرُونَ ، فَطَرَدُوهُمْ عَنِّي بِكُلِّ
جَهْدٍ ، ثُمَّ ذَهَبُوا بِي إِلَى وَادٍ هُنَاكَ ، فَرَأَيْتُ فِيهِ نَخِيلًا وَأَشْجَارَ مَوْزٍ ، وَبَعْضَ أَشْجَارِ مَنْ
اللَّيْمُونِ . وَرَأَيْتُ [مَا] قَدْ زُرَعَ فِي ذَلِكَ الْوَادِي مِنَ الْبَصْلِ وَالثَّوْمِ وَالْفُلْفُلِ الْأَحْمَرِ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَهِيَ لَهْجَةٌ عَامِيَّةٌ ، بَدَلُ : شَدِيدِي السَّوَادِ • وَقَدْ مَضَى نَظِيرُ

لِهَذَا فِي ص ١٠٣ حَاشِيَةِ ١ •

(٢) فِي الْأَصْلِ : مَا مَقْدَارُ •

— وهو قرون صغيرة رفيعة ، أكبرُ من حبِّ السَّعِيرِ بقليل — والكَمُونِ والكُسْبَرَةِ ،
(١٤٠) والحلبة والقثاء والقرع شيء كثير . وكان ذلك في أيام الخريف ، وقد أحرَّ البلح ،
فقطعوا إلى عُرجونين من البلح أحرَّ وأصفرَ ، وأهدَوْا إلى بُحْصَةٍ^(١) عسلٍ لم أر نظيره حسناً
وطعماً ولذَّةً . وبتنا في أكرم ضيافة وألذ عيش .

ولما أصبح الصباحُ طلبتُ التفرُّجَ ، فأخذوني ودَخَلنا الأودية ، فصرنا نقطع
واديًّا^(٢) بعد وادٍ . وبين كلِّ واديين أقلُّ من ميلٍ مسافةً ، وفي كلِّ وادٍ زرعٌ عجيبٌ ،
وماءٌ يتدفَّقُ على رملٍ كالفضة ، وقد أحاط الشجرُ به سياجاً من حافَّتَيْهِ ، يتمنى الناظرُ
ألا يفارقه . فجلسنا على شاطئ الوادى فى ظلِّ شجرة هناك ، وذُبِحَ لنا كبشٌ سمين
وحُنِدَ ، فأكلنا منه إرادتنا ، ثم ذهبنا لبلدٍ تحت الجبل ، فبتنا فيها في أكرم ضيافة .

ولما أصبحنا صعدنا الجبل ، فمكثنا صاعدين نحو ثلاثِ ساعات حتى علَوناه ،
فرأينا فيه أمما كثيرة ، وبلاداً متفرِّقة ، فأدخلونا على شيخ الجبل ، وكان حينئذ يسمى :
أبا بكر ، وهو جالس فى خلوته . فلما دخلنا عليه ، وجدناه رجلاً مسنّاً قد ناهز الستين ،
وأثر فيه الكِبَرُ ، فسألنا عليه ، فرحب بنا وأجاسنا .

لطيفة :

هذا الجبلُ لا يرتفعُ عنه السحابُ فى السَّنة إلا أياماً قلائلَ ، ولكثرة المطر
يَزرعون القمحَ ، وينبتُ عندهم قمح لا يوجد نظيره إلا فى بلاد المغرب ، أو فى بلاد
أوروبَّا ، لأنه حسن جداً . وبقيةُ دارفور (١٤١) لا ينبتُ عندهم قمح لعدم الأرض

(١) البخسة : كلمة عامية سودانية معناها : اناء من الفخار يحفظ فيه الماء أو
السمن أو العسل .

(٢) فى الأصل : وادٍ .

الصالحة ، ولعدم الأمطار إلا ما قَل ، كأرض كوبيه وكَبْكَابِيَّة ، فإنه يُزرع فيها القمح ويُسقى بماء الآبار ، حتى يتم نضجُه .

ولزيارة الشيخ المذكور يومَ معلوم من السنة ، تذهب إليه الناس من كل جانب ، ويقولُ لهم ما يحصلُ في جميع العام ، من قَحْطٍ ومطر ، وحَرْبٍ وسَلَمٍ ، ورخاءٍ وشدةٍ ، ومرضٍ وصحةٍ ، والناس يعتقدون حقيقةَ ذلك ، فاختلَفَ أهلُ دارفور في ذلك ، فمن قائلٍ : إنه من طريق الكشف ، وإن كلَّ من تَوَلَّى شيخاً يكون وليّاً ، وما يقوله للناس من طريق الكشف ، وهذا قولُ أهل العلم . ومن قائلٍ : إن الجانَّ يخبرُه بجميع ما يحصلُ ، وهو يقولُ للناس^(١) . وكلا القولين لا أعرف صحتها ، بل قد تُقَوِّلَتُ عنه أمورٌ كثيرة ، وحصلَ ضدها .

فأبرزنا فرمانَ السلطان ، وقرأه عليه الفقيهُ محمد ، فرحَّبَ وأكرم ، ودعا لنا بطعام ، ثم ضرب طبلًا يقال له : التَّنْبَل . فجاء أناسٌ كثيرون ، فانتخب من شبابهم نحوَ مائة نفر ، وأرأس عليهم رجلاً من ذوى قرابته يعرف بالشجاعة ، يقال له : الفقيه زيد . وأمره أن يكون معي هو والجماعة ، وأن يكونوا على أهبةٍ وحذرٍ من جُهلِ أهل الجبل .

ثم ركبنا وتوجَّهنا إلى مكان هناك ، فيه جبل صغير وهو المسمَّى : مَرَّة ، وسمَّى الجبلُ كله باسم ذلك المحلِّ ، فرأينا فيه مكاناً أشبهَ بمعبدٍ ، جميعُ أهلِ الجبل (١٤٢) يعتقدون تعظيمه ، ويرون أن حرمةَ كرامةِ المساجد . فدخلنا فيه وقد أظلمت شجرة كبيرة ، بحيث صار لا تراه الشمس . فجلسنا فيه قليلاً ، ورأينا فيه خدماً لتنظيفه ، واستقبال النذور ممن يأتي بها .

(١) قارن هذا بما جاء في ملاكميكل خاصاً بوجود بقايا عادات وثنية قديمة في دارفور .
Mac Michael, H.A. : op. cit., p.p.100 - 103.

ثم انتقلنا من ذلك المسكان ، ومشى العسكرُ أماننا ، فلحق بنا عالمٌ كثير نساء ورجالاً ، وجعلوني أُعجوبة^(١) ، وتكالبوا وازدحموا علىّ ، وأراد العسكرُ تفريقهم^(٢) ، فما أمكن ذلك ، حتى قال بعضهم : إن السلطانَ أرسل لأهل الجبل رجلاً لم ينضج في بطنِ أمه ضيافةً لهم . فقال بعضهم : هو آدمي . وقال آخرون : هو ليس بآدمي ، بل هو حيوان مأكول اللحم ، على هيئة الآدمي . لأنهم ينكرون أن يكون للآدمي لون أبيض أو أحمر . وهؤلاء القوم لا يعرفون من اللغة العربية إلا كلتي الشهادة ، ويقولونهما^(٣) مقطعتين مع العجمة القبيحة .

ولما عجزَ مَنْ معي عن^(٤) الدفع عني ، جاءني الفقيهُ زيد ، وأمرني أن أستروحي بلثام لا يظهرُ منه إلا الخدقتان . فتلثمت واحتاط بي العسكر ، وحين رأى الشودان أني تلثمتُ اختلط عليهم الأمر ، وسألوا: أين الأحمر ؟ قالوا : ذهب إلى السلطان . فانكفؤا قليلاً .

وحينئذٍ توجهنا إلى محلّ الحبس ، أي الكهوفِ التي فيها المحبوسون من أولاد الملوك والوزراء ، فمنعنا الحرسُ من الوصول إليها ، وكاد أن يقع بينهم وبين (١٤٣) جماعتنا شرٌّ . فتلافى الفقيهُ زيد الأمر ، وأخذ مني الفرمان ، وذهب إلى رئيس الحرس وقرأه عليه . وعند ذلك امتثل وقال : إن كان ولا بدّ فليأت المأمورُ له بالتفرُّج وحده ، وجميع مَنْ معه يجلس على بُعدٍ حتى يقضى شأنه ، ويرجع إليهم . فنجاني وأخبرني بذلك

(١) في الأصل : عجوبة .

(٢) في الأصل : تفرقهم .

(٣) في الأصل : ويقولونها .

(٤) في الأصل : من .

فأُيِّتُ ذلك ، وأدركنى خوف عظيم ، فنأيتُ عن الدخول إلى الكهوف ، وطلبتُ الرجوعَ فرجعنا .

ومن غرائب عوائدهم أنَّ الرجل لا يتزوَّج المرأة حتى يصاحبها مدةً وتحملَ منه مرةً أو مرتين . وحينئذ يُقالُ إنها ولود ، فيُعقدُ^(١) عليها ويعاشرُها .

ومن عوائدهم أيضاً أن النساء لا يُحجَبْنَ عن الرجال ، حتى أن الرجل يدخلُ داره ، فيجدُ امرأته مختلِيةً مع آخر ، فلا يكثرُ ولا يفتَمُّ إلا إذا وجدَه عليها .
ومن طبيعتهم الجفاء وسوء الخلق ، خصوصاً إذا كانوا سُكَّارَى .

ومن طبيعتهم أيضاً البخل الزائد ، لا يَقْرُونَ ضيفاً إلا إذا كان من ذوى قرابتهم ، أولهمُ به عُلقةٌ ، أو كان إنساناً يخافون منه .

ومن عوائدهم أن الصِّبيانَ والبناتِ الصغار ، لا يستترون إلا بعد البلوغ ، فيلبس الصبيُّ قميصاً ، وتشدُّ الأثى وسطها بسميزك ، ويبقى ما زاد عن الشرَّة إلى وجهها بارزاً .
ومن عاداتهم عدمُ الترفه والتفنُّن في المأكل ، بل كلُّ ما وجدوه أكلوه ، لا يأنفون طعاماً، مُرّاً كان أو نَتِناً، بل (١٤٤) ربما أحَبُّوا أكل الطعامِ المرِّ، واللحمِ النَّتنِ، واستحسنوه عن غيره .

ومن عاداتهم أن الشباب لهم في كل بلدة رئيس ، وكذلك النساء لهنَّ رئيسة .
فـرئيسُ الرجال يسمَّى : الوُزَنَانِيح ، ورئيسة^(٢) النساء تسمَّى : الميرَم^(٣) . فإذا كان في الأفراح والأعياد والمواسم ، يجمع الرئيسُ أصحابه ، ويجلسُ بهم في محل ، وتأتى الرئيسة

(١) فى الأصل : فيقعد .

(٢) فى الأصل : ورئيس .

(٣) قارن هذا فيما ورد فى ص ١١٦ حاشية ١ .

وصواحِبِهَا^(١) فيجلسنَ أمامهم على حِدة ، فينفردُ الورُثانيحُ ويدنو من الميرم ، ويخاطبُها بكلام يعرفهُ هو وهى ، فتأمر الميرمُ جماعتَها أن يتفرَّقنَ على جماعة الورُثانيح ، فيأخذ كل فتى فتاةً ، ويذهبان إلى محلٍّ ينامان فيه إلى الصباح ، ولا عار في ذلك على إحدى^(٢) منهن .

وليعلم أن الرجال في دارفور لا يستقلُّون بأمرٍ ألبتَّة إلا الحرب ، فليس للنساء دخل فيه ، وما سوى ذلك فهم والنساء سواء . بل أكثر الأشغال وأشقَّها على النساء . وللرجال اختلاطٌ عجيبٌ بهنَّ بالليل والنهار ، في جميع الأعمال .

ومن العجب في أهل جبل مرَّة ، أنهم لا يأكلون من القمح الذى يزرعونه ، بل يبيعونه ويستبدلون بثمنه دُخْناً . وأعجبُ من ذلك غِلَظُ قلوبهم وجفاوتهم ، مع أنهم مترجون بالنساء امتزاجاً كلياً . وهذا خلافُ المُشاع على السِّنة جميع أهل بلاد أورُوبا ، من أن الرجال إذا امتزجوا بالنساء تذهب غِلَظُهُ^(٣) قلوبهم ، ويكتسبون (١٤٥) الرقة وحسن الطبع . ومن غِلَظة طبعهم ، أن الرجل يسافر الفراسخ العديدة راجلاً ، ويكون معه حمار ، فيسوقه أمامه ولا يركبه ، وإن سئل يقول : إن ركبته أبطأ بى . وأما لغتهم فهى لغةٌ فيها حماس ، ألفاظُها تشبه ألفاظَ اللغة التركية ، لأنهم إذا دعوا إنساناً يقولون له : جَلَا . والترك يقولون : كَال (جِيَال) . وقولى : تشبه اللغة التركية ، ليس معناه أنهما متقاربتا^(٤) المعنى ، بل وجهُ الشبه في مجرد الألفاظ ، وإن اختلف موضوعُ

(١) فى الأصل : وصواحبتُها .

(٢) كذا ، وقد تكررت هذه الصيغة مرارا .

(٣) الغلاظة بالكسر : ضد الرقة (القاموس) .

(٤) فى الأصل : متقاربتى .

معنى كُلِّ منهما ، وذلك أن الفور يقولون للفرس : يَا مُورُتَا ، وعند التُّرك هو اسم للْبَيْضِ ،
والقُبَيْحُ عند الفور اسمه : حَيْتَى . وعند الترك : فعلٌ ماضٍ بمعنى : ذهبَ .

ولم أسمع لغةً أنقصَ من لغتهم ، لأن العدد بلغتهم ينتهى إلى ستة ، وَيُكَمَّلُ
بالعربى . فيقولون : دِيكَ : واحد ؛ أُو : اثنان ؛ إِيْسْ : ثلاثة ؛ أُوْنَجِلْ : أربعة ؛ أُوْسْ :
خمس ؛ أُوَصَانْدِيكَ : ستة . ثم يقولون بالعربى : سَبْعَةٌ ، ثمانية ، تسعة^(١) ، ثم يقولون :
وَأَيَّة^(٢) ، وهو لفظٌ يدل على عشرة^(٣) .

لطيفة :

من أعجب ما سمعته بجبلِ مَرَّةَ ، أن الجِنَّ ترعى مواشيهم التى ترعى فى السكَلِ
بدون راعٍ معهم . ولقد أخبرنى عِدَّةُ رجالٍ مِّنْ يُظُنُّ صدُقَهَا^(٤) ، أن الإنسان إذا مرَّ
بمواشيهم ، ورأى أن لا راعى^(٥) لها ، ربما طمع فأخذَ منها شاةً أو بقرةً أو غير ذلك . فإن
ذبحها تلتصقُ يدهُ بالسكَّين على مَنْحَرِهَا ، ويعجزُ عن فِكَاكِهَا ، حتى تأتي أربابُ
الماشية ، فيقبضون عليه ، ويُغرِّمونه ثمنها بأعلى قيمة ، بعد إهانتهم له ، وضربهم إِيَّاهُ
الضربَ المولم . ولقد تكررَ على سماعِ ذلك ، حتى بلغ مبلغ التواتر ، مع أنى لا أصدِّقه .

(١) هذا ما جاء فى المتن . وأما نطق الفور لهذه الأعداد الثلاثة (٧ ، ٨ ، ٩) فهو كما
جاء فى الترجمة الفرنسية (Voyage, p. 140) سب ، ثمانى ، تساه .
وقد سمعنا بعض أهل دارفور أثناء رحلتنا الى جبل مرة فى أواخر عام
١٩٦١ ينطقونها على النحو الآتى : ساب ، تَن ، تسى .

(٢) كذا ، وقد سمعناهم ينطقونها هكذا : ويه بامالة الواو ، أو وييه ، بفتح الواو
وامالة الياء المشددة .

(٣) فى الأصل : عشر الأعداد .

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) فى الأصل : لاراع .

وحيث كنتُ في جبل مَرَّةً ، توجَّهْتُ إلى دار رجلٍ منهم في مُحمَّليه ، أسأَلُ عنه ، فما رأيتُ في داره أحداً ؛ لكنْ سمعتُ داخلَ الدار صوتاً غليظاً مُرعباً ، اقشعرَّ منه جِلْدِي ، يقولُ لي : أَكِبَا . يعنى : إنه ليس هنا . وفي ذلك الوقت أردتُ أن أتقدَّم وأسأَلُ : أين ذهب ؟ فمرَّ بي إنسان وجذبني وقال : ارجِعْ ، فإن الذى يخطبُك غيرُ آدمي ! فقاتُ : وما هو ؟ فقال : هذا الحارسُ الجتّى ، لأنَّ لكل إنسان منا حارساً من الجن ، ويسمَّى بلغة الفور : دَمَزُوقَه^(١) . فخفتُ حينئذٍ ورجعتُ من حيث أتيت .

ولما رجعتُ من هذه السِّفرة ، وتوجَّهْتُ إلى الفاشر ، اجتمعتُ مع الشريف أحمد بدوى ، الذى أخذنى من مصر ، وذهب بي إلى دارفور ، فأخبرته القصة فقال : صدَّق . وأسَمَعْنِي أعجب من ذلك ، وقال لي : يا ولدى ، اعلم أنى كنتُ في أول أمرى أسمع أن الدَّمَازِيقَ تُباع وتُشترى ، ومن أراد منها دَمَزُوقًا ، يذهب إلى مَنْ يعلم أن عنده دَمَازِيق ، فيشترى منه واحداً بما يُرضيه ، ثم يأتى بِقَرَعَةٍ فيها لبن ، ويدفعها إلى ربِّ المنزل ، فيأخذها ويدخل (١٤٧) إلى الحِلِّ الذى هُنَّ فيه ، فيسلم عليهنَّ ، ويعلِّقُ القرعةَ التى فيها اللبن فى علّاقة فى البيت ، ثم يقولُ لهن : إن صاحبي فلاناً عنده مال كثير ، وخائفٌ عليه من السرقة ، وأراد منى حارساً ، فهل إحدى منكنَّ تذهب^(٢) إلى داره ، لأن عنده لبناً كثيراً ، وخيراً غزيراً ، وقد أتى بهذه القرعة مملوءةً لبناً ؟ فيتمنَّعن

(١) فى الأصل : دامزوقه . راجع ما ذكره ماكمايكل فى شرح الدمزوقه معتمداً فى ذلك على ما جاء فى هذا الكتاب وما سمعه بنفسه من أهالى دارفور .

MacMichael : op.cit. p. 102.

(٢) عومل لفظ دمزوقه معاملة المذكر فى كثير من المواضع ومعاملة المؤنث فى مواضع قليلة كهذه .

أولاً ويقان : لا أحدَ يذهب معه . فيتحنَّنُ لهنَّ ويتملِّقُ حتى يرضَيْن ، فيقول : مَنْ أراد الذهبَ منكنَّ فلينزلْ في القرعة . ويبعدُ عنهنَّ قليلاً ، حينَ يسمع بصوتِ وقوعه في اللبن ، يغطِّي القرعةَ بطبقٍ من سَعف ، ويأخذُها من علاقتها مغطَّةً ويدفعُها لصاحبه المشتري ، فيأخذُها ويذهب بها إلى داره ، ويعلقُها في بيته ، ويوكِّلُ بالقرعةَ جاريةً أو امرأةً ، تأتي كلَّ يومٍ على^(١) الصباح ، وتأخذُ القرعةَ وتريقُ مافيهما من اللبن ، وتغسلُها^(٢) جيداً ، ثم تضع فيها لبناً آخر مخلوفاً في ساعته وتعلقها . حينئذٍ يأمن الإنسانُ على ماله من السرقة والضياع .

وكنْتُ أكذبُ ذلكَ حتى كثرَ مالي ، وصارتُ العبيدُ والخدمُ يسرقونه ، فاحتذتُ على منع السرقة بكل حيلة فلم يسكني^(٣) ذلك . وشكوتُ لبعض أصحابي ، فأمرني أن أشتري دَمَزَوْقاً ، و [أخبرني] أني أكفي شرَّ السرقة . لخداني حبُّ المال أن توجهتُ إلى رجل سمعتُ أن عنده دَمَازِيقَ ، وقلتُ له : أعطني (١٤٨) دَمَزَوْقاً يحرسُ^(٤) لي مالي . وأعطيتُه ما طلبه ، فقال لي : اذهب واملأ قرعةً من لبن حليب وهاتها . ففعلتُ ، وأتيتُه بالقرعة مملوءةً لبناً ، فأخذها وذهب ، وبعد ساعة جاءني ، والقرعة مغطَّة ، وقال لي : علقها حيث مالك مخزوف . وعرفني ما ينبغي أن يُفعل كلَّ يوم ، من غسلِ الآنية ، وتجديد اللبن . ففعلتُ ذلك ، ووكَّلتُ جاريةً بذلك ، وأمنتُ على مالي ، حتَّى أني كنتُ أترك بيتَ مالي مفتوحاً ، ولا يقدر أحد على الوصول

(١) كذا .

(٢) في الأصل : ويغسلها .

(٣) في الأصل : يمكنني .

(٤) في الأصل : دمزوقة تحرس .

إليه ، وفيه من العَيْن والأمتعة شىء كثير ، وكلُّ من رام أخذَ شىء بغير إذنى تُكسر رقبته ، فقتل لى عدَّة عبيد .

وعشتُ آمناً على مالى مُدَّة ، حتى كبر لى ولد كان اسمه محمداً^(١) ، فلما شبَّ واحتلم تعلَّقتُ آماله بالبنات ، وأراد يهاديهنَّ ببعضِ خرزٍ وحُلِيٍّ ، فترقَّب غفلتى يوماً ، وأخذ المفاتيح وفتح خزينة الأمتعة ، وأراد أن يدخل فكسر الدَّمزوقه رقبته ، ومات فى الحال ، وكنت أحبُّه حبًّا شديداً . فلما أُخبرتُ بموته ، جرَّعتُ عليه جرَّعاً عظيماً ، وسألتُ عن سبب ذلك ، وأخبرتُ أنه أراد أن يأخذ شيئاً من الأمتعة ، فقتله الدَّمزوقه . فحلفتُ يميناً أن الدَّمزوقه لا يجلسُ فى بيتى ، وأردتُ إخراجه فأعجزنى ، وشكوتُ لبعضِ أحابى ، فأشار علىَّ أن أصنع وليمةً ، وأجمعَ فيها أناساً كثيرين ، يكون مع كل واحد منهم بندقيَّةٌ وبارود ، ويأتون كلُّهم دَفْعَةً واحدة (١٤٩) يُطلقون البنادق ، ويصيحون بصوتٍ واحد بكلام الفور : دَمَزُوقَه أَيَّيه^(٢) ؟ ومعناه : أين الشيطان ؟ ويكرِّرون الطَّلَق ، ويرفعون أصواتهم بذلك ، حتى يدخلون^(٣) إلى الحِلِّ الذى فيه المال ، فربما خاف وهرب منه ، ففعلتُ ذلك ففرَّ ولله الحمد ، وخلصتُ من معاشره الدِّمازيق ، أى : الشياطين .

ولقد أخبرنى عدَّة رجال ، أن النَّقايرَ التى فى بيت السلطان ، فيها واحدةٌ تسمَّى :

(١) فى الأصل : محمد .

(٢) فى الأصل : إيَّيه ، والتصحيح عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 153

(٣) كذا ،

منصورة^(١) ، متملكها الشياطين ، وأنها ربما ضربت بغير ضارب . فإذا وقع ذلك يحدث في دارفور أمر عظيم ، إما حربٌ عدو لهم ، أو حربٌ بينهم ، وسيأتى لهذا مزيد توضيح ، حين نتكلم على عوائد الملوك .

وأما عوائد القبائل الأخر ، كالبرتي والداجو والبيقو والزغاوة والبرقو والميمه وغيرهم ، فإن بعضها يقرب من عوائد أهل الجبل ، وبعضها يخالفها . أما المخالفة ، فبعض هذه القبائل فيه كرم ونجدة ورقة طبع ، وذلك لخاطبتهم للعرب أهل البادية ، وللتجار الذين يذهبون من أرض مصر وغيرها ، فتراهم إذا رأوا أضيافاً أقسموا عليهم ، وأحسنوا ضيافتهم ، وإن رأوا غريباً أكرموه ، وذلك بخلاف الفور الأعجم ، كأهل جبل مرة وتموزكّه ، فإنهم لا يُكرِّمون الضيف ولا يألّفونه ، ولا ينزل الضيف عندهم إلا قهراً عنهم ، انتهى . (١٥٠)

(١) المنصورة : هو الطبل الكبير الذى ظفر به السلطان تيراب من العبد اللاب عند أم درمان أثناء حملته على كردفان . وفى نعوام شقير : (تاريخ السودان ج ١ ، ص ١٢٠) أن السلطان تيراب « لما فاز بنجاحهم سر به سرورا فائقا حتى أنه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهودا من الذهب وحفظه الخلف عن السلف الى انقضاء ملكهم . وكانوا فى كل سنة يجددون تجليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الانحاء وداموا على ذلك الى أن سقطت دارفور بيد مصر فحمل الي القاهرة » .

الفصل الثاني

في عوائد ملوك الفور

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلائق بقدرته ، وميزهم بحكمته ، وجعل اختلاف عوائدهم وأحوالهم عبرةً لأولى الأبصار ، وتذكيرةً لذوى الاستبصار .
ليعلم العاقل ، إذا تأمل في أحوال الممالك ، واختلاف عوائدها ، وطبائعها المتنوعة وفوائدها ، أن القادر الخالق الأكبر — جلّت قدرته ، وعظمت إرادته — إنما نوع أحوال هذا العالم ، وخصّ كل قوم بمزية لا توجد في غيرهم ، ليعلم^(١) عظم قدره وحكمته .

كما أنه إذا نظر في اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وزيّهم ومعاشهم ، علم أنها آية كبرى ، كما قال تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ »^(٢) .

ثم إن الله جعل لكل إقليم طبيعة : فن الأقاليم الحار ، ومنها البارد ، ومنها المتوسط بين الحرارة والبرودة . وذلك بحسب قرب الإقليم من خط الاستواء ، وبُعده

(١) أى : العاقل .

(٢) سورة الروم آية ٢٢ .

عنه ، فسبحانه الفعّال لما يُريد . ولو شاء لجعاهم أمةً واحدة ، ولكن بالاختلاف
تظهر المزايا ، وتشتاق النفس إلى معرفة ما لم تعرفه . ولولا ذلك لما ساحت الشّواح^(١) ،
وما بُذِلَتْ في الأسفار الأموال^(٢) والأرواح وإذا تقرر ذلك فنقول :

عادة ملوك الفور مخالفة لعوائد غيرهم من الملوك ، ولَمَلِكِهِمْ^(٣) السّلْطَنَةُ النَّامَةُ
عليهم ، فإذا قُتِلَ منهم أُلُوفًا لا يُسأل : لماذا ؟ وإن عَزَلَ ذا مَنْصِبٍ لا (١٥١) يُسأل :
لماذا ؟ فهو تامّ التصرف في كل أمر يريده ؛ وإذا أمر بأمرٍ لا يرجع فيه ولو كان
مُتَكَبِّرًا ، إلّا من قبيل الشفاعة . ولا تُرَدُّ له كلمة . لكنه إذا فعل ما لا يليق من
الظلم والعسف ، تحصل له بغضاء في قلوبهم ، ولا يقدرّون له على شيء .
فأول عوائدهم : أن الملك لا يكون إلّا من بيت الملك ، أى من سلالاتهم .
ولا يمكن تولية أجنبي منهم^(٤) ولو شريفًا ، وتحقق نسبه عندهم .

وثانيها : أن الملك إذا تولّى يجلس في بيته سبعة أيام ، لا يأمر ولا ينهى ، ولا تقوم بين
يديه دعوى^(٥) ، وكلّهم على ذلك إلّا السلطان عبد الرحمن ، فإنّه خرق عاداتهم ، كما مرّ
عند الكلام على توليته^(٦) .

وثالثها : أن لهم عجائز تسمّى : الحَبُوبَات ، وهن طائفة عظيمة ، وهن رئيسة
تسمّى : مَلِكَةُ الحَبُوبَات . فعند خروج السلطان يوم الثامن يجتمعن ويأتين

(١) كذا .

(٢) فى الأصل : الاموال .

(٣) يقصد بالملك هنا السلطان الأعظم سلطان دارفور . قارن ماورد فى ص ٥٤
حاشية ٤ .

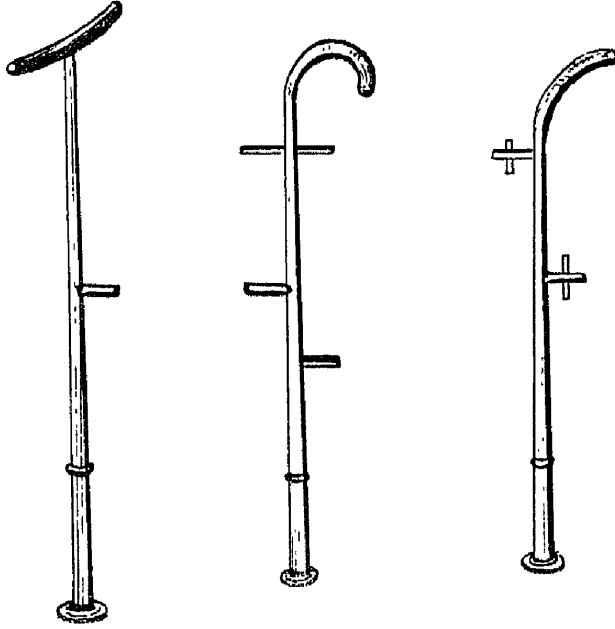
(٤) كذا فى الأصل ، بدل : اجنبى عنهم .

(٥) فى الأصل : دعوة .

(٦) انظر ص ١٠٢ .

إليه ، وكلُّ واحدةٍ منهنَّ بيديها أربع قطعٍ من الحديد ، تسمى القطعة منها كُرْبَاجَا ،
وصورتها :

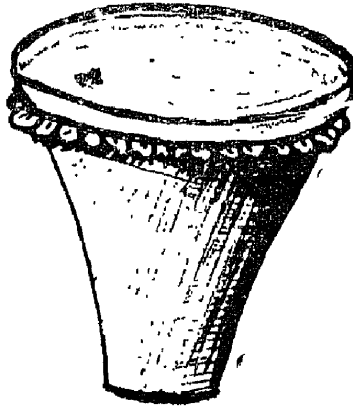
إما هكذا أو هكذا أو هكذا



وفي كلِّ يدٍ كُرْبَاجَان ، يضربنَّها على بعضها فيحصلُ منها صوت . ويبد إحداهنَّ قبضةً
من سَعَف أبيض ، ومعها ماءٌ مختلفُ أهلُ دارفور (١٥٢) فيما تركَّب منه ، فتُبَلُّ العجوزُ
السَعَف من ذلك الماء ، وتُرْشُّ به على السلطان ، مع قولٍ كلامٍ لا يَعْقِلُهُ إِلَّا هُنَّ ، ويأخذنَّ
السلطانُ في وَسْطِهِنَّ ، ويَطْفَنَ به البيتَ ، ويتوجَّهْنَ إلى دار النحاس ، وهو المحلَّ الذي
فيه النِّفاقير ، وهي طبولُ السلطان . فيدخلنَّ البيتَ ويأتين إلى النَّقَّارِيَّة المسمَّاة بالمنصورة ،
فيقفنَّ حلقةً ، ويجعلنَّها في الوسط ، والسلطان وحده معهن ، ويضربن الكرايبج على
بعضها ، ويقُلْنَ من كلامهن ، ثم يرجعنَ بالسلطان إلى كرسي مملكته . وبعد جلوسه
ذاك ، تدخل إليه الدَّعاوى ويتناولُ الأحكام .

ومن عاداتهم : أن السلطان لا يسلم على غيره إلا بترُجْمان ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، عظيمًا أو حقيرًا . وكيفيَّة ذلك : أنه^(١) إذا دخل عليه أناس يَحْتُون على رُكبتهم ، ثم يتقدم التُّرْجْمان ، ويسمِّيهم واحدًا بعد واحدٍ إلى آخرهم . وهو أنه يقول : « إنْوتُورَا فلان ، دُونْجِيَه كَنْيِيْجِي دَارِي » ، ومعناه^(٢) : إن هنا برًّا فلان ، سلام يعطى طاعة . فإذا تمَّ^(٣) أسماء الجالسين قال : « كِيَكِين دُقْلَه كَرْنِيَه »^(٤) ، ومعناه : معهم أولاد وراءهم ، حتى أتباعهم وخدمتهم . فتقول العبيد الواقفون خلف السلطان ، المسمون كُورْ كُورَا — وقد تقدم ذكرهم — : « دُونْجِرَاي دُونْجِيَه ، دُونْجِرَاي دُونْجِيَه » ، ومعناه : سلام سلام ، سلام سلام .

فإن كان في ديوان (١٥٣) حَفْلٍ ضُرِبَ إذ ذاك طبلٌ يقال له : دِنْقَار ، وهو طبل عظيم من خشبٍ ، مُجَلَّد من جهةٍ واحدة ، أهرايمُ الشكل مقلوبٌ هكذا :



[دِنْقَار : طبل عظيم من خشب]

(١) في الأصل : أن .

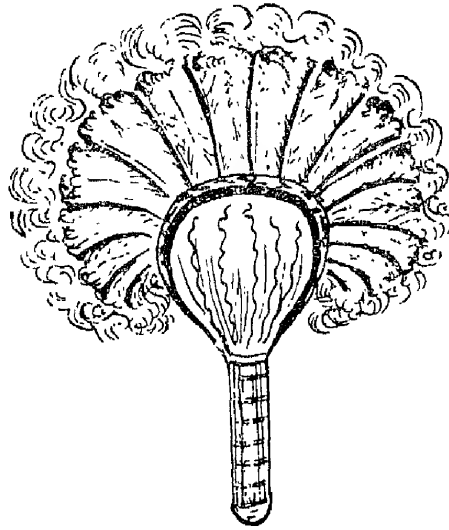
(٢) المعنى وارد بحسب ترتيب الكلمات .

(٣) كذا في الأصل ، والصيغة عامية بمعنى أتم :

(٤) معاني الألفاظ هي : كى : مع ؛ كين : هم ؛ دقله : أطفال ، أولاد ؛ كر : وراء ؛

نجه : هم . • Voyage au Darfour, p. 161. أما قول المؤلف : « حتى أتباعهم وخدمهم » فليس له مقابل في العبارة الفوراوية .

له صوتٌ عالٍ ، وإن لم يكن ديواناً لا يكونُ ذلك .
ثم من شدة تعظيمهم للسلطان ، أن السلطانَ إذا بصقَ في الأرض ، يمسحُه بيده
واحد من الخادمين ، [ال]قاعدين أمامه ، [ال]متطّلّعين دائماً للسلطان ولأفعاله ولحركاته .
وإذا تنجّح قالوا كلّهم : تسُ تسُ . يعنى : يلفظون بناء مدغمةٍ في سين ، من
غير حركات ، يكونُ اللسان ضارباً للسِّنخ^(١) العلوى للأسنان .
وإذا عطس لفظوا بحروف لا يلفظُ بها إلا الوزغ^(٢) ، أو من يسوقُ دابةً .
وإذا جلس وأطال المجلسَ ، روّحوا عليه بمراوحٍ من ريش النعام .
وإن خرجَ إلى الصيدِ ، يُطلّونه بشمسيّةٍ وأربعِ مراوحٍ كبارٍ من ريش
النعام ، مغنّاتٍ بجوِّحٍ أحمر . وهذه المراوحُ تسعى بالريش ، وصورتُه هكذا :



[ريش : مروحة كبيرة من ريش النعام]

-
- (١) السنخ بالكسر منبت الأسنان .
(٢) الوزغ جمع وزغة ، وهى : سام أبرص . (القاموس) .

(١٥٤) فيقفون بالشمسية على رأس السلطان ، ويجعلون المراوح اثنتين عن اليمين ، واثنين عن اليسار ، فيصيرُ على السلطان ظلّ واسع . وللشمسية المذكورة والرّيش ملكٌ مخصوصٌ وأعوان يتداولونها نوبةً فنوبةً ، ماشيين^(١) على أقدامهم .
ومن عادة السلطان إذا ركب أن ترفع أمامه السّجّادة ، ولها ملكٌ مخصوص ، وأعوان يتداولونها أيضاً .

ومن تعظيم السلطان ، أنه إذا ركض جواده وعثر الجوادُ فرماه ، أو وقع من شدّة الرّكض ، أنهم يرمون أنفسهم جميعاً من على ظهور الخيل ، ولا يمكن أن يثبت أحد منهم على ظهر فرسه بعد وقوع السلطان ، بل إن رأى الخدّمة أحداً ثابتاً على ظهر جواده ولم يرم نفسه ، يرمونه إلى الأرض ويضربونه ضرباً مؤلماً - وإن كان عظيماً - لما يرون أن ثباته احتقارٌ^(٢) بأمر السلطان .

وإذا جلس السلطان للحكم في ديوانه ، لا يكلم الناس مباشرةً ، بل بواسطة ترجمان ، إن لم يكن ديواناً عاماً .^(٣) فإن كان ديواناً عاماً وقف المترجمون السبعة في الوسط، أوّلهم عند السلطان ، وآخرهم عند الناس أصحاب الدعوى ، والعساكرُ حوله^(٤) ،

(١) كذا بياين وهي صيغة عامية .

(٢) في الأصل : احتقارا .

(٣-٣) الوارد في المتن كما يلي : «فإن كان ديواناً عاماً كانت سبعة المترجمون أولهم عند السلطان وآخرهم عند الناس أصحاب الدعوى والمترجمون في الوسط والعساكر حوله » وهو كلام بادى الاضطراب ، وقد قومناه في المتن على ضوء

الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 163

والكُوزُ كُوزًا خَلَقَهُ ، والعلماء والأشراف جالسون ، وهيئَةُ ديوانه (١٥٥) هكذا :



[هيئة ديوان السلطان]

والناس جاثون على رُكبتهم أماءه، واضعين أيديهم على التراب ، والمُوحية واقفون دائماً ، وسندكر تعريقهم .
 فإذا سلّم السلطان عليهم مسحوا الترابَ بأيديهم .

وإذا تكلم أحدٌ في مجلسه لا يبدأ الكلام إلا بقوله : سلمٌ على سيدنا^(١) .
 إن كان عربيا وإن كان فوراًوياً ، قال : « أبا كُورِي دُونِجَا جَنِي » ومعناه ذلك .
 وإذا كان السلطان هو المتكلم يقول : سلمٌ عليه ، إذا [كان] يتكلم
 بالعربي ، فالتَّرجُمان يقول : « دُنْجَاي دَايْنِيح سِيدِي^(٢) » . وإذا كان [السلطان] يتكلم
 بالفُورانية يقول : « دُونِجَا جَنِي » إن كان [الخاطب] عجمياً ، وإن (١٥٦) كان
 عربياً يقول [السلطان] : سلمٌ عليه .

ولا خصوصية لمجلس السلطان في ذلك ، بل كلُّ مجلسٍ تُعملُ فيه دعوى يقال ذلك
 حتى في مجلسي القاضي ومشايخ البلاد . ولا يمكنُ أن تُعمل دعوى بغير : دُونِجَا جَنِي .
 ويلزمُ لذلك أن الكلام يطولُ وإن كان قصيراً ، لتكرير هذه الكلمة بعد كل كلمة
 أو كلمتين . وإذا افتتح أحدٌ دعوى بغير ذلك يَعَيَّبُون عليه ، ويرون أنه غيرُ متمدّن ،
 بل إذا كان في مجلس حاكمٍ يؤدَّب بالزَّجر ، مالم يكن غريباً فيُعذَّر .

ومن عادة ملوك الفور تجليدُ النحاس وهي عادةٌ لا توجد في غير دارفور .

وتجليدُ النحاس هو تغيير^(٣) جلود الطبول ، المسماة في إقليم مصر بالتقاير . وهذا
 التجليدُ يعظمونه ، ويعملون له مؤسماً في السنة ، ومدته سبعة أيام^(٤) .

وكيفية ذلك أن السلطان يأمرُ بنزع جلود الطبول كلها في يوم واحد ، فتُنزَع

(١) ضبط اللفظ بكسر السين وسكون الدال عن الترجمة الفرنسية ، وهي صيغة
 عامية Voyage au Darfour, p. 164

(٢) أي : سيدى يسلم عليك .

(٣) في الأصل : تغير .

(٤) جرت عادة سلاطين دارفور بالاحتفال سنوياً بتجليد النحاس (المنصورة)
 ويستمر هذا الحفل ، الذي يبدأ عادة في الأسبوع الأول من شهر ربيع الآخر ، =

ثم يؤتى بأثوار خضر^(١) اللّون ، فيذبحونها ويأخذون من جلودها ، ويجلدون بها تلك الطبول . لكن أهل دارفور يقولون في ذلك كلاماً لا يقبله عقل عاقل^(٢) ممارس للكتب ، ولكنهم مطبقون على ذلك .

فإنهم يزعمون أن هذه الأثوار من نوع بقر معروف عندهم ، وأنها حين الذبح تنام وحدها بدون من يمسكها ، ولا يذكر اسم الله عند ذبحها ، ويقولون . إن الجن هو الذى (١٥٧) يمسكها ويقيمها . ثم يأخذون لحومها ويجعل في خواصي ، ويترك ستة أيام مع الملح ، وفي اليوم السابع يأتون ببقر كثيرة^(٣) وأغنام ، وتذبح كلها ، ويطبخون لحومها . وفي حال الطبخ يأخذون اللحم الذى فى الخواصي ، ويقطعون قطعاً صغيرة ، ويجعلون فى كل قدر منه قطعاً تخلط باللحم الجديد ، ثم تفرق الموائد للملوك ، وأولاد الملوك ، والوزراء ، على حسب طبقاتهم ، ويقف على كل مائدة منها حارس من طرف السلطان ، ينظر من يأكل ومن لم يأكل . فإذا أخبر السلطان بأن فلاناً لم يأكل أمر بالقبض عليه فى الحال ، لأنهم يقولون : إن من كان فى قلبه خيانة للسلطان ،

= نحو ثمانية أيام أو عشرة ، ويقدم فى هذه المناسبة ، كبار الحكام الاقطاعيين والملوك ، الهدايا للسلطان . كما يقدم ملك الجلالة (كبير التجار) للسلطان هدايا مختلفة من بينها نحو تسعين رأساً من الرقيق .

Browne : op. cit., p. 222

ويذكر نعوم شقير (تاريخ السودان ج ٢ ، ص ١٤٤) أنهم كانوا يأتون بشور وخزوف أباقين ينتقونهما من قطيع يربونه فى جبل مرة لهذه الغاية ويذبحنهما ويجلدون بجلوديهما نحاس المنصورة .

(١) يعبر فى اللهجة السودانية بالأخضر عن الأسمر ، وبالأزرق عن الأسود ، وبالأحمر عن الأبيض .

(٢) فى الأصل : العاقل .

(٣) كذا ،

أَوْ غَدْرٌ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْكَلَ مِنْ هَذَا اللَّحْمِ . وَإِنْ تَعَلَّلَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ مَرِيضٌ ، أَوْ لَا يَقْدِرُ عَلَى حُضُورِ [الْوَلِيَّةِ] ، أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ أَوَانِي مِنْهُ مَعَ حَارِسٍ أَمِينٍ يَنْظُرُ ، هَلْ يَأْكُلُ أَوْ لَا ؛ فَإِنْ أَبَى يَقْبِضُ عَلَيْهِ ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَعذُورًا بِقُوَّةٍ مَرْضِهِ .

وَبَعْضُ أَهْلِ دَارْفُورٍ يَقُولُونَ : إِنَّهُ يُؤْتَى بِغُلَامٍ وَصِيدِيَّةٍ لَمْ يَبْلُغَا الْحِنْثَ^(١) ، وَيُذَبَّحَانِ سِرًّا ، وَيَقَطَّعُ لَحْمُهُمَا ، وَيُجْعَلُ فِي الْقُدُورِ مَعَ لَحْمِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَذْبُوحَةِ .

وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : لَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ اسْمُ الْغُلَامِ مُحَمَّدًا ، وَاسْمُ الصَّبِيَّةِ فَاطِمَةً . وَإِنْ صَحَّ هَذَا ، فَهُوَ غَايَةُ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . وَلَكِنِّي لَمْ أَشَاهِدْ ذَلِكَ ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ ، لِأَنِّي غَرِيبٌ ، وَالْأَغْرَابُ لَا أَطَّلَعُ لَهُمْ عَلَى مِثْلِ (١٥٨) هَذَا الْأَمْرِ أَبَدًا ، لَكِنِّي سَمِعْتُهُ مِنْ أَنَاسٍ كَثِيرِينَ ، يَحْلِفُونَ لِي بِأَيْمَانٍ مَغْلَظَةٍ ، أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ صَحِيحٌ لَا رَيْبَ فِيهِ .

وَقَبْلَ إِخْرَاجِ الطَّعَامِ تَحْضُرُ الْعَسَاكِرُ كُلُّهَا ، وَيَقْفُونَ فِي بَطْحَاءٍ وَاسِعَةٍ ، أَمَامَ دَارِ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ فِي زِينَتِهِ وَأَهْبَتِهِ ، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ الْجِيُوشُ ، كُلُّ مَلِكٍ بِأَتْبَاعِهِ ، وَاحِدٌ^(٢) بَعْدَ وَاحِدٍ .

وَكَيْفِيَّةُ الْعَرْضِ أَنَّ الْمَلِكَ يَأْخُذُ أَتْبَاعَهُ وَيَرْكُضُ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَحَلِّ السُّلْطَانِ ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْعُظَمَاءِ بَرَزَ السُّلْطَانُ مِنْ جَمَاعَتِهِ إِلَى مَلَاقَاتِهِ ، مَقْدَارَ خُطُوتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَظِيمٍ ثَبَّتَ السُّلْطَانُ فِي مَوْضِعِهِ ، فَيَرْجِعُ الْمَلِكُ وَجَمَاعَتُهُ ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَفِي الثَّالِثَةِ يُعْرَضُونَ عَلَى السُّلْطَانِ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى مَحَلِّ وَقُوفِهِمْ ، فَيُخْرِجُ مَلِكٌ آخَرُ بِجَيْشِهِ وَيَفْعَلُ كَذَلِكَ ، وَهَلُمَّ جَرًّا .

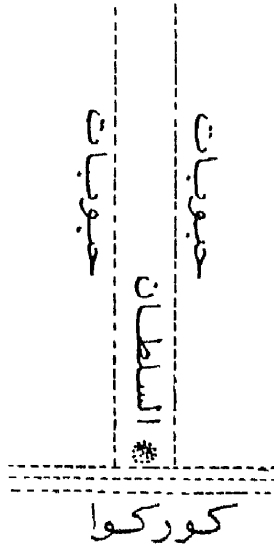
(١) فِي الْأَصْلِ : الْحِنْثُ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ . وَالْحِنْثُ : الْإِدْرَاكُ وَالْبُلُوغُ يُقَالُ : بَلَغَ الْغُلَامُ الْحِنْثَ ، أَيْ الْإِدْرَاكَ وَالْبُلُوغَ ، وَقِيلَ : إِذَا بَلَغَ مَبْلَغًا جَرَى عَلَيْهِ الْقَلَمُ بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ . (اللِّسَانُ)

(٢) كَذَا ، وَالْعِبَارَةُ عَامِيَّةٌ فِيمَا يَبْدُو .

فإذا تمَّ العرضُ خرج السلطانُ راکضاً ، وتتبعُ الملوكُ ، وذهب أولاً إلى أعظمهم ، ثم إلى مثله وإلى أقلِّ منه فهكذا^(١) ، حتى يمرَّ عليهم أجمعين ، جبراً لخاطرهم .

وكلماً أتى قومًا صاحوا في وجهه بكلامٍ يعظمونه به ، وهو أنهم يقولون له بصوت عالٍ : برنس [البلاد]^(٢) ، حرَّ السلاطين ، جنزير الملوك ، أدَّاب العاصي ، فرتاك الجبال بلا ديوان ، وغير ذلك .

فإذا تمَّ العرضُ ، دخل السلطان داره ، ودخل وراءه جميعُ أرباب المناصب ، من الوزراء ، والملوك ، وأولاد السلاطين فيدخلُ السلطانُ (١٥٩) إلى دار النحاس ، ويأخذُ قضيباً ويضربُ به التَّقَارِيَّةَ المسماة : منصوره ، ثلاثَ ضربات ، والعجائزُ أى الحبوباتُ محدِّقاتٌ به ، بأيديهنَّ الكراييج يضربنَّها على بعضها^(٣) كما تقدَّم . ثم يمشين زوجاً زوجاً هكذا :



[صفة دخول السلطان بعد العرض .]

(١) كذا

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية . Voyage, p. 168.

(٣) كذا

والسلطان^١ بين الزوج الأخير حتى يدخلن بالسلطان إلى محل جلوسه ،
وأنا شاهدت ذلك .

ثم تفرق الأطعمة ، كما ذكرنا . وإذا كان بعض القواد والوزراء غائباً عن
الفاشر ، في وقت تجليد النحاس ، ثم جاء بعد ذلك وأتهم بفسد أو خيانة ، يُسقى
من ماء كيلي ، وهو ماء يُنقع فيه ثمر شجرة مسماة بكيلي ، وثمره كالجوز . تقول أهل
دارفور : إن المتهم^(١) بشيء ، إذا شرب منه ، إن كان بريئاً يتقياه^(٢) في الحال ،
وإن لم يكن بريئاً يشرب منه حتى يمتلئ^(٣) بطنه ولا يتقياه ، حتى أنه ربما شرب ملء
خابية . [و] أنا شاهدت [ذلك] لكن في تهمة سرقة . ولعل هذا من خواص النباتات ،
لأن النبات في دارفور له خواصٌ عجيبة ، سندكرها بعد إن شاء الله تعالى .
ومن عادة الفور : أن السلطان له مزرعة معلومة (١٦٠) يزرعها لنفسه في كل
سنة ، وفي يوم بذر الحب^(٤) فيها بعد الأمطار ، يخرج في مهرجانٍ عظيم ، ويخرج معه
من البنات الجميلات المتجملات بالحلي والحلي ، ما ينوف عن مائة صبية من محاطيه
الخاصة ، حاملات على رؤوسهن آنية فيها الماء كل الفاخرة . وهذه الأواني تسمى
بالعمار ، مفردُها : عُمرّة . فيمشين وراء جواد السلطان ، حُجبة العبيد الصغار ،

(١) كذا وهي صيغة عامية

(٢) يتقياه : صيغة عامية للفظ : يتقياه .

(٣) في الأصل : يمتلئ .

(٤) كان الفور يعتقدون أن السلطان مصدر الخصب ولذا جرت العادة في دارفور
أن يشترك السلطان في الاحتفال سنوياً ببدء موسم البذر ، والحصاد كذلك .
وهي عادة كانت متبعة في مصر الفرعونية وأخذها من بعد ملوك الفونج وانتقلت
إلى دارفور ، ولاحظ براون امتدادها إلى برنو .

Arkell : XXXII, Part II, p. 226.

الحاملين للحراب ، المسميين (١) : كورلوا ، وأصحاب الصفاير . وهؤلاء (٢) يغنون
بغناء حال تصفيرهم ، وكورلوا ، الحاملون للحراب ، يغنون معهم ، فحين تخرج البنات
مع السلطان ، يغنين (٣) معهم أيضاً . فيبقى لجموعهم صوت جميل جداً .

وحينما يصل السلطان إلى المزرعة ، ينزل عن جواده ، ويأخذ البذر ، ويأتي
أحدُ عبيده يحفر الأرض بمسحاة معه ، ويرمي السلطان البذر ، وهو أول بذر
يقع في الأرض ، في الجهة التي فيها السلطان . فعند ذلك تتبعه الملوك والوزراء والقواد ،
فيبذرون الحب ، ويزرعون المزرعة في أسرع وقت .

وبعد تمام زرع المزرعة ، يحضر الطعام المحمول على رؤوس البنات المذكورة ،
فيوضع أمام السلطان فيأكل منه هو ووزرائه ، ثم يركب في مهرجانه حتى يصل إلى دار
ملكه ، وهذا اليوم من الأيام المشهورة في دارفور .

(١) كذا في الأصل بباءين وهي صيغة عامية .

(٢) في الأصل : وهذه .

(٣) في الأصل : تغنين .

الفصل الثالث

في مناصب ملوك الفور^(١)

اعلم أن واجب الوجود تقدّست ذاته عن المعين ، لما كان منفردا بالقدرة المطلقة ، والإرادة التامة المتصرفّة ، أحوَجَ الملوك إلى الوزراء والمدبّرين والمُعِينين ، ليعلم عجزهم عن الاستقلال في تدبير ممالكهم ومصالحهم ، ولولا ذلك الاحتياج لطفوا وبغوا أكثر مما هم فيه من الطغيان ، بل ربما ادّعوا الألوهيّة ، التي لا تليق إلا بذاته العليّة . لكنّ خصّ كل إقليم ، بترتيب وتنظيم . فلهذا تجدّ أسماء مناصب وزراء^(٢) الخلفاء ، كانت مغايرة لأسماء مناصب وزراء الملوك الآن ، وأسماء مناصب وزراء ملوك هذا الزّمن متخالفة أيضا .

ففي مملكة آل عثمان ، أسماء المناصب : الوزير الأعظم ، والكَيِّخْدَا^(٣) ،

(١) عنوان الفصل في المتن كما يلي : « الفصل الثالث في مناصب ملوك في الفور

وملابسهم وكيفية مجلس السلطان وغير ذلك » .

ولما كان الفصل الثالث خاصا بمناصب ملوك الفور ، والفصل الرابع خاصا بكيفية مجلس السلطان ، والفصل الخامس خاصا بملابس الفور فقد اكتفينا في عنوان هذا الفصل بما خصص له . ونقلنا الباقي الى موضعيه من الفصلين التاليين ، بدل ادماج الفصول الثلاثة في فصل واحد .

(٢) في الأصل : الوزراء .

(٣) الكتخدا : رئيس مجلس الشورى .

وَالْخَازِنْدَارُ^(١) ، وَالسَّلَاحُ دَارُ^(٢) ، وَالْمَهْرُ دَارُ^(٣) ، وَالذَّبُوتُ دَارُ^(٤) ، وَجُيُوشَةُ دَارُ^(٥) ،
وَسِرِّيَوَايِنُ^(٦) ، وَقَاجِي بَاشِي^(٧) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ ، تَتُونَجِي بَاشِي^(٨) ، وَشَرِبَتَجِي
بَاشِي^(٩) ، وَقَهْوَجِي بَاشِي^(١٠) ، وَقَفِطَانُ أَغَاسِي^(١١) ، وَبَشَكِيرُ أَغَاسِي^(١٢) ، وَبَاشَاتُ
وَأَمْرَاءِ الْأُلُويَةِ ، وَأَمْرَاءِ الْأَلَايَاتِ .

وَأَمَّا أَهْلُ دَارْفُورٍ فَإِنَّهُمْ لَتَعْظِيمُهُمُ لِلسُّلْطَانِ لَمْ يَنْتَبَهُوا إِلَّا إِلَى جِسْمِ السُّلْطَانِ ، فَسَمَّوْا
الْمَنَاصِبَ بِأَسْمَاءِ أَعْضَائِهِ .

فَأُولُ مَنَاصِبِهِمْ أُرُونْدُولُونِجُ^(١٣) ، وَهُوَ مَنْصَبُ عَظِيمِ الْقَدْرِ ، صَاحِبُهُ يَكْنَى بِرَأْسِ
السُّلْطَانِ . وَلِهَذَا (١٦٢) الْمَنْصَبُ إِقْطَاعُ عَظِيمَةٍ وَبِلَادُ ، وَصَاحِبُهُ لَا يُسَمَّى عَلَيْهِ إِلَّا
بِـ « دُونَجِيرَايِ دُونَجِيَا »^(١٤) ، وَتُرْفَعُ السَّجَّادَةُ أَمَامَهُ كَالسُّلْطَانِ . وَصَاحِبُ هَذَا الْمَنْصَبِ ،

-
- (١) الْخَازِنْدَارُ : وَزِيرُ الْخَزَائِنَةِ وَالْمَالِيَةِ .
(٢) السَّلَاحُ دَارُ ، أَوْ : السَّاحِدَارُ : وَزِيرُ الْحَرْبِيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ .
(٣) الْمَهْرُ دَارُ : أَمِينُ الْأَخْتَامِ .
(٤) الدَّبُوتُ دَارُ : حَامِلُ الدَّوَاةِ ، وَهُوَ سَكْرَتِيرُ السُّلْطَانِ .
(٥) جُيُوشُهُ دَارُ : وَزِيرُ الْخَارِجِيَّةِ .
(٦) سِرِّيَوَايِنُ : أَمِينُ الْمَقَاتِيحِ (رَئِيسُ الْبَوَايِنِ) .
(٧) قَاجِي بَاشِي : حَاجِبُ السُّلْطَانِ ، وَهُوَ مُسْتَوَلٌّ عَنْ بَعْضِ الشُّؤْنِ الْخَارِجِيَّةِ .
(٨) تَتُونَجِي بَاشِي : أَمِينُ تَبِغِ السُّلْطَانِ .
(٩) شَرِبَتَجِي بَاشِي : رَئِيسُ الشَّرِبَتَلِيَّةِ .
(١٠) قَهْوَجِي بَاشِي : رَئِيسُ قَهْوَجِيَّةِ السُّلْطَانِ .
(١١) قَفِطَانُ أَغَاسِي : أَمِينُ قَفَاطِينِ السُّلْطَانِ .
(١٢) بَشَكِيرُ أَغَاسِي : حَامِلُ بَشَكِيرِ السُّلْطَانِ ، أَثْنَاءَ الْوُضُوءِ .
اعْتَمَدْنَا فِي شَرْحِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ وَضَبْطِهَا (مِنْ الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ٣ إِلَى الْحَاشِيَةِ

رَقْمُ ١٥) عَلَى التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ • Voyage au Darfour, p. 171 - 172

(١٣) أُرُونْدُولُونِجُ : انْظُرْ ص ١٥٠ حَاشِيَةِ ٦ .

(١٤) انْظُرْ مَعْنَاهُ فِي ص ١٦٧ .

إذا كان السلطان مسافراً أو قاصداً ، وظيفته أن يمشي بعساكره أمام الجيش كله ، لا يسبقه أحد .

وثانيها : منصب الكامنه^(١) ، وهو في العظم والجلالة أعلى من أورووندونج ، ويكنى عنه برتبة السلطان . لكن من عادة الفور أن السلطان إذا قُتل في الحرب ، وسلم الكامنه ، حتى رجع إلى محل الأمن يقتلونه ، لكن يُنقونه سرّاً ويولون غيره للسلطان المتولى . وإذا مات السلطان على فراشه لا يُقتل الكامنه . وهذا الكامنه يسمى بلغة أجمام الفور : أبا فوري^(٢) ، ومعناه : أبو الفور . ولصاحب هذا المنصب إقطاع جليّة ، وعساكر كثيرة ، ويفعلُ مثما يفعل السلطان . ووظيفته أن يمشي خلف جيش أورووندونج .

وثالثها : أبا أومانج^(٣) ، وهو قرين الكامنه في كل شيء ، وهو كفاية عن فقرات ظهر السلطان ، ووظيفته أن يمشي خلف الجيوش بجيش لا يعقبه أحد . وإن أعقب الجيش عدو [كانت] فيه كفاية لدفعه والذب عن الجيش ، حتى يدركه ويمدّ بالجيوش .

ورابعها : أباديما^(٤) ، وهو أعظم من تقدم جلالة وأبهة وعساكر^(٥) ويحكم على اثني عشر ملكاً^(٦) من ملوك الفور ، وله إقليم واسع يسمى (١٦٣) تمورگه ، وله جميع

(١) الكامنه : انظر ص ١٥٠ .

(٢) أبا فوري : انظر ص ١٥٠ .

(٣) أبا أومانج : انظر ص ١٤٢ .

(٤) اباديما : انظر ص ١٤٢ .

(٥) كذا .

(٦) راجع : ما ذكر عن لقب «ملك» في صفحة ٥٤ حاشية ٤ .

ما للسلطان من الشارات والأبّهة ما عدا النحاس ، فإن طبله دِنْقَار [فقط]^(١) ، وهو كناية عن ساعد السلطان اليمين ، ووظيفته أن يمشي هو وعساكره عن يمين السلطان .
وخامسها : منصبُ التَّكْنِيَاوِي^(٢) ، وهو قرينُ أبادِيمَا في كل شيء ، وهو كناية عن الساعدِ الأيسرِ للسلطان ، ويحكمُ على اثني عشر ملكاً أيضاً من ملوكِ الجهة الشمالية ، وله إقليم واسع .

وسادسها : منصب الأبِ الشيخ^(٣) ، وهو أعلى من جميع ما ذكر ، ولا فرق بينه وبين السلطان ، وأوامره تنفذُ على جميع مَنْ ذكر وغيرهم ، وله إقطاعاتٌ جليلة ، وإقليم واسع ، وصاحبُ هذا المنصبِ مطلقُ السيف ، يقتلُ بغيرِ إذن . وجميعُ أهلِ المملكة تحت يده . وهو كنايةٌ عن تميّزِ السلطان . وقد تقدّم بعض ذلك في حديثِ الأب الشيخ محمد كُرْا^(٤) .

وسابعها : مناصِبُ الأَمْنَاءِ^(٥) ، وهي أربعة ، كلُّ واحدٍ منهم يدعى أميناً. وأصحاب هذه المناصب لها إقطاع وعساكر ، وليس لها من شاراتِ الملك شيء . وهؤلاء الأربعة ملازمون لمجلس السلطان .

وثامنها : مناصِبُ الكُورَايَاتِ^(٥) . وهي مناصب جليلة القدر . إلا أنها أقلُّ من مناصِبِ الأَمْنَاءِ رتبة . ومناصِبُ الكُورَايَاتِ أربعة أيضاً .

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 173.

(٢) راجع ص ١٠١ ، حاشية ١ .

(٣) راجع ما ذكر عن منصب « الأب الشيخ » في ص ٦٢ ، حاشية ١ .

(٤) راجع ص ٨٠ ، حاشية ٣ .

(٥) راجع ص ٨٣ .

وتاسعها : منصبُ سُومِينْدُ قَلَه^(١) ، وصاحبُه (١٦٤) عظيمُ القدر ، ذو أبهة عظيمة ، وإقطاع وأموال وافرة .

ويليه : منصبُ كُوزْ كُوا^(٢) .

وأعلى من هذين منصب [ملك] وَرَيَبَايَه ، وهو منصبٌ جليل عظيم . [و] من عادة ملوك الفور أن صاحبَ هذا المنصب لا يكون إلا خَصِيًّا . لأنه ينالُ منصب الأبوة بعد موت [الأب] الشيخ . وتقدّم لنا أن منصب الأب [الشيخ] لا يتولاه إلا خَصِيٌّ . وصاحبُ هذا المنصب يحكمُ على جميع الخَصِيان الموكَّلين بحريم السلطان . وهو أيضاً صاحبُ غضب السلطان ، وتحت يده الحبسُ . فكلما غضب السلطانُ على إنسان أعطاه له فيسجنه في سجنه . وتحت يده عساكر كثيرة . ومعنى وَرَيَبَايَه بالفوراوية : باب الحريم . وصاحبُ هذا المنصب تحت أمر الأب الشيخ .

ويليه : منصبُ ملك وَرَيَدَايَا ، ومعناه : ملكُ باب الرجال .

ولكلّ يَدٍ من بيوت الملوك والوزراء بابان . أحدهما للرجال . والثاني للنساء .

فبابُ الرجال يسمى : وَرَيَدَايَا . وباب النساء يسمى : وَرَيَبَايَه .

ويليهما : منصب ملك العبيدية^(٣) ، وهو منصب جليل القدر ، صاحبُه يحكم على جميع عبيد السلطان الخارجين عن داره ، الذين في البلاد بنسائهم وأولادهم . وكذلك تحت يده مواشى السلطان . وآلات السفر من خِيَمٍ وقَرَب وغير ذلك .

ويليه : منصب ملك القَوَّارين ، أى المكَّاسين ، وهو (١٦٥) منصب جليل ، صاحبُه

(١) راجع : ص ٨١ حاشية ٢ .

(٢) المقصود به هنا : رئيس جماعة الكوركوا ، راجع ص ٧٩ .

(٣) راجع ما ذكر عن العبيدية في ص ٨٤ ، حاشية ١ .

يُحْكَمُ عَلَى جَمِيعِ الْمَكْسِينَ وَجَمِيعِ الْجَلَابَةِ^(١) ، وَلَهُ إِقْطَاعٌ وَعَسَاكِرٌ عَظِيمَةٌ .
وَأَعْلَى مِنْهُ : مَنْصَبُ مَلِكِ الْجُبَّائِينَ ، وَصَاحِبُهُ فِي أُبَيَّةٍ عَظِيمَةٍ وَمُلْكٍ كَبِيرٍ ، وَهُوَ
مَلِكُ الْجُبَّائِينَ ، أَمَى الَّذِينَ يَجْبُونَ الْغِلَالَ مِنَ الْبِلَادِ . وَمَعْنَى الْجُبَّائِيَّةِ^(٢) : أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ
عُشْرَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْحُبُوبِ ، وَيَجْعَلُونَهَا فِي مَطَامِيرَ لِحَاجَتِ السَّاطَانِ .
وَبَعْدَ ذَلِكَ مَلُوكٌ كَثِيرَةٌ : فَحُكَّامُ الْأَقَالِمِ عِنْدَهُمْ يُسَمَّوْنَ الشَّرَاقِيَّ^(٣) ، وَاحِدُهُ
شَرَقَاتَى . وَحُكَّامُ الْقَبَائِلِ يُسَمَّوْنَ : دِمَالِجَ^(٤) ، وَاحِدُهُ دُمَلْجٌ ، وَلِكُلِّ مِنَ الشَّرَاقِيَّ
عَسَاكِرٌ كَثِيرَةٌ ، وَلِكُلِّ مِنَ الدِمَالِجِ أَعْوَانٌ . وَهَؤُلَاءِ خِلَافُ السَّلَاطِينِ الصَّغَارِ الَّذِينَ
ذَكَرْنَاهُمْ سَابِقًا .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ لَا يُعْطِيهِمُ السُّلْطَانُ رَاتِبًا ،
وَلَا مَرْتَبَةً لَهُمْ عِنْدَهُ ، بَلْ كُلُّ ذِي مَنْصَبٍ لَهُ إِقْطَاعٌ يَأْخُذُ مِنْهَا أَمْوَالًا ، وَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ
الْأَمْوَالِ^(٥) يَشْتَرِي بِهِ خَيْلًا وَسِلَاحًا وَدُرُوعًا وَلِبُوسًا ، وَيَفَرِّقُهَا فِي الْعَسَاكِرِ .
وَكَيْفِيَّةُ مَا يَأْخُذُ هُوَ أَنَّ زَكَاةَ الْحُبُوبِ كُلِّهَا لِلْسُّلْطَانِ ، كَزَكَاةِ الْمَاشِيَةِ ،
فَلَا يَنَالُونَ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ أَفْدَنَةٌ كَثِيرَةٌ ، يَزْرَعُهَا دُخْنًا^(٦)
وَدُرَّةً وَسَمِيمًا وَفُولًا وَقُطْنًا ، تَزْرَعُهَا الرِّعَايَا وَتَحْصُدُهَا وَتَدْرِسُهَا لَهُ قَهْرًا عَلَيْهِمْ .
وَلَهُ : الْهَامِلُ ، وَهُوَ الضَّالُّ مِنَ رَقِيقٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ (١٦٦) وَحِمِيرٍ ، يَبِيعُونَهَا لَهُ
وَيَأْخُذُ ثَمَنَهَا .

(١) الْجَلَابَةُ : التَّجَارُ ، مُفْرَدَةٌ : جَلَابِي .
(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، بَدَلَ : الْجُبَّائِيَّةِ بِكسْرِ الْجِيمِ .
(٣) رَاجِعٌ : ص ٦٨ ، حَاشِيَّةٌ ٥ .
(٤) رَاجِعٌ : ص ٦٩ ، حَاشِيَّةٌ ١ .
(٥) فِي الْأَصْلِ : الْأَمْوَالُ .
(٦) فِي الْأَصْلِ : دُخْنًا بِالذَّالِ .

وله : التَّقَادُّمُ ، وهى الهدايا التى يقدِّمونها له حين التَّوْلِيَةِ والقُدومِ على البلاد .

وله : اَلْخَطِيَّةُ ، وهى فى عُرْفِهِم أموالٌ يدفعُها الجانى للحاكم ، ويسمى عندهم بالحُكْمِ ، إذا شجَّ إنسانٌ آخرَ يؤخذُ من الشَّجِّ مالٌ ويدفعُ للحاكم ؛ وإذا أُجِّلَ رجلٌ امرأةٌ فى الحرام يؤخذ من كلِّ منهما مالٌ على قدرِ حالِهما أيضاً .

وله : الدَّم ، وهو فى عرفهم إذا قُتِلَ قَتِيلٌ ووُدِيَ ، يشاركُ الحاكمُ أقاربَ القَتِيلِ فى الدِّيَةِ ، سواء كانت دِيَّةَ العَمْدِ أو دِيَّةَ اَلْخَطَا . وذلك خلاف المظالم التى يأخذونها بغيرِ حقٍّ ، وخلاف الأعمالِ الشاقَّةِ التى يكلفونهم بها ؛ لأنهم يبنون لهم بيوتهم ، ويسخرونهم فى جميع أعمالهم .

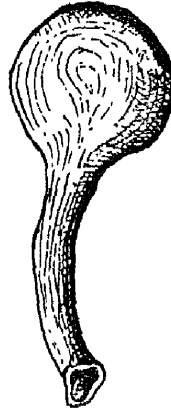
ومن مناصبِ الفور : مَلِكُ المَوْجِيَةِ ، وإنما أخرناه لطولِ الكلامِ عليه ، وغرابيته وغراية المنصب ، وغراية أفعالِ أهله . وهو عندهم أدنى المناصبِ وأقلُّها رتبةً ، لكنَّ الكلامَ عليه يحتاج إلى تمهيد .

وهو أن صاحبَ الحكمةِ الأزلِيَّةِ ، والسلطنةِ الأبديَّةِ ، واهبَ العقلِ ، ومانحَ الفضلِ ، وهَبَ لكل إنسانٍ عقلاً يميِّزُ به الخيرَ ليتبعه ، من المكروهِ ليحذره . وأودع فى كل إنسانٍ حُبَّ رأىِ نفسه وعقله ، بحيث يرى أن عقله أتمُّ من عقل غيره ، ورأيه أحسنُ من رأى غيره ، إِلَّا مَنْ بَصَّرَهُ اللهُ بعبوبه ، (١٦٧) وعلمه عجَزَ نفسه عن تدبيرِ جلبِ مصالحها ، ودفعِ مضارِّها ، وإذا تقرَّرَ ذلك فنقول :

من طبيعةِ بلادِ النورِ الميلُ إلى اللّهِ والاستهزاءِ واللعبِ والطربِ ، يستفزُّهم أدنى مُطربٍ ، فتراهم لا تخلو أوقاتهم عن ^(١) مُطربٍ ، ملوكاً كانوا أو سُوقَةً ، ولذلك

استحضروا جميع ما يمكنهم من آلات الطرب ؛ فتجد كل ملك له غلمان صفار حسان الأصوات ، وهم المسنون : كوركوا^(١) ، ومعهم صفاير يُصَفِّرون بها صغيراً ، هوفى نفس الأمر غناء ، مع حُسن أصوات الصفاير ، وحُسن أصوات الغلمان ، فيسمع من جميع ذلك صوت حسن .

وكيفية ذلك : أن الملك إن كان عنده من الغلمان عشرة مثلاً ، يكون منهم أرباب الصفاير ، اثنين أو ثلاثة ، والرابع بيده قرعة جافة ، خاوية الباطن مستطيلة ، أحد طرفيها غليظ ، والطرف الثاني رقيق ، يُقبض عليه باليد ، صورتها هكذا :

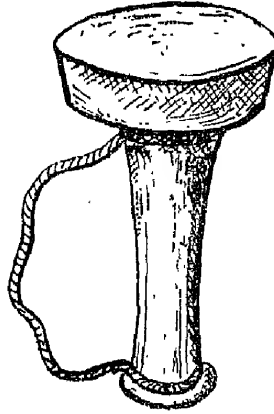


[قرعة جافة ، فيها بعض حصباء ، تستعمل آلة موسيقية]

فيجعلون فيها بعض حصباء ، ويقبضها الغلام ، بشرط أن يكون قُمها منسداً بالقار ، ويهزها فيسمع للحصى فيها (١٦٨) صوت يوفق على أصوات الصفاير ، والسنة الباقون يغنون ، وربما أخرج السلطان بعض جواريه مزينات حاملات لأواني من الأظعمة للسلطان ، ماشيات خلفه صحبة الغلمان فيغنين مع الغلمان والصفاير ، وربما

(١) كوركوا : قارن ص ٧٩ ، حاشية ٣ .

زادوا معهما طبلاً من خشب مستطيل ، كالطَبْلَةِ المَسَامَةِ في عُرفِ [أهل] مصرَ بالدَّرْبُكَّةِ^(١) ،
ويسمى عندهم : تِكْجَلْ ، وصورته هكذا :



[تِكْجَلْ ، أى : دربكة]

وله علاقةٌ كما في الصورة ، فيدخلُ الضاربُ من العلاقة ، ويضع العلاقة على كتفه ،
ويصيرُ الطبلُ تحتَ إبطه ، ويضربُ عليه بكتلتا يديه تَقَرَاتٍ مُحْكَمَةٍ ، على صوتِ
الصَّافِيِرِ ، وما يغنونَه يكونُ باسانِ الفور . ولهم معلّمون يعلمونهم التّصْفِيرَ والغناءَ والضربَ
على الطبلِ المذكور ، والمشاة الذين يمشونَ أمامه ، وبينَ يديه ، يُغَنُّونَ غِنَاءَ وحدهم .
وكيفيَّةُ ذلك : أنهم يَكُونُونَ^(٢) كَراديسَ كَراديسَ ، يَغْنَى من كُلِّ كَرْدُوسٍ^(٣)
واحد ، والباقي يردُّ عليه بصوتٍ عالٍ . ولذلك ، إذا ركب السلطانُ ، تضربُ الطبولُ ،
وتغنى جميعُ الناسِ مشاةً ورُكباناً ، فيُسمَعُ لذلك ضجّةٌ عظيمةٌ ، مع أصواتِ الصّافِيِرِ
وغناءِ الغلمانِ ، يخشى الإنسانُ على سمعه منه لقوته .

(١) في الأصل : درابكه .

(٢) في الأصل : يكونوا .

(٣) الكردوسي : الجماعة الصغيرة .

وهذه الصفافيرُ تسمى : طيرَ الصَّعِيد ، وذلك أن بيلادِ صعيدِهِمْ طيوراً^(١) لها أصوات حسان ؛ فاخترعوا هذه الصفافيرَ على شكلِ أصواتِها .

وينضمُّ لتلك الأصواتِ أصواتُ «المُوحِيهِ» ، وهذا اللفظُ في لغةِ الفورِ يطلقُ على الواحدِ والجمع ، وهم طائفةٌ عظيمةٌ لها ملكٌ مخصوص ، وهو في عُرفِ الفورِ ، كالخلبُوص ، أو المَشْخَرَة ، في عُرفِ أهلِ مصر ، أو كالشوتري في عُرفِ الترك . لكن المُوحِيهِ يخالفُ ما ذُكر ، لأنه يتولَّى قتلَ من يأمرُ السلطانُ بقتله .

وصفةُ المُوحِيهِ : أن يلبسَ على رأسه عصابةً ، فيها صفيحةٌ من حديد ، مستديرةُ الشكل مع التجويف ، وفي العصابة المذكورة قطعةٌ من حديدٍ أيضاً كالمسارِ ، معلقةٌ بحيط ، محرّرةٌ على التجويفِ الذي في الصفيحة ، بحيث إذا هزَّ رأسه تضربُ التجويفَ المذكورَ ، ويُسمعُ لها رنةٌ عليه . وأعلى منهما في العصابة ريشةٌ ، أو ريشتانِ من ريش النعام ، وصورتها هكذا :



[عصابة يلبسها المُوحِيهِ]

(١) في الأصل : طيور .

وعلى الطرطور ودع وخرز معلق أيضاً ؛ وفي رجله اليمنى خلخالان من الحديد ،
وفي اليسرى خلخال واحد ؛ وتحت إبطه جراب صغير مستطيل ، إذا حلَّ عصابته وطرطوره
يضمهما فيه ؛ ويده عصا مَعْوَجٌ أعلاها هكذا :



[عصا معوج أعلاها تكون بيد المؤجيه]

معلق فيه جلاجل ، فيقف بين يدي السلطان من المؤجيه اثنان أو ثلاثة ، إن
كان السلطان في ديوانه ، وإن كان في سفر أوقنص مشى أمامه أربعة أو خمسة ، وكلُّ
منهم يغنى ويرقص ، ويقول كلاماً مضحكاً ، يضحك منه سامعه ، ويحرك نباح الكلب
وصوت الهر . وغناؤه بكلام الفور لا بالعربي ، وليس في رقصه تكسر بل يهز رأسه
يميناً ويسرة ، ويضرب إحدى ساقيه بالأخرى ، فترن الحديد التي في العصابة على رأسه ،
وترن الخللخال التي ^(١) في ساقه .

(١) انت الخللخال والخلخال مذكر .



[المسوحية]

وإذا كان السلطان مسافراً أو قانصاً لا يفتنون ، بل يصيحون جميعاً صيحةً واحدةً بقوة أصواتهم ، يقولون : « يا يا » ، وهكذا ، ما دام السلطان راكباً .
ولا خصوصية في ذلك للسلطان ، بل كلُّ ملكٍ من ملوك القور الكبار له مسوحية ، يقف أمامه في ديوانه ، ويمشي قدامه في سفره . والمسوحية لا يخشون بأس السلطان ولا غضبه ، ولهم جراءة عظيمة على السلطان فمن دونه ، لا يكتُمون السلطان أمراً ، بحيث أنهم إذا سمعوا أمراً فظيماً يقولونه في تحفه ، وينسبون الكلام

لقائله ، حقيراً كان أو جليلاً ، لا يخافون لومة لائم . وإذا أراد السلطان إشاعة أمر ، أو إعلان حكم ، أمر المؤجّجيه أن ينادى به ، فينادى به المؤجّجيه بعد المغرب وقبل العشاء ، نداء يسمعه الخاص والعام .

وما اتفق أن السلطان عبد الرحمن كان يحب العلماء ، ويكثر الجلوس معهم في ليله ونهاره ، وقلاً يجلس مجلساً إلا ومعه عالم أو اثنان . فاغتاز الوزراء منه وقالوا : كيف يتركونا ويجلس مع هؤلاء ؟ ! لكن إن مات هذا السلطان لا نُؤلّى علينا بعده رجلاً يقرأ أبداً . فسمع ذلك أحد المؤجّجيه ، فأمرهم حتى جلس السلطان في ديوانه وحضر أولئك الوزراء ، فجاء المؤجّجيه وقال بلسان الفور كلاماً معناه : ^(١) نَحْنُ مَابِقِينَا نُؤلّى عَلَيْنَا ^(٢) مَنْ يعرف القراءة والكتابة ! فالتفت إليه السلطان وقال : لِمَ ذلك ؟ قال : لأنك تترك الوزراء وتجلس مع العلماء . فاغتاز السلطان لذلك ، ونظر إليه نظرة الغضب ، فخاف المؤجّجيه أن يسطو عليه ، فقال : ما ذنبى ، أنا سمعت هؤلاء - وأشار إلى الوزراء - يقولون ذلك فقلته . فالتفت السلطان إليهم (١٧٢) ووجههم على ذلك ، وأراد القبض عليهم ، فما خلصوا منه إلا بجهد ومشقة . قلت :

* والجاهلون لأهل العلم أعداء *

ومن ذلك ما حكاه لى بعض الثقات بدارفور ، أنَّ ^(٣) السلطان تيراب ، السالف الذكر ، صنع وليمةً لأمر نسيته ، وحين حضر الطعام تنبّعه لينظر أى الطعام أحسن ،

(١-١) وردت العبارة بدون ضبط في الأصل ، وهى عبارة عامية فى اللهجة السودانية ، وضبطها على النحو الذى أودناه فى المتن أولى ، على أن تنطق القاف فى «بقينا» كما تنطق الجيم الشديدة غير المعطشة .

(٢) كذا فى الأصل ، وقد تكرر هذا التعبير فى مواضع كثيرة .

لُجَاءَ إِلَى طَعَامٍ صَنَعَتْهُ إِيَّاكَ كِرْيَا كِنَانَةً ، وَكَشَفَ عَنْهُ فَأَعْجَبَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ لِلْعُلَمَاءِ ، فَأُتِيَ عَلَيْهِ وَقَالَتْ : أَنَا عِنْدَكَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، تَعْطَى طَعَامِي لِلْمَشَائِخِ ، وَطَعَامَ غَيْرِي لِلْوُزَرَاءِ وَالْمُلُوكِ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَمَرْتُ بِهِ لِلْمَشَائِخِ لِحُسْنِهِ ، وَلِتَحْصُلَ لَكَ بَرَكَتُهُمْ . فَقَالَتْ : دَعْ طَعَامِي تَأْكُلْهُ الْوُزَرَاءُ وَالْمُلُوكُ ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِبَرَكَتِهِمْ . فَقَالَ : لَا يَا كَلْهُ غَيْرُ الْعُلَمَاءِ . فَقَالَتْ : لَا وَحَيَاتِكَ لَا تَأْكُلْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَغَلَبْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَرْسَلَهُ لِلْمُلُوكِ ، وَاخْتَارَ مِنْ طَعَامِ غَيْرِهَا لِلْعُلَمَاءِ .

وَطَائِفَةُ الْمُوَحِّبِيهِ مِنْ أَفْقَرِ أَهْلِ دَارْفُورَ ، لِأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ حَرْفَةٌ إِلَّا السُّؤَالُ ، فَإِنَّهُمْ دَائِمًا يَقْصِدُونَ الْأُمَرَاءَ ، وَيَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ . وَتَخَافُ الْأُمَرَاءُ مِنْهُمْ وَيَكْرُمُونَهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَ حَدِيثًا ، إِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ أَتَنَوُا عَلَيْهِ ، وَأَشَاعُوا الذِّكْرَ بِكَرَمِهِ ، وَإِنْ أَحْرَمَهُمْ ^(١) أَحَدٌ ذَمُّوهُ وَأَشَاعُوا ذَمَّهُ . فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالشُّعْرَاءِ ، مَنْ أَعْطَاهُمْ مَدْحُوهُ ، وَمَنْ مَنَعَهُمْ هَجَّوْهُ .

وَمِنْ مَنَاصِبِ الْفُورِ : مَنَصِبُ إِيَّاكَ كِرْيَا ^(٢) ، وَقَدْ أَسْلَفْنَا ذِكْرَهُ .

وَمَنَصِبُ الْحَبُوبَاتِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ أَيْضًا .

وَإِنْ كَانَ لِلسُّلْطَانِ الْمُتَوَلَّى أُمٌّ فَلَهَا مَنَصِبٌ ، وَإِنْ كَانَ [لَهُ] جَدَّةٌ فَلَهَا مَنَصِبٌ أَيْضًا . لَكِنْ الْمَنَصِبَانِ لَيْسَا مَقَرَّرَيْنِ ، بَلْ يَطْرَأُ عِنْدَ وَجُودِهِمَا .

وَلَقَدْ رَأَيْتُ أُمَّ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضْلِ ، وَهِيَ جَارِيَةٌ وَخَشَا ، لَوْ بَاعَتْ فِي دَارْفُورَ لَمَا كَانَتْ تَسَاوِي عَشْرَةَ مِنَ الْفَرَانَسَا ، وَرَأَيْتُ جَدَّتَهُ ، وَهِيَ عَجُوزٌ وَخَشَا مِنْ أَقْبَحِ مَا يُرَى فِي عَجَائِزِ الشُّودَانِ ، وَكَانَتْ نَاقِصَةً الْعَقْلِ .

(١) كَذَا ، بَدَلُ : حَرَمَهُمْ .

(٢) رَاجِعْ ص ٩٣ ، حَاشِيَةُ ١ .

وَمِنْ نَفْسٍ عَقَلًا [أُنْهَا] كَانَتْ تُجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ ، وَتَحْمِلُهَا الرِّجَالُ عَلَى
أَعْنَاقِهِمْ ^(١) لِلسَّفَرِ الْبَعِيدِ ، وَمَعَهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَوَشَّى إِلَيْهَا بَعْضُ النَّاسِ بِأَنَّ
أَهْلَ دَارْفُورٍ يَقُولُونَ : إِنَّ هَذِهِ الْخَادِمَ قَدْ طَفَعَتْ وَبَغَتْ . فَحِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ جَلَسَتْ
فِي دِيْوَانِهَا ، وَأَحْضَرَتْ جَمِيعَ أَتْبَاعِهَا وَقَالَتْ : أَنَا الْخَادِمُ ، الْخَادِمُ جَابَ الْفِضَّةُ ،
وَجَابَ الْفِضَّةَ الذَّهَبُ . وَقَوْلُهَا : أَنَا الْخَادِمُ ، بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَمَرَادُهَا الْخَادِمُ بِالْمَعْجَمَةِ ،
إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى النُّطْقِ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ لِعُجْمَتِهَا .
وَهُنَاكَ مَنَاصِبُ أُخَرَ أَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا لِحَقَارَتِهَا .

(١) فِي الْأَصْلِ : عَنَاقِهِمْ .

الفصل الرابع في كيفية مجلس السلطان

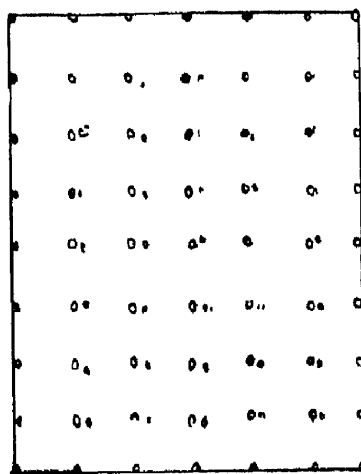
وأما كيفية مجلس السلطان ، فاعلم أن يَتِ سُلْطَانِ الفور في بَلَدِهِ المسماة بالفاشر ، والناسُ حوله ، ولهذا جُعِلَ لبيته بابان ، أَحَدُهُما - وهو الأعظم - هو المسمَّى : وَرَيْدَايَا [و] معناه : باب الرجال ، والثاني هو المسمَّى : وَرَيْبَايَا ، ومعناه : باب النساء . وفي كلِّ منهما له (١٧٤) مجلس ، فجلس وَرَيْدَايَا هو الديوان الأكبر ، وهو بعد أن يدخل الداخلُ من الباب الأول . وهذا المجلس واسع ، ولا يجلسُ فيه السلطانُ إلا في الأيام العظيمة ، أو للأحوال المهمة .

وقد نذكر أن بناء الفور كله بقصب الدُّخْنِ أو المرَّهَبِ سَيْبِ ، ومحلُّ الديوان يسمَّى : لِقْدَا بَة ، أَوْ رَا كُوبَة ، وصورتها هي أن يُؤْتَى بأخشابٍ ملساء طويلة ، في آخر كلِّ خشبةٍ شعبتان هكذا :



[خشبة بأخرها شعبتان تستعمل في بناء اللقدابة ، أي : الرَّاكُوبَة]

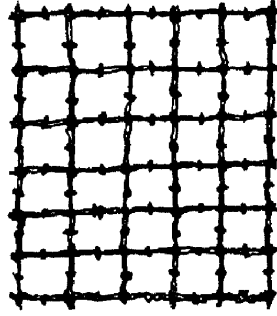
فيحفرون في الأرض حُفراً متساويةً العمق ، ويجعلون الأخشاب متساويةً الطُول ، ويجعلون الحُفَر سطوراً متقابلةً لا يختلُ سطرٌ منها عن الآخر ، بحيث أنها تكون هكذا :



[حفر على شكل سطور متقابلة يدخلون في كل حفرة خشبة]

لكن تكون كلها على نمط واحد ، وخط واحد ، فيدخلون في كل (١٧٥) حفرة خشبة من الأخشاب ، ويجعلون شِعَاب كل صف متجهة لجهة واحدة ، ويضعون عليها خشبة طويلة تسمى : بِلْدَايا ، أى يضعونها بين شِعَاب الصف ، فإذا كمل على تلك الهيئة ، يأتون بفروع رفيعة تسمى مطارق ، فيجمعون منها كل أربعة أو خمسة سواء ، ويربطونها بلحاء الشجر حتى تصير حُرمة ، ويوصلونها بغيرها وهكذا ، حتى تصير طُول اللقْدابة المذكورة ، ويجعلون من الفروع جملة على هذا النمط ، ويرتبونها كلها مربعاً واحداً مستطيلاً في وسطه مربعات ،

فتكون صورتها هكذا :



[مربع مستطيل في وسطه . ربعات يوضع فوق البلديات]

ويضعونها فوق التلذآيات المذكورة ، ثم يضعون البوصَ عليها وهو يجعل حُزماً ، ويربطونها مع الفروع باللحاء ، فيتكوّن من ذلك سقفٌ جميل بالنسبة لبنائهم .
ففي وَرِيدَايَا يكونُ هذا الحبلُ واسعاً ، وعلى هذه الصفة علّا^(١) السقف بحيث يمرّ تحته الراكبُ على الهجين ، ولا يمسّ السقفُ رأسه ، وكان قبل ذلك دائي السقف ، لا يمرّ تحته إلاّ الفارس .

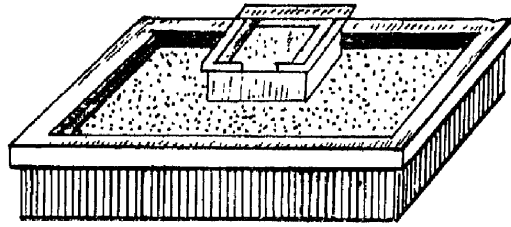
فاتفق أن حضر عند السلطان رجلان ممن أنقن ركوبَ الإبل ، وادّعى كلُّ واحد منهما أنه أفرس من صاحبه في ركوبِ الإبل ، وتشاجرا ، ثم اتفق رأيهما على أن يركبا ويمرّا ببعيريهما من تحت اللّقدآبة . فتراهنّا على ذلك ، وخرج السلطان والناس من اللّقدآبة ، وركبا وجاءا راكضين ، فلما وصلا إلى اللّقدآبة ، أحدهما نقز^(٢) فصار على ظهر اللّقدآبة ، وترك بعيره وجري مسرعاً ، فصادف بعيره وهو خارج من تحت السقف ،

(١) في الأصل : عالا .

(٢) نقز : وثب صعداً ، وقد غلب على الطائر المعتاد الوثب كالغراب والعصفور (اللسان) .

فركبته ومرت سريعا لم يعقته شيء . والثاني حين وصل إلى اللقْدَابَة ، مال إلى جانبِ بغيره ، ومسكه بيديه حتى خرج من تحت اللقْدَابَة . فشكلُ منهما جاء بشيء غريب . فأحسن إليهما السلطان ، واعترف الناسُ لهما بصناعة الركوب ، وأنهما كفر قدي سماء . وشذَّ بعضُ فادّعى أن الذي ترك بغيره وجرى على ظهر اللقْدَابَة أصنع ، وشذَّ آخرون فادّعوا أن الذي مال في جنب البعير أصنع ، وحكم له السلطان . ومن ذلك الوقت زيد في علو اللقْدَابَة .

ثم إنَّ السلطان إنَّ جلس في هذا الديوان يجلس في وسطه ، ولذلك بنوا له فيه محلاً عالياً ، لسكن مركزه أعلى من جانبيه هكذا :



[ديوان السلطان و به محل عال مركزه أعلى من جانبيه لجلوس السلطان]

(١٧٧) فالمحلُّ العالی المتوسط هو محلُّ جلوس السلطان ، والذي أقلُّ منه من جهة اليمين هو محلُّ جلوس العلماء ، والذي عن يساره هو محلُّ جلوس الأشراف والفقهاء وعظماء الناس ، وأمامه رَحْبَةٌ واسعةٌ .

فإذا أراد السلطان الجلوسَ لديوان عامٍّ أو ملاقة^(١) بعضِ رسلِ الملوك ، أو يوم

(١) فى الأصل : ملاقات .

فرح وسرور ، زَيْنُ محلٍّ جلوسه بالزردخانات^(١) والمَقَصَّبات ، ووضعوا في المحلِّ المذكور كرسيًا ، وعليه مرتبةٌ من الحرير . فجلس السلطانُ في أبعثته ، وجلس العلماء والفقهاء والأشراف حوله ، ووقف وزيراه بين يديه ، وهما المُسمَّيان بالأمينين ، ووقف رئيسُ تراجته أمامه قريباً منه ، ووقف التَّراجَةُ الستةُ أمام التَّرجان الأول ، بين كلِّ تَرْجَانين مسافةٌ قليلة ، بحيثُ كلُّ تَرْجَانٍ يسمع مَن يليه سمعاً جيداً . ووقف الكُوزُكُوالا بالصفافير خلفه ، وصاحبُ الدِّنْقَارِ معهم ، ووقف عبيدُ السلطانِ وأصحابُ سجنه وغضبه وراء الناس ، وجلس الناس الباقيون^(٢) كلُّ واحدٍ في المحلِّ اللائِقُ به ، ووقف ملكُ المؤجَّحيه قريباً من التَّرجان الأول . وقد انتظم المجلس ، وقد رسمنا كيفيته في بابِ عوائد الفور فراجعهُ إن شئت .

وأما إن جلس السلطانُ في وَرَبَّيَا فَإِنْ مجلسه يكون مختصراً ، وهو أشبهُ بمجلسِ سِرٍّ ، لأنَّ القُدَّابةَ التي يجلسُ فيها صغيرة ، وحينئذ لا يقفُ أمامَ السلطانِ إلَّا (١٧٨) تَرْجَان واحد ، ومؤجَّحيه واحد أو اثنان ، وإن كثروا فثلاثة .

والسلطانُ قد يكونُ جالسا ، وأكثر ما يكونُ جالسا بالليل ؛ وقد يكونُ راكبا ، وأكثر ما يكون ذلك بالنهار . وإن جلس ففي محلٍّ عالٍ لئلا يراه غيرُ مزيَّن ، ولا فرشَ له حينئذٍ إلا سجادة واحدة ، وبازائها مخدَّة . وقد ذكرنا سابقاً أن من العوائد ، أن السلطان لا يُسَلَّمُ عليه إلَّا بِ « دُونِيَحَرَّاي دُونِيَحَا »^(٣) وأنه إذا بصقَ مُسِحَ الترابُ الذي بصقَ

(١) الزردخانه : كلمة فارسية مركبة معناها : دار السلاح . وقد أطلقها المؤلف هنا على السلاح نفسه .

قارن : المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر زيادة ج ١ قسم ٢ ، ص ٣٠٦ ، حاشية ١ .

(٢) كذا وهى صيغة عامية ، بدل : الباقيون .

(٣) انظر معناه في ص ١٦٧ .

عليه في الحال ، وإذا تَنَحَّجَح قالوا صوتًا كصوتِ الوَرَّغ^(١) . و [قد] بَيْنَاهُ هَناكَ أُتِمَّ
تبيين ، فلا فائدة في الإعادة . هذه كَيْفِيَّةُ مجلسِ سلطانِ الفور .

* * *

وأما كَيْفِيَّةُ مجلسِ سلطانِ الواداي فتختلف ، فإننا نذكر أَنَّ الوادايَ دَائِمًا يَحْجُبُونَ
السلطانَ عن أعين الناس ، ويشدَّدون في ذلك ، فلا يتمكن أحد من رؤيته جَدِيدًا ،
ولا يجتمعُ عليه الملوكُ كما تجتمع على سلطانِ الفور ، لأنهم يَرَوْنَ أن عدم اجتماع الناس
عليه أَهْيَبُ لَهُ ، وأنفذَ لِكَلِمَتِهِ .

ولما كان الأمر كذلك ، وخيف من وقوعِ ظلمٍ وإجحاف ، رُسمَ أن يجلسَ
السلطانُ للمظالم في يوم الاثنين والخميس ، وجعلوا لجلوسه ذلك كَيْفِيَّةً مَخْصُوصَةً ، تقامُ
فيها نواويسُ الملك ، وينزجرُ الظالم ، وينتصف المظلوم ، ورتَّبوا له مجلسًا بحيثُ يحصلُ
المقصودُ من غيرِ اختلاطٍ بالعالم .

وسنذكر أَنَّ بناءَ الواداي قد يخالفُ بناءَ الفور ، (١٧٩) في أن الفورَ لا يبنون
باللَّين إلا قليلًا ، وأن الواداي أكثرُ بناءهم باللَّين ، فجعلوا المجلسَ المُعدَّ لذلك عاليًا ، يجلس
فيه السلطانُ مع بعضِ خواصِّه في يوم الاثنين والخميس ، ولا تراه الناس ، وإنما يُعرَفُ
جلوسه فيه بِرَايَةٍ يُبرِزونها من طاقٍ في المجلس الذي هو فيه ، وبصوتِ البَرْدِيَّةِ . فهما
برزتِ الرَّايَةُ ، وضربتِ البَرْدِيَّةُ ، وهى طبلٌ كالْكُوبَةِ المسماة في مصر : الدَّرْبُكَّةُ ،
لكن صوتها عال شديد ، فيسمَعُ الكِبَرَتُو^(٢) فييوِّقون بالبُوقَات ، ويضربون بالتَّكْجَل ،

(١) انظر ص ١٦٨ .

(٢) الكِبَرَتُو : رجال الضبط الذين يقومون بتنفيذ الأحكام القضائية .

Voyage au Darfour, p. 192.

فَتَسْمَعُ النَّاسُ ، خصوصاً وأنَّ مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَى^(١) يَتَرَقَّبُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فيَجْلِسُونَ كُلُّهُمْ فِي الْفَاشِرِ . وَإِنَّ السَّكَمَ كَلَّةً^(٢) دَائِماً جَالِسُونَ فِي الْفَاشِرِ لِسَمَاعِ الدَّعَاوَى ، وَإِنْ أَرَبَابَ الْمَنَاصِبِ وَالْمَرَاتِبِ يَتَرَقَّبُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ جُلُوسَ السُّلْطَانِ فِي الدِّيْوَانِ . فَتَحْضُرُ التَّرَاجِمَةُ الْمُسَمَّوْنَ بِخَشِيمِ السَّكَلَامِ ، وَالْعَقْدَةُ^(٣) وَالْمُلُوكُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَيَحْضُرُ الْقَاضِي وَأَشْرَافُ النَّاسِ وَالْعُلَمَاءُ ، فيَجْلِسُونَ فِي ظِلِّ شَجَرٍ فِي الْفَاشِرِ يُسَمَّى ذَلِكَ الشَّجَرُ بِالسَّيَالِ^(٤) . فَتُخْرِجُ الرَّايَةُ مِنَ الطَّاقِ وَضُرْبُ الْبَرْدِيَّةِ ، دَخَلَ خَشِيمُ السَّكَلَامِ وَرَقِيٍّ مِنْ سُلْمٍ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ ، وَخَرَجَ مِنْ طَاقِ الْمَصْطَبَةِ مَعْدَّةً لَجُلُوسِهِ ، بِحَيْثُ يَصِيرُ قَرِيباً بِسَمْعٍ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَوَقَفَ هُنَاكَ ، وَاصْطَفَتْ الْعَسَاكِرُ ، وَجَلَسَ الْقَاضِي وَالْعُلَمَاءُ

(١) فِي الْأَصْلِ : دَعْوَةٌ .

(٢) الْكَمَاكِلَةُ ، جَمْعٌ : كَمَكُولَاك (Kamkolak) ، وَهِيَ جَمَاعَةُ الْمُسْتَشَارِينَ

الَّذِينَ يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ السُّلْطَانِ حِينَ النَّظَرِ فِي الدَّعَاوَى وَالْمَنَازَعَاتِ Voyage au Darfour, p. 192. وَيُمْكِنُ تَشْبِيهِهُمْ بِالشُّهُودِ فِي الْقَضَاءِ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْعَصُورِ الْوَسْطَى ، أَوْ بِالْمُخَالِفِينَ فِي الْقَضَاءِ الْإِنْجِلِيزِيِّ .

(٣) الْعَقْدَةُ ، جَمْعٌ : عَقِيدٌ ، وَهِيَ وَلَاةُ الْأَقَالِيمِ وَلَهُمْ مُمَثِّلُونَ دَائِمُونَ فِي فَاشِرِ السُّلْطَانِ . Voyage au Darfour, p. 192.

(٤) السَّيَالُ : كَمَا جَاءَ فِي الْقَامُوسِ - جَمْعُ سَيَالَةٍ ، وَهُوَ نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ ، إِذَا نَزَعَ خَرَجَ مِنْهُ اللَّبَنُ ، أَوْ مَا طَالَ مِنَ السَّمَرِ (بِفَتْحِ السَّيْنِ وَضَمِّ الْمِيمِ) .

وَفِي حَاشِيَةِ التَّرْجُمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ (Voyage au Darfour, p. 193) نَقْلًا عَنْ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ : أَنَّ السَّيَالَ نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ السَّنَطِ ، مُتَوَسِّطُ الارتفاعِ ذُو لِحَاءٍ أَخْضَرٍ مَائِلٍ إِلَى السَّمَرَةِ . وَكَانَ فِي فَاشِرِ وَادَايَ حِينَ زَارَهَا الشَّيْخُ التُّونِسِيُّ بَضْعَةَ أَشْجَارٍ زَرَعَتْ مِنْذُ سِنَوَاتٍ لِيَسْتَظِلَّ بِهَا الْقَائِمُونَ عَلَى الْقَضَاءِ هُنَاكَ وَكَذَلِكَ بَضْعَةَ أَشْجَارٍ أُخْرَى يَأْوِي إِلَيْهَا الْكَمَاكِلَةُ . وَقَدْ رَأَى التُّونِسِيُّ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا مِنْ شَجَرِ السَّيَالِ قَدِيمَةٍ جَدًّا يَتَفَيَّأُ ظِلُّهَا السُّلْطَانُ أَيَّامَ الْجَمْعِ وَحِينَ يَسْتَعْرِضُ الْجَيْشَ فِي وَادَايَ ، وَمِنْ حَوْلِهِ رِجَالٌ حَاشِيَتُهُ بِخِدْمَتِهِ وَبِعِيْدِهِ الَّذِينَ يَحِيطُونَ بِهِ إِحَاطَةً تَامَةً حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ .

في مراتبهم ، (١٨٠) وكذلك الأشرافُ والتُّجَّارُ ، وجاءَ مَنْ له دعوى^(١) رَفَعَهَا إلى السلطان ، وذلكَ بعد أن يقولَ خَشَمُ الكلام : السلطانُ يَسَلِّمُ عليكم يا أهلَ الفاشرِ ، السلطانُ يَسَلِّمُ عليك يا قاضي ، السلطانُ يَسَلِّمُ عليكم يا علماء ، وهكذا ، كما يفعلُ في في يوم الجمعة .

* * *

ولنَرْجِعْ إلى ما نَحْنُ [فيه من] ذِكْرٍ^(٢) الفور ، فنذكرُ نبذةً في صفاتِ تَنْدَلْتِي ، فاشِرِ السلطان ، وفي بَيْتِهِ ، وصفةٍ كلِّ منهما حَسَبَ الإمكان ، فنقول : [أما] تَنْدَلْتِي^(٣) فهي الآنَ قاعدةٌ مملكةُ الفور ، وأوَّلُ مَنْ نَزَلَهَا وَخَطَّهَا من الملوك ، السلطانُ عبدُ الرحمن سنة ١٢٠٦^(٤) من الهجرة .

وأما صفةُ أرضها فرمليَّةٌ كأحدِ الأقواز ، يشقُّها وادٍ بالعَرْضِ ، وهذا الوادِى رِجْلُ من الوادِى الأكبر ، المسمَّى الكُوع . ففي أيامِ الخريفِ يمتلئ^(٥) ذلك الوادِى ماءً ، فلا يعبُرُهُ عابِرٌ إلَّا من مَحَلٍّ بعيدٍ من جهةِ المشرق . وفي وقتِ نضوبِ المياه — وذلك تارةً في آخرِ الشتاءِ وتارةً في أوَّلِ الصيف — يحفرون فيه الآبارَ ، ومنها تشربُ أهلُ الفاشرِ كلها . والسلطانُ ، لخوفِهِ من السَّحَرِ ، يشربُ منه تارةً ، وتارةً يأتون له بماءٍ من جَدِيدِ السَّيْلِ ، لأنه قريبٌ من تَنْدَلْتِي من جهةِ الشرقِ بنحوِ فَرْسَخٍ .

وبناءِ الفورِ كُلِّهِ من قَصَبِ الدُّخْنِ ، وحيطانُ بيوتِهِم الخارجِيَّةُ كُلُّهَا بالشَّوكِ ،

(١) في الأصل : دعوة .

(٢) في الأصل : مانحن بذكر .

(٣) في الأصل : وتندلتي :

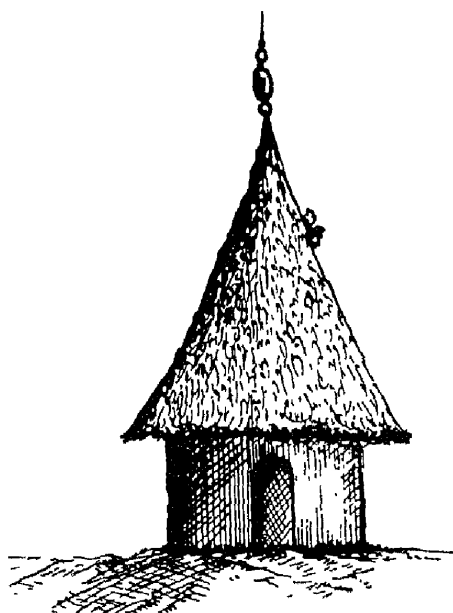
(٤) ١٢٠٦ هـ = ١٧٩١ م .

(٥) في الأصل : يمتلأه .

ويسمّون الحائطَ الخارجيّ زَرِيَّةً ، والحائطَ الداخليّ صَرِيْفًا . والبيوتُ - أعنى المساكنَ - كلّها على هيئةِ قُبّةِ الخِيمةِ ، (١٨١) فيكونُ الصَّرِيْفُ لها كالطَّرْزُكُ^(١) .

لكنّ البيوتَ أصنافٌ في البناء : [فنها] بيوتُ المساكينَ ، وهى مساكنُ عندهم تسمّى بالبيوتِ ، وهى من قَصَبِ الدُّخْنِ . و [منها] بيوتُ الأمراءِ والملوكِ ، وهى مبنيةٌ من المَرْهَبِيبِ ، كما سنذكر ذلك . ومنها ما يسمّى : سُكْتَايَّةً ، ومنها ما يُسمّى : تَكْلَتِي ، ومنها ما يُسمّى : كُرْزُكُ .

فأمّا السُّكْتَايَّةُ فصورتها هكذا :



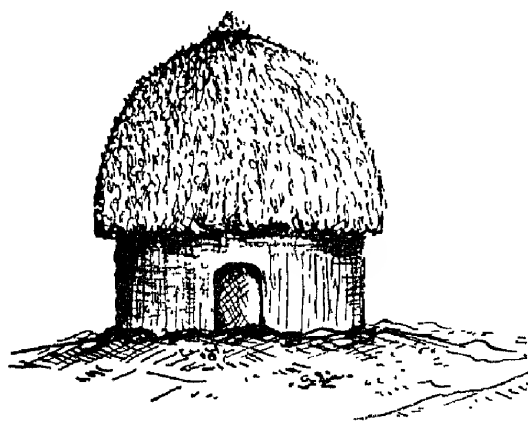
[سُكْتَايَّة]

فهي كَقُبّةِ الخِيمةِ ، إلّا أنّها طويلة رفيعة من أعلى ، ويأتون ببيضِ النّعامِ ،

(١) المقصود بالطرزك هنا : حاجز من القماش يوضع حول الخيمة لحمايتها من الريح والتراب . Voyage , p. 195 .

فَيْتَقُبُونَهُ ، كُلَّ بَيْضَةٍ ثَقِيْبٍ مِنْ مَحْوَرِيْهَا ، وَيُدْخِلُوْنَ فِي الثُّقْبِ عُودًا ، فَيَجْمَلُوْنَ فِي
 الْعُودِ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ أَوْ أَرْبَعًا . يَدْنِيْهَا كُرَةً مِنْ فَخَّارٍ أَحْمَرٍ ، إِمَّا أَسْفَلَ دُلْنِيْجٍ ^(١)
 أَوْ أَسْفَلَ إِبْرِيْقٍ مِنْ صِنَاعَةِ كِيرِي ^(٢) وَيَنْصِبُونَهُ عَلَى قَمَّةِ الْقُبَّةِ .

وَأَمَّا التُّكُلْتِي فَهُوَ يَدٌ شَكْلُهُ هَكَذَا :



[تُّكُلْتِي]

مِنْ أَعْلَى نِصْفِ كُرَةٍ وَقَائِمٌ عَلَى دُرْزُوِيَّتَيْنِ ^(٣) .
 وَأَمَّا السُّكْرُنُكُ فَهُوَ مِثْلُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى أَرْبَعِ دُرْزُوِيَّاتٍ ، وَالسُّلْطَانُ يَضَعُ
 بَيْضَ النِّعَامِ عَلَى سَكَاتِيْهِ وَتَكَالِيْهِ وَكَرَانِكِهِ ، وَيَكْسُوْ أَعْلَاهَا ثِيَابًا حُمْرَاءَ

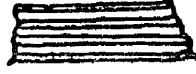
(١) دُلْنِيْج : نَوْعٌ مِنَ الْجَرَارِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الْفَخَّارِ . * Voyage p. 196.

وَالْمَقْصُودُ بِأَسْفَلَ الدُّلْنِيْج : قَاعُهُ أَوْ نِصْفُهُ التَّحْتَائِي .

(٢) كِيرِي قَرْيَةٌ قَرِيْبَةٌ مِنْ قَرْيَةِ ، أَسْفَلَ جَبَلٍ مَرَّةٍ . * Voyage au Darfour, p. 196.

(٣) الدَّرْزُوِيَّة : قَائِمٌ مِنَ الْخَشَبِ . * Voyage p. 196..

وبيضاء هكذا :



[صورة ثياب حرّاء وبيضاء يكسوها السلطان أعلى سكّاتيه وتكاليه]

ليتميّز بها عن غيره .

وأَسفلُ دائرةِ سُكّاتَيَاتِ السُّلْطَانِ وَالْإِيَّاءِ كَرِيّ وَالسَّرَارِيّ وَكِبَارِ الدَّوْلَةِ (١٨٢) مَبْنِيٌّ مِنَ الطَّيْنِ ، وَأَمَّا أَعْلَاهَا فَمِنَ الْمَرْهَبِيِّبِ ، وَهُوَ عَزِيزُ الْوُجُودِ . وَهَذِهِ الدَّائِرَةُ تَسْمَى : دُرْدُرٌ ، قَطْرُهُ كَقَطْرِ الْخَيْمَةِ الْمَعْتَادَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْفَاشِرِ مَنقَسِمُونَ إِلَى قَسَمَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَهْلُ وَرَيْدَايَا ، وَالثَّانِي أَهْلُ وَرَيْبَايَا ، وَبَيْتُ السُّلْطَانِ بَيْنَهُمَا .

فَأَهْلُ وَرَيْدَايَا يَسْكُنُونَ جِهَةَ بَابِ الرِّجَالِ ، الْمُسَمَّى بِوَرَيْدَايَا ، وَأَهْلُ وَرَيْبَايَا ، يَسْكُنُونَ جِهَةَ الْبَابِ الْمُسَمَّى وَرَيْبَايَا .

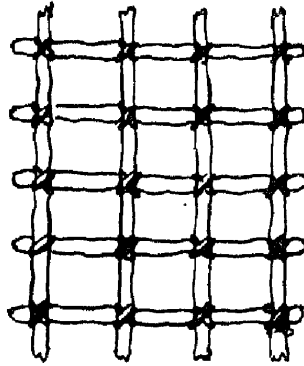
فَزَرْبَةُ السُّلْطَانِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي ، فِي الْعُلُوِّ الْكَائِنِ هُنَاكَ ، فَهِيَ شِمَالُ الْوَادِي ، وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا خُطَوَاتٌ قَلِيلَةٌ ، وَمَتَدَّةٌ إِلَى جِهَةِ الشِّمَالِ مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ .

وَبَابُ الرِّجَالِ يُفْتَحُ جِهَةَ الشِّمَالِ ، أَمَامَ الْفَضَاءِ الْمُسَمَّى بِالْفَاشِرِ ، وَهُوَ مَتَّسِعٌ عَظِيمٌ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثِي دَائِرَةٍ .

وَنَذْكُرُ الْآنَ صِفَةَ زَرْبَةِ السُّلْطَانِ وَبَيْتِهِ :

أَمَّا الزَّرْبَةُ فَهِيَ مِنْ شَوْكِ الْكِتْرِ وَالْحَشَّابِ ، ثَلَاثَةُ صَفُوفٍ ، بَيْنَ كُلِّ صَفٍّ جُذُوعٌ مِنْ خَشَبٍ ، فِيهَا بَعْضُ تَفَارِيعٍ ، مُحْفُورٌ لَهَا فِي الْأَرْضِ حَفْرٌ عَمِيقٌ ، وَالشَّوْكُ مِنْ

أمامها وخلفها كالبنيان المرصوص ، علوه أطول من قامه ، والجذوع بارزة منه ، وفي كل سنة يجد ما حصل فيه من خلل . وبين الشوك وبين الساكن مسافة نحو أربعين خطوة . ولورديا أربعة أبواب ، كل باب عليه بوابون يتناوبون حفظه ، والأبواب ليست كالأبواب المعهودة ، أعني (١٨٣) أنها من ألواح الخشب ، بل هي أعواد مربطة بالقيد^(١) التي ، أعني غير المدبوغ ، على هيئة شبك هكذا :



[أعواد مربطة بالقيد على هيئة شبك تستعمل أبوابا لورديا]

وقد جعل فيه سلسلة من حديد ، وكل فجوة [لها] بابٌ معمولٌ في حافتها أعواد كثيرة من خشب ، فتجعل السلسلة في عود منها ، ويدخل في الحلقة قفل^(٢) كأقفال الصناديق ، ومسكن البوابين قريب من الباب .

فإذا دخل الداخل في ورديا من أول باب ، يجد داخل الباب فضاء واسعا ، وفي آخره المقدابة الكبرى ، التي هي ديوان السلطان ، وتكون^(٢) على يسار الداخل . وقد ذكرناها سابقا ، ورسمنا صورتها ، فلا إعادة .

(١) القيد : السير يقد من جلد غير مدبوغ (القاموس) .

(٢) في الأصل : فتكون .

وعلى يمين الداخل محلُّ السُّورَايَاتِ وهم في عُرْفِنا سُوَّاسُ الخيل ، والأَصَابِلُ (١)
قريبةٌ منهم ، وهى لِقْدَابَةٌ طَوِيلَةٌ قَلِيلَةُ العَرَضِ ، مربوطٌ فيها خيولُ المَلِكِ .

وبعدَ الأصَابِلِ بيتُ النُّحَاسِ ، وبيوتُ خَدَمَتِهِ قَرِيبَةٌ مِنْهُ .

والبابُ الثَّانِي لِسُومِينْدُقْلَه ، والبابُ الثَّالِثُ لِسُكُورُكُوكَا ، والبابُ الرَّابِعُ لِلطَّوَّاشِيَّةِ .

وبينَ (١٨٤) كلِّ بابينِ فضاءٌ وَصَرِيفٌ حَاجِزٌ ، وعليه مُرَكَّبُ البابِ .

وأَيْضاً داخلَ البابِ الثَّانِي لِقْدَابَةٌ أُخْرَى ، يجلسُ في هذه اللقْدَابَةِ السلطانُ مع

خَوَاصِ خَوَاصِّهِ ، وداخلَ البابِ الثَّالِثِ لِقْدَابَةٌ ثَلَاثَةٌ صَغِيرَةٌ ، يجلسُ فيها السلطانُ مع
خَوَاصِّ خَوَاصِّهِ .

وداخلَ البابِ الرَّابِعِ الحَرَمُ والجِوَارُ ، ومحلُّ سَكَنِي السُّلْطَانِ ، كما سَنَبَيِّنُهُ بالرَّسْمِ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَأَمَّا وَرَبَّيَا فَهُوَ بَابٌ يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَى فِضَاءٍ طَوِيلَةٍ أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهِ ، وَفِي آخِرِهِ

لِقْدَابَةٌ كَبِيرَةٌ ، تَكُونُ مِثْلَ ثُلْثِ اللِّقْدَابَةِ السُّكْرِيَّةِ الَّتِي فِي وَرِيدَيَا ، وَهَذِهِ اللِّقْدَابَةُ
عَنْ يَسَارِ الدَّخْلِ ؛ وَعَنْ يَمِينِهِ مِنْ بَعْدِ ، أُبْنِيَّةٌ لِلْفَلَاقِنَةِ وَلِلْبَوَّابِينَ .

وداخلَ البابِ الثَّانِي لِقْدَابَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْهَا ، يَكُونُ فِيهَا السُّلْطَانُ بِاللَّيْلِ مَعَ مَنْ

يَحِبُّ مِنْ خَوَاصِّهِ ، وَعَنْ يَسَارِ هَذِهِ اللِّقْدَابَةِ البابُ الثَّالِثُ ، وَهُوَ كَأَنَّهُ فِي رُكْنٍ [مِنْ

الصَّرِيفِ . وَهَذَا البابُ يَقِفُ عَلَيْهِ عِبِيدُ بَوَّابُونَ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْأَبْوَابِ الْأُخْرَى ،

وَهُوَ بَابٌ يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَى مَحَلِّ الْحَرِيمِ ، الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى عِدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَسَاكِينِ الْمَخْصُصَةِ

لِلْمَحْظِيَّاتِ ، وَلِكُلِّ مَنْهَنٍّ مَسْكَنٌ خَاصٌّ بِهَا وَبِجَوَارِيهَا .

(١) الأصَابِلُ جَمْعُ اصْطَبَلِ .

أما محلُّ سُكنى السلطان ، فهو ، كما ذكرنا سابقاً ، يحتوى على سكتائيتين مرتفعتين جداً ، وحولهما صريف منفصل له بابان . وأمام صريف السلطان بنائتان من الطين ، تسمى الواحدة منهما : دِيحَايَة ، أى : تَحْن ، وفيهما يحفظ أثاث السلطان والدِّيحايتان مبنيتان من الطين ، كيلا يمتدَّ الحريق — إذا شب مصادفة في السُكناية — إلى أدوات الزينة والحليِّ والملابس والنقود والأشياء الثمينة الأخرى المحفوظة بالدِّيحَايَة .

ويرى عن يسار الداخل لِقْدابة غاية في الطول ، وتحتها تشتغل الجوارى كل يوم بطحن الدُّخن والقمح بالرَّحَى . وتسمى النساء اللاتى تكون بيوتهن أمام اللِّقْدَابَة بالمُرَاحِيك ، مفردها : مَرُحَاكَة ، أى : طَحَّانَة^(١) .

وقد رَسَمنا هنا صورة الزَّرِيْبَة السُّلْطَانِيَّة والبيوت كما ترى في الصحيفة الآتية بعد هذه ، لأنك تعرف ما ذكرناه في ذلك مفصَّلاً ، وتكون كأنك قد شاهدت ذلك عِيَاناً . وهذه الصورة فيها صفه دار السلطان في الجملة .

(١٨٥) واعلم أن أهل الفاشر، سواء كانوا أهل وريدياً أو أهل وريبياً ، كلٌّ منهم يحافظ على محلِّ سكناه خلفاً عن سلفٍ . فكلُّ مَنْ يتولَّى منصباً ، يبنى بيته في محلِّ صاحب المنصب الأوَّل أو قريباً^(٢) منه . فمن كان من أهل وريدياً لا يسكن في وريبياً ، وكذلك العكس . ولا خصوصية للإقامة في ذلك ، لأنهم يحافظون على أماكنهم ، ولو في السفر . فلو انتقل السلطان بعساكره مسافراً ، متى ما نُصِبَتْ خِيْمَتُهُ في بقعة نصَّب

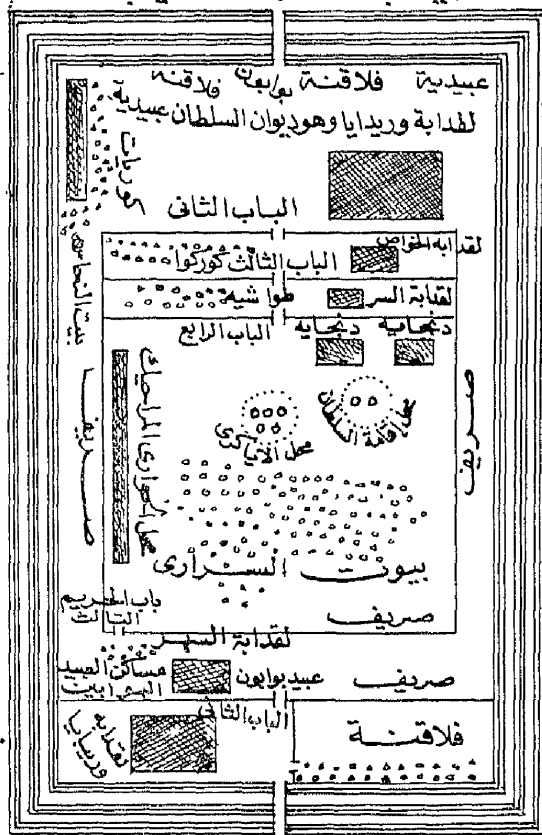
(١) ما تبتناه في المتن بين حاصرتين ، مأخوذ من الترجمة الفرنسية بعد صياغته في أسلوب مقارب لأسلوب المؤلف بقدر الامكان والراجح أنه سقط من الأصل العربى وعلى هذا تقوم الترجمة الفرنسية هنا مقام الأصل .

أنظر : Voyage au Darfour pp. 200 - 201

(٢) في الأصل : قريب .

دارعبدالسيد
دارسليمان
قبا
داراسحاق
دارالخال
دارام السلطان
دارجدة السلطان

بيت الفقيه
ماله
بيت الامين
دردوله



العساكرُ حَسَبَ ذلك ، كلُّ منهم في محلِّه المعلوم ، بحيثُ لا يكونُ بينَ المدينةِ في الإقامةِ
و بينَ المنزلةِ في السَّفرِ فرقٌ إلاَّ سَكَبَرُ المنازلِ ، واتساعُ البيوتِ .

وأما الجهاتُ ، فكلُّ منهم يعرفُ محلَّ البعضِ ، فكأنَّهم في المدينةِ . ومن ذلك
أنَّ السلطانَ يأتي بالليلِ إلى المنزلةِ فيعرفُ محلَّ سكناه من غيرِ سؤالٍ ، وكذا أتباعه ، كلُّ
وزيرٍ وأميرٍ يعرفُ منزله . وما ذلك إلا من المحافظةِ على المنازلِ .

وفي ذلك فوائدٌ منها : أنَّه لو أرسَلَ السلطانُ لإنسانٍ يطلبُه بالليلِ لا يسألُ المرسلُ
أحدًا ، بل يعرفُ أن منزلَ^(١) فلانٍ في الجهةِ الفلانية ، فيذهبُ إليه من غيرِ سؤالٍ أحدٍ .
وكذا لو أرسَلَ بعضُ الوزراءِ أو الملوكِ لبعضِهم ، حيثُ إنَّ المنازلَ محفوظةٌ لهم ، لا يتعبُ
رسُلُهم ، بل (١٨٨) كلُّ منهم يعرفُ منزلَ صاحبه ، وهذا من أغربِ ما يكونُ .

(١) في الأصل : منزلة .

الفصل الخامس

في ملابس ملوك الفور

وأما زيّهم في الملابس ، فاعلم أنّ بلادهم في الحرارة بمكانٍ عظيم ، ولشدّة حرّها لا يمكنهم أن يلبسوا إلّا الثياب الخفيفة ، لكن يتفاوتون في ذلك .
فالأغنياء يلبسون الثياب الرفيعة جدّاً ، بيضاء كانت أو سوداء .
وأما الفقراء فإنهم يلبسون ثياباً^(١) خشنّة .

وأما السلطان والوزراء والملوك ، فإن كلّ واحدٍ منهم يلبس ثوبين كالأقمصة رفيعين جدّاً ، إمّا ممّا يُجلب لهم من مصر ، أو ممّا يعمل في دارفور . لكن إن كانا من البيض فإنهما يكونان في غاية من البياض والنّظافة ، وإن كانا من السّود يكونان نظيفين أيضاً . ولا يتميّز السلطان عن غيره في ذلك إلّا بما يلبسه زيادةً على القميصين ، وذلك أنّه يضع على رأسه كشميراً ، وهم لا يمكنهم ذلك . والساطان يتلّم بشاش أبيض ، يضع على رأسه منه طيّات ، وعلى فيه وأنفه لثامٌ منه ، وعلى جبينه أيضاً ، بحيث لا يظهر منه إلّا الأحداق . لكن اللثام يشارك فيه أروندونونج والكأمته ، فإنهما يتلّمان كالساطان ، وكذلك السلاطين الصّغار يتلّمون أيضاً ، لكنّه يتميّز بالسيف المذهب ،

(١) في الاصل : ثياب .

والحِجَاب المذهب ، وبالمُطَلَّة إن كان راكباً ، وبالرَّيشِ وبالسُّروج المذهب (١٨٩)
والرَّكَّاب ، وعُدَّة الجواد التي لا يمكنُ سواه أن يجعلها على جواده .

وإن كان في محلٍّ جلوسه لا يتلَّثم إلا هو وحده ، ومن ذكر لا يمكنهم أن
يتلَّثموا بحضرتِه ، إلا إن كانوا راكبين معه ، أو كان كلٌّ منهم في محلٍّ
حُكمه وديوانه .

وأَنواع ما تلبسه أهلُ دارفور الأغنياء من الملابس من الجلوب : الشَّاشُ والبَقَّةُ
الإنجليزِي والثَّيابُ الحريرُ في يوم المهرجَان ، كيوم العيد ويوم تجليد النَّحاس . ولهم
مَلَحِفٌ يتلَّفَعُون بها ، وهي كالمَلَاة التي يُتَلَفَعُ بها في إقليم مصر ، وهي إمَّا من
الإلَاجَةِ ، أو مِن الشَّاش ، لكن يكون لها هُدُبٌ طويل . وهذه المَلَحِفَةُ يُتَوَشَّحُ
بها ، أو توضع على الصدرِ والأكتاف ، وإذا حضر لاسيَّها أمامَ السلطانِ يَشُدُّ بها وسطه ،
وذلك من كمالِ الأدب عندهم .

وإن كان من غيرِ الجلوبِ فالكلِّكف^(١) ، وهو ثوبٌ من قُطنٍ غزله رفيعٌ جداً ،
طوله عشرون ذراعاً ، وعرضه ذراعٌ واحد . ومتوسَّطهم يلبسُ من الجلوبِ الشُّوتر ، وهو
كنايةٌ عن العَبَكِ المصبوغِ أزرق^(٢) ، ويُجَلَّبُ لهم بعضُ قماشٍ من المغرب ، أى من
بلاد الوادَاي^(٣) والبرنو والباقوَمَه ، يسمَّى : التَّيِّكُو والقُدَّانِي ، لكنَّها غيرُ عريضة ، لأن
عرضَ الشُّقَّة قيراطان لا غير ، فيتعبون في خياطتها . والتَّيِّكُو والقُدَّانِي المذكورانِ سُودُ ؛

(١) الكلِّكف : قماشٌ وطني من نسيج خشن نوعاً أبيض اللون مع صفرة
خفيفة . وقد شاهدناه بأنفسنا أثناء زيارتنا لدارفور في شتاء سنة ١٩٦١ .

(٢) عبارة عامية .

(٣) في الأصل : الوددَاي .

لكن القُدَّانِي مع أنه أسود ، يُرَى في لونه (١٩٠) بعضُ لُحْمَةٍ ، فهو كلوب رقاب
الحمام السود .

ومن عجيب ما رأيته في ذلك أن لا يسه إذا تَفَحَّم^(١) خرجت النُخامة من صدره
سوداء ، وذلك أن النيلة تدخل في مسام جسمه حتى تؤثر في صدره .

وبالجملة فالغنى ، سلطاناً كان أو وزيراً أو ملكاً ، يلبسُ ثوبين وسراويل ، وعلى
رأسه طربوش ، وباقي الناس لا يلبسون إلا ثوباً واحداً وسراويل وملحفة إن تكن ،
وعلى رأسه طاقية بيضاء أو سوداء . وأكثرهم يكون رأسه عُريانياً .

وأما نسائهم فإِنَّهُنَّ يلبسن مِزْرَراً في أوساطهنَّ يسمَّى في عرفهم : الفرْدَة . ثم
الأبكارُ يلبسن فوطةً صغيرةً على صدورهنَّ ، يقال لها : الدَّرَاعَة . وهى لبِنَاتِ الأغنياء
تكون من حرير أو إلاجَة أو بَنت ، ولِبِنَاتِ الفقراء تكون من التَّسْكَكِي ، ويربطن
في أوساطهنَّ أشرطة^(٢) يجعلنَّ فيها الكُنافيس . والكُنفوس للِبِنَاتِ الصُّغار عندهن ،
عبارة عن منسوجٍ عَرَضُهُ أربع قراريط ، [و] طوله نحو من ثلاثة أذرع ، تأخذُه الواحدةُ
منهنَّ ، وتُدْخِلُ طرفه من الأمام في الشريط التي^(٣) في وسطها ، وتُقَوِّتُ الطَّرَفَ
الآخرَ بين فخذَيْها وتشبِّكه في الشريط من الخلف ، وهو كالْحِفاظِ عند نساء المدن في أيام
الحِيض ، إلا أن الكُنفوسَ عند نساء الفور لا يلبسنه لأجل الحيض ، (١٩١) بل يلبسنه مطلقاً .
وإذا تزوجت البكرُ لبست إزاراً كبيراً ، يسمَّى في عرفهم : الثَّوب ، وهو عبارة
عن مُلاءة تَلْتَفُ فيها المرأةُ ، ثم هو على قَدَرِ مقاماتِ النَّاسِ في الغنى والفقَر ، فنساء الفقراء

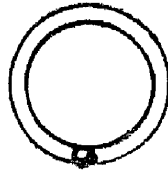
(١) تنخم دفع بشيء من صدره أو أنفه . والنخامة النخاعة (القاموس) .

(٢) فى الأصل : الشرطة .

(٣) كذا .

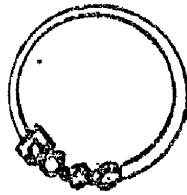
أَثَوَاهُنَّ مِنَ التَّكَامِي ، والأغنياء من الشُّوتَرِ أو الكَلَكَلِ أو التَّيَكُو أو القُدَانِي
أو البَقْت ، ولا يكونُ من حريرٍ ولا من إلاجية .

وأما حُلِيُّ النساءِ عندهمُ فإنَّهُنَّ يلبسنَ الخُزَامَ ، وهو للأغنياء من الذهب ،
وللمتوسّطين من الفضة ، وللفقراء من النحاس . وهو على نوعين : حَلَقِي وشَوَكِي ؛
فالْحَلَقِيُّ : عبارةٌ عن حَلَقَةٍ فيها ثَلَمٌ ، وهذا الثَلَمُ يُجَعَلُ فيه مَرَجَانَةٌ ، وهذه صورتُه :



[خُزَامُ حَلَقِي]

والشَوَكِيُّ : عبارةٌ عن حَلَقَةٍ ، نصفُها غليظٌ ، ونصفُها رفيعٌ كالشوكة ، يَجَعَلُنَ فيه
أربعَ مَرَجَانَاتٍ ، بينها حَبَّةٌ من ذهب ، أو ثلاثَ حَبَّاتٍ إحداها ذهب ، ورأسُ
طَرَفِهِ الغليظِ كحبةٍ مربعةٍ الأسطحَةِ ، وصورتُه هكذا :



[خُزَامُ شَوَكِي]

ويلبسنَ في آذَانِهِنَّ أَخْرَاصاً^(١) كِبَاراً من فضة ، يزنُ الخُرْصُ منهمُ نِصْفَ
رطل ، وَلِئَلَّا يَضُرَّ آذَانُهُنَّ (١٩٣) يربطنَه بعلَاقَةٍ في رُؤُوسِهِنَّ ، تَحْمِلُ ثِقْلَه

(١) أخراص جمع خرص وهو حلقة القرط .

عن الأذن . وهو عبارة عن حلقة واسعة أحد طرفيها شوكي ، والآخر كاللثة المربّعة الأسطحة كالخزام . ومن لم تجد خزاماً ولا خرصاً تسدّ ثقب أنفها بمرجانية ، أو حبة خرز مستطيلة ، وتسدّ ثقب أذنيها بقطعة من لبّ بوص الدخن أو الذرة أو قطعة من خشب . ويجعلن في أجيادهنّ عقوداً من أنواع الخرز كالمنصوص : وهو عندهم عبارة عن خرز أصفر من كبرياء ، وهو نوعان : كروى ومفرطح ، وتختلف أفراد كلٍّ منهما في الصّغر والكبر .

والرّيش : وهو عندهم عبارة عن خرز مستطيل أبيض فيه خطوط حلقيّة أبيض منه ، وخطوط سمر ؛ وهو على أنواع : أحسنها المسمّى عندهم بالسّوميت ، وكلّه جامد صلب كأنه من رخام ، يُجلب من الهند : وهو خرز رفيع مستطيل كثير الخطوط فيه سمر .

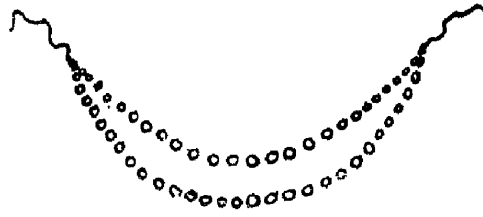
والعقيق : وهو عبارة عن خرز أحمر كروى كلّّه ، يتفاوت في الكبر والصّغر ، وهو من عقيق .

والمرجان : وهو نوعان ، نوع يسمّى القصّ ، وهو خرز أسطواني مستطيل قليلاً ؛ ونوع يسمّى المندردم ، وهو خرز كروى .

ودّم الرّعاف^(١) : وهو نوع خرز أحمر داكن ، منه ما هو أسطواني ، ومنه ما هو كروى ، وهو من زجاج (١٩٣) يُجلب من بلاد أوربا .

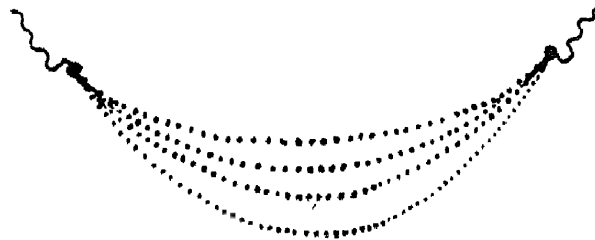
(١) كذا في الأصل بسكون الميم وفتح الراء ، والرعاف كغراب هو — كما جاء في القاموس — الدم يخرج من الأنف . وفي حاشية الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, P. 208. أن الفور الذين لا يعرفون العربية يسمونه دنجراف Dengeraf

والفاؤ: وهو مرجان صناعي كُروِيٌّ وطويل كلُّه ، فيعملون من جميع ذلك عقوداً ويلبسُها ، كلٌّ منهم على قدر حالها في اليسار وعدمه . فتري منهم من يكون لها عقد واحد ، ومن يكون لها اثنان هكذا :



[عقد بقرعين]

ومن يكون لها ثلاثة . وأغناهن لا تزيد على أربعة عقود هكذا :



[عقد بأربعة فروع]

ويرتبن الخرز المذكور فيها ترتيباً حسناً ، بحيث يألفه النظر ويميل للابسهِ القلب .

ويضعن على رؤوسهن تماثيل من حب نبات يسمى : الشوش — وهو حب صغير أحمر كالجلنار^(١) ، وفي جانب كل حبة منه نُكتة سوداء ، وهذا الحب رؤيته مفرحة جداً — ووديع وفول . وهذا الفول عندهم ذو ألوان ، منه ماهو أحمر ناصع

(١) الجلنار : زهر اليرمان .

الحرّة . ومنه ما هو تَبْنِيّ اللَّوْن ، ومنه ما هو أسود ، ومنه [ما هو] عَسَلَى . فيثَقَبَنَّ
الشُّوشَ والودَع والفول ، وينظِمَنَّ الشُّوشَ وحده تَمائم ، لكن يجعلَنَّ في أسفل كلِّ
تَمِيمَةٍ إمّا جُلْجُلًا أو ودَعَةً ، ويجعلَنَّها عناقيدَ هكذا :



[جلجل أو ودعة على هيئة عنقود تجعل أسفل التيممة]

(١٩٤) لكن يفصلَنَّ بين كلِّ تعريجةٍ بحرَ زِ أَرْزَق .

ويلبَسَنَّ في أوساطهنَّ خرزاً على أنواع :

فنساء الأغنياء يلبسَنَّ خرزاً كبيراً مثلَ الجوز ، يسمّى عندهم : رُقَادَ الفاقّة^(١) .

ونساء المتوسّطين يلبسَنَّ المَنجُور ، ونساء الفقراء يلبسَنَّ إمّا الحَرِشَ ، وإمّا الخُدُورَ ،

وجميعُ ما ذكر يُعْمَلُ في الخليلِ من برِّ الشام ، لكن رُقَادَ الفاقّةِ أَمْلَسُ جدّاً ، وهو ما بين

أخضرَ وأزرقَ وأصفرَ .

والمِشَاهِرَة^(٢) : وهو خرزٌ أسود منقط بنقطة بيض .

والمَنجُور كذلك في الألوانِ ، إلّا أنه أصغرُ حجماً منه ، وفيه حُرُوشَة وعدمُ

إتقان في صناعته . والحَرِشُ في لونهما ، لكنّه صغير كحَبِّ الشُّبْحَة ، مع الحُرُوشَة

الكَلِمَة ، وله غُضُونٌ .

(١) لعل المقصود بالفاقّة هنا : الافاقّة أى الراحة ويكون معنى « رقاد الفاقّة » ،
رقاد الراحة الذي تستمتع به نؤومات الضحى .

(٢) كذا ضبط اللفظ في الأصل ، ولكنه ورد غير معرف بالالف واللام .

وَأَمَّا الْخُلْدُورُ : فَإِنَّهُ حَبُّ أَسْطَوَانِيٍّ ، وَهُوَ إِمَّا أَحْمَرٌ أَوْ أَبْيَضٌ .

وَيَلْبَسُنَّ فِي أَذْرِعَتَيْنِ عِقْدًا يُسَمَّى الْمَدْرَعَةُ ، فِي السَّفْصِلِ بَيْنَ الزَّنَدِ وَالسَّاعِدِ ، وَهُوَ عِقْدٌ مَرْكَبٌ مِنْ خَرَزٍ أَسْطَوَانِيٍّ ، طَوْلُ الْخَرَزَةِ مِنْهُ ^(١) نَحْوُ قِيرَاطَيْنِ ، وَهُوَ إِمَّا أَبْيَضٌ أَوْ أَسْوَدٌ ، وَيُسَمَّى : الشُّوُورُ ، فَيَنْظُمُنَّ خَرَزَةً بَيْضَاءَ ، وَخَرَزَةً سَوْدَاءَ ، وَيَفْصِلُنَّ بَيْنَ كُلِّ خَرَزَتَيْنِ بِحَبَّةٍ ، إِمَّا مِنَ الْمَرْجَانِ الْحَرِّ أَوْ مِنَ الْمَرْجَانِ الطَّلِيخِ ، أَيْ : الصَّنَاعِي ، أَوْ مِنْ حَبِّ الرَّعَافِ ، وَذَلِكَ عَلَى قَدَرِ حَالِهِنَّ فِي الْفَقْرِ وَالْفَنَاءِ ^(٢) .

وَمِنْ حُلِيِّهِنَّ اللَّدَايُ : وَهُوَ سَلَكٌ غَلِيظٌ مِنَ الْفِضَّةِ ، (١٩٥) نِصْفُ دَائِرَةٍ ، فِي طَرَفَيْهِ اعْوِجَاجٌ كَالسَّنَّارَةِ ، فَيُؤْخَذُ سَلَكٌ رَفِيعٌ مِنَ النِّحَاسِ ، وَيُنْظَمُ فِيهِ مَنَصُوصٌ وَمَرْجَانٌ وَعَقِيقٌ ، وَيُرْبَطُ طَرَفَاهُ فِي الْاعْوِجَاجِ الَّذِي كَالسَّنَّارَةِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ ، فَيَكُونُ السَّلَكُ الرَّفِيعُ وَمَا هُوَ مَنْظُومٌ فِيهِ كَالْوَتْرِ لِلْقَوْسِ ، وَصَوْرَتُهُ هَكَذَا :



[اللَّدَايُ يَوْضَعُ قَرِيبًا مِنْ جِهَةِ الْمُرَّةِ وَيُشَبَّكُ فِي شَعْرِهَا]

فَيَجْعَلُنَّ الْوَتَرَ قَرِيبًا مِنْ جِبَاهِهِنَّ ، وَيُشَبِّكُنَّ السَّلَكَ الْغَلِيظَ فِي شَعُورِهِنَّ .
وَيَلْبَسُنَّ فِي أَيَادِيهِنَّ أَسَاوِرَ ^(٣) مِنْ عَاجٍ ، أَوْ مِنْ قَرْنٍ ، أَوْ مِنْ نَحَاسٍ . فَإِذَا كَانَتْ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : مِنْ

(٢) الْفَنَاءُ بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَالْمَدِّ : الْغَنَى .

(٣) فِي الْأَصْلِ : أَسَاوِيرًا .

قرن سميت بالكيم^(١)، [لكن أساور]^(٢) بنات الأغنياء من الفضة والعاج معا .
 و [يلبسن]^(٣) في أرجلهن الخلاخيل ، وهى من النحاس للجميع . لكن
 [خلاخيل]^(٤) بنات الفقراء من النحاس الأحمر ، و [خلاخيل]^(٥) بنات الأغنياء من
 النحاس المخلوط بالتوتيا ، فراراً من حمة النحاس المعروفة إلى الاصفرار القريب
 للون الذهب .

ويجمعان من أنواع الخرز الرفيع الملوّن عصابةً على جباههنّ وفي أياديهن .

* * *

وأما طيهنّ فهو السُنْبُل والمَحَلْبُ وكُغْب الطَّيْب - وهو المسمّى بعُرف الفور :
 عِرْقٌ أَمَّ أبيض ، لسبب لونه الأبيض بشيء أسمر وأصفر^(٦) ، ويعرف مصر : عِرْقَ
 بنفسج ، بسبب رائحته - وخشبُ الصَّنْدَلِ ، وشيء كالحجار الصّغير ، يقال له : الطُّفَرُ وهو
 (١٩٦) أسمر إلى سواد والشَّيْبَةُ والمرَّسِين .

وبعضُ الأكابر يتطَيَّبون بالجِلاد وهو جلد نَوَافِج^(٧) المسك ، وعندهم ثمرُ شجرٍ

(١) فى الأصل : « من عاج أو من قرن فاذا كانت من قرن سميت بالكيم أو من
 نحاس » والصيغة المثبتة فى المتن يقتضيها السياق من ناحية ، ثم هى كذلك

فى الترجمة الفرنسية Voyage au Darfour, p. 210.

(٢-٥) زيادات للتوضيح عن الترجمة الفرنسية ibid. op. cit., pp. 210 - 211

(٦) يريد اللون الأبيض المشوب بسمرة وصفرة .

(٧) فى الأصل : نوافج بالخاء ، والنوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك معرب ، عن
 نافه . ولذلك جزم بعضهم بفتح فائها (شرح القاموس) .

زكى^(١) الرائحة يسمّى : الدَّايُوق ، وهو حبّ أحمرٌ يميلُ إلى الصفرة ، يَسَحَّفَنهُ^(٢) النساءُ ويخلطنّه بطيبهنّ .

ومن عاداتهنّ أن يكتحلنّ بالإيمد ، لكن لا يضعنّ الكحلّ في أعينهنّ ، بل يجعلنّه على الأجنانِ السفلى والعلوى من الخارج ، فيلتصقُ عليها بواسطة الدّهن ، ويكتحلنّ عشاقهنّ كذلك ، فترى الشبابَ والشاباتَ كلّها متكحّلة^(٣) كذلك .

* * *

ومن عاداتهم أن العاشق يأخذ من محبوبته شيئاً من حلّيتها المعروف ، ويلبسه افتخاراً له ، وتذكّراً لاسمها . وإذا أصابه مُهمٌّ ، أو عَثْرٌ ، يقول : أنا أخو فلانة ، وهي تقول كذلك أيضاً .

وأكثرهم لا غيرةَ له على عرضِهِ ، فربّما دخلَ الرجلُ دارَهُ فوجدَ امرأته مع غيره في خلوة ، فلا يغضبُ إن لم يجده على صدرِها . وأما إذا دخل ووجد ابنته أو أخته مع أجنبيٍّ لا يسوؤه ذلك ، بل ربما سُرَّ به ، وظن أن ذلك يكون سبباً لزواجها .

ومن عاداتهم أن البنات إذا طعنَ نديها ، يُفردون لها محلاً تبيتُ فيه ، ويأتيها من يحبّها فيه وتبيت معه . ومن ذلك يقع الحبّلُ بأكثر بناتهم ، ولا عارَ عليهم في ذلك . وولد الزّناء^(٤) عندهم يُنسبُ لخاله وكذلك البنات . فالبناتُ التي تكونُ من هذا (١٩٧) القبيلِ يزوّجها خالها ويأكلُ من صداقها مالاً ، لاسيّما إن كانت جميلةً .

(١) في الأصل : ذكى .

(٢) كذا .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل زناء بدون «ال» وزناء يمد ويقصر .

وبالجملة لا يمكن في دار الفور أن تمتنع النساء عن الرجال ، ولا الرجال عن النساء . بل لا يمكن الرجل أن يُحرز ابنته تحت كنفه ولو كان عظيماً ، أما إن كان فقيراً فإنه يُهان ويؤذى وربما قتل .

ومن ذلك ما اتفق أن رجلاً كانت له ابنة ، وكان يغار عليها ، ولا يرضى أن يكلمها أجنبي . ومن شدة خوفه عليها كان يقهرها على البياض معه ، في الحل الذي هو فيه ، وكانت من الجمال بمكان . فكان الشباب يأتون على عاداتهم إلى بيت أبيها ، فإذا حسّ^(١) بهم زجرهم ولعنهم وطردهم . فلما أعيام أمره احتالوا عليه ، وأخذوا قرعةً مستطيلةً قليلاً ، تقرب من الشكل البيضى ، تنتهى بعنق ، وفتحوها من أعلى ، وأخرجوا لبها ، وملأوها غائطاً وبولاً ، وحرّكوه حتى امتزج ببعضه ، وتوجهوا إلى منزله ليلاً ونادوه : يا والدنا ، مُرْ فلانة تأتِ لنتحدث معها . فقام على عادته ، ولعن وسب وزجر ، فما أفاد ذلك ، بل قالوا له : نحن لا نبرح حتى تُخرجها لنا . فاغتاظ منهم وخرج قاصداً طردهم . ومن عاداتهم أنهم كانوا إذا سمعوا أنه خارج إليهم ، يفرّون منه لهيبته ، إلّا في تلك الليلة ، فإنهم ثبتوا ، ومَسَك^(٢) أحدهم القرعة من عنقها ، وكمن له حتى أخرج رأسه (١٩٨) من باب البيت ، فرفع يده بقوة ، وضرب بها^(٣) رأس الرجل بالقرعة ، فانكسرت على رأسه ، وسال الخبث الذي فيها على رأسه

(١) كذا في الأصل : حس بغير همزة ، وسنرى فيما بعد أن المؤلف يستعمل المضارع «أحس» بفتح الهمزة وكلتا الصيغتين عامية .

(٢) وكذلك نجد المؤلف يستعمل الصيغة العامية هنا فيقول : مسك ، بدل : أمسك .

(٣) كذا بالأصل ، واستعمال «بها» هنا مع لفظ «بالقرعة» أثر من آثار اللهجة السودانية في أسلوب المؤلف .

ولُيَابِه وجهه ، فلما شَمَّ الرَّائِحَةَ السَّكْرِيَّةَ ، صاح يَشْتُم ، فقالوا له : اسْكُتْ ، هذه الليلة فعلنا هذا معك ، والليلة القابلة إن عارضتْنَا قَتَلْنَاكَ . فأيقظ الرجلُ أهله ، وجاءوه بماء ، فاغْتَسَلَ وتطَيَّبَ ونام وخاف منهم ، فلما أصبح أفرد لابنته حَجَرَةً لِنَوْمِهَا قَهْرًا عنه ، وجَرَتْ عليها عَادَتُهُمْ .

وإن كان غَنِيًّا صاحبَ حِشْمَةٍ وَأَبْهَةٍ وَعَبِيدٍ وَخَدَمٍ ، يتَحَيَّلُونَ في الدخول إلى الحريم بالليل ، ولو على زِيِّ النساء .

ومن ذلك ما اتَّفَقَ أن رجلاً من أكابر الناس ، له سبعة أولاد ذُكُور^(١) ، وله بنتٌ واحدة ، وكانت فريدة حُسنٍ ، وقد خطبها منه أناس كثيرون فأبى عليهم ، فحين طال الأمد على البنت ، تحيَّلت وأدخلت شابًّا لطيفًا من الشجاعة بمكان ، فسكت عندها ما شاء الله أن يمكث ، وافتقده أهله فلم يعرفوا له جهة . فاتفق أنه أتى بشراب فشرب ، ولما أخذته النشوة طلب الخروج فقالت له البنت : أصْبِرْ^(٢) إلى الليل . فأبى وقال : لا أخرج إلَّا الآن . وغلب عليها وخرج ، وكان أبوها وإخوتها جالسين على باب بيتهم ، فاشعروا (١٩٩) بالشاب إلَّا وهو خارج ، فصاح أبوهم على بواب البيت : اقفل الباب . فلما قفل الباب أمر العبيد بالقبض عليه . فاجتمعت العبيد ليقبضوا عليه ، فخرج منهم أناسًا وامتنع عليهم ، فخرج الأولاد السبعة مُجَرَّدِينَ السلاح عليه ،

(١) في الأصل : ذكورا .

(٢) كذا في الأصل بهمزة مفتوحة ، وهي لهجة سودانية وهذه قاعدة مطردة في فعل الأمر ، إذ يفتحون همزته باستمرار ، عدا بعض الأفعال الشاذة .

قاصدين قتله ، فناشدهم الله إِلَّا أَبْعَدُوا عَنْهُ وَتَرْكُوهُ يَمْضِي^(١) إِلَى سَبِيلِهِ فَأُبَوُّا ، وَثَرَامَوْا عَلَيْهِ فَفَرَّ مِنْهُمْ ، وَرَمَاهُمْ بِالْحَرَابِ فَقَتَلَ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وَرَمَوْهُ بِالسَّاحِ يَرْمُونَ قَتْلَهُ ، فَصَارَ يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرْمِيهِمْ ، حَتَّى قَتَلَ مِنَ الْأَوْلَادِ سِتَّةً ، وَجَرَحَ السَّابِعَ جُرْحًا خَفِيفًا ، فَحِينَ رَأَى وَالِدُهُمْ ذَلِكَ نَادَى : يَا غَلَامَ ، افْتَحْ لِي الْبَابَ . فَمَتَّحَ لَهُ وَخَرَجَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ جُرْحٌ ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَنْ هُوَ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُتَنَقِّبًا . وَكَانَتْ ابْنَتُهُ سَبِيًّا فِي خَرَابٍ بَيْنَهُ وَقَتْلِ أَوْلَادِهِ .

وَوَقَائِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، تَذْهَبُ الدَّمَاءُ فِيهَا هَدْرًا ، لِأَنَّ الْبَنَاتِ الَّتِي يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ شَأْنِهَا ، لَا تُخْبِرُ النَّاسَ بِاسْمِ الْقَاتِلِ وَلَا مَنْ هُوَ ، بَلْ قُصَارَى أَمْرُهَا ، إِذَا سُئِلَتْ عَنْ فِعْلٍ هَذَا الْفِعْلِ ، أَنْ تَقُولَ : لَا أَعْلَمُ . وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بَيْتٌ فِيهِ أَشْيٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ وَخْشًا ، أَوْ بِهَا عَاهَةٌ تَنْفِرُ النَّاسَ عَنْهَا .

وَقَدْ اجْتَهَدَ السُّلْطَانُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي مَنْعِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ^(٢) ، (٢٠٠) حَتَّى إِذَا جَعَلَ فِي السُّوقِ خِصْيَانًا كَثِيرِينَ ، يَمْنَعُونَ النِّسَاءَ مِنْ مَخَاطَبَةِ الرِّجَالِ وَالِاخْتِلَاطِ بِهِمْ ، فَاحْتَالُوا فِي ذَلِكَ حِيلًا مُعْجِبَةً .

مِنْهَا : أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَمُرُّ بِالْبَنَاتِ الَّتِي تُعْجِبُهُ فَيَقُولُ لَهَا : يَا بِنْتِي ، مَا لَكَ رَاسِيكَ شَيْنٌ مِثْلَ دِيكَ الشُّوْكَتَايَةِ^(٣) ؟ ! وَ « مَا لَكَ » ، أَعْنَى : لَأَيِّ سَبَبٍ . وَ « شَيْنٌ » ، بُعْرَفُهُمْ : غَيْرُ جَمِيلٍ . فَتَقُولُ هِيَ : وَيَنُ الشُّوْكَتَايَةِ الشَّيْنِ ، الْمِثْلُ رَاسِي ؟ وَ « وَيَنُ » ،

(١) فِي الْأَصْلِ : أَنْ يَمْضِيَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ .

(٣) سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِالشُّوْكَتَايَةِ فِي ص ٢٠٢ .

بمعنى : أين هو ؟ فيقول : ديكاً . أئى : ذاك . وينعتها لما ياصبغه فتعريفها . وبعد المساء تذهب إليه فتبيت عنده ، ولم ينفع الحرس بشيء .

كما أنه اجتهد فى منع شرب الخمر فما أمكنه ، واحتالت الناس حيلة عظيمة ، حتى كانوا يأتون لبيوت الخمارين ، ويشترى منهم الخمر ، ويورون^(١) لمن يراهم أنهم يشترى خبزاً ، فكانوا يقولون بلغتهم : تَقْرُو بَا يَنْسَا^(٢) . أى : خبزكم عند هل . أى : هل عندكم خبز ؟ فإن خافوا أن يكونوا جواسيس طردوهم بقولهم : أكباً . يعنى : ما عندنا . وإن عرفوا أنهم أغراب ، يدخلوهم^(٣) داخل الدار ويعطوهم ما يريدون .

وكان السلطان فى أثناء ذلك ، يأمرُ بشتم أفواه من حضر مجاسه من أكابر الدولة ، وهم أكثر الناس إدماناً على الخمر ، فاستعملوا لإزالة الرأحسة مضغ فروع شجر يقال له الشعلوب ، (٢٠١) فكانوا يشربون كفايتهم ثم يمضغون منه فلا تَشْمُ من أفواههم رائحة الخمر ألبتة . وهذه عوائد ارتسكزت فى طبائعهم ، وامتزجت بدمهم ولحمهم ، فصارت سنة متبعة ، وإن كانت فى الإسلام محرمة .

ومن عوائدهم : أن الرجل إذا تزوج وكان فقيراً ، ولم يواسوه أهله الأغنياء ، وجاء يوم الوليمة ، يعمد إلى مَرعى المواشى حتى يجد ماشية أقرب الناس إليه فيعقر^(٤) منها ما يكفيه لوليمته : ثوراً أو ثورين أو بعيراً ، إن كان صاحب إبل . وإن لم يكن شئ

(١) كذا ، وهو صيغة عامية .

(٢) تقرو : خبز ؛ با : أنتم ، كم ؛ ين : عند ؛ سا : أداة استفهام Voyage... P 215 وقد سمعنا بانفسنا لفظ تقرو أى الخبز فى منطقة جبل مرة فوجدناهم ينطقونه : تقور ، ومعناه : الكسرة أى الخبز .

(٣) فى الأصل : يدخلونهم .

(٤) يعقر : يجرح .

ذلك ، ذبح أكباشاً على قدر كفايته . فإن فُطِنَ ربُّ المالِ له ومنعَه قُبَلَ العقر ،
ربما قاتله إلا أن يغلب . وإن شَحَّ وطلبه للقاضى يَكْزِمُهُ القيمة ، فيدفعها له على التدرىج ،
إن لم يكن متيسرَ الحال .

ومن عاداتهم : أن العلام إذا اختتن ، يجتمع عليه فى ثالث يوم ختنه إلى سابع
يوم جميع غلمان البلد وغيرهم ، ممن له بهم قرابة أو معرفة ، يأخذون السفاريك^(١) ،
ويخرجون فى بلدهم والبلاد القريبة منها ، فلا يروَن دجاجةً إلا قتلوها ، وإن قدروا على
ضبطها بالحياة ، أخذوها حتى يجتمع عندهم دجاج كثير ، ولا يقدر أحدٌ من الناس
يعارضهم^(٢) فى ذلك . وكلُّ من عارضهم ضربوه . وهم صغار ، لا تقام عليهم شريعة .
ومن عاداتهم : ختن البنات لكنهم فى ذلك على (٢٠٢) أقسام : فمنهم من
لا يرى ذلك أبداً ، وهم أعجم القور . ومنهم من يخفّض خفّضاً خفيفاً كعادة أهل مصر ،
وهم أكابر الناس . ومنهم من يُنْهِك الخفاض ، حتى يلتحم الحِلّ بيمضه ، ويعملون
لمسك البول ماسورةً من صفيح . وهؤلاء إذا زوجوا ابنتهم ، لا يقدر الرجل على
افتضاها ، حتى يشقوا^(٣) له الحِلّ بالموسى . وهناك نساء لهذا المعنى ، وفى وقت الولادة
كذلك أيضاً . وهؤلاء أكثر بنات الفقراء المنهكات مع الرجال دائماً . ويفعلون
ذلك خوفاً الافتضاى بالزنا ، ومع ذلك يقع الحبلى فيهن ، وهن على
تلك الحالة .

وفى خفاض البنات يعملون أفراحاً عظيمة ، ويُولون الولائم العظيمة . ومن عاداتهم

(١) السفاريك جمع سفروك وقد سبق التعريف به .

(٢) كذا .

(٣) فى الاصل يشقون .

أن أقارب البنت المحنوسة من الرجال ، يقفون خارج الحل الذي تُحفّض فيه البنت ، والنساء يكنّ عندها ، فإن صوّتت وقت انخفاض وصاحت لعنوها وتركوها ، وإن صبرت وهبها كل من أقاربها على قدر حاله وقرايته ؛ فمنهم من يهب لها بقرة ، ومنهم من يهب [لها] بقرات ، ومنهم من يهب لها رقيقة ، ومنهم من يهب لها شاة أو شيها ، حتى نصير من ربّات الثروة . وأبوها وأُمّها يهبان لها أكثر من جميع الناس إن كانوا أغنياء .

ومن عاداتهم : أن يثقلوا مهور البنات ، (٢٠٣) فربّما تزوّجت البنت الوسيمة من الفقراء بعشرين بقرة وجارية وعبد . فيأخذ الأب والأم جميع ذلك ويعقدون العقد على جدّة^(١) من البقر ، ولذلك يفرحون بولادة الإناث ، أكثر من ولادة الذكور ، ويقولون : « إن الأنثى تملأ الزريبة خيراً ، والذكر يخرّبها » .

ومن عاداتهم : أن البنت إذا تزوّجت ، تمكث بعد الدخول بها في بيت أبيها سنة أو سنتين ، ولا يمكن خروجها لبيت زوجها إلّا بعد جهد جهيد . والنفقة في تلك المدّة على أبيها ، وما يأتي به الرجل في تلك المدّة يكون على سبيل الهدية .

ومن عاداتهم : أن الرجل إذا خطب بنتاً ، وكان قبل ذلك له اختلاط بأبيها وأُمّها ، وكانت لها اختلاط بأبيه وأُمّه أيضاً ، تذهب تلك الخالطة بمجرد الخطبة ، ويستوحش كل منهن . فبعد ذلك إذا رأى الرجل أبا البنت الخطوبة أو أُمّها ، يفرّ من الطريق التي هو عليها ؛ وهما كذلك . وكذلك البنت تفرّ مهما رأت أباه أو أُمّه . وفي أثناء ذلك ، إذا دخل الرجل البيت يرسل السلام لأُمّ البنت ، إمّا مع البنت أو أختها أو جارية

(١) الجدعة من البقر : ما كان لها سنتان .

في البيت ونحو ذلك ، وهي ترسلُ له السلام أيضاً ، ولا يتلاقيان . ولا يزالون كذلك حتى
ينبغيَ بها ، فعند سابع يومٍ من البناء يخرجُ ويقبّل رأسَ حمّاهُ وحمّاتِهِ ، ويجتمع عليهما ،
وكذلك البنتُ .

ومن عاداتهم : أن كلاً من (٢٠٤) الزوج والزوجة ، يرى أقاربَ زوجِهِ كأقاربه ،
فيحترمُ الرجلُ حمّاهُ ويخاطبُهُ : يا أبتِي ، وأمُّ امرأتهُ يخاطبُها بأُمِّي ، وأختُها بأختِي ؛
وهي كذلك . ويرَوْن ذلك من آكِدِ الحقوقِ عليهم ^(١) .

(١) لم يلتزم المؤلف هنا ، ولا في صفحة ٢٦٨ ، ما رسمه لنفسه من تقسيم
للمقصد (ص ١٣٢) الى أبواب وفصول ، فأضاف الناشران ما بين
الحاصرتين ، رغبة في السير على نمط واحد في ترتيب الكتاب .

(البَابُ الثَّانِي)

[وفيه فصلان]

(١) الفصل الأول

في اصطلاح تزويج الفور

لما كان المتوحدُّ في ذاته وصفاته وأفعاله غنيًّا عن الزوج والولد ، ما انفصل عن أحد ، ولا ينفصل عنه أحد ، إذ لا يحتاج لما ذكر إلا الحادثُ المسكين ، الذي لا سند له إلا الله ولا معين ، وهو سبحانه وتعالى حيٌّ قيوم ، لا تأخذه سنةٌ ولا نوم ، واحدٌ أحد ، فردٌ صمد ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا^(٢) ، ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له كفوًا أحد ، خلق آدمَ أبَا البشر من التراب ، وخلق حواءَ زوجَه من أقصر ضلعٍ من الجهة اليسرى على الصواب .

ولما كان سرُّ خلقه أن يكونَ خليفةً في الأرض ، ويملاً من نسله طولها والعرض ، ركبَ فيهما الشهوةَ البشرية ، ليحصلَ التناسلُ وفق^(٣) الإرادة السنية .

(١) في الأصل : فصل .

(٢) كذا بترك نصب « ولد » مراعاةً للسجع .

(٣) كذا بكسر الواو بدل فتحها .

وكان آدم حين خلقت حواء في سِنَّةٍ من النوم ، ولما أفاق رآها أمامه على ترتيبٍ منظوم ، فوَقَعَتْ منه موقع الإعجاب ، وقال لها : مَنْ أَنْتِ يَا أَعْزَّ الأَحْبَابِ ؟ قالت : أنا حواء ، وقد خلقتني الله من أجلك يا آدم ، وقدَرَ ذلك من أزلٍ تقادَم . فقال لها : هَلُمَّ (٢٠٥) إلى . فقالت : بل أَنْتَ تَعَالِ (١) إلى . فقام آدم إليها ، فصارت عادة الرجال الذَّهَابَ إلى النساء .

ولما أن جلس معها ، ومسَّ يَدَيْهِ جَسَمَهَا ، [و] دَبَّت فيه الشهوةُ الإنسانية ، وأراد مُواقعتها كما هو مُقتضى الحيوانية ، قيل له : مَهْ (٢) يَا آدَمُ ، لَا تَحِلْ حَوَاءَ إِلَّا بِصَدَاقٍ وَعَقْدٍ نِكَاح ، ثم إن الله سبحانه وتعالى خطبَ خُطْبَةً نكاحهما بكلامه القديم فقال : الْحَمْدُ لِعَزَّتِي ، وَالْعِظْمَةُ هَيْبَتِي ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبِيدِي . وَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي ، وَسُكَّانَ سَمَوَاتِي ، أَنِّي زَوَّجْتُ بِدِيعَةِ فِطْرَتِي ، حَوَاءَ أَمَّتِي ، لِآدَمَ خَلِيفَتِي ، عَلَى صَدَاقٍ أَن يُسَبِّحَنِي وَيُهَلِّلَنِي . فكان ذلك سُنَّةً لأَوْلَادِهِ .

لكن لما اختلفت الأقاليم واللغات ، وتعددت القبائل والاصطلاحات ، كان اصطلاحُ كُلِّ قومٍ مَبَايِنًا لاصطلاحِ آخرين ، وإن كان العقدُ والمهرُ واحداً .

فمن اصطلاحِ الفور ، أَنَّ الشَّابَّ إِنَانًا وَذُكْرَانًا ، يَنْشَتُونَ جميعاً ، ففى صِغَرِهِمْ يَرَعَوْنَ الأغنام ، ولا حجاب بينهم على الدوام ، فربَّما اصطحبَ الشَّابُّ والصَّبِيَّةُ من ذلك الحين ، وانعقدت بينهما المودةُ التي لَا تَبْلَى على كَمَرِ السنين . ففى أَحَبَّهَا وَأَحَبَّتَهُ ، ركن

(١) فى الأصل : تعالى .

(٢) مه : اكفف .

إليها ، وصار يغارُ عليها ، ولا يرضاهما تحادثُ غيره . وحينئذٍ يرسلُ أباه أو أمه أو أحد أقاربه فيخطبها ، فإذا انعقد بينهما الكلام ، ونُفِّذَ على وَفْقِ المرام ، مُجِعتُ (٢٠٦) الناس للإملاك ، وحضر الشهود للملأك^(١) ، فيذكرون شروطا كثيرة ، ويطلبون أموالاً غزيرة ، وكلُّها يأخذها الأب والأم ، أو الخال أو العم ، ويعقدون لها على شيء قليل ، من ذلك المال الجزيل ، وكنا قد ذكرنا نبذة من ذلك ، فلنُراجع^(٢) هنالك^(٣) .

ثم بعد تمام العقد يتكون الأمر نسيًا منسيًا مدةً طويلة ، ثم يجتمعون فيها بينهم ويتشاورون ، فينعتق رأيهم على وقتٍ فيه يُرَفُّون ، فإن كان العروسان من ذوى البيوت الفخام ، والمراتب العظام ، ابتداءً أهلهما في تهيئة الذبائح والشراب ، قبل العرسِ بأيام كثيرة ، ثم يرسلون الرُّسلَ إلى أحبابهم من البلاد ، ويقولون : العرس في اليوم الفلاني المعتاد . ويكون^(٤) قد حضروا من المِزْرِ^(٥) والنَّبِيدِ الأحمر المسمى عندهم بأُم بُلْبُل ، ومن البقر والغنم ما فيه كفاية . فتأتى الناس في اليوم الموعود أفواجاً أفواجا ، وهناك نساء معهنَّ طبولٌ صِغار وكِبار ، كلُّ امرأة معها ثلاثة طبول ، اثنتان صغيران ، وآخر كبير على هيئة الدَّرْبُكَّة ، تضعها تحت إبطها الأيسر ، أحدها وهو الكبير من أعلى ، والاثنتان يحاذيان أسفل الكبير ، وتضربُ بيدها على الثلاثة ، ومجموعها يسمى عندهم : الدُّوَكَّة . وكلما جاءت طائفةٌ خرجت النساء بالطُّبول و[هن] يضربنَّها ، ويقُلْنَ كلاماً يمدحُنَّها به ، منه قولهن : (٢٠٧)

(١) الاملاك والملأك بكسرهما ويفتح الثانى : التزوج أو العقد (القاموس) .

(٢) فى الاصل : فلترجع .

(٣) راجع ص ٢١٩ - ٢٢٦ .

(٤) كذا فى الاصل .

(٥) فى القاموس : المزر بالكسر نبيل الدرة والشعر .

هِيَ بَانِي هِيَ بَنَاتُ
وَبَنِينَ حَسَّ الْبَنَاتُ
يَاهَزَّازِينَ الْقَنَاسَا
أَرَيْتُ^(١) مَا يَجِيئُكُمْ فَنَّا
عَيْنَ الْحُسُودِ بِالْعَمَى
يَا هَزَّازِينَ الْخَرَابِ
أَرَيْتُ مَا يَجِيئُكُمْ خَرَابُ
عَيْنَ الْحُسُودِ فِي التُّرَابِ

وَكَلَّمَا قَالَتْ كَلَامًا ، قَالَتْ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ غَيْرَهُ :

هِيَ بَانِي هِيَ بَنَاتُ
وَبَنِينَ حَسَّ الْبَنَاتُ

إِنَّمَا هَذَا الْكَلَامُ لَا يَعْنِي شَيْئًا بِالْحَقِيقَةِ .

وَكُنْتُ مَرَّةً جِئْتُ إِلَى عُرْسٍ ، فَتَعَرَّضْتُ لِي امْرَأَةٌ وَقَالَتْ :

الْشَّرِيفُ جَاءَ مِنَ الْمَسِيدِ^(٢)
الْكِتَابُ فِي إِبْدِ
وَالسَّيْفُ فِي إِبْدِ
وَمِنْ قَبْلِ يَجِيبُ
الْبَرِّ قَدْ عَبِيدُ^(٣)

وَكُنْتُ أَحْفَظُ مِنْ كَلَامِهِمْ كَثِيرًا نَسِيئُهُ .

(١) أَرَيْتُ ، لَفْظَةٌ عَامِيَّةٌ ، أَصْلُهَا : يَا لَيْتَ .

(٢) الْمَسِيدُ : الْمَسْجِدُ .

(٣) قِيلَتْ هَذِهِ الْأَغْنِيَةُ فِي مَدِيحِ رَجُلٍ يَتَصَفَّ بِالْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ وَفِي الدَّلِيلِ عَلَى شَجَاعَةِ الْمَدُودِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ قَبْلِ يَجْلِبُ جَمَاعَاتٌ مِنْ قَبِيلَةِ الْبَرْقَدِ وَيَسْتَرْقَهُمْ

Voyage, p. 226

فتخرج أصحابُ العُرس ، (٢٠٨) ويتلقَّونَ القادمين ، و[في] كل طائفة تأتي رجال ونساء ، فيجعلون كل طائفة في محلّ ، ويأتونَ لهم بالأطعمة والأشربة على حَسَب مقامهم . فمنهم [مَنْ] يأتونهم بالعصائد^(١) والمِزْر ، المسمى في مصر بالبُوزة ، واللحم السليق والشوا^(٢) . ومنهم مَنْ يأتون له بالفطير والشراب الأحمر الذي كالنبيذ ، المسمى عندهم بأم بلبل . وإن حضرهم جماعة من الفقهاء ، أتوهم بالعصائد والأحوم والشونيا ، وتسمى عندهم : دِينَزَايَا ، ثم يُقيُّون في أماكنهم حتى يبردَ الحرُّ ، ويعطَّم النَّيْء .

فتخرجُ الشَّاباتُ من النساء متزيَّئات ، والشبابُ من الرِّجال في أكمل زينةٍ يقدرون عليها . وتصطفُ النساء صفوفاً صفوفاً ، وكل [صَفّ] من النساء يقابله صفٌّ من الشُّبان . وتخرجُ النساءُ التي^(٣) معهنَّ الطُّبولُ ، فيضربن ويَقْنان من كلاميهنَّ ، فيبرزُ صفٌّ من صفوف النساء يمشين هَوْنًا ، ويرقصن بأكتافهنَّ ، ويتفاصرن إلى الأرض ، حتى يصلن إلى صفِّ الرجال . فكلُّ شابةٍ تعمدُ شابًا حتى تضعَ وجهها في وجهه ، وتهزُّ رأسها نحوه حتى تضربه بصفائرها في وجهه - وصفائرها إذ ذاك مدهونةٌ بالطيب وأنواع ما يعرفونه من العطر - فيهبجُ الشابُّ ويهزُّ حربته على رأسها ، ثم تلتفتُ راجعةً فيتبعها حتى إلى^(٤) مكانها الأول ، فيقفُ فيه الرَّجلُ ، وترجعُ هي القهقرى حتى تصل إلى الحلِّ الذي كان واقفًا فيه الرجل . فحينئذٍ مَنْ يتأملُ يجد صفًّا النساء

(١) العصائد جمع عصيدة .

(٢) في الأصل : والشوى .

(٣) كذا .

(٤) كذا في الأصل ، بحرفي الغاية كدأب المؤلف في عدة مواضع من الكتاب .

ثبت في مكان صف الرجال وبالعكس ، (٢٠٩) وإذا كان هناك بعض شُبَّان لم يدخلوا في الصف ، وإحدى الصَّبَايا تريد أن يقابلها واحدٌ منهم تألفه ، تخرج من الصف وتذهب إليه راقصةً حتى تكبَّ شعرها على أنفه ، فيهيجُ ويصيحُ ويهزُّ حُرْبَتَهُ ويخرج وراءها ، وإن لم يخرج كان ملوماً ، وعليه وليمةٌ للخارجة له .

وبعد أن يثبَّت كلُّ صف في مكان الآخر ، تخرج النساء راقصات ، والرجال راقصين ، وكلُّ منهما مقابل للآخر ، وكلُّ شابةٍ مقابلة لشاب ، حتى يتلاقى ^(١) الصَّفَانِ في وسط المجال . وكلُّ شابةٍ تكبُّ رأسها في صدرِ وجه الشاب المقابل لها ، والشابُّ يهزُّ حُرْبَتَهُ على رأسها ويصيحُ صياح الفرح ، وهذا الصياحُ عندهم يسمَّى : الرَّقْرَقَة . وكلُّ من النساء والرجال تَمِلُّ ^(٢) مما شرب ، ولا يزالون هكذا حتى يأتي الليل ، فترجع كلُّ طائفةٍ إلى مقرِّها ، ويؤتى لها بالأطعمة والأشربة .

هذا ولا يخطُرُ ببالك أنه ليس عندهم رقص إلا هذا النوع ، وهو المسمَّى برقص الدَّلْوَكَة ، فهناك ^(٣) رقص آخر يسمَّى بالجليل ، وآخر يسمَّى : لَنِّي ، وآخر يسمَّى : شَكَنْدَرِي ، ورقصُ العبيد والإماء يسمَّى : تُوَزِي ، ورقصُ الفور ^(٤) يسمَّى : تَنْدَنِيحَه ، وهناك رقص آخر [للعبيد والإماء] ^(٥) يسمَّى : بَنْدَلَه .

(١) في الأصل : يتلاقا .

(٢) في الأصل : نمل ، بفتح الناء والميم .

(٣) في الأصل : وهناك .

(٤) في الترجمة الفرنسية (Voyage, p. 229) أن هذا النوع من الرقص خاص بالفور الأصليين الذين يسميهم المؤلف أعجام الفور وهم التسموركة والكراكريت .

(٥) الزيادة على ضوء الترجمة الفرنسية Voyage, p. 229 .

وفى الأعراس كلُّ أناسٍ يرقصون نوعاً من هذه الأنواع . فالنساء الجلياتُ بناتُ
الأكابر يرقصن مع أمثلهن من الشبان على الدُّلوكَة ، وأواسطُ (٢١٠) النساء مع أمثلهن
من الشبان يرقصن الجليل ، ومن دونهنَّ (١) يرقصن [الـ]لنقى .

فأما رقصُ الجليل فتتقابلُ فيه النساء مع الرجال ، يرقصن بأكتافهنَّ وبضربن
بأرجلهنَّ اليمنى على الأرض ، والرجالُ كذلك ، لكن فى كلِّ حلقة هنالك نساء
يغنين ، والناسُ ترقصُ على غنائهن .

وفى رقصِ اللنقى : بعضُ النساء يغنين ، والشاباتُ والشبانُ يضربون (٢) بأرجلهم
الأرض ، ويرقصُ كلُّ منهم برجليه اليمنى واليسرى ، لكنَّ الشبانَ يكرهون كريباً (٣)
معروفاً لهم .

وأما الشكندري : فيجتمعُ الشبانُ والشاباتُ (٤) ، وكلُّ رجل يأخذُ شابةً أمامه ،
وتنحني هي ، ويمسكُ خصرَها بيديه ، حتى يكونوا كلُّهم كدائرةٍ متسلسلة ، أعنى :
الأنثى تضعُ يديها على حَقْوَى الذكر الذى هو أمامها ، والذكرُ يضعُ يديه على حَقْوَى
الأنثى التى هى أمامه ، وكلُّهم مُنحنيون (٥) حتى يكونوا كدائرةٍ تامة ، ويمشون رويداً
رويداً ، مع ضربِ أرجلهم فى الأرض ، لأجلِ يُسمع (٦) رنينُ خلاخيهم ، والبناتُ
التي يغنين خارجاتُ عن الحلقة .

(١) فى الأصل : دونهم .

(٢) فى الأصل : يضربن

(٣) الكريب صوت فى الصدر كصوت المنخفق .

(٤) فى الأصل : والشبات

(٥) كذا ؛ بدل : منحنون .

(٦) كذا .

وأما البندلة: فهي من أنواع رقص العبيد، وهو أن العبد يأتي بالنارجيل، المسمى عندهم بالدَّليب، ويثقبه، وهو أَكْرَد^(١) مثل كُرّة المدفع، وينظم منه ثلاثاً أو أربعاً في خيط، ويربطها في رجله اليمنى كالخلخال^(٢). وكلُّ عبدٍ يفعل ذلك، وتقفُ جاريةٌ من الجوّاري^(٣) خلفه، ويكونون كدائرة، ولهم (٢١١) كَرير مخصوص. فيخرجُ العبدُ منهم لآخر في وسط الدائرة، ويتحاولُ معه في اللعب، وهذا اللعبُ مبنىٌّ على القوةِ وخفةِ الجسم، كما يلعبُ البهلوانُ. فبعد أن يتحاولا مَلِيًّا يضربُ أحدهما صاحبه برجله التي فيها النَّارجيل، فلا يخلو إِمّا أن يُوقِعَه في الأرض أولاً، فالماهرُ هو الذي إنْ ضرب صاحبه أوقعه. والباقي يرقصون رقصاً لا تكسّر فيه، وكلهم يردّون على المغنّيات، وهذه^(٤) المغنّياتُ خارجات^(٥) عن الحلقة.

وأما التّوزي: فهو أن عبداً من العبيد يضربُ على طبلٍ كبير، والنساء والرجال حوله حاتمة، وكلُّ رجلٍ واضعٌ يديه على حقوى امرأة، وكلُّ امرأةٍ واضعةٌ يديها على حقوى رجل، لكن مع الانتصاب والاعتدال، لا مع الانحناء. ويمشون رؤيداً والنساء يضربن أرجلهن ببعضها لثَرَنَ الخلاخيل التي في أرجلهن، ومشيهن كلهم في الدائرة على نظم نقرات الطبل، ويكونون أيضاً كدائرة، والمغنّيات خارج الحلقة.

وأما التّندنيحا: فهي لعب البرقد والفور^(٦)، وهو أشبه بالتّوزي. وإنما الفرق بينهما في كون أن التّوزي يمشون فيه رؤيداً، والتّندنيحا بحركاتٍ عنيفة.

(١) بهذا الضبط في الأصل. ولعل المقصود «أكرة» وهي لعبة في الكرة.

(٢) في الأصل: ويربطها في رجله كالخلخال في الرجل اليمنى.

(٣) في الأصل: الجوّاري، بفتح الراء.

(٤) كذا.

(٥) في الأصل: خارج.

(٦) سبق أن ذكر المؤلف أن هذا الرقص هو رقص الفور، ولم يذكر البرقد معهم. (قارن صفحة ٢٣٢ حاشية ٤).

وبالحقيقة العبارة لا تنفي بذلك ، لأن المشاهدة شئ^(١) آخر ، فربما يرى المشاهدُ شيئاً لا يمكنُ التعبيرُ عنه .

ولكلِّ رقصٍ من الأرقاصِ غناء مخصوص ، فأما غناه « الجليل » فمنه قولهن (٢١٢) :

يُوبَانِي هَيَّ يُوبَانِينَ
الَّيْلُ بُوبِي^(٢) يَالْمُتَقَالِ^(٣)
أَنَا رَاسِي إِنْـدَارَ^(٤)
الَّيْلُ بُوبِي يَالْمُتَقَالِ
أَنَا رَاسِي إِنْـدَارَ

وهذه الكلمات : « يُوبَانِي هَيَّ يُوبَانِينَ » ، لا تعني شيئاً ، لكنَّ واحدةً منهنَّ تُشيد وتقول :
« اللَّيْلُ بُوبِي يَالْمُتَقَالِ » ، فتقولُ النساءُ الآخرُ : « أَنَا رَاسِي إِنْـدَار » .
ومنه قولهنَّ :

الَّيْلُ بُوبِي
دَارْفُورُ جَفَّة^(٥)
أَنَا رَاسِي نَوَى^(٦)

(١) في الأصل : بشى .

(٢) بوبى : ولى وانقضى Voyage, p. 232,429 .

(٣) المقصود بلفظ المتقال هنا : المحبوب الغالى Voyage, p. 429 .

(٤) أنا راسي اندار : أى نقلت وغلب عليها النعاس والمعنى : لقد انقضى الليل يا حبيبى الغالى ، ورأسى نقلت وغلب عليها النعاس ، فهلم الى ، لتنام معى Voyage, p. 429 .

(٥) أى أن دارفور ليس فيها من يودنى ويعطف على .

(٦) نوى : نقلت وغلب عليها النعاس . Voyage, p. 232,429 .

ومنه قولُهُنَّ :

فُريَعِ الحَانِيَّةُ^(١)

سَبَّيْتُوُ الجَانِيَّةُ^(٢)

وَيَا فُريَعَا الصَّنْدَلُ

فِي بُويْتِنَا قَامَ رَنْدَلُ^(٣)

وَأَمَّا غَنَاءُ اللَّذَنِي فَمِنْهُ قَوْلُهُنَّ (٢١٣) :

يَا عِيَالُ

جِيئُوا الْمَالُ^(٤)

نَهِيضُ دَلْدَنِيحُ وَدُ بَنِيَّةُ^(٥)

صَبُّوا دَرِيْزَ الْخَيْلِ فِي كَرِيْوُ^(٦)

-
- (١) فريع : تصغير فرع . والحانية : العطف والحنان .
(٢) الجانية : الجناية ، ويقصد بها هنا : الحقد والغيرة .
(٣) رندل : لفظ فوراوى ، معناه . يحنو . والمعنى : يا حبيبي ، يا من تحنوعلى
وتؤثرنى بعطفك دون بنات الحى ، فاثرت بذلك غيرتهن وحقدهن ، اقم على
مودتك وحبك لنا ليبقى عبرك بقاء عبر الصندل Voyage, p. 429,30
(٤) المعنى المقصود : ايها الشبان ، اجابوا الرقيق وبيعوه لتحصلوا على المال
الذى تقدمونه مهرا عند زواجكم . Voyage, p. 430
(٥) نهيض دلدنج : سارعوا وانضموا الى دلدنج .
دلدنج ودبنيه : هو دلدنج ابن الأميرة بنيه بنت السلطان . وقد طلب دلدنج
هذا من السلطان محمد فضل ان يأذن له بالقيام باغارة - على ظهور الخيل -
على قبائل الفريت جنوبى دارفور لجلب الرقيق ، مما يعود عليه وعلى
رفاقه بالثراء . وقد قيلت هذه الأغنية عقب عودته من حملة موفقة على
قبائل الفريت . Voyage, p. 430
(٦) دريز الخيل : جابتهما . والمعنى : ان حملتهم التى عادوا منها على ظهور
الخيل بالرقيق انتهت عند قرية كريو . Voyage, p. 430

نَهِيضُ دَلْدَنِيجُ وَدِ بِلْيَغِه

وَأَمَّا غَنَاءُ التَّنْدِنِجَا عَمْدُ الْفُورِ فَهِنَّ قَوْلُهُنَّ :

بَاسِي طَاهِرٍ دُقْلَا^(١)

بِي لَبَا وَدُوِينِجِ أَبَا^(٢)

كِتَابُ مُصْحَفٍ لَنْيَحِ حَلْفَيْنِ فَيَا^(٣)

تَرِيْمْدُو كَبِي رِيْلَا^(٤)

تَارَنْجَا مُدُو صَقْلُ جُوَا جَبِي^(٥)

ولو تتبّعنا غناء أنواع الرقص أطال الحال .

فبعد أن يأكلوا ويشربوا يزفون العروس بالدُّوَكَّة ، ويلفون بها حول البلد ،
ويأتون بها للمحل الذي أعدّ للدخول عليها فيه . ثم بعد العشاء بكثير تجتمع الشبان ،
ويأخذون العريس يزفونه بالغناء والرقصة ، حتى يأتون^(٦) به إلى المحلّ المعلوم ،

(١) باسي : أمير ؛ دقلا : أولاد .

(٢) بي : أنتم ؛ لبـا : أنفسكم ؛ و : هي واو العطف العربية ؛ دوينج : كم

(ضمير متصل) . أبا : اب .

(٣) لنـج : علامة اضافة ؛ حلفين : قسم ، يمين ؛ فيا : الذي أقسمتم .

(٤) تريمـدو : انكشفتم ؛ كـبي : بلدة كوبيسه التي سبق التعريف بها ؛ ريـلا :
رفعتم ، أدخلتم .

(٥) تارنجـا : أقدام ؛ مدو : خيانة ؛ صقل : شيخ ، ملك ؛ جوا : تجاوزتم ، تعديتم ؛
جـبي : جدران ، حيطان .

ومعنى الأغنية : يا أولاد الأمير طاهر ، لقد كنتم حلفتم أنتم وأبوكم على
المصحف ألا يخون بعضكم بعضا ، ولكنكم حنثتم في اليمين وأدخلتم الخيانة
في بلدة كوبيه ، لأنكم تجاوزتم حدود جدرانها .
• Voyage, p. 233, 234, 431

(٦) كذا في الأصل بالنون .

فيجلسون خارجَه . وحينئذ جميع الشابات مجتمعاً^(١) مع العروس ، والشبان مجموعون عند العريس ، وقد (٢١٤) استوزر العريسُ أعزَّ إخوانه ، لأنه حينئذ كالسلطان ، [وسمَّوه : الوزير]^(٢) واستوزرت العروسُ امرأةً ، وسمَّوها : ميسِرم .

فبعد أن يجلسَ الرجالُ مع عريسهم يطلبون الميسِرمَ ، فلا تخرجُ لهم إلا بعد نحو ساعتين ، فيتقدَّم لها الوزيرُ ويسلمُ عليها بلُطف ، [و] يلتمسُ منها حضورَ العروس ، فتقولُ لهم : مَنْ أتم ، ومن أين جئتم ، وما هي العروسُ التي تريدون ؟ فيقول الوزيرُ : أمّا نحن فضيوف ، وقد جئنا من بلاد بعيدة ، ونريدُ الملكةَ تُوّانس ضيوفها . فتقولُ له : أمّا الملكةُ فمشغولةٌ بشغلٍ عظيمٍ ، وها أنا وكيلتها في ضيافتكم وقرائِكُم^(٣) وما يلزم لكم . فيقولُ الوزير : نحن نعلمُ أنَّ فيكِ البركة والكفاية ، لكن لنا معها كلام لا يمكن إفشاؤه لغيرها . فتقولُ له : إذا كانَ كذلك ، فماذا للملكة ، وماذا لي ؟ لأنَّ عادتَها ألاَّ تبرَّرَ من حجابِها ، ولا تأتى لطلابِها إلاَّ بجُعل . فيقولُ : لها المالُ والأرواحُ وكلُّ ما طلبته .

فلا يزالُ يحاولُها وتحاوله حتى يتراضيا ، وهذا كله والعروسةُ قريبةٌ منهم وراء ستارة ، لكنَّها لا تتكلم بشيء ، والعريسُ أيضاً ساكتٌ كذلك ، والمحاورَةُ بين الاثنين .

فإذا وقعَ التراضي رُفَعَتِ السَّتارةُ فنخرجُ العروسُ ، فيقولُ الوزير : أمّا الملكةُ فلملك ، وماذا لنا نحن ؟ فتنادي الميسِرمُ للبناتِ^(٤) التي مع العروس ، فيحضرنَ

(١) كذا .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) القراء بالفتح والمد ، كالقرى بالكسر والقصر .

(٤) كذا .

وتقول لهنّ : أيتها البنات ، أريدُ منكنّ في هذه الليلة أن تؤانسنَ (٢١٥)
 أضيافَ الملكة . فيقلنّ لها : حبّاً وكرامةً . [وحينئذ تتقدم الميرم]^(١) - وهي تعلمُ
 كلَّ صبيّةٍ ومحبوبها - فتقول : يا فلانة ، كوني مع فلان ، وأنتِ يا فلانة ، كوني مع
 فلان ، وهكذا حتى لا يبقى إلاّ التي لا محبوبَ لها ، أو الذي لا محبوبَ له ، فيأخذُ كلُّ
 شابٍّ محبوبته ويبيتُ معها ، إن وسّعهم الحلّ الذي هم فيه .

وصورةُ ذلك : أن يبيتَ العريسُ وعروسه ، والميرمُ والوزير ، وكلُّ زوجين معا ،
 صفّاً أو صفّين ، على حسبِ سعة الموضع ؛ وإن لم يسعِ الحلُّ جميعهم ، بقي من وسّعهِ^(٢) الحلُّ
 مع العروستين ، وذهبَ الباقي . فكلُّ شابٍّ منهم يأخذُ محبوبته ويتوجّه بها إلى بيتها ،
 أو إلى بيت بعض أحبائها ، ولا يذهبُ بها إلى بيته ، لأنها لا ترضى ذلك ، لأنّ عاداتهم أن
 الشابّ متى ما أحبَّ صديقةً ، وعلمت أمها بذلك ، لا تقابله أبداً ولا يقابلها ، وإذا رآته
 في طريق ، ولم ترَ لها تخلصاً منه برّكت في الأرضِ وسدلت ثوبها على رأسها ووجهها حتى
 يمرّ ، وهو كذلك يفعلُ . يعني : إن رآها وعرفها ، يرجعُ على عقبه هارباً إن أمكنه
 ذلك ، وإلاّ أدار وجهه لنحو حائطٍ أو شجرةٍ حتى تمرّ . ثم يرسلُ لها السلام إن كان
 معه أحد ، وكذلك هي تفعلُ بعد مروره ؛ [و] إن لم يكن معه أحد ، ترسلُ له السلام
 إن كان معها أحد . وهذا كلّهُ عندهم من نوع الحياء والتعظيم .

وعندهم أهلُ الزوجة محترمون ، فأُمّها (٢١٦) كأُمّه بل أشدَّ احتراماً ، وأبوها
 كأبيه بل أشدّ ، وإخوتها كإخوته ؛ وهي مثله في ذلك ، إذا رأت أمّه أو أباه فرّت وسلكت
 طريقاً غيرَ طريقهما ، وترسلُ السلام [إليه] أو يرسلُ إليها ، ولا تواجهُ أحداً منهما ، وتعتبرُ أباه

(١) زيادة يقتضيها السياق وهي عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 236

(٢) في الأصل : وسّعهِ ، بفتح السين .

كأبيها ، وهكذا مثل ما ذكرنا في الرجل ، ولذلك تذهب مع محبوبها إلى محل آخر ، ولا ترضى أن تذهب معه إلى بيته ، بل إن ضاقت الأما كن بكثرة الناس ، وليس هناك دار سوى دار أبيه ، لا تذهب معه إليها ، بل يذهبان إلى الخلاء ويبيطان فيه .

وأما دار أبيها ، من حيث أن لها محلاً معداً لذلك ، يبيت معها فيه من أرادت ، ولا يراها أبواها ، فإن الرجل يذهب معها إليه ويخرج عند الفجر ، وأبواها نائمان ، فلا يراه أحد منهما .

ونرجع إلى ما نحن بصددِه فنقول :

ثم يبيتون تلك الليلة ، فإذا أصبح الصباح قامت كل صبيّة وتوجهت إلى بيت أبيها ، فتصلح شأنها ، أعنى : أنها تغسل وجهها وأطرافها ، بل ربما اغتسلت ، ثم تتطيب وتكتحل وتجدد زينتها ، وكذلك العروس تدخل عند أمها فتصلح شأنها ، وكذا الرجال يذهبون إلى ديارهم إن كانت قريبة ، فإن كانت بعيدة كان كانوا من بلد أخرى ، يذهب كل منهم إلى دار صاحب له ، فيصلح شأنه هناك . وكذلك النساء ، إن كانت (٢١٧) المرأة من بلد أخرى ، تذهب إلى دار حبيبة لها ، تصلح شأنها فيها ، لأن الشابات اللاتي حضرن للعرس ، مع كل شابة منهن كحلها وعطرها وما تحتاج إليه ، فيصلح شأنها ، ويجلسن حتى يقرب الضحى ، فتأتى الميرم إلى محل الزفاف ، والعريس غائب عنه - أعنى : عند قيامه لإصلاح شأنه هو الآخر - فتقمه^(١) وتنظفه وتفرشه وتهيئ مجالسه هي وبعض صواحباتها^(٢) ، فيأتى العريس فيجده نظيفاً ، فيجلس هو ووزيرُه ، وتهل عليه الشبان فيجلسون معه .

(١) قم البيت كنسه (القاموس) .

(٢) في الأصل : صواحبها . والصيغة التي أئبنتها في المتن سترد في الصفحة بعد التالية . وانظر صفحة ١٦٠ ، حاشية ١ .

ثم أصحابُ العرسِ بالخيارِ ، إن شاءوا جعلوا السَّبعةَ أيامَ ^(١) كُلِّها بالرفقِ والدُّلوكِ ، وإن شاءوا اقتصروا على يومٍ واحدٍ . فإن ظهرَ اقتصارُهم جلسَ الضيوفُ إلى وقتِ الغذاءِ ^(٢) ، وبعدَ تناوُلِهم الطعامَ رجعَ كُلٌّ منهم إلى بلدهِ ، ولم يبقَ إلَّا أهلُ البلدِ الذي هم فيه . وإن لم يروا الاقتصارَ ، وعلموا أن أصحابَ العرسِ يريدون أن يمتدَّ عرسُهم إلى السَّبعةِ أيامَ ^(٣) ، أقاموا . ويظهرُ ذلك بتجدُّدِ الذَّبائحِ وعَصْرِ الخمرِ والتَّهْنِئَةِ .

تنبیه :

اعلم أن أهلَ كلِّ بلدٍ من البلادِ الذين دُعُوا إلى مثلِ هذهِ الوليمةِ ، يأتون إمَّا بقرتينِ أو ثورينِ أو ثورٍ أو بقرةٍ أو بشيائٍ ، إعانةً لصاحبِ الوليمةِ . وإن كان لهم أقاربٌ خارجينَ ^(٤) عن بلدِهم ودُعوا ، يأتون بأثوارٍ أو بقرٍ غيرِ ما تأتي به أهلُ بلدِهم (٢١٨) إعانةً ، ثم يكتنون نهارَهم كُلَّهُ في لعبٍ وضحكٍ وانشراحٍ وأكلٍ وشربٍ وطيبِ محادثةٍ إلى العصرِ ، فتضربُ الطبولُ التي هي الدُّلوكاتُ ، ويفعلون مثلَ ما فعلوا في اليومِ السابقِ ، حتَّى إلى الليلِ ، فيأتيهم الطعامُ والشرابُ ، وبعدَ فراغِهِم من ذلكِ يجتمعون رجالاً ونساءً في محلِّ الزَّفافِ ، فيتعاذنون حتَّى إلى نحوِ نصفِ الليلِ . ثم يأخذُ كلُّ شابٍّ حبيبتهِ ويبيتُ معها حيثُ باتا أمسُّهما ، ويبقون على ذلكِ المدةَ المذكورةَ .

وإذا غَوَرَ الأمرُ إلى الذَّبائحِ ، بأن كان ما أُعِدَّ للذَّبْحِ لم يكفِ من حضر ، خرج أبو العروسِ أو أخوها أو أحدُ أقاربِها إلى المرعى ، فكلَّ ما وجدَ من البقرِ أماته ، عقرَ منها ثوراً أو ثورينِ أو بقرةً أو شيهاً . وبعدَ العقرِ يرسلُ الجزارينَ فيذبَحون العقيِرَ ^(٥) ويأتون

(١) كذا .

(٢) كذا في الأصل : بالدال .

(٣) كذا .

(٤) العقيِر : المعقور ، أى : المجروح .

بلحمه إلى الضيوف وهكذا ، فإذا بلغ الخبرُ صاحبَ البقر فلا يخلو ، إنما أن يطلبَ الثمنَ
فَيُرْضُونَهُ ، أو يسكتَ حتى يبقى له عرسٌ أو لأحدِ أقاربه ، فيعقر هو الآخرُ ما يريدُ
من بقرٍ مَنْ عقر بقره ، ودَقَّةٌ بدَقَّةٍ .

ولذلك إذا عُمرَ عرسٌ تخافُ أربابُ المواشى من العقر ، فيأْمرون رعاتهم أن
يُبْعِدوا بها في الخلاء ، لأنهم لا يَعْقِرُونَ إلَّا من الأموالِ القريبةِ المرعى . وهذه سُنَّةٌ
جاريةٌ فيهم .

وفي تلك المدة [تكون] العروسُ كالملكَةِ ، وصواحبُها معها في لعبٍ وانسراحٍ ؛
والعريسُ كذلك .

ومن (٢١٩) عادتْهم : أن العريسَ لا يفتضُّ عروسَه إلَّا بعدَ السبعةِ أيامٍ^(١) ، مع أنهما
يبيتانِ متعانقَيْنِ لا حائلَ بينهما ، ويجعلون ذلك كرامةً لها ولأبويها ، لأنهم يقولون : الليلةُ
الأولى في كرامةِ أبيها ، والثانيةُ في كرامةِ أمها ، والثالثةُ في كرامةِ أخيها — إن كان —
أو أختها ، وهكذا حتى تتمَّ السبعةُ أيام . ومن استعجلَ وفَضَّ قبلَ تمامِ ذلك ، عُيِبَ^(٢)
عليه وقالوا : قد استعجل . ولكن من المُحالِ أن يفتَضَّها قبلَ ثلاثِ ليالٍ .
تجيبية :

من عوائدِهم : أن المرأةَ لا تأكلُ أمامَ زوجها ولا غيره من الرجال . وإذا
دخلَ زوجها وهي تأكلُ قامتْ وفرتْ ، وهذا عندهم من أكملِ الحياء ، ويقبَّحون على
المرأةِ التي تأكلُ أمامَ الرجل . وحينَ كنتُ هناك ، ورأيتُ ذلك قلتُ لهم : أتعجَبُ
من الأكلِ مع الرجلِ ، ولا تستحي من النومِ معه ، وأنَّه يدخلُ بينَ شعبيها ، ويُورِجُ فيها ،

(١) كذا .

(٢) بهذا الضبط في الأصل .

ويرى فرجها وما هي عليه ؟ قالوا : ذلك لا ضرر فيه ؛ وأما [أن] تفتح فاهها ، وتدخل فيه الطعام أمام الرجل ، فهذا شيء لا يبيح . انتهى .

ومن عاداتهم : أن الرجل لا يأخذ عروسه ويبنى بها في بيته ، بل في بيت أمها وأبيها ، ولا تخرج معه حتى تلد ولدَيْن أو ثلاثة ، فإن طلبها للنقله معه قبل ذلك أبت عليه ، وربما وقع الطلاق بينهما بسبب ذلك .

ومن عاداتهم : أنها لا تذكر اسمها على لسانها أبداً ، بل دائماً (٢٢٠) تقول : قال لي كذا وكذا . فإذا سُئِلَتْ : من الذي قال ؟ تقول : هو . حتى يولدَ لهما فتى وُلِدَ لهما قالت : أبو فلان ، أو : أبو فلانة . باسم من يولد ، إن كان ذكراً أو أنثى .

ومن عاداتهم : أن الرجل لا يُنفق على المرأة بعد الزفاف إلا بعد سنة ، فإن جاء بشيء قبل السنة ، جاء به على سبيل الهدية ، مع أنه لا يأكل إلا أعزّ مما يأكلون . فيمكنُ أنهم طبخوا شيئاً قبيحاً لهم ، من المأكَلِ الرديئة ، ويذبحون له دجاجة أو حماماً أو لحماً .

ومن عوائدهم : أن الرجل مدّة ما هو في بيت أبي زوجته ، يصنعون له طعاماً جميلاً جداً ، غير العشاء ، يتناولُه بالليل ، إما مرّة أو مرتين أو ثلاث [مرات] . ويسمّون الأولَ بلغة الغور : جُرى جرّانسيح ، والثاني : تارنجيا جيسو ، والثالث : ضُبُخْ جَلُو . ومرادهم بذلك تقويته على الجماع ؛ وأما اسمه بلغتهم العربية : ورّانيّة . وأكثر الأغنياء يأكلون بعد أكلهم العشاء ، لأنهم ربما جاءهم ضيف ، فلم يتمكن من الشّبع لحياثه من الضيف ؛ أو كان العشاء غير جيد ، فلا بدّ له من «ورّانيّة» . ومعنى قولهم : جُرى جرّانسيح :

انزَعُ القِيمَصَ . فَإِنَّ جُرِي ، معناه : قَيْص ؛ وَجَرَانِيح ، معناه : انزع . وتَارَنْجِيَا جَيْسُو ، معناه : مَسْكُ الرَّجُل . فَإِنَّ تَارَنْجِيَا ، معناه : رَجُل ؛ وَجَيْسُو ، معناه : مَسْك . وَصُبْحُ جَلُو ، معناه : طلوعُ الفجر .

وَأَمَّا الْوَرَّانِيَّةُ : فهي عربية منسوبة لَوَرَاء ، ضدَّ الأمام ، لأنه يأكلها وراء العشاء ، أي : بعد ما (٢٢١) يأكلُ العشاء . ولهذا تجدُ بعضَ الناسِ ، إذا كانَ عنده من يعزُّ عليه من الإخوان ، وحضر العشاء معه ، وأراد أن يقومَ ، يمنعه حتى يَنْقُضَ المجلس ، ثم يدعو خادمه ويقول : هل من شيء يؤكل ؟ فيأتيه الخادم بالورَّانِيَّة ، فيأكلان معا ، وهذا لا يُفعلُ إلا مع أَعزِّ الأصدقاء . وهذه الورَّانِيَّةُ تنفعُ أحيانا للضيفِ المفاجيء ، بالليلِ الدَّاجي ؛ وهذا كله إن كان عُرْسًا .

فإن كان خِتَانًا فعلوا ما ذكرناه من استحضارِ الأَطْعَمَةِ والمِزْرِ وَأَمْ يُبْلِلُ والدِّينِزَايَا^(١) ، ودَعَوْا الناسَ ، ورقصوا على الدَّلَالِيك ، وزَفُّوا المَظَاهِر^(٢) ، وجاء المَزِينُ فحَتَنَهُ وأبوه واقف . فإن بكى المَظَاهِرُ نَفِرَ^(٣) أهله منه ، وتركوه ومَضَوْا . وإن صَبَرَ حَالَ الْخَتَنِ ولم يَبْك ، قال أبوه : اشهدوا يَا أَهْلَ الْمَجْلِسِ ، أَنِّي أُعْطِيتُ وَلَدِي بَقْرَةً أَوْ ثَوْرًا أَوْ عَبْدًا أَوْ أَمَةً ، مما يقدر عليه . وقالت أمُّه كذلك . وكلُّ مَنْ حضر من أَهله يُهدى له شيئًا . فإن كان أَهله أَغْنِيَاء نَالَهُ مِنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فيصيرُ غَنِيًّا . وذلك كله بحسبِ غِنَاءِ أَهله

(١) في الأصل : الدنزايا بدال مفتوحة بعدها نون ، وقد وردت اللفظة في ص ٢٣١ كما أثبتناها في المتن وكما وردت في الترجمة الفرنسية .

Voyage au Darfour, p. 244 .

(٢) أي : المختون .

(٣) في الأصل : نفر .

وفقرهم . ثم يجتمعُ أترابُه في ثالثِ يومِ الطَّهور^(١) ، ويأخذون السفاريكَ ، ويحوسون خلالَ البلدِ يضربون الدَّجاجَ ، فيقتلون دجاجاً كثيراً وفي رابعِ يومٍ إلى اليومِ السابعِ ، يذهبون إلى البلادِ المجاورةِ لهم ، فلا يَروْنَ دجاجةً إلّا قتلوها ، وكلَّ يومٍ يتوجَّهوا^(٢) لبلدٍ ، يقتلون دجاجها ، (٢٢٢) وأصحابُ الدَّجاجِ لا يَروْنَ بذلكِ بأساً .

وإن كان خِفَاضاً فعَلُوا فيه كلَّ ما ذكرنا إلّا الدَّجاجَ فلا يقتلونه . والخِفَاضُ لا يتغالون فيه كالخِتان . وما ذكرناه يَعْلَمُ الواقفُ على رحلتنا ، أننا استقصينا جميعَ ذلكَ لتمامِ الفائدةِ ، وحسنِ العائدةِ .

واعْلَمَ أن أهلَ دارفور لا يستقلُّون بشيءٍ في أمورهم بدونِ النساءِ ، بل لَمَنْ تُشاركُهُمْ^(٣) في جميعِ أحوالهم ، إلّا في الحروبِ العظيمةِ . ولذلك [ف]إنَّ عُرْساً لا يتمُّ إلّا بهنَّ ، أو حُزناً كذلك . ولولا هُنَّ ما استقام لأهلِ دارفور شيءٌ ، فترى النساءَ يحضرنَ في الأمورِ المهمةِ .

ومن ذلكَ : الأذكارُ ، وهى على ضَرَبَيْنِ : ضربٌ يفعله أهلُ البلادِ المستعمرِ بون ، أعنى : مَنْ ليسُوا بعبَّادٍ ، وضربٌ يفعله أعجامُ الفورِ .

فأمَّا الأوَّلُ ، فهو ما كان على طريقةِ شيخٍ من الصَّوفيَّةِ ، أو وليٍّ من الأولياءِ . وعلى كلِّ فتحضُرُ حلقةُ الذِّكْرِ امرأةٌ تُنشدُ لهم ، والنساءُ خلفها وقوفٌ لا يتكلَّمْنَ ، بل ينظرنَ أزواجهنَّ وأقاربهنَّ ، ليعلمنَّ أيَّهم أحسنُ ذِكراً . وقد يُنشدُ رجُلٌ ، والنساءُ يسمعنَ ، كبقيةِ الرِّجالِ .

(١) الطهور : الختان .

(٢) كذا .

(٣) كذا .

ومن ذلك ما وقع أن تلميذ الشيخ دفع الله ، حضر حلقة ذكر تلاميذ الشيخ يعقوب ، وبين تلاميذ الشيخين معاندة ، فلما سمى الذكر ، أراد أحد تلاميذ الشيخ يعقوب أن ينكت على تلميذ الشيخ دفع (٢٢٣) الله ، فقال :

أَلَمَّا عِنْدُو شَيْخًا فَرَاغَابًا^(١)

لَا يَدْخُلُ دَرَقَةً وَنَشَابًا^(٢)

أَلَمَّا عِنْدُو شَيْخٍ مَهْيُوبٍ

لَا يَدْخُلُ حَلَقَةً يَعْقُوبُ^(٣)

فسمع تلميذ الشيخ دفع الله ، وعلم أنه عناء بذلك ، فقال :

نَدْخُلُ وَيُنْمِرُقُ^(٤) مَتَعَا فِي

بِالنِّيَّةِ وَالْعَمَلِ الْأَصَافِي^(٥)

دَفَعُ اللَّهُ فَوْقَ طَوَافٍ^(٦)

نادرة :

حضرت امرأة في حلقة ذكر ، وأنشدت :

نُصَفِي لَكُمْ مَرِيَسَةً دُوَانِي

(١) الما عندو : الذي ليس عنده ، فراجابا : مبارك يحمى أتباعه .

(٢) لا يدخل درقه ونشابا : لا يعرض نفسه للمخاطر .

(٣) المعنى : من لم يكن تابعا لشيخ مبارك مهيب يستطيع حماية أتباعه فلا يعرض نفسه للأخطار بالدخول في حلقة شيخنا يعقوب Voyage, p. 247,434 .

(٤) نمرق : نخرج .

(٥) بهذا الضبط في الأصل .

(٦) المعنى : نحن ندخل حلقة ذكر الشيخ يعقوب ونخرج منها سالمين . وذلك بفضل سلامة نيتنا وأعمالنا الصالحة وبفضل رعاية شيخنا دفع الله .

Cf. Voyage au Darfour, p. 247,435.

وَأَنَا عَزَبًا بِبَيْتِي طَرَفَانِي

يَا فَقْرًا مَا فِيكُمْ زَانِي

فسمعها الذاكرون ، وكان فيهم شابٌ فيهم المعنى ، وكان يقولُ : اللهَ حَيٌّ . فصار يقولُ : أنا زانى ، أنا زانى (١) .

وأما أعجام الفور فيقفون في الذِّكْر صَفَيْنِ أو حَلَقَةٍ ، وكلُّ رجلٍ منهم خلفه صَبِيَّةٌ ، والنساء يُنْشِدْنَ ، وهم يذكرون ، وذكُرهم كَرِيرٌ ؛ فمن إنشادهن قولهن : (٢٢٤)

كُرُو كِرْوِي عَالِمًا نِمًا

صِيحَ لَنِيحَ كُوِي جَنَّة

صِيحَ لَنِيحَ كُوِي

ومعنى ذلك :

كُرُو ، معناها : شجرة ؛ و كِرْوُ ، معناها : خضراء ؛ وعَالِمًا نِمًا ، معناها : ظلُّ العلماء .

و صِيحَ لَنِيحَ كُوِي [جَنَّة] ، صِيحَ لَنِيحَ كُوِي . معناها : صحيح نمشى إلى الجنة . صحيح نمشى إلى الجنة (٢) .

ومعناه :

إن الشجرة الخضراء ظلُّ العلماء ،

(١) يتضح من هذه العبارة أن التونسي كان يهبط أحيانا إلى مستوى لا قيمة له في أخبار رحلته العظيمة . ولا يستطيع المحققان أن يجدا تفسيراً لاهتمامه بهذا النوع من النوادر وأمثاله . ومع هذا فإن الألفاظ الواردة في هذه النادرة لم تكن تستغرب من خليع يندس بين الناس أو من خليعة .

(٢) المعنى في الترجمة الفرنسية هل صحيح نمشى إلى الجنة ؟ نعم صحيح نمشى .

Voyage p. 248

ونحن ندخل الجنة حقاً ،
ندخل الجنة حقاً .
ومنه قولهن :

جِبْرَائِيلِيَّةٌ^(١) مِيكَائِيلِيَّةٌ
كُلُّ سَبَا مُلْكَا الْجَنَّةِ

ومعناه :

جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ ،
كُلُّ حَسَنَةٍ يَمْلِكُ بِهَا الْإِنْسَانُ^(٢) الْجَنَّةِ .
ومن قولهن :

لِلَّهِ قُويَا^(٣) لِلَّهِ
شَهْرُ رَمَضَانَ اللَّهُ أَنْدُوا^(٤)
كَالْفَارِ نَبِيَّةٌ

ومعناه :

لِلَّهِ ، يَا إِمَامَهُ^(٥) اللَّهُ ،
شَهْرُ رَمَضَانَ دَوَاءُ اللَّهِ ،
فافرحوا به .

ومثلُ هذا كثير ، لو تتبعناهُ خرجنا إلى الإسهاب ، وجلبنا المللَ لِأولي الألباب . وفيما ذَكَرناهُ كفاية . لَكُنْ مِنْ حَيْثُ أَنْتَا تَكَلِّمُنَا فِي التَّزْوِيجِ ، وَمَا (٢٢٥) يَتَعَلَّقُ بِهِ ، عَنْ لَنَا أَنْتَا نَذْكُرُ نُبْذَةً فِي حُجَابِ النِّسَاءِ ، وَهَمَّ الْمَسْمُونُ فِي مِصْرٍ بِالطَّوَّاشِيَّةِ ، وَبِأَغْوَاتِ الْحَرِيمِ ؛ وَبِالتَّرْكِيَّةِ : قُزَّرَ أَغَاكِرُ ، لِأَنَّهُمْ أَمْنَاءُ عَلَى الْحَرِيمِ ، وَنَقُولُ :

(١) في الأصل : جبرائيله .

(٢) في الأصل : للإنسان .

(٣) قويا : بنات ، إماء .

(٤) اندوا : أن : علامة إضافة ، دوا : دواء .

(٥) كذا بضم الهمزة .

الفصل الثاني^(١)

في الخصيان المعروفين في مصر بالطواشية

لما كانت الحق سبحانه وتعالى غيورًا على عباده وتحريمه ، منتقمًا ممن تمدي حدوده بارتكاب مآثمه ، وكانت الغيرة وصفًا من أوصافه ، ولذا حرّم الظلم على نفسه وخلافه ، جعل الغيرة مسكوزة في طباع بني آدم ، من زمن سلف وتقدم . وأول من غار قابيل على أخته إقليما ، لما أمر آدم أن يزوجه من هابيل ويزوجه من أخته ذميا . فكان من الغيرة من أمرها ما كان ، وقتل قابيل أخاه كما ورد بنص القرآن . بل قد توجد الغيرة في غير بني آدم من الحيوانات ، فيغير^(٢) الحيوان على أنثاه وتحصل المعاركات ، سيمًا والنساء أكثر شبقًا وغلمة ، ولا مروءة تمنعهن ولا همة . وكان بعض الناس بلغ في الغيرة أعلاها ، وارتقى إلى منتهائها ، حتى إن بعضهم لا يرون النساء إلا كالإماء ، ومنهم من هو كثير الغيرة ، حتى من الإخوان والأبناء . بل منهم من بالغ في الغيرة ، فصار يغار عليهم من الليل والنهار ، ومنهم من يغار من عيون

(١) في الأصل : فصل .

(٢) المضارع من غار ، في الفصحى : يغار ، وفي العامية : يغير كما استعمله المؤلف هنا ، الى جانب استعماله للصيغة الفصحى بعد عدة أسطر حيث يقول : « فصار يغار عليهن » ، ولعله أراد التفرقة في اللفظ بين غيرة الانسان وغيرة الحيوان فاستعمل للانسان صيغة : يغار ، وللحيوان صيغة : يغير .

الذرجس أن تراه ، كما قال الشاعر ، (٢٢٦) من الكامل :

غَضِي جُفُونَكَ يَا عِيُونَ الذَّرْجِسِ مِنْكَ اسْتَحْيْتُ بِأَنْ أُقْبَلَ مُؤْنِسِي
نَامَ الْحَبِيبُ تَذَبَّلْتُ وَجَنَاتُهُ وَعِيُونُكَ شَوَاحِصُ لَمْ تَنْعَسِ
وبالغَ بعضهم حتى إنه غار على المحبوب ، من نفسه ومن المحبوب ، ومن الزمان
والمكان ، كما قال الشاعر ، من الوافر^(١) :

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنِي وَمَنِّي وَمِنْكَ وَمِنْ مَكَانِكَ وَالزَّمَانِ
وَلَوْ أَنِّي وَضَعْتُكَ فِي جُفُونِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَفَانِي
ومثله قوله ، من الوافر^(٢) :

فَلَوْ أَمْسَى عَلَى تَلْفِي مُصْرًا لَقُلْتُ : مُعَذِّبِي ، بِاللَّهِ زِدْنِي
وَلَا تَسْمَحِي بَوْضَلِكِ لِي ، فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ ، فَكَيْفَ مَنِّي
وارتقى بعضهم إلى أعلى المبالغة ، فغار من الضمير حيث قال ، من الطويل :
أَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ ضَمِيرِي فِيآلِهِ هَوَى رَابَنِي حَتَّى أَتَهَمْتُ جَوَارِحِي
فَتَحْيِيلَ النَّاسُ فِي حِرَاسَةِ الْحَرِيمِ ، لَنَا عِنْدَهُمْ مِنْ دَاءِ الْغَيْرَةِ الْمُقْعِدِ الْمُقِيمِ . فإراؤا
أحسنَ من حراسةِ إنسانٍ يكون مقطوعَ أعضاء التَّنَاسُلِ ، وهو الذي تطمئنُّ إليه
النفوسُ في التَّاجِلِ وَالْآجِلِ .

وأكثرُ الناسِ احتياجًا لذلك الملوكة والأمراء ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يجمعُ
ما قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ بِالْأَمْرَاءِ . ولما كانتْ مَلكُ الشُّودَانِ أَكْثَرُ النَّاسِ لِلنِّسَاءِ جَمْعًا ،

(١) في هامش الأصل : الهزج .

(٢) في هامش الأصل : الهزج .

وَأَبْدَلَهُمْ فِي ذَلِكَ وَسَعًا، كَانَ يَوْجَدُ عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الْخَصِيَّانِ (٢٢٧) عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ، وَجَمْعٌ غَفِيرٌ، فَيُوجَدُ عِنْدَ سُلْطَانِ دَارِ الْفُورِ نَحْوُ الْأَلْفِ أَوْ أَكْثَرَ، وَعَلَيْهِمْ مَلِكٌ مِنْهُمْ، وَهُمْ لَهُ كَالْعَسَاكِرِ. وَهُوَ الَّذِي يَرْتَبُ فِي بَيْتِ السُّلْطَانِ مَا يَلْزَمُ مِنْهُمْ لِلْحِرَاسَةِ، وَيُبْقَى عِنْدَهُ مَا زَادَ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ.

وَالْخَصِيَّانِ مُكْرَمُونَ عِنْدَ الْأَكْبَارِ، خُصُوصًا فِي دَارِ الْفُورِ، فَإِنَّ لَهُمْ فِيهَا سَطْوَةً وَأَيُّ سَطْوَةٍ، وَالْكَلِمَةُ النَّاظِمَةُ وَالْقُوَّةُ؛ وَ[لَهُمْ] مَقَامٌ وَمَقَالٌ، وَحَالٌ لَا يُمَائِلُهُ حَالٌ، حَتَّى إِنْ لَمْ هُنَاكَ مَنْصِبَيْنِ جَلِيلَيْنِ، لَا يَتَوَلَّاهُمَا غَيْرُ خَصِيٍّ: أَحَدُهُمَا مَنْصِبُ الْأَبَوَّةِ^(١)، وَالثَّانِي مَنْصِبُ الْبَابِ، وَأَقُولُ:

إِنَّ مَنْصِبَ الْبَابِ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِدَارِ الْفُورِ، بَلْ فِي ثُونُسَ، وَفِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ كَذَلِكَ.

وَأَصْلُ الْخَصِيَّانِ الَّذِينَ فِي دَارِ الْفُورِ، مِنْ بِلَدِ رُونَجِيَّةَ، يَخْصُونَهُمْ هُنَاكَ، وَيَأْتُونَ بِهِمْ إِلَى دَارِ الْفُورِ عَلَى سَبِيلِ الْهَدِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ كَثِيرُونَ جَدًّا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْخَعِي فِي دَارِ الْفُورِ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ، حِينَ كُنْتُ هُنَاكَ، غَلَامًا حَسَنَ الْوَجْهِ، جَمِيلَ الصُّورَةِ، فِي نَحْوِ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ، خَصِيٍّ فِي دَارِ الْفُورِ. وَسَبَّبُهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ خَدَمِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ فَضْلًا، وَأَحَبَّ غُلَامِيهِ الَّذِينَ رُبُّوا فِي الْبَيْتِ، وَكَانَ لَهُ سَعْدٌ قَائِمٌ، تَحْبُّهُ الذُّنُوءُ، لِقَضَاءِ أَوْطَارِهِمْ غَيْرِ انْتِفَاءِ^(٢). وَكَانَ اسْمُهُ: سُلَيْمَانُ تِيرَ، فَخَسَدَهُ أَقْرَانُهُ، وَتَمَوُّوا عَلَيْهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَأَرَادَ قَتْلَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ وَزَرَائِهِ بِخَصْيِهِ، وَقَالَ لَهُ: مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْأَمَرَ (٢٢٨) كَذَلِكَ، أَقْطَعْ مَا يُؤْذِيكَ بِهِ وَلَا تَقْتُلْهُ. فَخَصَاهُ وَعَاشَ وَاجْتَمَعَتْ

(١) أَي: مَنْصِبُ الْأَبِ الشَّيْخِ وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ فِي ص ٦٤.
(٢) كَذَا بِالْمَدِّ فِي الْأَصْلِ مَرَاعَاةً لِلْسَّجْعِ وَالْخُنَا، بِالْقَصْرِ: الْفَحْشَى.

عليه ، وكان ذا منصبٍ جميل وأبهةٍ حسنة ، إلا أن السلطان كان لا يَأْلَفُهُ [لعدم] صلاحه^(١) ، ولما قيلَ فيه .

ولقد سمعتُ من ثقاتٍ أنه أَحْبَلَ امرأة [من جوارى السلطان]^(٢) وظَهَرَ حملُها ، فسئلتُ فقالت : من سليمان تير ، فغضبَ عليه السلطانُ ، وخَصَّاه وبعد أن برئ أعطاه المرأةَ وولَدَها . وقد ذكرنا سابقاً أن [الأب] الشيخ محمد كُرَّا كان اتهمَ بما اتهم به سليمان تير ، فحَقَّى نفسه بيده دفعاً للريب^(٣) ، فحُظِيَ^(٤) عند السلطان وصارَ ما صارَ من أمره .

نُكْتة :

مما وقع من عُتُوِّهم وتَجَبُّرِهِمْ ، أن اجتمعَ بعضُ أمراءِ الفور في محلٍّ انشراح ونزهة وانبساط ، وكان فيهم خَصِيٌّ ، فجمعُوا يأكلون ويشربون ، واتَّخَصَّ كواحدٍ منهم . فاتفقَ أن واحداً من هؤلاء الأمراء [كان] معه منديلٌ من حرير ، فأبرزه في المجلس وقال : هل تعلمون لماذا يصلح هذا المنديل ؟ فقال أحدهم : هو يصلح لمسحِ العرق . وقال الآخر : هو يصلح للتجمل والزينة . وقال آخر : هو يصلح لأن يُعملَ على صدرِ أُنثى جميلة . وطَفِقَ كلُّ واحدٍ يقولُ ما بدا له ، وصاحبُ المنديل يقولُ : لا . ولما أعيأهم أمره قيلَ له : قل لنا أنت ، لماذا يصلح ؟ فقال : هذا يصلح للمسحِ بعدَ الجماع . فاستحسنوا قوله وسكتوا . فإِراءَهُمْ إلا أن قامَ اتَّخَصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ صالِئاً^(٥) (٢٢٩) سيفه ، يرومُ قتلَ صاحبِ المنديل ، وقال

(١) في الأصل : لصلاحه .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية . Voyage au Darfour, p. 254.

(٣) انظر ص ٦٢ حاشية ١ وكذلك ص ٨٠ .

(٤) بهذا الضبط في الأصل .

(٥) كذا ، بدل : مصلنا .

له: أُنْعِضْ بِي أَنِي مَقْطُوعٌ؟ لَابَدٌّ مِنْ قَتْلِكَ. فقاموا إليه وتلطّفوا به، وهو لا يرجعُ عن قوله، حتى أرضوه بخيولهم كلّها. وكان الخليفة [إسحق] بن السلطان تيراب اللّذين أسلفنا ذكّرهما.

ومن عُتُوِّهم أن [الأب] الشيخ محمد أوردكّا^(١) كان في أيام السلطان تيراب في منصب الأبوة، ومن عادة الأب [الشيخ] أن يتوجّه لبلاده ومحلّ حكمه في كل سنة في فصل الربيع، ويجمع أهل البلاد في يوم واحد، ويعرض الرّجال، ويرى العساكر. فاتفق أنه جمعهم في يوم شديد الحرّ في رَحْبَةٍ واسعة أمام داره، ولم يخرج لهم حتّى فانت القائلة، فخرج في أبنته راكباً جواده، والعبيد يظللونه من حرّ الشمس، ويحلبون له الهواء بالمراوح، وخرج العسكر، وصفوا الناس صفوفاً كدائرة، وهو واقفٌ ينظرهم، وقد اشتدّ الحرّ وأمر الناس بالجلّئ على رُكبتهم، وسلاحهم ودرقهم في أيديهم. فكان الإنسان منهم لا يستطيعُ الجئيّ لشِدّة حرّ الرّمضاء، وسال العرق، وكثُر القلق، ومكثَ مَلِيّاً لا يأمرُ بأمر، ولا ينهى عن شيء. وعطش الناس، وأخذ منهم حرّ الشمس أكبر مأخذ، وهم صابرون على ما قضاه الله عليهم، حتى مات بعضهم من العطش. ولما رأى قلقَ العالم وتخيّرهم، أعجبه ذلك وضحك، وقال بلسان الغور: (٢٣٠) نَتَوْنَتُو نَتَوْنَتُو «يوماعبوساً قمطيراً». وكردّ هارمّتين أو ثلاثا، وكان العالمُ المجتمعُ في تلك الجلدِ نِيحاً، أي: العرض، ما ينوفُ عن زُهاء عشرين ألفاً، وكان فيهم

(١) أوردكا: لقب فوروى مركب من كلمتين: «أور» بمعنى: سحاب، و«دكا»

بمعنى: أسود. Voyage au Darfour, p. 254, Note 1.

رجل صالح يقال له : الشيخ حسن الكو^(١) . فبرز وقال بأعلى صوته : اسكت يا كافر . ثلاثاً . فأخذه الرُعبُ من الشيخ المذكور وولّى هارباً . ورفع الشيخ يديه إلى السماء وقال : اللهم ارحم عبادك . فما تمّ كلامه حتى ارتفع السحابُ مثل الجبال ، ونزل المطرُ وتفرّق الناس ، وكان يوماً مشهوراً . وسبّب^(٢) غضبَ الشيخ أنه^(٣) مثّل نفسه بالإله ، ومثّل عرضَ الناسِ عليه بعرضِهِم للحساب ، ومثّل شدّة حرّ الشمسِ بشدّة حرّ يوم القيامة . ولذلك استشهد بقوله : نتو ، بالآية الكريمة . و«ن» بمعنى : هذا ، و«تو» بمعنى : يوم . والباقي هو^(٤) نصُّ الآية الكريمة^(٥) .

نادرة :

حكى أن [الأب] الشيخ محمد أوردكاً المذكور كان قليلَ العقل ، ومن قلّة عقله أنه لما تولّى في منصب الأبوّة ، أمره السلطانُ تيراب أن يقرأ ، ليتعلّم القراءة والكتابة ، فأحضر فقيهاً يعلمه ، فكتب له حروف الهجاء ، وصار يقرأ عليه في كل يوم ، واستمرّ على ذلك مدة أيام . ثم إنه ذات يوم طلبَ المصحف فجاء به له ، فتصفّحه ونظرَ في السطور ، فرأى واواً مفردةً فعرفها وقال للفقير : إنمانيح واوٍ ؟ يعني : أليس هذه واو^(٦) ؟ فقال الفقيه : نعم . فقال : قد (٢٣١) ختمتُ القرآن . وأمر بذبح الذبائح ، وضرب الطبول ، وصنعَ وليمةً عظيمة . فعُدّت هذه من طيشه ، وخفّة عقله .

ولنرجع إلى ما كنا بصددّه فنقول :

-
- (١) كو : لفظة فورافية ، معناها : صارم ، شديد .
(٢) في الأصل : وبسبب .
(٣) أي : الأب الشيخ محمد أوردكا .
(٤) في الأصل : هي .
(٥) يقصد الآية القرآنية : « انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً » سورة الانسان ، آية ١٠ .
(٦) كذا .

ومع كثرة الخِصيانِ في دار السلطان لم يَسَلَمَ من الدَّنس ، لأنَّ النساءِ شياطينُ لا يَغْلِبُهُنَّ غالب ، سِجًّا وقد قامَ عُذْرُهُنَّ بداعي كَثَرَتِهِنَّ في بيتِ السلطانِ ، وهنَّ في سنِّ الشبابِ والراحةِ ، وحُسْنِ المأكَلِ والملبسِ ، فلشَّهوةٍ فيهنَّ نصيبٌ أوفر . ولَمَّا سُجِنَ في هذا السَّجنِ ، تحيَّلَنَ على دخولِ الرجالِ بكلِّ حيلة .

فهنَّ مَنْ تصاحبُ من الرجالِ من الخُدَمة الذين بالباب . ومنهنَّ مَنْ لها عجائزُ يأتينَهَا بالرجالِ بحيلة : وهى أن العجوز تتأمل في الفتيانِ ، حتى ترى الشابَّ الجميلَ الذى لا نباتَ بَعَرَضِيهِ^(١) فتتحيلُ عليه بلطفٍ حتى تأخذه إلى دارها — ومن المعلوم أن شَبانَ السودانِ لا يحلقون رؤوسهم ، بل يوفرونَهَا فتصيرُ الوفرةُ لهم كسعرِ النساءِ — وتعملُ وفرةَ ظفائِرٍ كظفائِرِ^(٢) النساءِ ، وتلبسُهُ حُلِيًّا كحليَّتهنَّ من عقودٍ وتماثِمَ ومدارِعَ ومنجور ، وتلبسُهُ دُرَاعَةً وفَرْدَةً وثوبًا بحيث لا يشكُّ رائِيه أنه امرأة ، وتُدخلُه دارَ السلطانِ بينَ نساء ، فتى ولجَ ذهبَ خوفُها ، وسلَّته لمن أدخلته برسمِها ، (٢٣٢) فيمكثُ ما شاء الله أن يمكثَ ، فإن سترَ الله عليه خرج كما دخل ، وإن عُثِرَ عليه قُتِل . ولا يُعثرُ عليه إلا بأسباب .

منها : أن تعلم أمرَه إحدى ضرائرها ، فتطلبه منها فتأبى هى بُخْلًا به ، أو لا يرضى هو أن يذهبَ . فحينئذٍ يحملُها الغيظُ على أن تفتنَ عليه^(٣) ، فيُعثرُ عليه .
ومنها : أن السلطانَ يأمرُ بالتمشيشِ ، فيحضِرُ الطواشيَّةَ كلَّهم ، ويفتَشُ مهمَّ البيوت ، ومن وجدوه قتلوه .

(١) كذا في الأصل .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) تعبير دارج ، معناه : تشى به .

ومنها : أَنَّهُ يَزْهَقُ مِنْ طَوْلِ الْمَكْثِ ، فيُخْرَجُ وَحْدَهُ ، فَيَعْتَرُ عَلَيْهِ الْبُوابُونَ وهو خَارِجٌ فيقتلونه ، وإن ستر الله عليه خرج . وأغلبُ من يدخلُ بالصفة التي ذكرناها ، لا يُخْرَجُ إِلَّا بِاللَّيْلِ ، أو مع نساء كثيرة ، وهو في وَسْطِهِمْ .

ومن العجائزِ مَنْ يَتَحَيَّلْنَ^(١) في خروج النساء من بيتِ السلطان ، بأن يُنْكِرْنَ المرأةَ مِنْهُنَّ بَثْيَابٍ مِنْهُنَّ قَدْرَةٍ ، ويُخْرِجْنَها أَمَامَ النَّاسِ جِهَاراً ، فإذا عَثَرَ بِهَا الْبُوابُ أو أَحَدُ الْخَصِيَانِ قِيلَ لَهُ : هذه اسْرَأْةٌ مَسْكِينَةٍ ، كانت دخلت معنا تلتمسُ معروفاً .

ومنهنَّ مَنْ يُدْلِسُ عَلَيْهَا الْخَصِيَانُ ، وذلك لا يكونُ إِلَّا إِذَا عِلِمَ الْخَصِيُّ أَنَّهُ إِنْ عَرَضَ انْفَتَحَ لَهُ مَهْوًى فَقُتِلَ فِيهِ . فحينئذ يسكتُ قهراً عنه ، وتدخلُ المرأةُ وتخرجُ ، وتدخلُ مَنْ شَاءَتْ ولم تحشَ بأساً .

ومن ذلك ما وقع من بعضِ محاطِي السُّلْطَانِ صَابُونٍ مع تَرْفُفِكَ مُحَمَّدٍ (٢٢٣) ابنِ عَمِّهَا ، وسنذكر ذلك في سيرةِ السُّلْطَانِ صَابُونٍ ، سلطان دار الوادى ، إن شاء الله تعالى^(٢) .

واعلم أن نساء السودانِ كثيراتُ الشَّبَقِ والعُلْمَةِ أَكْثَرُ من غيرهنَّ لأُمُورٍ :

الأوَّلُ : لفرطِ حرارةِ الإقليمِ .

الثانى : لكثرةِ مخالطتهنَّ للرِّجَالِ :

الثالث : لعدمِ صَوْنِهِنَّ واستقرارِهِنَّ في البيوت ، فمن ذلك ترى المرأةَ مِنْهُنَّ

لا تَقْنَعُ بِزَوْجٍ وَلَا بِخَلِيلٍ وَاحِدٍ ، على حدِّ قولِ الشاعِرِ ، من الهزج :

(١) في الاصل : يتحيل .

(٢) وردت هذه السيرة في كتاب آخر للتونسي هو : « رحلة الى وادى » والمعروف

أن الاصل العربى لهذه الرحلة مفقود ، ولم تبق سوى ترجمتها الفرنسية .

المعروفة باسم : Voyage au Ouaday

أَيَّامَن لَيْسَ يُرْضِيهِمْ خَلِيلٌ وَلَا أَلْفًا خَلِيلٌ كُلٌّ عَامٍ
أَرَاكَ بَقِيَّةً مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ
الرابعُ : لعدمِ اقتصارِ أزواجهنَّ عليهنَّ ، لأنَّ الرجلَ منهم إن كان ذا قُدْرَةٍ
نكحَ من الحرائرِ أربعاً ، وتسرى بغيرهنَّ من السراى ، وكلُّ ذلك على قدرِ حاله ،
والنساءُ شقائقُ الرجال ، والنفسُ واحدةٌ فى الشهوةِ والطبع ، خصوصاً وعندهنَّ من
الغيرةِ مالا يزيدَ عليه ، فيتحيطنَ على الاجتماعِ بغيرِ زوجهنَّ ، وتأخذُ^(١) كلَّ منهنَّ فى
ضروبٍ من الحيلِ تتوصلُ بذلك إلى مرغوبِها ؛ وإن كان لا يقدرُ على التَّسرى ،
طَمَحَ نظره إلى غيرِ امرأته ، فتى علمتْ امرأته بذلك ، حداها حادى الغيرةِ على
الاجتماعِ بغيره .

الخامس : العادةُ ، لأنهنَّ دِنَ صِغَرِهِنَّ قد تَعَوَّدْنَ الاجتماعَ مع أترابهنَّ من الذكور
حتى كَبُرْنَ على ذلك ، والعادةُ إذا استحكمتْ (٢٣٤) صارتْ طبعاً ، فلذلك إذا
تَزَوَّجَتْ ، لا يَمَكُنُها الاقتصارُ على زوجٍ واحدٍ ، إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ . وَمِنْ حَيْثُ أَنَّ هَذَا
الطَّبَعَ مَرْكُوزٌ فِيهِنَّ ، يَصْدُرُ مِنْهُنَّ مَا يَصْدُرُ ، فَلِذَلِكَ لَا يُرَى مِنْهُنَّ مَنْ اقْتَصَرَتْ
على بعلها إِلَّا الْقَلِيلُ . وَكَلَّمَا تَقَادَمَ الزَّمَنُ ، كَلَّمَا^(٢) كَثُرَ الْفَسَادُ عِنْدَهُمْ .
نادرة :

وَمِنَ الْمَجْرَبِ فى دارفور ، أَنَّ النَّارَ إِذَا اشْتَعَلَتْ فى دارٍ^(٣) واشتدَّ وَقْدُهَا ،
وَعَجَزُوا عَنْهُ ، نَادَوْا : هَلْ مِنْ طَاهِرَةٍ ؟ فَتَأْتِى امْرَأَةٌ عَجُوزٌ لَمْ تَزِنْ^(٤) قَطُّ ، فَتُخْرِجُ

(١) فى الأصل : وياخذ .
(٢) كذا فى الأصل بتكرار لفظ « كلما » ، وهو من تأثير العامية فى الفصحى ،
والصواب حذف « كلما » الثانية .
(٣) فى الأصل : دور .
(٤) فى الأصل : لم تزن ، بفتح النون .

كُنْفُوسَهَا ، وَأُشِيرُ بِهِ لِلنَّارِ فَتُطْفَأُ^(١) بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَذِهِ مِنْ مُجَرَّبَاتِهِمْ .

وَحِينَ كُنْتُ هُنَاكَ وَقَعَ حَرِيقٌ فِي بَيْتِ جَدَّةِ السُّلْطَانِ وَاشْتَدَّ ، وَحَضَرَ السُّلْطَانُ بِنَفْسِهِ ، وَأَرَبَابُ دَوْلَتِهِ ، فَمَا أَمْنَكُمُ إِطْفَاؤُهُ . وَنَادَى مُنَادِي السُّلْطَانِ : هَلْ مِنْ طَاهِرَةٍ ؟ وَتَكَرَّرَ النَّدَاءُ فِي الْبَلَدِ ، فَمَا قَدِرْتُ امْرَأَةً تَأْتِي لِذَلِكَ الْحَرِيقِ . وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ الْآنَ فِيهِنَّ طَاهِرَةٌ . لَكِنْ سَمِعْتُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ يُوْجَدُ فِي نِسَاءِ أَغْرَابِ بَادِيَّتِهِمْ ، وَأَمَّا نِسَاءُ السُّودَانِ^(٢) ، فَقُلْتُ أَنَّ يُوْجَدُ فِيهِنَّ طَاهِرَةٌ ، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ — حَيْثُ لَا عَقْلَ يَرُدُّعُهَا ، وَلَا خَوْفَ يَزْجُرُهَا ، وَلَا دِينَ تُرَاعِيهِ — تَفْعَلُ مَا أَرَادَتْ ، بَلْ قَدْ تَفْتَخِرُ بِكَثْرَةِ الْأَصْحَابِ ، وَتَقُولُ : لَوْ كُنْتُ قَبِيحَةً مَا جَاءَنِي أَحَدٌ ، وَلَوْ لَا أَتَى مِنَ الْحَسَنِ بِمَكَانٍ مَا أَلْفَنِي الرِّجَالُ ، وَارْتَكَبُوا مِنْ شَانِي^(٣) الْأَهْوَالِ .

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ^(٤) ، إِذَا أُسْنَتِ الْمَرْأَةُ ، وَكَانَ لَهَا وَلَدٌ جَلِيلٌ ذُو (٢٣٥) شَهْرَةٍ ، يَنْعَمُهَا ذَلِكَ عَنْ ارْتِكَابِ الزُّنَا ، وَعَنْ التَّطَلُّعِ لِلرِّجَالِ ، إِمَّا لِعِلْمِهَا بَعْدَمِ الرَّغْبَةِ فِيهَا ، إِنْ كَانَتْ مُسْنَةً ، أَوْ لَخَوْفِهَا عَلَى مَقَامِ وَلَدِهَا وَجَلَالَةِ قَدْرِهَا ، الْأَنْسَاءِ السُّودَانِ .

فَقَدْ حَكَى لِي مَنْ هُوَ أَعَزُّ أَصْحَابِي — وَصُونًا لَصَحْبَتِهِ لَا أَذْكَرُ اسْمَهُ — أَنَّ خَالَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدَ فَضْلٍ ، الْمُسَمَّى : مُحَمَّدَ تَيْتَلْ ، زَوْجَتُهُ أُخْتُهُ ، وَهِيَ أُمُّبُوسُ أُمُّ السُّلْطَانِ ، وَعَمْرُهَا بِنَحْوِ^(٥) خَمْسِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، بِامْرَأَةٍ مِنْ بَيْتِهَا ، وَصَنَعَتْ لَهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : فَتُطْفَأُ .

(٢) الْمَقْصُودُ بِالسُّودَانِ هُنَا أَهْلُ دَارْفُورِ الْأَصْلِيِّينَ الَّذِينَ لَمْ يَخْتَلَطُوا بِالْعَرَبِ

الْوَاغِدِينَ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يَكُونُوا قَدْ تَأَثَّرُوا بِهِمْ بَعْدَ .

(٣) تَعْبِيرٌ عَامٍ .

(٤) يَقْصَدُ بِبِلَادِ الْعَرَبِ هُنَا الْبِلَادَ السُّودَانِيَّةَ الَّتِي تَسْكُنُهَا الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

مَهْرَجَانًا^(١) عظيمًا ، هُرِعَ الناسُ للفرجةِ عليه . فأخبرني أنه كان من جملة المتفرجين ، قال : بينما أنا واقفٌ ، إذ جاءت أمُّ السلطانِ ، ومعهما سِرْبٌ من النساءِ كنَّهن الغزلانُ ، وهى تمشى أمامهنَّ ، وهنَّ خلفها . وهى كانتُ جاريةً بشعةَ المنظرِ ، مُشوَّهةَ الخلقِ ، دنيَّةَ الأصلِ ، لأنه لا يوجدُ فى سكانِ دارِ الفورِ أدنى أصلًا من البيئتين الذين هى منهم . فصار كلُّ من الواقفينِ يتمجَّبُ من صُنْعِ الله تعالى ، أنْ قدَّم هذه المرأةَ ، مع ما هى عليه من قبحِ الذاتِ والأصلِ ، على مَنْ هُنَّ أحسنُ وجهًا وأصلًا ، وذاتًا وبهاءً وجمالًا . قال : فدخلتُ على أخيها تبتل ، وكان وقتَ بناءِ بُعْرُسِه ، فمكثتُ عنده برهةً ثم خرجتُ . قال : فلم نشعرْ إلا برزينِ الخلاخلِ والحليِّ وعنقِ الطَّيِّبِ ، فعلمنا أنها خارجةٌ فوقفنا صفاً ، حتى إذا خرجتُ لم أشعرْ بها إلا وقد قبضتُ على يدي ، وجذبتنى للذهابِ معها . فأردتُ الامتناعَ ، وكأني تعاصيتُ ، فدفعنى (٢٣٦) النساءُ اللاتى خلفها ، وكرهتُ أن يشعَرَ الناسُ بذلك ، فمشيتُ معها محاذياً لها ، وهى بجانبى قابضةٌ على . فلما كنا فى أثناء الطريقِ قالتُ : أنا تعبتُ — مع أنه لم يكن بين بيتِ أخيها وبيتها أكثرُ من مائةِ خطوة ، وقد بلغنى أنها قبلَ اتصاليها بالسلطانِ ، كانت من أقلِّ الجوارى المبتذلاتِ للمهنة ، فكانت تأتى بالماءِ والحطبِ على رأسِها من الخلاء ، والآنَ تتعبُ من مشى^(٢) مائةِ خطوة — قال ، فقلتُ لها : من كثرةِ ما عانيتِ فى هذا اليوم . قال : ثم دخلنا الدارَ — والخصيانُ واقفونَ على البابِ ، لا يجترئُ أحدٌ منهم أن يتكلمَ ، وقد عرفونى معها — فلما وصلتُ إلى حجرتها دخلتُ ، فدخلتُ معها ،

(١) بهذا الضبط فى الأصل .

(٢) فى الأصل : شى .

فأطَلَقْتُ يَدِي فجلستُ على فراشٍ هناك، وانظرَحْتُ هِي على سُريرِها ، تَتَقَلَّبُ يَمَنَةً
وَيَسْرَةً ، وَتَهْزُ مِنْجُورَهَا بِيَدَيْهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنَّ بِي صُدَاعًا . فَقُلْتُ لَهَا : لَا بَأْسَ
عَلَيْكَ . قَالَتْ : فَاقْرَأْ لِي عَلَيْهِ ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ . فَجِئْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ حِيلَةٌ مِنْهَا
لِنَقْصِودِهَا، وَأَنَّ الْكَبِيرَ يَمْنَعُهَا أَنْ تَقُولَ لِي : هَيْتَ لَكَ ، مَعَ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ كَانَ مَعَها مِنَ النِّسَاءِ
ذَهَبَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنَا وَهِيَ، وَهَنَّاكَ جَارِيَةً جَالِسَةً خَارِجَ الْبَابِ، إِنْ احتَاجْتُ إِلَى شَيْءٍ دَعَتْهَا لَهُ .
قَالَ : فَلَمَّا أَكْثَرْتُ مِنَ التَّقَلُّبِ، وَلَمْ تَرَمْنِي مِيلًا إِلَيْهَا، دَعَتْنِي لِأَقْرَأَ عَلَى صُدْعِهَا .
فَحِينَ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى صُدْعِهَا وَابْتَدَأْتُ الْقِرَاءَةَ ، ارْنَعَشْتُ تَحْتَ (٢٣٧) يَدِي ،
وَصَارَتْ تَضْطَرِبُ اضْطِرَابَ الْمَذْبُوحِ وَتَتَأَوَّهُ ، فَشَمِمْتُ مِنْهَا رَائِحَةَ الطَّيِّبِ فَأَنْعَشْتُني ،
وَأَخَذْتُ مَا يَأْخُذُ الرَّجُلَ مِنَ النَّشَاطِ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَعْلُوَهَا ، فَأَدْرَكَنِي خَوْفٌ مِنْ
ابْنِهَا السُّلْطَانِ ، لِأَنَّهُ مَتَى وَجَدَ مَعَ أُمِّهِ أَحَدًا قَتَلَهُ . وَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْهُ ذَلِكَ مَرَارًا ،
[إِذْ كَانَ] يَهْجُمُ ^(١) عَلَيْهَا بَغِيرِ اسْتِئْذَانٍ . لَكِنَّهَا قَدْ رَصَدَتْ لَهُ أَنَسًا يُخْبِرُهَا بِمَجِيئِهِ ،
فَإِنْ كَانَ عِنْدَهَا أَحَدٌ تَحِيلَتْ فِي إِخْرَاجِهِ .

قَالَ : وَخِفْتُ أَيْضًا لِي ^(٢) ، لِأَنِّي كُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّهَا مُصَابَةٌ بِدَاءِ الْحَصَرِ ، وَهُوَ الْمَعْبَرُ
بِهِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ بِالسَّيْلَانِ الْأَبْيَضِ ، أَعْنَى : أَنَّ كُلَّ مَنْ وَقَعَهَا ابْتُلِيَ بِهِ ، سَيِّئًا وَقَدْ شَاهَدْتُ
مَنْ مَرِضَ بِهِ مِنْهَا .

قَالَ : فَحِينَ أَدْرَكَنِي الْخَوْفُ مِنْ هَاتَيْنِ الْجَهَنَّتَيْنِ بَرَدَ مَا بِي قَلِيلًا ، وَكَانَتْ قَدْ أَطْلَعْتُ
عَلَى حَالِي أَوَّلًا، فَلَمَّا رَأَتْ مِنِّي الْفُتُورَ ظَنَنْتُ أَنِّي جَائِعٌ ، فَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ لَهَا اسْمُهَا : ذِرَاعُ

(١) فِي الْأَصْلِ : مَرَارًا وَيَهْجُمُ ، وَمَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ زِيَادَةً يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ ، بَعْدَ
حَذْفِ الْوَاوِ .

(٢) كَذَا . وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ : خِفْتُ عَلَى نَفْسِي .

القادر ، وقالت لها : ائتِ بطعام جميل . فأتت الجارية بإثنين في أحدهما حمام مقلوب في السمن ، وفي الآخر فطير بالسل ، وقالت لى : كُلْ . قال : فأبيت واعتذرت بأني غير جائع . فخلت على ، فتناولت من الطعام وأعجبتى ، [وكان الوقت متأخراً] ^(١) وكنت في تلك الليلة محتاجاً [للطعام برغم ما قلت] ^(٢) .

وبينا أنا آكل إذ سمعت حركات عنيفة وكركبة ^(٣) ، وجاء الخدم يهرعون ويقولون : إن السلطان قد أتى . فقالت : خذوا هذا وأخرجوه من الباب الثانى . فأخذنى الجوار وأسرعوا فى المشى ، حتى أخرجونى من الزريبة .

ومن لطف (٢٣٨) الله تعالى أن السلطان لم يدخل عليها من الباب الذى عادته الدخول منه ، بل من ^(٤) الباب المذكور ، وأوقف عليه حرساً . ودار حتى أتى للباب الذى خرجت منه ، لأنى بمجرد خروجى وانفصالى عن الباب ، رأيت نواصى الخيل قد أقبلت ، فوفقت على بُعد أرى ما يكون . فسمعتة يقول للبوّابين : مَنْ خرج الآن من هنا ؟ فقالوا : لا أحد . فقال أحد الفرسان : أنا رأيت إنساناً انفصل من هنا ، وأظنه كان هنا . فقال جميعهم : ما رأينا أحداً . كل ذلك وأنا واقف أسمع ، وحدث الله الذى أخرجنى قبل وصولهم ، وإلا لو وصلوا إلى الباب قبل خروجى كنت أول قتيل .

فحين سمعت منه هذه القصة تعجبت غاية العجب ، وعلمت أن الخليان لا ينفعون إلا مع عدم غرض النساء ، ومتى كان للمرأة غرض لا يقدر الخصى أن يصنع شيئاً . فانظر يا أخى كيف وقعت هذه القصة من هذه المرأة ، مع أنها أم ملك ،

(٢١) ما بين الحاصرتين منقول من الترجمة الفرنسية . Voyage, P, 266 .
(٢) ضبط هذا اللفظ العامى على النطق الشائع فى اللهجة المصرية .
(٣) فى الأصل : الى .

ولو وقعت من غيرها لكان للكلام فيها مجال ، فكيف بهذه^(١) ؟ وبالجملة فالنساء لا خير فيهنَّ إلاَّ مَنْ حَفِظَهَا اللهُ ، وَرَحِمَ اللهُ مَنْ قَالَ ، من الطويل :

ففيهنَّ مَنْ تَسَوَّى ثَمَانِينَ بَكْرَةً وفيهنَّ مَنْ تَغْلُو بِجِلْدِ حُورِهِ
وفيهنَّ مَنْ تَأْتِي الْفَتَى وَهُوَ مَعْسِرٌ فَيُضْحِي وَكُلُّ الْخَيْرِ فِي صَحْنِ دَارِهِ
وفيهنَّ مَنْ تَأْتِي الْفَتَى وَهُوَ مُوسِرٌ^(٢) فَيُصْبِحُ لَمْ يَمْلِكْ عَلَيَّ حَمَارِهِ
(٢٣٩) وفيهنَّ مَنْ لَمْ يَسْتُرِ اللهُ عِرْضَهَا إِذَا غَابَ عَنْهَا الزَّوْجُ رَاحَتْ لَجَارِهِ
فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ خَائِنَةَ النَّسَاءِ^(٣) وَأَحْرَقَ كُلَّ الْخَائِنَاتِ بَنَارِهِ
وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَصِيبَةٍ تَقَعُ ، أَصْلُهَا النَّسَاءُ . فكم بسببهنَّ قَتِلَتْ مُلُوكٌ ، وَخُرِبَتْ
مَمَالِكٌ ، وَسُمِّمَتْ دِمَاءٌ . فهُنَّ لَنَا شَيَاطِينُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ ، [من البسيط] :
إِنَّ النَّسَاءَ شَيَاطِينُ خُلِقْنَ لَنَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

غريبة :

مُقْتَضَى أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْخَصِيَانَ لَصِيَانَةَ الْحَرِيمِ عَنِ الرِّجَالِ ، أَنَّ الْخَصِيَانَ
أَمْنَاءَ عَلَيْهِنَّ مِنْ طَرَفِ السَّيِّدِ ، وَالْأَمْرُ يُخَالِفُ ذَلِكَ . فَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ مَنْ عِنْدَهُ عِدَّةُ نِسَاءٍ
يَتَمَتَّعُ بِهِنَّ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَأَيْتُ عِنْدَهُ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ كَرَّارًا ، الَّذِي أَسْلَفْنَا ذِكْرَهُ .
وَحَكَى لِي مَنْ أَتَى بِهِ : أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْغَلَبَ عَلَيْهِ فِي قِتَالِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ فَضْلًا ، كَانَ عِنْدَهُ
امْرَأَةٌ مِنْ أَجَلِ النَّسَاءِ ، فَذَبَحَهَا بِاللَّيْلِ قَبْلَ مَوْتِهِ لِئَلَّا يُحْظَى^(٤) بِهَا غَيْرُهُ . وَهَذِهِ نَهَايَةُ الْغَيْبَةِ .

(١) الرّاجع من سياق هذه القصة المطولة أنّها خالية من الحقيقة ، وأنّها من تليقات الراوى وتشهيراتّه ، وتفآخره بجاذبيته الجنسية ، لأنّه لم يعرف عن هذه السيدة شيء من هذا القبيل في حياتها الطويلة .

(٢) في الأصل : مؤسر .

(٣) في الأصل : النساء .

(٤) كذا في الأصل ببناء الفعل للمجهول .

ورأيتُ في دار فورَ وفي الوادَاى كثيرًا من الخُصيانِ ، كلُّ منهم حائِزُ نساءٍ عديدةٍ ، وسألتُ من ^(١) أهلِ الخبرة : ما يصنعونَ بهنَّ ؛ وهُم كهُنَّ من حيثُ إنَّ أعضاءَ التناسلِ مفقودةٌ ؟ فقيلَ لى : إنهم يساحقونَ النساءَ ، ويشتدُّ بهنَّ الحالُ وقتَ المساحقةِ ، حتى إنه يعَضُّ الأُنثى وقتَ الإنزالِ عَضًّا مؤلماً . وكنتُ إذ ذاكَ الجُهليُّ بعلمِ الطَّبِّ أَصَدِّقُ ذلكَ ، لكنَّ الآنَ لا (٢٤٠) أَصَدِّقُهُ ، لأنَّ وظيفةَ العضوِ قد فَقِدَتْ بِفَقْدِهِ ، والعلةُ تدورُ مع المعلولِ وجوداً وعدمًا .

وكنتُ سألتُ أهلَ الخبرةَ عن كَيْفِيَّةِ الخُصْيِ ، فأخبرَنى بعضهم أنه يُؤْتَى بَنَ يُرادُ الفعلُ به ، فيضْبَطُ ضَبْطًا جَيِّدًا ، وتُمْسَكُ المذاكِرُ وتُستَأْصَلُ بِمُوسَى حادٍّ ، ويوضعُ في ثُقبِ مجرى البَوْلِ أنبوبةٌ صغيرةٌ من صَفِيحٍ لَثَلًا يَنْسَدُّ ، ويكونُ قد سَخَّنَ السَّخَنُ على النارِ تسخينًا جَيِّدًا حتى غَلَى ، ثم يُكْوَى به محلُّ القطعِ . وبعد أن يكونَ محلُّ القطعِ جُرحًا حديدِيًّا ، ينقلبُ جرحًا ناريًّا ، ثم يَدَاوَى بالتَّغْيِيرِ عليه بالتفتيكِ والأربطةِ ، حتى يُشْفَى أو يموتَ ، ولا يُشْفَى منه إِلَّا القليلُ .

فإن قيلَ : إنَّ في هذا تعذيبًا للحيوانِ الناطقِ ، وقطعًا للتناسلِ المأمورِ بكثرةِ شرعًا فهو حرامٌ . قلتُ : نعم ، قد صرَّحَ غيرُ واحدٍ من العلماءِ بحُرْمَتِهِ ، خصوصًا جلالُ الدين السيوطي رحمه الله ، فإنه صرَّحَ بالتحريمِ في كتابهِ الذى ألفه فى : « حرمةِ خِدْمَةِ الخُصيانِ ، لِصَرِيحِ سَيِّدٍ وَلِدِ عَدْنَانَ » . لكنَّ الحرمةَ على الفاعلِ ، وإنما يُنْهَى الخُصيانَ قومٌ مِنَ المَجْجُوسِ ، ويأتونَ بهم إلى بلادِ الإسلامِ ، فيبيعونَهُم ويهادونَ بهم ، ولا يُنْهَى على يدِ المسلمينَ منهم إِلَّا القليلُ النادرُ .

وأما استخدامُهُم بعد الخُصْيِ فلا ضررَ فيه ، بل فيه ثوابٌ عظيمٌ ، لأنَّهُم لولم

يُستخذَمُ الْحَصَلَ (٢٤١) لَمْ الضَّرَرُ مِنْ وَجْهَيْنِ : الْأَوَّلُ : مِمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَطَرِ
الْمَوْجِبِ لِفَقْدِ اللَّذَّةِ الْعَظِيمَةِ ، وَقَطْعِ التَّنَاسُلِ . وَالثَّانِي : مِنْ ضَيْقِ الْمَعِيشَةِ .

فَإِنْ قِيلَ : إِذَا كَانَ الْأَمْرَاءُ كَالْمُلُوكِ وَمَنْ يَجْرِي بِجَرَاهُمْ ، يَجْمَعُونَ كَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ
فِي دَوْرِهِمْ ، وَكُلُّهُنَّ شَابَّاتٌ — وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْغَيْزَةَ مَوْجُودَةٌ فِيهِنَّ ، كَمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ
فِي الرِّجَالِ ، لِأَنَّهُنَّ شَقَائِقُهُمْ — فَكَيْفَ يَعَاشِرْنَ بَعْضَهُنَّ ، خُصُوصًا إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ
وَاحِدَةً مِنْهُنَّ ، وَأَعْرَضَ عَنْ غَيْرِهَا ؟

قُلْتُ : إِنَّ الْعِدَاوَةَ وَاقِعَةٌ بَيْنَهُنَّ عَلَى قَدَرِ أَحْوَالِهِنَّ ، فَكُلُّ مَنْهُنَّ تَتَمَنَّى أَنْ يَخْلُوَ^(١)
لَهَا وَجْهُ زَوْجِهَا ، وَلَا يَأْتَفَ سِوَاهَا . لَكِنْ لَمَّا كُنَّ تَحْتَ قَهْرِ الزَّوْجِ ، خُصُوصًا إِنْ كَانَ
مِلْكًا ، يُخْفِينَ الْبَغْضَاءَ ، وَيُظْهِرْنَ الْمَوَدَّةَ . وَهَذِهِ عَادَتُهُنَّ فِي إِخْفَاءِ مَا يُبْطِنُ وَإِظْهَارِ ضِدِّهِ ،
وَلَا يَظْهَرُ مَا أَخْفَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُنَّ إِلَّا إِذَا زَالَ^(٢) خَوْفُهَا ، وَمَلَكَتْ رُشْدَهَا . وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ
مَا كَانَ كَامِنًا فِي صَدْرِهَا .

فَإِنْ قِيلَ : مَا رَتَبَةُ نِسَاءِ السُّودَانِ فِي الْجَمَالِ ؟ قُلْتُ : اعْلَمْ أَنَّ نِسَاءَ السُّودَانِ
عَلَى أَقْسَامٍ فِي ذَلِكَ ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ قَبِيلَةٍ يَوْجَدُ فِيهَا الْجَمِيلُ وَالْقَبِيحُ ، لَكِنْ هُنَاكَ
قَبَائِلُ يَوْجَدُ فِيهَا الْجَمَالُ أَكْثَرُ ، وَأُخْرَى يَوْجَدُ فِيهَا الشَّوْهُ أَكْثَرُ . وَأَقْلُ قَبِيلَةٍ فِي دَارِ
الْفُورِ [مَعْرُوفَةٌ] بِالْجَمَالِ هِيَ التَّمُورَكَّةُ ، لِأَنَّهُمْ وَحْشِيُّونَ أَهْلُ جِبَالٍ وَسُوءُ مَعَاشٍ ، وَكَذَا
الْكِرَاكِرِيَّتُ . وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّ قَبِيلَةَ الْبَرْتِي (٢٤٢) وَلِلْمِيدُوبِ أَجْمَلُ نِسَاءٍ مِنْ غَيْرِهَا .
وَيَلِيهِمَا قَبِيلَةُ الْبَيْقُو وَالْبَرْقُو وَالْمَيْمَةُ وَالتَّنْجُورُ . وَأَشْوَهُ قَبَائِلِ الْفُورِ نِسَاءُ أَعْجَامِ الْفُورِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : يَخْلُ ، بِضَمِّ اللَّامِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : زَادَ .

ويليهم الدّاجو والبرقِد والمّساليط ، كما أن في دارِ الوادّاي قبيلتيّ أب سنون^(١) ومّلتقا^(٢) أو مّنتقا أجلِ الوادّاي نساء ، ويليهم الكوكة^(٣) والميمه وكشمرة^(٤) . وأقبحها نساء التّاما ، ويليها البرقِد والمّساليط والدّاجو . ولا يقدرُ الإنسانُ أن يساويَ بين جمالِ أهلِ السودانِ وغيرِهم من أهلِ بلادنا لاختلافِ اللون .

تنبئيه :

أجلُ أهلِ بلادِ السودانِ عموماً من مشرقها لمغربها نساء عَفَنُو^(٥) ، ويليهم بأقرّمه وبرنؤ وسنّار . وأوسطهم الوادّاي ، ويليهم الفُور ، وأقبحهم الثّبو^(٦) والكتكو . وبالجملة فالجمالُ يوجدُ في كلّ قبيلةٍ ، لكنّ قد يقلُّ في واحدةٍ ويكثرُ في أخرى ، وسبحانَ مَنْ خَصَّ مَنْ شاءَ بما شاءَ ، لاربِّ غيرُ ، ولا معبودَ سواه . فما كلُّ أسمرٍ مسكاً ، ولا كلُّ أحمرٍ ياقوتاً ، ولا كلُّ أسودَ زباداً^(٧) ، ولا كلُّ لماعٍ

(٢-١) أب سنون - ملتقا : اسم يطلق على جبل في وادّاي ، واليه تنسب قبيلة السنونيين أو أب سنون . كانت هذه القبيلة على الوثنية ، ثم اعتنق أفرادها الاسلام على يد السلطان صليح ، واستطاع بواسطتهم أن ينشر الاسلام في وادّاي ، فاعتنقته قبائل منها : ملتقا ، مدبا ، مدلا وارتبط السلطان صليح وهذه القبائل الأربع برباط المصاهرة ومنها جميعا نشأت الأسرة المالكة في وادّاي .

Voyage au Ouaday, pp. 69-73.

(٣) كوكه : قبيلة تسكن جنوب شرق وادّاي . ترجع أهمية هذه القبيلة في وادّاي الى أنها كانت مصدراً هاماً للحصول على الرقيق . • Voyage au Ouaday, p. 247.

(٤) كشمرة : قبيلة من قبائل وادّاي تقطن وادي البطيحة على بعد أربعة أيام من مدينة وارة عاصمة وادّاي . • Voyage au Ouaday, p. 246.

(٥) عفنو : إحدى بلاد اقليم نفه غربى أغاديس . Voyage au Ouaday p. 15.

(٦) الثبو : يطلق لفظ ثبو بصفة خاصة على سكان اقليم نيبتي ويعرفون كذلك باسم تدا Teda . انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « ثبو » .

(٧) الزباد طيب معروف ، وهو رشح يجتمع تحت ذنب السنور (أي قط الزباد) على المخرج ، فتمسك الدابة وتمنع الاضطراب ويسلت ذلك الوسخ المتجمع هناك بليطة أو خرقة (عن القاموس) .

ماساً . وإن شئت قلت : ما كلُّ أسودَ حمماً ، ولا كلُّ أحمرَ حمماً ، ولا كلُّ أبيضَ
جيراً ؛ فقد يوجد في الأسود والأحمر من الجمال ما لا يوجد في الأبيض الشاهق . وكأني
بقائل يقول : وهل تستوى الظلمات والنور ، أو الظلُّ والحرور^(١) ؟ لكن من الناس
من تعشق في الشمر حيث قال ، (٢٤٣) من الطويل :

وفي الشمر معنى لو تأملت حسنه لما عشت عينك بيضاً ولا حمراً
وأحب بعضهم السواد وبالغ حتى قال ، من الوافر :

أحب لأجلها السودان حتى أحب لأجلها سود الكلاب
وكنت قديماً مغرمًا بهذا المذهب فقلت ، من الوافر^(٢) :

يلوموني على حبي بسوداً وما علموا السيادة في السواد
فقلت لهم : دعوني لا تلوموا فإن السود سادوا بالسواد
وجلُّ البيض لولا الحاجبان وخال الخلد حالك في السواد
لما عشتوا ولا نظروا بعين ولكن الفضيلة في السواد

وفي الأول ، السواد ، بمعنى : السودد ؛ وفي الثاني ، بمعنى : المال ؛ وفي الثالث ، بمعنى :
السواد الحقيقي ؛ وفي الرابع ، [بمعنى] : العالم الكثير .
وقال بعضهم ، من البسيط :

قالوا : تعشقتها سوداً ، فقلت لهم : لون العوالي ولون المسك والعود
إني امرؤ^(٣) ليس حبُّ البيض مكرمة عندي ولو خلت الدنيا من السود

(١) هذا اقتباس من الآية القرآنية : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور » سورة فاطر ، آية ٣٥ .

(٢) في هامش الأصل : الهزج .

(٣) في الأصل : امرء .

وقال الفاضل الشيخ عبد الرحمن الصفقي ، من الكامل :

بالرُّوح أَمَّعَرَ ، نُقْطَةً مِنْ لَوْنِهِ تَكْسُو الْبَيَاضَ مِنَ الْجَمَالِ شِعَارًا
ولو اسْتَقَلَّ مِنَ الْبَيَاضِ بِمِثْلِهَا لَا أُعْتَاظَ مِنْ ثَوْبِ الْمَلَاخَةِ عَارًا
مَا مِنْ سُلَافَتِهِ سَكِرْتُ وَإِنَّمَا تَرَكْتُ سَوَالِفَهُ الْعُقُولِ ^(١) حَيَارَى
حَسَدَ الْحَاسِنِ بَعْضَهَا حَتَّى اشْتَمَتْ كُلُّ الْحَاسِنِ أَنْ تَكُونَ عِذَارًا

(٢٤٤) وَكُنْتُ عَارِضَتُهُ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا قَوْلِي ، مِنَ الرِّجْزِ وَالْكَامِلِ أَحَقُّ :

الْحَقُّ أَيْبُضُ ، دَعَّ مَقَالَةَ مَعْشِرٍ قَدْ عَانَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا
وقال الصفقي أيضًا ، من البسيط :

قَالُوا : تَعَشَّقَتَهَا سَمْرًا ، فَقُلْتُ لَهُمْ لَوْنُ الْعَوَالِي وَلَوْنُ الْمِسْكِ وَالْحَدَقِ
وَمَا تَرَكْتُ بَيَاضَ الْبَيَاضِ عَنْ غَلَطٍ إِنِّي مِنَ الشَّيْبِ وَالْأَكْفَانِ فِي فَرَقٍ

وَتَعَالَى بَعْضُهُمْ فِي مَدْحِ الْبَيَاضِ ، وَذَمِّ السَّوَادِ ، بِكَلَامٍ يَطُولُ ، وَقَالَ : مَنْ عَانَدَ فِي ذَلِكَ ،
عَمِيَّتْ بِصِيرَتِهِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ^(٢) » ،
« وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا ^(٣) »

* وَلِلنَّاسِ فِيهَا يَعْشُقُونَ مَذَاهِبُ *

(١) فِي الْأَصْلِ : الْقَوْلُ .

(٢) سُورَةُ الْأَسْرَاءِ ، آيَةُ ١٢ .

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةُ ١٤٨ .

(الباب الثالث)

[وفيه فصلان]

الفصل الأول^(١)

في أمراض السودان ، والمأكولات ، وصحة الأقاليم ، والصيد
وبعض الحيوانات

يحبُّ على العبد أن يعلم أن الله خصَّ كلَّ إقليم بما لا يُوجد في غيره ، وجعلَ
في كلِّ قبيلة خاصية لا توجد في غيرها ، ولذا إذا تعرَّبَ إنسانٌ من بلده لأخرى ،
يكونُ هواؤها مخالفاً^(٢) لهواء بلده ، تحصلُ له مشقَّاتٌ ، فيمرضُ حينَ يتغيَّرُ عليه الهواءُ ،
فربَّما مات ، وإن لم يمتْ يطولُ مرضه ، ولا يصحُّ جسمه ، حتى يعتادَ بهواء البلد التي
سكن فيها بعد طولِ المدة .

ولما كان الأمرُ كذلك ، كان الأولادُ الذين يتناسلونَ من أمٍّ وأبٍّ فوراً وبيِّنٍ
مثلاً ، أطولَ أعماراً وأقوى (٢٤٥) بنيةً . ولذلك ترى الرجلَ له عشرةٌ من الولدِ وأكثرُ ،

(١) في الأصل : « فصل » وانظر صفحة ٢٢٦ حاشية ١ .

(٢) في الأصل : مخالف .

أقوياء أصحاء . وكذا أعرابُ البادية هناك لا يموتُ الرجلُ منهم حتى يرى من ولده عدداً كثيراً ، فلو انعكس الأمرُ : بأن تزوج فوراًوى عربيةً ، أو عربى فوراًوىةً ، ترى سلالةً ضعيفةً نحيفةً ، لا يعيشُ منها إلا ما قلَّ ونَدَر . وهذا مما يدلُّ على أن في البلدِ والجنسِ خاصيةً لا توجدُ في غيرها ، لأن كلَّ ولدٍ يوجدُ من أبوين من نوعٍ واحد ، وبلدٍ واحد ، يكون ^(١) أقوى بنيَّةً ، وأعدلَ صحَّةً . وترى من انعكسَ فيه الأمرُ ضعيفاً ، فاسدَ اللونِ نحيفاً .

ورأيتهُم في دارفور ، ودار واداي ، يستعينون على صحَّةِ الطفلِ بأخذِ الدم ، فيأخذونَ الطفلَ حينَ يستكملُ أربعينَ يوماً من ولادته ، ويُشرِّطون بطنه من الجهتين — أعنى : اليمنى واليسرى — تشاريطَ كثيرةً ، وينزلُ منه دُمٌ غزير . وحينَ يستكملُ ثلاثةَ أشهرٍ يفعلون به ذلك ، وإن لم يُفعلْ به ، ربما هاجَ عليه الدَّم فقتله .

وأكثرُ أمراضِ الأطفالِ عندهم المرضُ المسمَّى : « أبو لسان » وهو داءٌ يعتريَ الطفلَ في غلصمته ، أى عند اللِّهامة ^(٢) ، فتحدثُ له فيها زائدةٌ كلسانِ العصفور ، عند أصلِ اللسان ، فيعالجونها بالقطع . وصورةُ الآلةِ التي يقطعونها بها هكذا :



[آلة لقطع زائدة كلسان العصفور عند أصل لسان الطفل]

(١) فى الأصل : كان .

(٢) فى الأصل : اللهات .

(٢٤٦) وهى حديدية مركّبة فى يدٍ من خشبٍ ، ومعها قطعة خشبة ناعمة ، فَيُدْخَلُ الطَّيِّبُ الخَشْبَةَ أولاً ، حتى يوصِّلَهَا إِلَى الْحَلِّ الَّذِى فِيهِ الزَّائِدَةُ ، وَيَكُونُ الْعَلِيلُ قَدْ ضُيِّطَ ضَبْطًا جَيِّدًا ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْحَدِيدَةُ حَتَّى يَصِلَ رَأْسُهَا الْمَمْرُوجُ إِلَى أَصْلِ الزَّائِدَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْأُخْرَى ، وَتَبْقَى الزَّائِدَةُ بَيْنَ الْحَدِيدَةِ وَالْخَشْبَةِ ، وَيَتَّكِيُ عَلَيْهِمَا مَعًا ، فَتَنْقَطِعُ الزَّائِدَةُ بَيْنَهُمَا ، فَيُخْرِجُ الْحَدِيدَةُ وَالْخَشْبَةُ مَعًا ، فَيَرَى عَلَى الْخَشْبَةِ قِطْعَةً لَحْمٍ صَغِيرَةً ، وَيَكُونُ قَدْ اسْتَحْضَرَ عَلَى قَلِيلٍ ^(١) مِنَ النَّطْرُونِ ، وَسُحِقَ جَيِّدًا بَيْنَ حَجَرَيْنِ ، ثُمَّ يُبَلُّ الرَّجُلُ إِنْصَبَّعَهُ ، وَيُجْعَلُهُ عَلَى الْمَسْحُوقِ فَيَلْتَصِقُ بِهِ ، وَيَدْخُلُهُ فِي فَمِ الْعَلِيلِ ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَدْخَلَ الْخَشْبَةَ ، إِنْ كَانَ الطِّفْلُ قَدْ أَثْفَرَ ، لَكِنْ لَا يَوْصِّلُهَا إِلَى مَحَلِّ الْأَلَمِ ، بَلْ حَتَّى [لَا] تَتَجَاوَزُ أَسْنَانَ الْعَلِيلِ . ثُمَّ يَدْعُكَ مَحَلَّ الْقَطْعِ بِالْمَسْحُوقِ الَّذِى عَلَى إِنْصَبَّعِهِ دَعَكًا جَيِّدًا ، فَيَبْرَأُ الْعَلِيلُ بِذَلِكَ . وَإِذَا تَرَكَ أَبُو الْلسَانِ الْمَذْكُورُ أَنْحَلَ جِسْمَ الطِّفْلِ ، وَنَشَأَ عَنْهُ إِسْهَالٌ عَجِيبٌ ، فَيَكُونُ سَبَبًا فِي قَتْلِهِ .

وَبَلِيهِ مَرَضٌ آخَرٌ يُسَمَّى عَنْدهُمْ : « أُمُّ صُتْع » ، وَلَا يَمْتَرِي إِلَّا الْأَطْفَالَ أَيْضًا . وَهِيَ اسْتِرْخَالٌ يَقَعُ فِي الْإِلَهَاءِ وَبَثْرَةٌ تَحْدُثُ فِيهَا ، فَلَا يَشْرَبُ الْعَلِيلُ اللَّبَنَ ، وَلَا يَأْكُلُ ، وَيَصْفَرُّ لَوْنُهُ ، فَيَدْعُونَ لَهُ بِالطَّيِّبِ ، فَيَأْتِي وَيَسْحَقُ النَّطْرُونَ كَمَا تَقْدَمُ ، وَيَضَعُ الْخَشْبَةَ وَحْدَهَا فِي فَمِ الْعَلِيلِ ، وَيَدْخُلُ إِنْصَبَّعَهُ ، فَيَرْفَعُ لَهَا تَهَ ، وَيَفْتَأُ (٢٤٧) الْبَثْرَةَ الَّتِي تَوْجَدُ ، فَيَنْزِلُ مِنْهَا دَمٌ وَقَيْحٌ ، ثُمَّ يَغْمِسُ إِنْصَبَّعَهُ مَبْلُولًا بِرَيْقِهِ فِي النَّطْرُونَ ، وَيُحْكُ بِهِ الْبَثْرَةَ وَالْإِلَهَاءَ ، لَكِنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَيَبْرَأُ الْعَلِيلُ .

(١) عبارة عامية .

وقد يقعُ الإسهالُ المفرطُ ، لكنَّ ينظرُ في الطُّفلِ ، فإنَّ كانَ ابنَ سِنينَ ، ووجدوا
 اللَّقْمَةَ تَبْرُزُ من مَحَلِّها حَكُوها بِشَقْفَةٍ حَتَّى فَتَقُتُوا ما فيها من البُثورِ ، وينزلُ منها دَمٌ
 كثيرٌ ، وَقَلَّلُوا ما كَلَهُ فيَبْرَأُ ؛ وإنَّ كانَ صَغيراً كَابنِ سبعةِ أَشهرٍ أو ثمانيةِ أَوْ نَحْوِها ،
 كَوَؤُهُ حَوْلَ الشَّرْطَةِ أَرْبَعَ كَيَّاتٍ هَكَذَا :



[كَيَّاتِ السَّرةِ]

أعنى : تكونُ السَّرَّةُ في الوَسَطِ ، ويكونُ الكَيُّ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا وَأَيْمَنَهَا وَأَيْسَرَهَا .
 وقد يَعتَرِي الأَطفالَ المَرَضُ المَسمَّى بِـ « الغُزِيلِ » ، وهو مَرَضٌ ناشئٌ عن إصابَةِ
 في المَنخِ ، يَتَرَكُ الطُّفْلَ يَعبَثُ بِبَيدَتِهِ وَرِجْلَتِهِ ، على غيرِ الحَالَةِ المألُوفَةِ . وأهلُ مِصرَ كَأهلِ
 تُونُسَ يَقولونَ : إِنَّه من الجانِّ ، حينَ يَتَرَكُ الصَّبِيُّ وَحدَهُ في مَحَلٍّ ، يَعتَريهِ هَذا الحادِثُ ،
 فيَقْتُلُ في مِصرَ وَتُونُسَ وَبِلادِ العَرَبِ أَطفالاً كَثيرَةً .

فأما أَهلُ مِصرَ فيستَعيِنونَ^(١) في عِلاجِهِ بِالسَّكِتَابِ ، لاعتقادِهِم أَنَّهُ من الجانِّ .
 فيأتونَ بِمَن لَه شَهرَةٌ في الرُّقَى والعِزائِمِ والأَقْسامِ ، فيَكْتُبُ للعَلیلِ^(٢) وَيَرَقِي . وهذا قد
 يَصادِفُ أَنَّ العَلیلَ يَخْفُ أُلْمُهُ ، وقد لا يَنجَعُ .

(١) في الأصل : يستعينون .

(٢) في الأصل : العليل .

وأما أهل السودان فيعالجونهُ بالسَّحْمَى في الجبهة ، بأن يأتوا بلبّ قصبة (٢٤٨) من قصبِ الدُّخْن ، ويلاصسون بها النَّارَ حتى تأخذَ فيها ، وتبقى لها زهرة كزهرة الشمعة التي تُقَطُّ ، فيكُونُ العليل بها فيبرأ^(١) لوقته .

ومن أمراضِ الأطفالِ هُنَاكَ « أبو صَفِير » وهو مرضٌ يعترى الطفلَ فيفسدُ لونه ، ويصفرُّ صُفْرَةً ظاهرةً ، وهو المسمَّى في كتبِ الطبِّ بـ « اليرقان الأصفر » .

وهناك أمراضٌ عامَّةٌ ، الصغيرُ والكبيرُ فيها على حدٍّ سواء ، فمنها :

« الورْدَةُ » ، وهى : الحُمَّى ، ولا يكادُ ينجو منها أحدٌ في كلِّ سنةٍ ، وتتسلطنُ عندهم في أيامِ الخريفِ ، وأولِ الربيعِ المسمَّى عندهم بالدرتِ^(٢) - وهو : وقتُ خريفنا - وتتنوَّعُ ، فمنها : « حُمَّى الورْدِ » التي تأتى في كلِّ يومٍ ، في ساعةٍ معيَّنة . ومنها : « حُمَّى الغيبِ » ، وهى التي تأتى يوماً وتغيب^(٣) يوماً . ومنها : « حُمَّى التَّثْلِيثِ » ، وهى التي تأتى بعدَ كلِّ يومين . ومنها : « حُمَّى الرَّبْعِ » ، وهى التي تأتى بعدَ كلِّ ثلاثةِ أيامٍ ، وهى أقوى أنواعِ الحُمَّى ؛ وأقلُّ منها بدرجةٍ حُمَّى التَّثْلِيثِ .

ومنها « الحُمَّى المُطَبِّقَةُ » ، وهى التي لا ترتفعُ عن صاحبِها إلَّا بالشِّفاءِ أو بالموتِ . وتسمَّى في مصر بالنَّوشَةِ ، وهى في عُرفِ الأطباءِ الآن ، التهابٌ معِدَى مَعَوِيٌّ ، وكلُّها عند أهل السودان تسمَّى بالورْدَةِ ، لا يميزون فيها^(٤) .

ومن الأمراضِ العامَّةِ الباطنيَّةِ عندهم : « الجُدَرى » ، وهو عندهم كالطاعونِ

(١) فى الأصل : فيبرء .

(٢) الدرت ، فى اللهجة السودانية ، معناه : الفترة التى تشتد فيها الحرارة وتنضج فيها الذرة ، وتستغرق حوالى أربعين يوماً من انتهاء فصل الأمطار المعروف فى السودان بالخريف ، أى من منتصف شهر سبتمبر الى أواخر شهر أكتوبر .

(٣) فى الأصل : ويغيب .

(٤) كذا .

في مصر، ويشتهر خوفهم منه لأنه قتال جـداً، وكلُّ من مريض به منهم (٢٤٩) أخرجوه من البلد إلى محل آخر في الخلاء، وبنوا له عِشَّة^(١) تسمى عندهم بـ «الكرَّ بابة» وتركوا عنده من يخدمه ممن يكون قد مرض بالجُدري. وكلُّا مرض آخر نَقْلُوهُ إليه وهكذا، وهذا هو: الكَرْنَدِينَةُ، بعينها.

تنبيه:

أخوف أهل السودان من الجُدري أعراب باديتهم، لأنَّ الجُدري إن دخل في حَيٍّ من أحيائهم أفناه، فلذلك تراهم أخوف الناس منه. ولقد أخبرني رجل من أكابر البرقة يقال له: عثمان وذو علسو، أنه كان مريض بالجُدري وقاسى ما قاسى ثم شفاه الله، فلما قَشَرَ جُدْرِيُهُ، وقبل أن يندمل، صار يؤذيه الذباب، فكان يتلَّمَّ لأجل ذلك، قال: بينما أنا ذات يومٍ متلِّمٌ واقف على باب دارى، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يمشى مِشْيَةَ الخائف، فلما رآنى أقبل علىّ حتى دنا منى وسلم علىّ، ثم قال: أَمَانَةٌ عَلَيْكَ^(٢)، هل في حِلَّتِكُم هذه جُدري؟ فقلت: كفانا الله شرَّ الأمانة. ورفعت اللثام عن وجهى، فحين رآنى صاح صيحةً عظيمة، وسقط إلى الأرض، فجاء لصيحتِهِ إخوانُهُ من الأعراب فرفعوه وذهبوا به، وكنتُ أنا حين جاء إخوانُهُ فرزتُ لثلاً يقتلونى. فبلغنى بعد ذلك أنه مات بعد ثلاثة أيام.

ومن خرافات أهل السودان أنهم يقولون: إن الجُدري حيوان لا يشاهد إلا أثره يعلّق بالإنسان فيقتله. وسمعتُ من كثيرٍ منهم أنه رأى أثره، (٢٥٠) ويتواطئون على ذلك، ويصدق بعضهم بعضاً. وسألتهُم عن أثره كيف هو؟ فقالوا^(٣): أثره نُكَّتْ

(١) لفظة عامية وردت بغير ضبط في الأصل.

(٢) عبارة عامية.

(٣) فى الأصل: فقال.

مستديرة متواليّة هكذا :

○○○○○○

[اثر جدري]

على سطرٍ واحد . فكلُّ بيتٍ، أصبحنا ورأينا ذلك الأثرَ دخلَ فيه، نجدُ أهله قد أُصيبوا.
عجيبة :

أخبرني القاضي الدليل ، قاضي القضاة بمملكة الواداي ، حين جاء إلى القاهرة سنة ١٢٥٧^(١)، أن المرض المسمّى بالهَيْصَة — وأهل مصر سمّوه : الهَواء الأصفر، الذي كان أتى إلى مصر من الحجاز سنة ١٢٤٧^(٢) — ذهب إلى بلادهم وأخربها ، وقتل منها عالماً كثيراً ، وكنا نظنُّ أنه لا يصلُ إلى هناك . فسبحانَ الفَعَالِ لما يُريد ، لامعقّبٍ لحكمه .

ومن الأمراض العامّة الكثيرة الحصولِ عندهم المرضُ الإفرنجى ، ويسمّى عندهم بالجِثَّيل ، وكثرته بينهم لكثرة الفسادِ ، وليس له عندهم دواءٌ إلا الكيّ .

وصفَةُ هذا الكيّ أنهم يأتون بحديدة ، وهى المسماة عندهم بالحشاشة ، وهذه الحديدُ مستطيلةٌ مفرطحة ، عرضُها بنحوِ قيراطين ، وطولُها بنحوِ خمسةِ قراريط أوسنة ، فيحموها بالنّار حتى تحمّرَ ، ولها صورةُ أنبوبةٍ مركّبةٍ فى وَسَطِها عَرْضاً ، فإذا احمرّت الحديدُ أخرجوها من النّار ، وصبّوا على الأنبوبةِ ماءً قليلاً ، ثم يدخلون فى تلك الأنبوبةِ عوداً يرفعونها به ، ويكونون به المحلّ الذى ظهر فيه الداء من غير استثناء . ومتى ما شهِدَ هذا الداء على أحدٍ — وله أهل — (٢٥١) كوّهه ولو قهراً عنه ، وبهذه المعالجة شفاهُ الله بأقربِ زمن .

(١) سنة ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م .

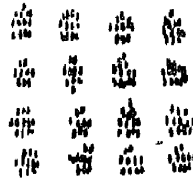
(٢) سنة ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م .

وهذا المرضُ في كُرْدُقال أكثر من دارفور ، ودارفور أكثر من الواداي ، حتى إنه في الواداي لا يُسمَعُ بإنسانٍ مريض بهذا الداء إلا نادراً . وسببُ كثرته في كُرْدُقال ، أنَّ مَنْ أصيبَ منهم به ، يَعْتَقِدُ أنه كَلَّمَا أَعْدَى ^(١) غَيْرَه به يخفُّ عنه ما هو فيه ، ولم يَذِرْ أنه لو أَعْدَى ^(٢) مائة ألفٍ لم ينقُصْ مما هو فيه شيء . فترى المريض منهم سوا كان امرأة أو رجلاً يُعْدِي خلقاً كثيراً ، فلذلك كثرَ عندهم .

وفي دارفور ، وإن كان كثيراً ، لكنَّه لما كان منهم مَنْ لا يَسْتَحِي أن يراه الناسُ مريضاً فيُعْدِي غَيْرَه ، وهو قليل ، ومنهم مَنْ يَسْتَحِي من ذلك فيجلسُ في بيته حتى يبرأ ، وهو كثير ، فقلَّ عندهم .

وأما في الواداي كلُّ ^(٣) مَنْ مريض به لَزِمَ محلَّه حتى يبرأ ، فكان وجودُه نادراً . ومنه : « الحَصَر » وهو السَّيْلانُ الأبيض ، ومثله « الهَبُوب » ، وهو رِيحٌ يَعْتَقِدُ في البطنِ الشَّغْلَى من المرأة أو الرجل ، وأكثرُ ما يوجدُ في النساء ، ويقولون : إنهما مُعْدِيَان . ومن الأمراضِ الفاشيةِ عندهم : « الجَذَام » وهو تأْكُلُ مارِنِ الأنفِ وأطرافِ الأصابع . وكذلك : « البرَص » إلا أنه أقلُّ .

ومنها : « أبو الصَّفوف » ، وهو « ذاتُ الجَنْبِ » ، وعلاجه عندهم بالتَّشْرِيطِ على الأضلاع فيشُرِّطون أربعة صفوف أو خمسة ، كلُّ صفٍّ أربعُ شُرطاتٍ أو خمسٌ هكذا :



[تشريط الأضلاع]

(٢، ١) في الأصل : اعدا ، في الموضعين .
(٣) كذا .

(٢٥٢) وَيَذْعَكُونَ الْحُلَّ بَعْدَ التَّشْرِيطِ بِمَسْحُوقِ النَّطْرُونِ ، فَيَنْزِلُ مِنَ الْفَتْحَاتِ دَمٌ كَثِيرٌ فَيَبْرَأُ الْمَصَابُ .

ومنها : « الْفَرَنْدَيْت » وهو كثيرٌ عندهم ويسمى في مصر بِالْفَرَنْدَيْتِ . وهو وَرَمٌ يَحْدُثُ فِي السَّاقِ أَوِ الْيَدِ ، أَوْ فِي مَحَلٍّ آخَرَ ، فَيَتَكَوَّنُ فِيهِ قَيْحٌ ، فَيُبْعَجُ ^(١) ، وَيَخْرُجُ مِنْ مَحَلِّ الْبَعْجِ خَيْطٌ أبيضٌ طَوِيلٌ أَشْبَهُ بِالْعَصَبِ ، إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مَتِينٍ كَالْعَصَبِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ حَيَوَانٌ ، لِأَنَّهُ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ . وَعِلَاجُهُ الْبَعْجُ وَالتَّدْفِئَةُ بِورقِ الْعُشْرِ ، الْمَدْهُونِ بِالسَّمَنِ ، الْمُسَخَّنِ عَلَى النَّارِ .

ومن الأمراضِ العضويةِ عندهم : « الشُّوَيْتِيَّة » ، وهى مَرَضٌ يُخْصُ الرُّكْبَةُ ، وهو وَرَمٌ كَالْفَرَنْدَيْتِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ لَهُ خَيْطٌ ، وَيَتَكَوَّنُ دَاخِلَهُ قَيْحٌ كَثِيرٌ . وَلَا يَبْرَأُ حَتَّى يُبْعَجَ الْحُلُّ بَعْجًا غَائِرًا ثَلَاثَةَ صَفَوفٍ ، فِي كُلِّ صَفٍّ ثَلَاثُ بَعْجَاتٍ أَوْ أَرْبَعٌ ، فَيَنْزِلُ مِنْهَا قَيْحٌ كَثِيرٌ . وَبِالتَّدْهِينِ بِالسَّمَنِ وَالتَّدْفِئَةِ يَبْرَأُ الْعَلِيلُ .

ومنها : « الدَّقْرِي » ، وهو مَرَضٌ يُخْصُ السَّاقَ عَلَى طُولِهَا ، وهو وَرَمٌ كَوَرَمِ الشُّوَيْتِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا يَمْتَدُّ عَلَى قِصْبَةِ السَّاقِ ، وَذَلِكَ مَقْصُورٌ عَلَى الرُّكْبَةِ . وَعِلَاجُهُ كَعِلَاجِ الشُّوَيْتِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ الْبَعْجَ يَكُونُ صَفَّيْنِ مِنْ وَحْشِيَّةِ السَّاقِ ^(٢) ، وَصَفَّيْنِ مِنْ إِنْسِيَّتِهَا .

ومن الأمراضِ عندهم ، الَّتِي تَصِيبُ الْأَطْفَالَ : « الْخَصْبَا ^(٣) » وَ « الْبُرْجُك » وهى : « الْقِرْمِزِيَّة » ^(٤) .

(١) يَبْعَجُ ، أَيْ : يَشُقُّ .

(٢) الْوَحْشِيُّ مِنَ السَّاقِ : ظَهَرُهَا ، وَانْسِيَّهَا : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنْهَا . (عَنِ الْقَامُوسِ) .

(٣) كَذَا رَسَمْتُ فِي الْأَصْلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : الْقِرْمِزِيَّةُ ، بِسُكُونِ الرَّاءِ ، وَفَتْحِ الْمِيمِ .

ومن الأمراض العامة : « وجع الطحال » أعني : كِبَرُهُ ، و « الاسِنْقاء » بأنواعه .
وأغلبُ الأمراض (٢٥٣) عندهم ، إلّا الطاعون والسُّلّ ، فلا يوجدان ، وإن وُجدَ السُّلّ فنادر .
وأما الجراحةُ فمتقدمةٌ بينهم لكثرةِ الفتنِ والحروب ، فتراهم يَخِيطُونَ الجروحَ ،
حتى إنَّ من خرجتْ أعضاؤه يرُدُّونها ويخيطون عايلها ويبرأ . وكذا يداوون السَّجَّاجَ
بأنواعها^(١) ، وهناك ناسٌ يسمون : السَّلَّانِجِينَ^(٢) ، يعملون عمليةَ السَّكَّرَاتَانَا من العينِ مع
المهارةِ التامةِ . ولكن لا أعلمُ كيفيةَ العمليةِ ، ولا الآلاتِ المستعملةَ عندهم لذلك .
وأعرفُ منهم رجلاً شهيراً يسمّى : الحساج نور ، غير أنهم لا يستعملون البَثْرَ ولا القطعَ
ولا الاستئصالَ . وأمراضُ الأُدْرَةِ^(٣) قليلةٌ عندهم . هذا ما انتهى إليهِ علمي في ذلك .
وأطباؤهم مُسنُّوهم ، فلا تجدُ فيهم طبيباً شاباً إلا نادراً . ومن برّع في صناعة
الطب تَزْرَعُ^(٤) إليه الناسُ ولو من مسافةِ أيام ، ويكرّمونه إكراماً تاماً . وأكثرُ علاجهم
التشريطَ والسكّي ، ولا يستعملون من الباطن إلا التمرَ هندي ، والعسلَ النحلِ^(٥) ،
والسمنَ البَقْرِي .

عجيبة :

أخبرني شيخى الفقيه مَدَنِي الْفُوتَاوِي - عليه سحائب الرحمة - أنه كان
أصيبَ بالْفَقْرَسِ الذى هو وجعُ المفاصلِ ، وهو المسمّى في كتبِ الطبِّ بداءِ الملوك .

(١) فى الأصل : بأنواع .

(٢) السَّلَّانِجِينَ جمع ، مفردة : شِلَانِج ، وهو لفظ فوراوى معناه : طبيب العيون
Voyage, p. 288 .

(٣) الادرة : الفتق ، والمادور من يصيبه فتق فى احدى خصيه (عن القاموس) .

(٤) كذا فى الأصل بدل : تهرع بالبناء للمجهول .

(٥) فى الأصل : النحل .

وَأَنَّ أَعْرَابِيًّا مِنَ الْبَادِيَةِ وَصَفَ لَهُ الْوُقُوفَ فِي السَّمَنِ الْبَقَرِيِّ ، فَقَالَ : أَمَرْتُ بِإِحْضَارِ كَثِيرٍ مِنَ السَّمَنِ الْبَقَرِيِّ ، وَسُخِّنَ ^(١) عَلَى النَّارِ حَتَّى ذَابَ (٢٥٤) ذَوْبَانَا تَامًا ، فَتُرِّلَ ^(٢) عَنْ النَّارِ وَتُرِكَ إِلَى أَنْ هَدَأَ ، وَصَارَ يَتَحَمَّلُهُ الْإِنْسَانُ ، وَرُبِطَ لِي حَبْلٌ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ ، وَصَارَ ^(٣) طَرَفَاهُ بِيَدَيَّ ، وَأُفْرِغَ السَّمَنُ فِي قِصْعَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَغَسَلْتُ رِجْلَيَّ ، وَوَقَفْتُ فِي السَّمَنِ ، وَمَسَكْتُ ^(٤) الْحَبْلَ الْمَذْكُورَ ، فَكَانَ مُعِينًا لِي عَلَى طَوْلِ الْوُقُوفِ ، قَالَ : فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّمَنُ يَسْرِي فِي جِسْمِي كَسَرِيَانِ الشَّمِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَوَّلًا صَعْدَ ^(٥) إِلَيَّ سَاقٌ ، ثُمَّ إِلَى رِكْبَتَيَّ ، ثُمَّ إِلَى الْخَدَّيَّ ، ثُمَّ سَرَى فِي النِّصْفِ الْأَعْلَى ، فَصُرْتُ أَحْسَنَ ^(٦) بِهِ يَصْعَدُ فِي جِسْمِي شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى عُنُقِي ، فَأَخَذَنِي دُورٌ وَغَشِيَ عَنِّي وَكِدْتُ أَسْقُطُ ، فَتَلَقَّانِي الْخَلْدَمُ وَدَثَرُونِي فِي ثِيَابِي ، وَأَضْجَعُونِي عَلَى فَرَاشِي ، وَأَنَا لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ نَهَارِي كُلَّهُ وَلَيْلِي كَذَلِكَ ، ثُمَّ أَقَفْتُ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَأَنَا نَاشِطٌ كَأَنَّمَا خُلِّتُ مِنْ عُقَالٍ ^(٧) ، وَرَأَيْتُ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي عَرَقٌ كَثِيرٌ كَرِيهُهُ الرَّاحَةُ . وَبِذَلِكَ شَفَانِي اللَّهُ .

وَأَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ أَهْلَ الْبَادِيَةِ كَذَا يَفْعَلُونَ ، حَتَّى بَلَغَ هَذَا الْخَبِيرُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ . وَلِكُونِهِمْ يَتَعَاطَوْنَ السَّحَرَ كَثِيرًا يَتَدَاوَوْنَ بِالسَّكْتَابَةِ . وَعِنْدَهُمْ أَنَاسٌ مَشْهُورُونَ بِذَلِكَ ، وَأَكْثَرُهُمْ شَهْرَةٌ [الْمَلَأَتَا] .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَسُخِّنَ » وَ « فَتُرِّلَ » بِالْبِنَاءِ الْمَجْهُولِ ، وَلَكِنْ بِغَيْرِ تَشْدِيدِ فَيُهِمُّمَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَصَارَتْ .

(٣) كَذَا بِدُونِ هَمْزَةٍ .

(٤) كَذَا بِفَتْحِ الْعَيْنِ فِي الْأَصْلِ .

(٥) كَذَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَهِيَ صَيْفَةٌ عَامِيَّةٌ سَبَقَ اسْتِعْمَالُ الْمَاضِي مِنْهَا .

(٦) كَذَا بِضَمِّ الْعَيْنِ .

وكيفية الولادة عندهم أنه إذا أخذ المرأة الطاق أتاها بعض العجائز من النساء ، وربطوا^(١) لها حبلاً في سقف البيت فتمسكه وهي واقفة ، وتعتمد عليه كلما اشتد بها الوجع ، وتفرج بين رجلَيْها حتى يسقط المولود ، فتتلقاه (٢٥٥) إحدى النساء الحاضرات ، وتقطع سُرَّهُ^(٢) وتضع من^(٣) الباقيات النفساء على فراشها . فإذا تمّ للمولود أسبوع^(٤) عملوا له عقيقة ، كلُّ إنسانٍ على قدر حاله ، فتجتمع النساء عند النفساء ، والرجال مع الرجال ، ويكون قد ذبح شاة ، فتأكل النساء والرجال لحم الشاة ، ويسمون المولود ، ثم يتفرقون . ويطعمون النفساء في ذلك الأسبوع عند الصباح « المديدة » ، وهي : الحريّة ، بلغة أهل مصر ، والحسوة ، بلغة أهل المغرب ، والسكريم ، بلغة الإفرنج ، وعند الظهر لحم دجاجة^(٥) ، إن كانوا أغنياء ، فإن كانوا فقراء فالمديدة أيضاً^(٦) ، وهي مركبة من دقيق الدخن ، ودقيق التبلدي أو الهجليج ، فإن كانت من الهجليج كان بها مرار^(٧) ، وإن كانت من التبلدي كانت حامضة . فإن تمّ للمولود شهران أو ثلاثة حملته أمّه على ظهرها ، وربطته بثوبها ، ويسمى ذلك الحمل : قوقو^(٨) . فتحمله كذلك وتذهب إلى شئونها من زرع وماء وخطب ، حتى يشبّ .

ومن عاداتهنّ أنهن يرضعن أولادهنّ حوائنٍ فأقلّ كالإسلاميين . ولا يزوّجن

(١) كذا في الأصل .

(٢) السر ما تقطعه القابلة من سرة الصبي (القاموس) .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : للولد ١١ سبوع .

(٥) في القاموس : الدجاجة للذكر والأنثى ويثلك . وقد جاءت اللفظة هنا بالضم كما سترد لفظة دجاج بالضم أيضاً في صفحة ٢٨٩ .

(٦) في الأصل : المديدة أيضاً .

(٧) داب المؤلف على استعمال هذه الصيغة ، بدل : مرارة .

(٨) بهذا الضبط في الأصل ، وفي الترجمة الفرنسية « gôgo » . Voyage, p. 291 .

بناتهم^(١) إلا إذا بلغت البنت الحلم ، وعرفت منفعة الرجل .
ولقد مكثت عندهم سبع سنين ، ما رأيت عروساً تزوجت قبل بلوغها ؛ وإن
عقد عقدها قبل البلوغ ، لا يبنى بها الرجل إلا بعد بلوغها ، لأن عادتهم أن الرجل
يملكك ، ويترك (٢٥٦) [عرسه] مدة ، فمنهم من لا يبنى بعرسه إلا بعد سنتين ،
ومنهم بعد ثلاث . والمستعجل منهم يبنى بعد سنة لأنهم لا يملكون عليها إلا إذا
نهرت البلوغ . هذا في البكر ، وأما الثيب فيبنى بها الرجل يوم ملاقته^(٢)
أو غده .

* * *

وأما قراءة القرآن فتأخرة جداً ، لأنهم لا يقرءون القرآن إلا بالليل
في المكاتب ، فيكون الصبي في النهار سارحاً بماشيتيه من غنم أو بقر ، وبعد أن يرجع
في المساء يأخذ لوحه ويذهب إلى المكتب . وعلى كل صبي الإتيان بالخطب يوماً ،
فيقيدون^(٣) النار ويحيطون بها ، فيستضيئون بضوئها ، وعلى ذلك الضوء يحفظون
ويكتبون . وحفظهم غير جيد ، فلذلك قل من يحفظ القرآن منهم حفظاً جيداً .
وأما قراءة العلوم فتأخرة أيضاً^(٤) لعدم العلماء . وأكثر قراءتهم
للفقه والتوحيد .

(١) في الأصل : بناتهم .

(٢) أى تزوجه .

(٣) كذا وهى صيغة دارجة . تقول العامة : قاد النار يقيدها ، والصواب أوقد

النار يوقدها . وقد استعمل المؤلف هذه الصيغة الدارجة فى أكثر من موضع

من الكتاب ، كما سيرد مثلاً فى ص ٢٨٥ .

(٤) فى الأصل : ايضه بالهاء وقد وردت هكذا مرارا .

وأما المعقولُ فقليلٌ جداً ، ومع قلته لا يقرءون إلا قليلاً من النحو .
 وأما المعاني والبيان والبدیع والمنطق والعروض فلا يعرفون منه إلا الاسم ، ومن
 يعرفه منهم يكون قد تغرّب لبلدٍ آخرَ كِهصر وتلقّاهُ فيه ، فإذا رجع إلى بلده كان
 هو العالم .

وأكثر ما يُمانونه الرُوحانيّ والسّحرُ ، ويسمّون علمَ السحر : علمَ الطبِّ ، ومن مهَر
 فيه سُمّي : «طَبَّابِي» . وهذا العلمُ يوجدُ عندَ الغُلانِ أكثرَ من غيرِهِم . وقد نذكر ما وقع
 من الفقيه ما لك في (٢٥٦) أولادِ السلاطين ، وسحره إياهم ، حتى رجعوا إلى الفاشِر
 بعد ما هربوا منه ، وما وقع من الفقيه تمرُّو .

* * *

تنبيه : اعلم أن دارفور — وإن كانت كلُّها إقليماً واحداً ، ومملكةً واحدة —
 هواؤها مختلف ، وأصحبها القوز . فلذلك تجدُ مَنْ فيه من أعرابِ الباديةِ أقوياءَ أجرياءَ^(١) ،
 لسلامةِ أرضِهِ من العُفوناتِ والوَخِمِ^(٢) ، لكن ماؤه قليل ، فقد ذكرنا سابقاً أنَّ منهم
 مَنْ بينه وبين الماءِ مسافةٌ يومينِ وأكثر .
 ويليه في الصّحة بلادُ الزّغاوةِ المُسمّاةُ بدارِ الرّيح ، فلذلك تجدُ الزّغاوةَ والبديّاتِ^(٣)
 القاطنين بها في غايةِ القوةِ وسلامةِ الأعضاء .

(١) أصل هذه الصيغة : « أجرياء » بهزتين .

(٢) كذا بكسر الخاء .

(٣) إحدى القبائل البدوية التي تسكن شمال دارفور ، وتقع مواطنهم شمالي
 الزغاوة وجنوبي القرعان . وينتسب البديّات إلى الزغاوة . محمد عوض

محمد : (السودان الشمالي ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨) .

Mac Michael, H.A.: op.cit. pp. 52-53.

وأرداها هواء الصَّعِيدُ لكثرة مياهها ، خصوصاً جبالُ مرّة ، ووَخَمها وغفوتها ،
 لكن لا تكون أرضه وخيمّة إلاّ على مَنْ لم يعتدّها . وأمّا المولودون فيها تراهم
 أصحاء أقوياء ، لكن عندهم الحُمى كثيرة ، وأردًا مِنَ الصَّعِيدِ المدنُ ، وأقواها الفاشرُ ،
 وبابه كُوبيه وكنبكا بية . وأمّا سِلا ، وفنقرُو، ودينجيا ، وشالّا ، فأوخمُ الأماكن كُلّها ،
 لكثرة الرطوبة عندهم ، واستمرارِ الأمطارِ ، لأنّها لا تنقطعُ في السَّنةِ إلاّ مدةً
 شهرين أو ثلاثة .

ومع ما في دار الفورِ ممّا ذكرناه من الأمراض ، كلٌّ منهم يُحبُّ وطنه ، ويألفُ
 سكّنه . وإذا تحوّل إلى غيره يبكي عليه ، ويتمنّى الرجوعَ إليه ، وهذه غريزةُ جُبيلٍ عليها
 الإنسان ، وانطبع عليها الجنانُ ، (٢٥٨) من قديم الزمان . فلذلك كان المصطفى — صلى الله
 عليه وسلم ^(١) — يَحْنُ إلى مكةَ حنينَ المشتاق ، ولولا أنّ الله أمره بسكّني المدينة لأقام بمكةَ
 بعد الفتح باتفاق .

ليكن من حيثُ أنّ أمراضَ بلادِ السودانِ لم تكن وبائيةً قتّالةً ، كانت أعمارهم
 أطولَ من أعمارِ غيرهم ، فلذلك تجدُ فيهم المُسنِّينَ ، حتى تجد من تجاوزَ المائةَ وعشرين ^(٢) .
 وأمّا أبناءُ السَّبعينَ والثمانينَ والتَّسعينَ ، فلا يكادُ أن يحضرهم العدّ ، ولا يوقفُ لكثرتهم
 على حدّ . هذا مع ما ابتليوا ^(٣) به من الفتنِ ، والحروبِ والمِحَنِ ، لأنّ كلّ
 قبيلتين منهم بينهما دمٌ مَسْفُوكٌ ، وثارَ مطالبٌ به غيرُ متروك . كما بينَ البرّقي

(١) في الاصل : ص م .

(٢) كذا .

(٣) كذا في الاصل .

والزَّيَادِيَّةُ^(١)، وبنى عمرانَ والميمه و[ال]فلاتا والمساليط والمسيريَّة الحجر والرَّيقات والجانبين وبنى جرَّار والزَّغَاوَة والحاميد مما لا يَكَادُ يُحصى . هذا خلافُ قَتَن الملوِك ، وخلافُ ما يصيرُ من القتلِ في مجلسِ الشَّراب ، أو في المعاندةِ على الكواعِبِ الأتراب . ولولا ذلك لكانوا في الكثرةِ كَيَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ، وضاق بهم الفضاء والمروج .

فإن قلت : إذا كان الأمرُ كما ذُكِرَ ، فما بالُ النساءِ العجائزِ قليلة ، مع أنَّهنَّ لا يقاتِلْنَ ولا يحضُرْنَ حروباً . فلو كان ما ذُكِرَ صحيحاً في عَدَمِ كثرةِ الرِّجال ، كان وجودُ النساءِ المسنَّاتِ كثيراً مع أنَّهنَّ مثلُهنَّ أو أقلُّ ؟ قلتُ : لما كنَّ يحزْنَ على مَنْ قُتلَ لهن من الرجال ، ويتحمَّلْنَ بعدهم الضرَّ والنَّكال ، (٢٥٩) كنَّ عرضةً للأمراضِ المرديَّةِ ، الجالبة للمنيَّةِ ، بسببِ ما يحصلُ لهنَّ من الانفعالات النفسانية ، ومع ذلك هُنَّ أكثرُ من الرجالِ المسنين .

ولقد كنتُ في بلدةٍ أَقلَّ عماراً وسُكَّانا ، وهو أبو الجدُول ، ورأيتُ فيها من المسنين والمسنَّاتِ كثيراً ، وكلَّما دخلتُ حِلَّةً أرى فيها أكثرَ من ذلك ، مع أنَّ معيشتَهم في غاية الانحطاط ، لو تناول^(٢) منها أحدٌ من أهل بلادنا مرةً واحدةً لذهب منه النشاط ، لأنَّ أكثرَ ما كلِّهم إما مُرَّةٌ أو متعفَّنة ، ويروْنَ أن هذه هي النِّعمةُ المستحسنة .

(١) تنتمي قبيلة الزيادية الى مجموعة بنى فزارة . كان القسم الأكبر من هذه القبيلة ، فيما مضى ، يعيش في دارفور ، وقليل منها في كردفان ، غير أن الزيادية في دارفور تعرضوا لاضطهاد شديد زمن المهديَّة ثم زمن السلطان علي دينار ، ومن ثم اضطُرَّ معظمهم للمهاجرة الى قرب مواطن دار حامد في كردفان ، حيث أصبحوا من رعاة الابل . ولم يبق من الزيادية في دارفور في الوقت الحاضر سوى عدد قليل . محمد عوضي محمد : (السودان

الشمالي ، ص ٢٢١) . Mac Michael, H.A. : op.cit.pp. 262-3

(٢) كدا .

(١) وَكَنتُ حِينَ حَلَلْتُ بِلَادِهِمْ ، وَلَمْ أَعْتَدْ بِاعْتِيَادِهِمْ ، صَنَعُوا فِي الدَّارِ وَبَيْكَةً^(٢) ،
 وَدَعَوْنِي أَنْ أَكُلَ مِنْهَا فَأَبَيْتُ ، وَلَمَّا سَمِعَ وَالِدِي بِذَلِكَ قَالَ لِي : حَيْثُ لَمْ تَرْضَ أَنْ
 تَأْكُلَ مِنْ هَذَا الْأُدَمِ ، لِمَ جِئْتَ هُنَا ؟ وَصَارَ مَتَحِيرًا ، فَكَانَ يَتَكَلَّفُ وَيَصْنَعُ لِي
 أُرْزَاقًا بِلَبَنِ . وَلَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَى الْفَاشِرِ ، وَنَزَلْتُ فِي بَيْتِ الْفَقِيرِ مَالِكِ الْفُوتَاوِي ، حَضَرَ
 الْعِشَاءَ فَرَأَيْتُ الْأُدَمَ مُرًّا ، فَسَأَلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : هَذِهِ وَبَيْكَةُ الْهَجَلِيجِ .
 فَأَبَيْتُ أَنْ أَكُلَ مِنْهَا . فَجَاءُونِي بِأُدَمٍ آخَرَ ، فَسَمِعْتُ مِنْهُ رَائِحَةً مُنْتِنَةً . فَقُلْتُ : مَا لِهَذَا
 مُنْتِنٌ^(٣) ؟ فَقِيلَ لِي : هَذِهِ وَبَيْكَةُ الدَّوْدَرِيِّ ، وَهِيَ جَيِّدَةٌ عِنْدَهُمْ . فَأَبَيْتُ أَنْ أَكُلَ مِنْهَا .
 فَأَخْبَرَ الْفَقِيرُ مَالِكَ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ لِي لَبْنًا حَلِييًا عَلَيْهِ عَسَلٌ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ . وَلَمَّا حَضَرَ
 فِي دِيْوَانِهِ لِلسَّحَرِ قَالَ لِي : لِمَ لَمْ تَأْكُلْ مِنْ وَبَيْكَةِ (٢٦٠) الْهَجَلِيجِ أَوِ الدَّوْدَرِيِّ ؟ فَقُلْتُ
 لَهُ : إِحْدَاهُمَا مُرَّةٌ ، وَثَانِيَتُهُمَا مَتَعَفَّنَةٌ . فَقَالَ : هَذَا هُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْلُحُ فِي بِلَادِنَا ،
 وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ هَكَذَا يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ .

وَالدَّوْدَرِيُّ وَبَيْكَةُ تَتَّخِذُ مِنْ عِظَامِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ
 يَأْخُذُونَ عِظَمَ الرُّكْبَةِ وَعِظَمَ الصَّدْرِ ، وَيَجْرُدُونَ مَا عَلَيْهَا مِنَ اللَّحْمِ ، ثُمَّ يَضَعُونَ الْعِظَامَ
 فِي خَابِيَةٍ ، وَيَتْرَكُونَهَا أَيَّامًا حَتَّى تَعَفَّنَ ، فَيُخْرِجُونَهَا وَيَهْرَسُونَهَا فِي هَاوُنٍ حَتَّى يَنْهَرَسَ
 الْعِظَامُ فِي اللَّحْمِ ، وَيَصْنَعُونَهُ كُرَاتٍ فِي جِرْمِ الْبُرْتُقَانِ الْكَبِيرِ ، فَإِذَا أَرَادُوا الطَّبِيخَ أَخَذُوا
 قِطْعَةً مِنْ كُرَّةٍ وَذَوَّبُوهَا فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ كَانَ فِيهَا قِطْعَةٌ مِنْ عِظَمٍ صَفَّوْهَا مِنْ مِصْفَاةٍ ، ثُمَّ
 صَبَّوْا ذَلِكَ الْمَاءَ فِي الْقِدْرِ ، وَوَضَعُوهُ عَلَى النَّارِ ، حَتَّى يَصِيرَ لَهُ قِوَامٌ ، فَيَأْتُونَ بِقِدْرِ صَغِيرٍ

(١-١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْعِبَارَةُ رَكِيكَةٌ وَكَانَ أَوَّلَى بِالْمُؤَلَّفِ أَنْ يَقُولَ مِثْلًا : وَحَدَّثَ حِينَ
 حَلَلْتُ بِلَادَهُمْ ، وَلَمْ أَعْتَدْ بِاعْتِيَادِهِمْ ، أَنْ صَنَعُوا فِي الدَّارِ وَبَيْكَةً .

(٢) كَذَا .

يَقْطَعُونَ فِيهِ قَلِيلًا مِنَ الْبَصْلِ ، وَيَقْلُونَهُ فِي قَلِيلٍ مِنَ السَّمَنِ ، وَيُضَيِّفُونَهُ لَذَلِكَ ، وَيَضَعُونَ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْمِلْحِ وَالْفُلْفُلِ وَالْكُمْبَا ، إِنْ وَجِدْتُمْ ، وَهَذَا طَعَامٌ لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِي بَيْوتِ أُمَرَاءِ الْفُورِ .

وَأَمَّا وَيَكْنَى الْهَجْلِيَجُ ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْوَرَقِ أَوْ مِنَ الثَّمَرِ . فَالْتِ مِنْ الْوَرَقِ هِيَ أَنَّهُمْ يَجْنُونَ الْوَرِيقَاتِ الطَّرِيقَةَ الْحَدِيثَةَ ، وَيَدُقُّونَهَا ، وَتَوْضَعُ فِي الْقِدْرِ عَلَى النَّارِ ، وَتَحْرُكُ بِالْمِسْوَاطِ حَتَّى تَمْتَزِجَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ وَالذَّهْنِ . وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الثَّمَرِ فَكَيْفِيَّتُهَا أَنَّهُمْ (٢٦١) يَأْخُذُونَ الثَّمَرَ وَيَنْقَعُونَهُ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ يَهْرُسُونَهُ بِالْيَدِ ، حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ كُلُّهُ فِي الْمَاءِ ، وَيَأْخُذُونَ ذَلِكَ الْمَاءَ وَيَصْفَوْنَهُ فِي قِدْرِ . فَإِنْ كَانُوا فَقَرَاءَ وَضَعُوا عَلَيْهِ قَلِيلًا مِنَ الشَّحْمِ وَأَكَلُوا ؛ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ قَادُوا (١) النَّارَ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ قِيَامٌ ، ثُمَّ عَمَلُوا تَقْلِيَّةً كَالَّتِي ذَكَرْنَا فِي الدَّوْدَرِيِّ ، وَأَضَافُوا لَهَا لَحْمًا مَدْقُوقًا مِنَ الْقَدِيدِ ، وَصَبُّوا فِيهَا الْمَاءَ وَتَرَكَوا الْجَمِيعَ عَلَى النَّارِ ، حَتَّى يَحْصَلَ الْاِمْتِزَاجُ التَّامُّ ، فَتُنَزَّلَ عَنِ النَّارِ . وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ وَيَا كِهِمْ (٢) . هَذَا طَعَامٌ أَغْنِيَاءُهُمْ .

وَأَمَّا فَقَرَاؤُهُمْ فَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقًا أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الدُّخْنَ بَغَيْرِ تَقْشِيرٍ ، وَأَنْ أَدْمَهُمْ قَبِيحٌ جَدًّا ، لِأَنَّهُ إِمَّا « كَوَلٌ » أَوْ وَرَقُ الْهَجْلِيَجِ الصَّغِيرِ الطَّرِيقِ ، الْمُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِـ « النَّيْلُمُو » ، أَوْ ثُفْلُ السَّمْسَمِ ، أَوْ ثَمَرُ الْهَجْلِيَجِ الْأَخْضَرِ ، الْمُسَمَّى : عَنَقْلُو ، أَوْ ثَمَرُهُ النَّاضِجُ ، وَمِنْهُ كُلُّ مَا ذَكَرَ الرَّمَادُ الْمُسَمَّى بِـ « الْكَنْبُو » ، لِقِلَّةِ الْمَلِيجِ وَغُلُوِّهِ .

وَأَتَرَفُ الْفُقَرَاءُ مَنْ تَكُونُ لَهُ شَيْءٌ أَوْ بَقْرَةٌ يَحْلِبُ لِبَنَاتِهَا ، وَيَأْخُذُ زُبْدَهُ ، وَيَأْتِدُمُ بِمَخْضِيهِ . وَلَا يَعْرِفُونَ اللَّحْمَ إِلَّا بَعْدَ أَشْهُرٍ ، إِنْ ذُبَحَتْ فِي الْبَلَدِ بَقْرَةٌ أَوْ ثَوْرٌ

(١) راجع ص ٢٨٠ حاشية ٣ .

(٢) ويالك جمع ويكة .

واقسموها ، فيأخذُ الفقيرُ منهم قسماً على قدرِ حاله بأمدادٍ^(١) من الدُّخَنِ لا بشيءٍ آخر .
ولذلك تجددُ أكثرُ شُبَّانِهِمْ يُعَانُونَ الْقَنِيصَ .

* * *

وقد ذكرنا سابقاً أيضاً أنه في كل سبتٍ يَضْرِبُ الْوَزْنَانِيح طبله ، ويخرجُ
الشبانُ كلُّهم معه للصيد ، فكلّ منهم يأتي في المساء (٢٦٢) بما تيسّر معه ، لأن
غاباتهم فيها كثير من الحيوانات الوحشية . فأكثر ما يصيدونه الأرنب ثم الغزال ثم
أبو الحصين ثم بقر الوحش . وإن وجدوا تَيْتَلاً مريضاً ، أو أخذوه على غيرة ، قتلوه
واقسموا لحمه .

والتَيْتَلُ حيوان وحشيّ ، على صورة البقر الأهلي ، إلا أنه أصغر جِزْماً ، فأعظمه
كالعجل . وله قرنان صاعدان مائلان قليلاً ، إما للخلف أو للأمام ، طولهما بنحو
شبرين وأقل ، ومع وحشيّته فيه نوعٌ بِلَادِيَّةٌ^(٢) ، فلا يفرُّ إلا من ناسٍ كثيرين . وأمّا من
رَجُلَيْنِ أو ثلاثة رجال فلا يفرُّ ، بل يثبت مكانه ، وينظرُ إليهم نظرَ المتأمل .
ومن عادة الفور : أنهم إذا رأوه ينادونه بصوتٍ عالٍ : يَاتَيْتَلُ يا كافر ! فيصيرُ
شاخصاً إليهم كأنه غيرُ مكترثٍ بهم ، فلا يبرحُ من مكانه إلا إذا يدنون^(٣) إليه دنواً
كثيلاً ، فحينئذٍ يمشي رويداً رويداً ، فإن رآهم جدُّوا في طلبه هرّول .

(١) أمداد جمع مد ، من المكايل ، وهو رطلان أو رطل وثلاث أو ملء كفى الإنسان
المعتدل إذا ملاهما ومد يده بهما ، وبه سمى مداً . (القاموس)

(٢) في الأصل : بِلَادَة بضم الباء .

(٣) كذا .

والفرق بين التيتل وبقر الوحش المعتاد ، أن التيتل وإن كان نوعاً من بقر الوحش ، إلا أنه أصغر حجماً ، وقرونه تنبت معتدلة كقرن الغزال . وبين القرنين من أعلى انفراج كثير ، ولون التيتل أصفر كله .

وأما البقر الوحشي فمنهم ^(١) الأسود والأصفر والأباق الذي لونه مختلط ببياض كثير ، وقرونه كقرون البقر الأهلي في الغلظ والاعوجاج ، وحجمه كحجم البقر أيضاً (٢٦٣) ، وبهذا تعلم أن التيتل نوع من البقر وبينه وبين البقر الفروق المذكورة .

وهناك أناس مشغولون بصيد الحيوانات لا حرفة لهم سواها ، وكل منهم قد أعد لذلك عدة ، فأما الشبان فيستعينون على الصيد بالكلاب والسفاريك لا غير .

وأما الحدادون ^(٢) فيحتالون [على الصيد] وهم على قسمين ^(٣) :

منهم من يتمحض لصيد ذوات الأربع كالغزال وبقر الوحش والفيل والجاموس والضباع والسباع والخرتيت ونحوها . وهؤلاء يجتمعون فرقاً فرقا ، كل فرقة منهم خمسة أنفار أو ستة ، فيأتون للطريق التي يمر عليها الفيل وغيره حين وروده على الماء ، ويحفرون فيها حفرة عميقة أطول من قامة ، ويدقون في مركزها وتدأ مدبب الرأس ، حاد السن كالرمح ، ويصلبون على الحفرة أعواداً ضعيفة ، ويغطونها بالحشيش ، ثم يغفون الحشيش بالتراب . فيأتي الفيلة أو السباع أو بقر الوحش أو الجاموس أو الخرتيت

(١) كذا .

(٢-٢) في الأصل : « فيحتالون ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة لهم سواها وهم على قسمين » ويظهر أن عبارة : « ومنهم طائفة الصيادين المذكورين لا حرفة لهم سواها » مقحمة على المتن ، علاوة على أنها لا توجد في الترجمة .

واردة للماء ، فنزله على تلك الحفرة ، ففتى ما ثقل على الأعوادِ الوطءُ تكسرت تحت أرجلهم ، وسقط في الحفرة منها حيوانٌ أو اثنان ، فتى نزل الحيوانُ بثقله على الوتدِ الذى فى المركز ، دخل ذلك الوتدُ فى لحمه فلا يقدر أن يتحرك ، حتى (٢٦٤) يأتى صاحبُ الحفرة فيتم قتله ، ويأخذ لحمه بعد سلخ جلده ، فيعملون اللحمَ قديداً ، وهو المسمى عندهم بالشرايط ، لأنهم يُشرمطونه أى يقطّعونهُ سُوراً ويأكلون منه طرياً .

فإن كان فيلاً أخذوا سنّه وجلده ، وقدّدوا لحمه . وإن كان خرتيتاً أخذوا قرنه وجلده ، وقدّدوا لحمه ، وهذا القديدُ يأكلون منه ، ويبيعون منه .

وكلُّ فرقة لها جماعةٌ فى البلدِ يفتقدونهم فى كل أسبوع ، ويأتونهم بما يحتاجونه من الزاد وغيره ، ويكون معهم جملٌ يحملون ما يجدونه عندهم من القديد والجلود والقرون وسنّ الفيل . فيأتون بالجلود فيعملون منها الدرق والسيّاط ، ويبيعون العاج وقرن الخرتيت والسيّاط للتجار ، ويبيعون الدرق للعسكر .

وهم قومٌ لا عهد لهم ويسمّون : الدرامدة ، فلا يُناكحونهم أبداً ، ولا يتزوج الدرمودى إلا من جنسه .

ومنهم من يتحيل على الصيد ، بأن يأتى لحلّ الوحوش ، ويأتى بجملٍ من قديمين يجعله خرتنة واسعة ، فإذا مرّ عليه شيء من الوحش ودخلت رجله فى الخرتنة — وهى دائرة أشبه بالعمرة — فرفع الوحشُ رجله انخرطت عليه ، وهى ما كنه الأوتاد ،

فلا يقدر الوحشُ على قطعِها ولا قلعِها ، فيمكثُ حتى يأتوا^(١) إليه (٢٦٥) فيقتلوه^(٢) .
ومنهم من يعلو على شجرةٍ يقيّل تحتها الوحش ، ويكونُ معه حربَةٌ أو حربتانِ
من الحرابِ الواسعةِ الحادّةِ التي هي هكذا :



[حربَة]

فيمكثُ في أعلى الشجرةِ حتى يأتى الوحشُ ويُقيّل ويهدأ ، فينظرُ لمن هو قريب
منه ويطعنه وهو نائم في بطنه ، فتنفِرُ باقي الوحوشِ التي معه ، ويمكثُ المطعون فينزلُ
إليه الصيادُ ويتمّم قتله .

ومنهم من يتمخّضُ لصيدِ الطيرِ . وأحسنُ طيرٍ يُصادُ عندهم الحُبَارَى ، وهو
طائرٌ عظيمٌ أكبرُ من الدُّجَاجِ^(٣) الرُّومى ، لونه أبيضٌ يميلُ إلى الاصفرارِ والخضرة ،
يسمَنُ في أيامِ الدَّرتِ^(٤) سَمَنًا مُفْرِطًا ، ويكونُ لحمه طريًّا لطيفًا . وهذا يألفُ دودًا

(١) في الأصل : يأتون .

(٢) في الأصل : فيقتلونه .

(٣) راجع ص ٢٧٩ حاشية ٥ .

(٤) راجع ص ٢٧١ حاشية ٢ .

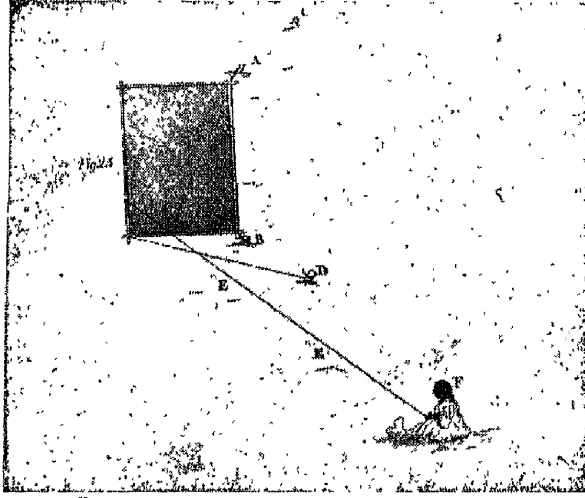
معروفاً عندهم ، وحشراتٍ صغيرة . فيأتي الصياد بذلك الدود والحشرات ، ويكون معه خيطٌ قد قتلته من العصب فتلاً جيداً ، وهو رفيعٌ لا يكادُ أن يُرى للطائر ، ويقصدُ الحال التي يصيدُ فيها . فتنى رأى الصياد الحبارى في محلٍ ربطَ حشرةً أو دودةً في خيطٍ ، وربطَ الخيطَ في أسفلِ شجرةٍ ، ويذهبُ إلى الحبارى فيسوقها — وفي الحبارى بلاذة لا تكادُ تطيرُ حتى يقربَ الإنسانُ أن يمسيكها — فيسوقها لجهة الحشرة أو الدودة حتى تراها ، فتنى (٢٦٦) ما رأتها هُرعتُ إليها وابتلعتها ، ولما صارت الحشرة في حوصلتها وأرادتُ تذهبُ ، يئمها الخيطُ من الذهاب ، فيأتي الصياد فيذبجها ويضعها معه ، ويربطُ في الخيطِ حشرةً أخرى ، إن كان هناك حبارى .

ويوجدُ أيضاً طائرٌ آخر يسمى : أباطنطرة ، وهو أبيض ؛ وهو طائرٌ أكبر من الحبارى بقليل ، وله في عنقه كيسٌ طويلٌ مخروطي الشكل ، أسفلهُ واسعٌ وأعلى ضيقٌ ، يبتلعُ الحشرات أيضاً كالْحبارى .

ومنهم من يصيدُ الطيور الصغيرة بالشباك ، وهذا أقلُّ الدرامدة كسباً ، لكونه يغرَم حَباً^(١) ، إذ العصافيرُ وأبو موسى وأمثالها ، لا تقعُ إلّا على الحبوب ، فيأتى في الحل الذي يريدُ الصيدَ فيه ، بحيثُ يكونُ قربَ نهرٍ أو بركة ، وينصبُ شبكته ، وهي

(١) في الأصل : حبا بكسر الحاء ، وتشديد الباء .

شبكة مربعة وصورتها هكذا :



[شبكة لصيد المصافير]

ولها أربعة أوتاد : وتَدَانِ منها (٢٦٧) مربوطان لِصِقَ ركنَيْها ، وَوَتِدَانِ مربوطان في حَبَلَيْنِ طَوِيلَيْنِ في ركنَيْها الأخرَيْنِ^(١) ، فيدقُّ الأوتادُ في الأرض ، وفي قُربِ أحدِ أركانها الوحشِ^(٢) حبلٌ متين طویل جداً ، فينصبُ الشبكةَ ويهذُرُ الحبَّ أمامها ، ويأخذُ طرفَ الحبلِ الطَّوِيلِ ، ويمكثُ بعيداً عنه . فتتزلزلُ الطيورُ وكترت على الحبِّ ، كغفَّ الشبكةَ عليها بالحبلِ الذي في يده . وعيونُ الشبكةِ ضيقة جداً ، فلا يخرجُ منها عُصفورٌ ، ولا يُفلتُ منها شيءٌ ، فيأتى صاحبُ الشبكةِ ويأخذُ الطيورَ منها . فإن كان فيها ما هو غالى الثَّمَنِ كاللَّدَّةِ أو البَبْغَاءِ ونحوه ، أخذَ ريشَ جناحيه وتركه

(١) كذا ، بالتانيث .

(٢) الوحش : الخارجى .

فِي مِكَتْلِهِ^(١) . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا ذَلِكَ ذُبِحَهَا كُلَّهَا ، وَبَذَرَ حَبًّا آخَرَ . وَحِينَ كُنْتُ
هَنَّاكَ كَانَتْ لِي شَبَكَةٌ ، وَكُنْتُ أَصْطَادُ بِهَا فِي بَيْتِي ، فَطَالَمَا شَبِعْتُ مِنَ الْمَصَافِيرِ
بِصَيْدِي بِهَا .

وَهَنَّاكَ مَنْ هُوَ مُعَرَّمٌ بِصَيْدِ الْقُرُودِ وَالنَّسَانِسِ فِي الْجِبَالِ ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفِيَّةَ
اصْطِيَادِهِمْ بِهَا .

وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ الصَّيْدُ بِالْبَارُودِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هَنَّاكَ مَتَى مَا كَانَ مَعَهُ
بَنْدُقَةٌ جَيِّدَةٌ ، يَشْبَعُ مِنْ لَحُومِ الْحَيَوَانَاتِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ . وَمِنَ الْأَغْنِيَاءِ مَنْ يَشْتَرِي
مِنَ الدَّرَامِدَةِ عَبْدًا وَلَا يَكْلِفُهُ إِلَّا بِالصَّيْدِ ، فَلَمَّا نَصَحَ ذَلِكَ الْعَبْدُ أَشْبَعَ سَيِّدَهُ
مِنَ اللَّحْمِ .

وَلَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ شَيْخِنَا الْفَقِيرِ مَدَنِي عَبْدًا يُسَمَّى : سَعِيدًا ، مُسِنًّا . فَأَخْبَرَنِي
(٢٦٨) أَنَّهُ صَيَّادٌ ، وَأُطْعِمَنِي لَحْمَ غَزَالٍ . وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ صَيْدِهِ ، وَأَنَّهُ لَا بَدَلَ لَهُ فِي كُلِّ
جُمُعَةٍ أَنْ يَأْتِيَ لَهُ بِاللَّحْمِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . فَصِرْتُ أَتَمْنَى أَنْ يَكُونَ لِي عَبْدٌ مِثْلُهُ فَمَا
عَثَرْتُ عَلَيْهِ .

وَقَسَمْتُ مُتَمَحِّضٌ لِصَيْدِ الزَّرَافِ وَالنَّعَامِ ، وَهُمْ أَغْرَابُ الْبَادِيَةِ : كَالْحَامِيدِ وَالزَّبَدَةِ
وَالْعَرِيقَاتِ بَدَارِ الْوَادَايِ ، وَالْجَانِينِ وَالزِّيَادِيَةِ وَبَنِي جَرَّارِ وَالْعَرِيقَاتِ بَدَارِ الْفُورِ ، وَكُلُّ
مِنْ هَؤُلَاءِ يَصْطَادُ عَلَى الْخَيْلِ ، فَأَكْثَرُهُمْ صَيِّدًا أَسْبَقَهُمْ جَوَادًا .

ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْهُمْ إِذَا رَأَى صَيِّدًا وَتَبِعَهُ لَا يَقْفُو أثرَهُ ، بَلْ يُبَاكِريهِ حَتَّى يَمَازِيهِ ،

(١) الْمَكْتَلُ : الزَنْبِيلُ .

ومتى تمسكن من فريسته عقرها . فأما النعام — وإن كان شديد العدو — فيوجد من يلحقه ، وأما الزراف فلا يكاد يلحقه في العدو فرس ، ولذلك لا يلحقه إلا الفرس الذى يمر كالريح .

وأعراب البادية ، فى دارفور ودار واداي ، مُنعمون فيما يشتون ، لا يحتاجون إلا إلى الدخن والذرة والملبوسات ؛ لكن يشترون ما يحتاجونه من ذلك ، بما زاد عن كفايتهم من السمّن والعسل والمواشى وجلود الصّيد والبقر والإبل ، حتى إنهم يجلبون لدار الواداي ودار الفور الأجرية ^(١) والقرب ^(٢) و [ال]بطط ^(٣) و [ال]حبال [ال]مصنوعة من سيور الجلد ، ويسمّون هذه الحبال الجلدية بالوجج والسياط وغير ذلك .

وأما السمّن فمن أنعامهم ، و [أما] العسل فمن الأشجار لأن النحل يعيش فيها ، وهم يحنونه . والصّيد كثير ، فلذا ترى (٢٦٩) ريش النعام عندهم لا قيمة له ، وكذا قرن الخرثيت .

وحين كنت فى دار الواداي ، جاء بعض التجار من فزان يطلب ريش النعام ، وطلب من الشريف أحمد الفاسى الذى توزر بعد أبى ، أن يكتب له كتاباً إلى الشيخ شوشو ، شيخ الحاميد ، بالوصية عليه ، وأن يأمر الأعراب بالصّيد له برفق فى الثمن ، وكان معه خمسون ريالاً من الفرائس . فكتب له الشريف بذلك ، فأخذ الكتاب وتوجه

(١) الأجرية جمع جراب .

(٢) صورة الكلمة فى الأصل بطط بدون ضبط ، وقد كتبها يرون فى الترجمة الفرنسية (أول صفحة ٣١٠) بحروف لاتينية هكذا battah . وترجمها بقوله : « أوعية من الجلد تستعمل فى حفظ السمّن أو العسل » . وعلى هذا يرجح أن الكلمة الموجودة بالثنى هى صيغة الجمع للفظ : بطة ، وتقرأ : بطط بياء مضمومة وطاء مفتوحة .

إلى الحميدِ بدليلٍ من العربِ ، ومكث هناك ماشاء الله أن يمكث . ولما جاء أخبرنا بأنه حين وصل إلى حبيهم وسأل عن بيت الشيخِ دُلَّ عليه ، فنزل في أكرم ضيافةٍ ، وأرحب نُزُلٍ . ولما أراهم كتابَ الشريفِ زادَ الشيخُ في إكرامه ، وبالغ في التلطفِ والبرِّ به ^(١) ، وأفرد له بيتاً من الشعر ، بفرشه وجميع ما يحتاجه ، ووكل وصيفاً ووصيفةً لقضاء مهماته ، وكان ذلك التاجرُ أخذ معه هدية للشيخ المذكورِ ، فقدمها له فقبلها منه وأثابه عليها .

ثم إنَّ التاجرَ سلَّم للشيخِ الخمسين ريالاً ، فطلبَ الشيخُ العربَ وقال لهم : هذا رجلٌ غريبٌ أضافني والتجأ إليَّ ، ويريدُ ريشَ النعام ، فمن كان له أرَبُّ في الريالاتِ فليغدُ للصَّيد من الصباح ، وكلُّ من أتى بجِلْدِ ظَلِيمٍ ^(٢) فله نصفُ ريال ، ومن أتى بِرِبداءٍ ^(٣) فله رُبعُ ريال . فاهتزَّ العربُ لمطلبِهِ وأصبحوا قانصين ، ففي يومٍ واحدٍ (٢٧٠) جاءوا بنحو عشرين ظليماً ، فكثَّ عندهم نحو من ^(٤) عشرين يوماً ، فجمعَ فيها نحو مائةِ جلدٍ ظَلِيمٍ ^(٥) ، وحملها له الشيخُ على إبله ، وزوَّده بزادٍ كثير .

(١) في الأصل : وأكبره .

(٢ ، ٣) في القاموس ، الظليم : الذكر من النعام ، وفيه : الربداء من المعز السوداء المنقطة بحمرة ، ولكن المترجم يرون يورد في ترجمته شرحاً سمعه من الشيخ مؤلف الكتاب مضمونه : أن النعامة البيضاء التي لها في كل جناح ثمان ريشات بيض ، أربع كبار وأربع وسط ، تسمى بالظليم ؛ وأما النعامة التي لها مثل هذا العدد من الريش الرمادي فتسمى : أربداً (arbada) (كذا ولعل المترجم يقصد : ربداء) ، وقد حرف عرب السودان الاسم إلى ربداه (rabdah)

Voyage au Darfour, p. 459.

(٤) كذا وقد ورد هذا التعبير مراراً .

Voyage au Darfour, p. 311.

(٥) أي : جلد نعام أبيض الريش .

وكان من جملة ما جاء به دهنُ التَّعام ، فإنه جاء منه بكثيرٍ . وأتى ومعه من العسلِ ،
والكَنْيَا كَنْيَا ، والسَّرَنَة ، والكَرْنَوُ^(١) ، شئٌ كثير . وباع في وَاة^(٢) الظَّليم^(٣) بثلاثة
ريالات . ولم يبقَ معه إلَّا نحوُ عَشْرَةٍ من الجلود ، وبيع ربحاً كثيراً .
وأما الزَّرَافُ لا^(٤) نفع في المَتَجَر إلَّا بمجلوده يبيعونها ، وأما لحمه فيأكلونه طَرِيًّا
وقديداً . ويوجد عند العربِ من الأرز ، والدَّفْرة ، والكُورِب ، والهَجْلِج ، والتَّعَر
هندي ، والعسلِ ، والكَرْنَوُ ، والسَّرَنَة ، مالا يوجدُ عند غيرهم . وأما اللبنُ فلا قيمةَ له عندهم
لكثرتِه ، يأخذون منه السمنَ ويرمون رائبه ، حتى إنَّ مَنْ أتى إلى أحيائهم ، رخصوا
أحياء الرِّزِيقَات ، و [ال] مَسِيرِيَةِ الحِجَر ، والحَبَّانِيَّة ، يحدُّ القُدْرانَ والبركةَ القَرِيبةَ منهم
كلها لبناً .

(١) انظر شروح هذه الألفاظ في الفصل الخاص بالنبات الذي سيرد بعد .

(٢) وَاة عاصمة واداي :

(٣) يريد جلد الظليم

(٤) كذا .

الفصل الثاني^(١)

في معاملة أهل دارفور

قد تقرر في علم التوحيد أن الحق — تعالت أسماؤه — غني عن الحل والخصص ، فهو صاحب الغناء المطلق ، لا يحتاج إلى أحد من خلقه ، وجميع الخلائق لفضله محتاجون ، ولنواله سائلون ، وعلى أبواب رحمة مُردحون .

فنظر إليهم بعين رحمته ، ووهب لكل منهم ما يقوم به وبعائلته ، وفضل (٢٧١) بعضهم على بعض في الرزق ، فجعل منهم المالك ، ومنهم الغني ومنهم الضعوك . وجعل لهم أسبابا يتبعونها في طلب الأرزاق ، وأمر بالسعي والاجتهاد خوف الإملاق .

ومن عظيم مننته أن جعل البيع والشراء حلالاً بين الناس ، لينالوا ما في نفوسهم ويذهب عنهم الباس . فجعل في البلاد المتمدنة التقدين ، قرّة للعين ، ينالون^(٢) بهما ما يحتاجونه من أمور معاشهم ، ويضطرون إليه في ارتياشهم . وخص — سبحانه وتعالى — كل مملكة بسكة معروفة ، ودراهم ودنانير بينهم مألوفة .

لكن لما كانت أهل السودان في بؤس عن التمدن العظيم ، وفي ظلمة وحشية

(١) في الأصل : فصل .

(٢) في الأصل : يتنالون .

كالليل البهيم ، كان أغلبهم لا يميز الذهب من النحاس ، ولا القصدير من الرصاص ، حتى من كان في بلادهم معدن الذهب يبيعهونه تبرا ، ويروزن أن بيعه كذلك أخرى ؛ سيما^(١) مملكة دارفور ، [التي] ليس بها شيء من المعادن إلا ما جلب إليها من الأقطار ، حتى إن أعظم حلي نساءهم كما تقدم من أنواع الأحجار . فهم جديرون أن يكونوا بمنزلة عن المعاملة بالفضة والنضار . لكن لما وطئت بلادهم التجار ، وتمصرت بالتاجر فيها الأمصار ، احتلوا إلى سكة بها يتعاملون ، ويشترون بها ما يشتهون ، فانقسموا في ذلك أقساما ، وأذهب كل قسم منهم بما اصطلاح (٢٧٢) عليه من المعاملة أواما .

فأولها الفاشر ، وهو مقر السلطنة ، وتحت المملكة ، جعلوا من القصدير خواتم يشترون بها ما يحتاجونه من لحيم ودجاج وطيب وخطب وخضراوات وغير ذلك ، وتسمى بالفوراوية : تارنية . وهي على قسمين : غليظة ، وتسمى : تارنية تونقانية ؛ ورفيعة ، وتسمى : تارنية بييا^(٢) ، يتعاملون بها في سفاسف أمورهم كما ذكرنا . والأمور المهمة يتعاملون فيها بالتكاكي ، جمع تكية ، وهي : شقة من غزل قطن ، طولها عشرة أذرع ، وعرضها ذراع ، وهي على نوعين : شيكه ، وهو منسوج خفيف غير مندمج ؛ وكتكات ، ومنسوجها ثقيل مندمج . فن الأول : كل أربع تكاكي بريال فرانسا ، ومن الثاني : كل اثنين ونصف^(٣) بريال فرانسا . وما عدا ذلك فبيعهم كله استبدال شيء بشيء .

(١) في الأصل : وسيما .

(٢) في الأصل : بييا والضبط عن الترجمة الفرنسية

Voyage au Darfour, p. 315 .

(٣) كذا في الأصل ، وفي الترجمة الفرنسية : كل أربع تكاكي ونصف

Voyage au Darfour, p. 315 .

والأمور العظام عندهم تباع بالرقيق ، فيقال : هذا الفرسُ بسُداسِيَّين ، أو بثلاثة سُداسِيَّيا . والسُداسِيُّ عندهم العبدُ الذي إذا قيسَ بالشَّبرِ ، من كَعْبِهِ إلى شَحْمَةِ أُذُنِهِ ، كان طولُهُ سَبْعةَ أَشْبار ، والسُداسِيَّةُ كذلك . وقيمةُ السُداسِيِّ ، من التَّكْلِكِي ، ثلاثون تُكْكِيَّة ، ومن الشَّوَاتِرِ الزُّرْقِي سِتَّة ، و [من] البِيضِ ثمانية ، ومن البَقَرِ سِتَّة ، ومن الرِّيالاتِ فرانسا عشرةَ رِيالات ، وكلُّ إنسانٍ يشتري بما عنده .

ولا يعرفون المحبوب ، ولا القرش ، ولا الفَرانك ، ولا الخِيريَّة ، ولا شيء ^(١) من مُعاملاتِ (٢٧٣) أهلِ المَدِينِ ، سوى الرِّيالِ الفرانسا ، المسَمَّى عندهم : أبا مِدْفَع .
وأما أهلُ كُوبيه وكبكا بِيَّة وسَرَف ^(٢) الدَّجاج ، فإنهم يتعاملون بالحَرِش ^(٣) ، وهو : خَرَزٌ ليس بالغليظ ولا بالرفيع ، منه أخضرٌ ومنه أزرقٌ ، يُعْمَلُ سُبْحَةً ، كلُّ سُبْحَةٍ مائة حَبَّة ، وقد قدَّمنا الشَّرْحَ عَلَيْهِ في حُلِيِّ النِّساءِ وزِينَتِهِنَّ ، فيتعاملون به في سفاسفِ الأمورِ عِوضًا عن التَّارَنِيهِ في الفاشِرِ .

ومن العجائب أن التَّارَنِيهِ في هذه الأسواقِ الثلاثة لا تَسْقِي شَرْبَةً ماءً ، بل المعاملةُ بالحَرِشِ من خمسة ^(٤) حَبَّاتٍ إلى مائة ، ومن سُبْحَةٍ ، إلى عَشْرَةٍ ، إلى مالا نهايةً له . وقيمةُ التُّكْكِيَّةِ عندهم ثمانِ سُبْحِ . وبقِيَّةُ الأحوالِ كالفاشِرِ .

وأما قِرْلِي وما ولاها ^(٥) ، فيتعاملون بالفَلَقُوءِ ، وهو مِلْحٌ صِناعِيٌّ مستخرَجٌ تُرابًا من الأرض ، ويصُبُّونَ عَلَيْهِ الماءَ على غَالِبِ ظَنِّي لرسوبِ الأوساخِ والأتربةِ ، ويُصَفَّى ، ويُقَطَّرُونَ ماءَهُ لنَقْصِ هذا الماءِ ، ويتَلَقَّوْنَ المَقَطَّرَ منه في قِوالبَ كالأَصابعِ ، فيجْمُدُ بعدَ بُرودَتِهِ ، ويصيرُ كالأَصابعِ .

(١) كذا .

(٢) في الأصل : صرف .

(٣) راجع ص ٢١٦ .

(٤) كذا .

(٥) كذا .

وقد شاهدتُ محالَّ استخراجِ هذا المِليح ، ورأيتُ أوَّليَّ النِّقْطيرِ وُشَاهِبُون^(١)
 البرامَ الأفرنجية ، ولا نعلمُ مَنْ أوصلَ هذه الصناعة إليهم . وأهلُ البلدِ لا يعلمونَ أيضاً ، بل
 قُصَّارِي أمرِهِمْ إِذَا سُئِلُوا وقال لهم قائل : مَنْ علمكم هذه الصناعة ؟ أُنْ يَقُولُوا :
 شَيْءٌ وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَفْعَلُونَهُ (٢٧٤) ففعلناه ، ولا نعرفُ أولَ من صنعه .
 ولقد عاملتُ بهذا المِليح واشترَيْتُهُ ، وله لَذَّةٌ عَجِيبَةٌ فِي طَعْمِهِ ، تخالِفُ لَذَّةَ المِليحِ الطَبِيعِيِّ ،
 إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ شَفَافٍ وفيهِ سُمْرَةٌ .

وأنواعُ المِليحِ في دارفور ثلاثة ، زغاوي : وهو ملح طبيعي يخرج من بئر الزغاوي ،
 [وَفَلَقُوا] وقد قدَّمنا ذِكْرَهُ ، ومِيدُوي : وهو ملحٌ طبيعيٌ أيضاً ، إِلَّا أَنَّهُ لَوْنُهُ أَحْمَرُ
 كَالْدَّمِ ، وقد يُستَخْرَجُ قِطْعاً كَبَاراً كَأَحْجَارِ^(٢) الطاحونِ فِي الْعِظَمِ والاستدارة . وثقله
 لا يحملُ الجُلُّ مِنْهُ إِلَّا حَجَرَيْنِ ، وله طعمٌ لَذِيذٌ أَكْثَرُ مِنَ النَّوعَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، وَأَعْلَى^(٣)
 ثَمَنًا مِنْهُمَا ، ولا نعلمُ ماسبَ احمرارِهِ . وبالجملة فأعلى الأملاح المِيدُوي ، وأوسطها الفَلَقُوي ،
 وأدناها الزَّغاوي . فأهلُ سوقِ قِرْلِي وما والاها يتعاملون بالمِليحِ الفَلَقُوي في سفاسف
 أموريهم ، كالْحَرِشِ فِي كُوبِيَّة ، والتَّارَنِيَّة فِي الفاشر . ولا يُباعُ عندهم المِليحُ بَكَيْلٍ وَلَا وَزَنٍ ،
 بل بالأصابع ، فيباعُ هذا الشَّيْءُ بِفَلَقُويَّة ، بِفَلَقُويَّتَيْنِ^(٤) ، بثلاثة^(٥) فَلَقُويَّاتٍ وهكذا
 وباقي الأمورِ مُهمٌّ كغيرِهِمْ .

(١) كذا في الأصل :

(٢) في الأصل : كبار كالحجار .

(٣) في الأصل : وأغلا .

(٤) في الأصل : بفلقوبه بفلقوتين .

(٥) كنبأ .

وأما سوقُ كُسا فيتعاملون فيه بالدَّخَانِ ، ويُسمَّى بِلُغَتِهِمْ : تَابَا ، كما يسمُّونه
الإفْرِنج . وهذا الاتفاقُ من العجائبِ . ولا خُصُوصِيَّةَ لأهلِ دارفور ، بل جميعُ
السُّودَانِ يسمُّونَ الدَّخَانَ : تَابَا . وأمَّا أهلُ قَزَّانِ وأهلُ طرابلسِ المَغْرِبِ
فيسمُّونه : تَبَغَّا .

وفي سنة ١٢٣٢^(١) رأيتُ قصيدةً (٢٧٥) لبعضِ البَكْرِيِّينَ ، في حِلِّ شُرْبِ
الدَّخَانِ ، وأظُنُّ تاريخَ كتابَتِها في وَسْطِ القرنِ التاسعِ من الهجرةِ ، يقولُ فيها ،
من الطويل :

وقد أظهرَ اللهُ القديرُ بمصرِنا نباتًا يسمَّى : التَّبَغَّ ، من غيرِ مِرْيَةٍ
بِنَاءِ مُثَنَّاةٍ وبَاءِ مُوَحَّدٍ وَغَيْنٍ ، وَضَبَطُ الغَيْنِ فيها بفتحِ
ومنها :

وَمَنْ يَدَّعِي التَّحْرِيمَ جَهْلًا فَقُلْ لَهُ : بِأَيِّ دَلِيلٍ أَمْ بِأَيَّةِ آيَةٍ ؟
وَلَيْسَ بِهَا سُكْرٌ وَلَا اللهُ ذَمُّهَا ^(٢) ؛ فَقُولْكَ بِالتَّحْرِيمِ مِنْ أَيِّ وَجْهَةٍ ؟
ومنها :

فَإِنْ تَنْشَقُّ دُخَانَهَا فَتَرَى الشُّفَا فَلَا تَنْسَ بِاسْمِ اللهِ أَوَّلَ مَصَّةٍ
وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ . فَحَمْدُكَ لِلْمَوْلَى زِيَادَةُ نِعْمَةٍ
انتهى .

وهذا التَّابَا هو أَقَاعُ أَهْرَامِيَّةِ الشَّكْلِ ، مصنوعةٌ من ورقِ الدَّخَانِ بعدَ
دَقِّهِ — وهو أخضرٌ — في مِهْرَاسٍ من خَشَبٍ حتَّى يَصِيرَ كَالْمَجِينِ ، ويَجْعَلُونَهُ أَقَاعًا

(١) ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦ م .
(٢) في الاصل : زَمَهَا ، بِالزَّايِ .

وَيَجْفُوْنَهَا فِي الشَّمْسِ ، وَبَعْدَ جَفَايْهَا يُبْرِزُونَهَا إِلَى سَوَاقِهِمْ ، وَيَتَعَامَلُونَ بِهَا فِي سَفَاسِفِ
أُمُورِهِمْ . وَهَذَا الدُّخَانُ قُوَى الرَّائِحَةِ ، يَكَادُ إِذَا شَمَّهُ إِنْسَانٌ أَنْ يَأْخُذَهُ الدُّوَارُ .
وَهَذِهِ ^(١) الْأَفْعَاقُ ، مِنْهَا مَا هُوَ كَبِيرٌ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَغِيرٌ ؛ فَكَبِيرُهَا كَأَكْبَرِ الْكُمُثْرِى ،
وَصَغِيرُهَا كَصَغِيرِهَا .

وَأَمَّا كَرْيُو الرِّيلِ وَالشَّعِيرِيَّةُ ، (٢٧٦) فَإِنَّهُمْ يَتَعَامَلُونَ فِيهَا بِـ « الرُّبْطِ » ، وَهِيَ
رُبْطُ غَزَلٍ مِنْ قُطْنٍ ، طَوْلُهَا عَشْرَةُ أَذْرُعَ ، وَفِيهَا عَشْرُونَ فَتْلَةً لَا غَيْرَ ، فَيَتَعَامَلُونَ
بِالرُّبْطِ فِي سَفَاسِفِ أُمُورِهِمْ ، وَيَتَعَامَلُونَ فِي الْأُمُورِ النَّافِئَةِ جَدًّا بِالْقُطْنِ ، كَمَا يُجْتَنَى
مِنْ شَجَرَتِهِ ، أَى بِغِلَافَتِهِ ^(٢) الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا . فَيَتَعَامَلُونَ بِقِطْعٍ مِنْهُ كَأَوْقِيَّةٍ وَأَوْقِيَّتَيْنِ
وِثْلَاثٍ أَوْاقٍ ، عَلَى سَبِيلِ الْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ لِأَبَالِوَزْنٍ ؛ وَ[فِي] الْأُمُورِ الْمِهْمَةِ كَبَاقِي
الْأَسْوَاقِ .

وَأَمَّا سَوَاقُ تُمْلِيَّةٍ وَمَا وَالِهَا ، فَمَعَامِلَتُهُمْ بِالْبَصْلِ ، يَشْتَرُونَ بِهِ جَمِيعَ أُمُورِهِمْ
النَّافِئَةِ ، وَالْقُطْنِ أَيْضًا ، وَالرُّبْطُ ؛ وَبَاقِي أُمُورِهِمْ بِالتَّسْكَكِي ، وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّوَاتِرَ
وَلَا الرِّيَالَاتِ .

وَأَمَّا سَوَاقُ رَاسِ الْفِيلِ فَبِالْحَشَاشَاتِ . وَهِيَ قِطْعٌ مِنْ حَدِيدٍ مُصْنُوعٍ صَفَاحٍ ،
لَهَا أَنْبُوبَةٌ ، وَصُورَتُهَا هَكَذَا :



[حَشَاشَةٌ بِدُونِ قَضِيبٍ]

(١) فِي الْأَصْلِ : وَمِنْ هَذِهِ .
(٢) كَذَا بِنَاءِ التَّائِيثِ فِي غِلَافَةٍ .

فَيَدْخُلُونَ فِي طَرَفِهَا الْأَنْبُوبِيَّ قَضِييًّا ، وَيَحْرُثُونَ بِهَا الزَّرْعَ ، فَتَقْطَعُ الْحَشِيشَ
الَّذِي فِي الزَّرْعِ ، وَلِذَلِكَ سَمِيَتْ : الْحَشَّاشَةُ . فَيَتَعَامَلُونَ بِهَا فِي سَفَاسِفِ أُمُورِهِمْ وَتَافِئِهَا ،
مِنْ حَشَّاشَةٍ إِلَى اثْنَيْنِ ^(١) إِلَى عَشْرِينَ . وَمَازَادَ عَلَى ذَلِكَ فَبِالْتَّسْكَكِ وَالشَّوَاتِرِ كِبَاقِي
الْأَسْوَاقِ .

وَأَمَّا تَمْوُزُكَهْ ، فَمُعَامَلَتُهُمْ بِدَمَائِلِ النُّحَاسِ ، وَهِيَ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِمْ ، وَبِالْخَدُّورِ
فِي (٢٧٧) سَفَاسِفِ أُمُورِهِمْ . وَقَدْ تَقَدَّمَ تَعْرِيفُ الدَّمَائِلِ وَالْخَدُّورِ فِي حُلِيِّ النِّسَاءِ ،
فَلَا إِعَادَةَ ^(٢) .

وَأَمَّا أَهْلُ الْقَوَزِ ، فَيَتَعَامَلُونَ بِالدُّخَنِ فِي سَفَاسِفِ أُمُورِهِمْ كُلِّهَا ، كَقَبْضَةٍ ، وَحَفْنَةٍ ،
وَحَفْنَتَيْنِ ، إِلَى نِصْفِ مُدٍّ ، إِلَى مُدٍّ . وَبَاقِي أُمُورِهِمْ الْمَهْمَةُ بِالتَّسْكَكِ وَالرِّيَّالَاتِ كِبَاقِي
الْأَسْوَاقِ . وَأَكْثَرُ مَا يَتَعَامَلُونَ بِهِ الْبَقَرُ ، فَيَقُولُونَ : هَذَا الْفَرَسُ بَعْشَرِ بَقَرَاتٍ ، أَوْ
بَعْشَرِينَ .

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَى أَهْلِ مَمْلَكَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَيْفَ تَنْوَعَتْ مُعَامَلَاتُهَا ،
وَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهَا ، فَتَرَى هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ شَيْئًا حَسَنًا ، وَهَؤُلَاءِ يَرَوْنَهُ قَبِيحًا ، وَالْمَلِكُ
لَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِإِجْرَاءِ مُعَامَلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي جَمِيعِ الْأَسْوَاقِ ، بَلْ أَبْقَى كُلَّ قَوْمٍ عَلَى
مَا اعتَادُوا . فَسَبْحَانَ الْفَعَّالِ لَمَّا يُرِيدُ ، وَلِنُؤْمِسِكَ عِنَانَ الْقَلَمِ عَنْ الرِّكْضِ فِي مَيْدَانِ
الْمُعَامَلَاتِ ، لِأَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ فِيهِ كَفَايَةٌ فِي الْإِعْتِبَارَاتِ .

(١) كَذَا .

(٢) رَاجِعْ صَفْحَةَ ٢١٣ - ٢١٨ .

انخامة^(١)

باب

فيما ينبت في دارفور من النبات ، وفي السَّخَرِ والتعزيم ،
وضرب الرمل ، وغير ذلك .

اعلم أَنَّ الغَنِيَّ عن المَتَى والأَيْنِ والسَّكَيْفِ ، والمُنَزَّةَ عن الجَوْرِ والظُّلْمِ
والخَيْفِ ، قَسَمَ الأشياءَ وعدَّها ، وأنزلَ كُلًّا منها منزِلَها ، فجعلَ في البلادِ الشَّمَالِيَّةِ
البردَ الشديدَ ، وفي الجنوبيَّةِ الحرَّ الذي ماعليه من مَزِيدٍ . لكنَّ لرحمته بعباده ، مَنْ
على أَهْلِ الشَّمَالِ بالدَّفءِ (٢٧٨) بالملابسِ ، وبالأَكْنَانِ^(٢) التي لا يبرد فيها الجُحَالِسُ .
ونظر لأهلِ الجنوبِ بعينِ الإِسْعافِ والتَّلطيفِ ، فجعلَ المطَرَ ينزلُ عليهم وقتَ
اشتدادِ المصيفِ .

(١) ليس لهذا العنوان المستقل وجود في الأصل ، رغم ما ذكر المؤلف في تقسيمه
(ص ٥) من أنه رتب الكتاب على مقدمة ومقصد وخاتمة وفي كل منها
أبواب .
(٢) الأكنان ، جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت ، أو وقاء كل شيء وستره .

ولما كانت أرضُ القُورِ من هذا القبيل ، وفي وقتِ الصَّيفِ يشتدُّ فيها الغَليْلُ ، كانَ مِدرارُ الوَبْلِ مُطْفَئاً لوَهِيجِ ذلكَ الحَرُّورِ ، لُطْفاً من العَزيزِ الغُفورِ . فيزَرعونَ على مَطَرِ الصَّيفِ ، ويسْتُونُ ذلكَ الفَصْلَ بالخَرِيفِ . فلذلكَ — على ظَنِّي — لا يَزَرعونَ بُرّاً ، ولا شَعيراً ، ولا فُولاً ، ولا عَدَساً ، ولا حَصّاً ، ولا يَبْتُ عَندَهم المِشْمِشُ ، ولا الخَوْخُ ، ولا الثُّفاحُ ، ولا الرُّمَانُ ، ولا الزَّيتونُ ، ولا البَرَقُوقُ ، ولا الكُمَّثَرى ، ولا الثُّرُجُ ، ولا اللَّيْمونُ الحُلُو ، ولا البُرْتُقَانُ ، ولا اللُّوزُ ، ولا البَندُقُ ، ولا الفُسْتُقُ ، ولا الجُوزُ ، ولا الزُّعرورُ^(١) ، ونحو ذلك .

بل يَزَرعونَ الدُّخْنَ ، وهو حَبٌّ صَغِيرٌ أَصْفَرُ ، منه يَقتاتونَ هم ودَوَاهِهم ومَواشِيهم ، فهو الغِذاءُ الرَّئيسُ عَندَهم .

ويَزَرعونَ الدُّرَّةَ على اِختلافِ أنواعِهِ ، ويسمَّى عَندَهم : المَاريقُ ، وهو أنواعُ : فَنوعٌ مِنْه يسمَّى : العَزيزَ ، وهو الدُّرَّةُ الحَمراءُ ، ونوعٌ يسمَّى : أبا شَلْوَأو ، وهو الدُّرَّةُ البَيضاءُ ، ونوعٌ يسمَّى : أبا أَبَاطُ ، وهو الدُّرَّةُ المَعروْفَةُ في مِصرَ بالدُّرَّةِ الشَّامِي .

ولا يُزرَعُ القَمِحُ عَندَهم إلَّا في جَبَلِ مَرَّةَ ، لِكَثَرَةِ الأمطارِ فِيهِ ، أو في كُورِ بِسِيهِ وَكَبْكَايَّةَ ، وَيَسْقُونَهُ مِنْ (٢٧٩) الآبارِ حَتَّى يَتِمَّ نَضِجُهُ كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ . والدُّخْنُ عَندَهم نَوَعَانُ : [نوعٌ مَعْتَادٌ ، و]^(٢) نَوَعٌ يسمَّى : دِنِيبِي ، وهو ما يَزَرعُهُ أَعْجَامُ القُورِ في الجِبَالِ وَغَيرِهَا ؛ وَهُوَ حَبٌّ كَالدُّخَنِ المَعْتَادِ ، إلَّا أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى البَيَاضِ ، وَتُنبَلُهُ أَغْلَظُ مِنْهُ ، وَيَنْضِجُ زَرْعُهُ قَبْلَهُ بِنَحْوِ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَهُوَ قَلِيلٌ فِي سَهْلِ دَارِ فُورَ ، وَلَا يَأْلُقُونَهُ كَالدُّخَنِ الأصْفَرِ .

(١) الزعرور : ثمر شجرة . الواحدة زعرورة ، تكون حمراء وربما كانت صفراء ، له نوى صلب مستدير (اللسان) .

(٢) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 324

وأما أنواع الدرة فلا يالفون منها إلا الأبيض ، ومع ألفتهم له لا يكثرُونَ من تناوله . وأما أبو أباط فيزرعون منه قليلاً للشهوة ، فيأكلونه مشويًا ، ولا يخزنون منه حبًا . وأما العزيز فهو مَبْغُوضٌ عندهم لا يأكله إلا الفقراء ، وعند الاضطراب . وينبت عندهم في البرك والعدان أرزٌ ينبت بدون زارع ، فيجمعون منه ماقدروا عليه في أيام الربيع ، فيطبخونه باللبن من قبيل الترفه .

وعندهم نوع آخر يُقرب من الأرز وليس بأرز ، ويسمى بالدرة ، وهو حبٌ صغير ، أصغر من حب الأرز ، وفيه بعض قرطحة ، شديد البياض ، يالفونه أكثر من الأرز . ويزرعون من السمسم شيئاً كثيراً . ومن العجب أنهم لا ينتفعون منه بزيت ، بل يأكلونه حبًا ، ويطبخونه منه في أطعمتهم . كما أن العسل النحل كثير عندهم ، ولا ينتفعون بشمعه ، بل يأخذون العسل ويرمون الشمع ، وهم أحوج الأنام إليه وإلى زيت السمسم ، لأنهم (٢٨٠) يستصبخون في بيوتهم بالخطب ، ومع كثرة الخطب عندهم ، لا يفحمون منه فحمًا ينفعهم ، ولا يعرفونه .

ويزرعون اللوبيا والبطيخ مع الدخن سواء ، فأما اللوبيا فهي كاللوبيا بأرض مصر إلا أنها أكبر ، لأنها عندهم تقرب من حب الفول المصري . وأما البطيخ فأكثره صغير الحجم ، كالبطيخ الذي يكون في آخر فصل البطيخ في المقناة ، وإذا كسر يكون غير نضيج ، لكن الذي في دارفور - مع صغره - نضيج .

ولهم في البطيخ ثلاث منافع ، الأولى : أنهم يأكلون منه حال نضجه كما نأكل بطيخنا [في مصر]^(١) ، ويشربون مائه كذلك . الثانية : أنهم يأخذون البطيخة ويزرعون

(١) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 325

قَشَرَهَا بالسَّكِينِ ، ثم يَقْطَعُونَهَا أَرْبَعَ قِطَعٍ وَيَتْرُكُونَهَا حَتَّى تَجِفَّ فَيَخْزَنُونَ مِنْهُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَفِي وَقْتِ الْاِحْتِيَاجِ يَذُقُونَهُ فِي مِهْرَاسٍ مِنْ خَشَبٍ حَتَّى يَصِيرَ دَقِيقًا ، فَيَعْمَلُونَ مِنْهُ حَسُوءًا^(١) يُشْرَبُ ، وَتَسَمَّى عِنْدَهُمْ : مَدِيدَةً ، وَهِيَ الْمَسْمَاةُ بِعُرْفِ الْأُورُوبَا بِالْكَرِيمَةِ . وَرَبَّمَا أَكَلُوا مِنْهُ بِغَيْرِ دَقٍّ وَلَا طَيِّخٍ . الثَّالِثَةُ : أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ مِنَ الْبُزْرِ شَيْئًا كَثِيرًا وَيَخْزِنُونَهُ ، وَيَذُقُونَهُ وَقْتَ الْاِحْتِيَاجِ ، وَيَنْسِفُونَ قِشْرَهُ ، وَيَأْخُذُونَ اللَّبَّ فَيَطْبُخُونَهُ فِي أَذْمِهِمْ ، أَوْ يَعْمَلُونَ مِنْهُ الْكَرِيمَةَ أَيْضًا .

ويزرعون البصل والثوم والفلفل ، وهو حب (٢٨١) صغير ، والكسبرة ، وحب الرشاد ، في كوبيه وكبكائية ، وفي أودية جبال الفور كما تقدم .

^(٢) ويزرعون القرع بأنواعه ، ويزرعون نوعاً من القثاء^(٢) .

وفي كوبيه وكبكائية يزرعون الخيار ، والفقوس الطويل ، والبادنجان ، والملوخية ، والبامية ، وفي غيرها لا [توجد هذه الخضراوات إلا نادراً ، وذلك فيما عدا البامية]^(٣) .

وهناك وادٍ بين البلد المسمّية^(٤) بمَرْبُوطَةِ الْفَاشِر ، يسمى : وادى الكوع ، يفيض وقت الخريف من كثرة الأمطار ، فلا يعبره إلا من يعرف السباحة . وفيه تيار شديد ، فإذا فاض هذا الوادى وطفأ الماء على شاطئيه ، ثم نَصَبَ ، ينبت فيه من البامية شئ كثير ، فيُهرعون^(٥) إليه من الجهات القريبة له ، ويجمعون تلك البامية ويحففونها ، ويدخرونها لأذمهم العام كَلَّةً^(٦) . وهذا الوادى يشق دارفور بالعرض من أولها

(١) الحسو كعدو اسم ما يحتسى . (القاموس) .

(٢-٢) الراجع أن هذه العبارة متأخرة عن موضعها الصحيح بالمتن ، والأصح أن تورد قبل لفظ « والكسبرة » المذكور قبل ، وذلك استناداً إلى ترتيب الترجمة الفرنسية

(٣) الزيادة منقولة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 326 .

(٤) في الأصل : المسمة ، والراجع أن المؤلف يريد الصيغة العامية التى أثبتناها في المتن والتى استعمالها المؤلف نفسه أكثر من مرة فيما مضى .

(٥) في الأصل : فيهمزون .

(٦) في الأصل : كلها .

إلى آخرها . ونشأؤه^(١) من جبال مرة ، وعلى شاطئيه سياج من شجر السنط . وإذا فاض
يعمّ من كل جهة من جهتيه ماينوف عن فرسخين ، إلا في بعض المحالّ ضائقة^(٢)
الرمال . وسَمَعْتُهُ في بعض المحالّ كخليج مصر^(٣) ، وفي بعضها أوسع بمرتين . يسافر
المسافر على شاطئه نحو خمسة عشر يوماً . وإنما ذكرتُ أنه بين مَرَبوطه والفاشر ، لأنّي
مررتُ به كثيراً من هناك ، وإلا فهو ممتدّ كما ذكرت .

ويزرعون فولاً قُرُونُهُ تكون تحت التراب ، وليس (٢٨٢) كالقول المسمّى
في مصر : « السنارى » الآن ، لأنّ ذلك فيه ألوان عجيبة ، من أحمر ناصع ، وأصفر ، وأبيض ،
وُبنى ، كما تقدم ذلك .

* * *

وأما الأشجار فليس عندهم من الأشجار المعروفة [في مصر] إلا النخل ، وهو في كُوبيه ،
وكبكاية ، وسَرَف الدجاج ، وتُملييه ، كما تقدم ذلك في التكلم على جبل مرة .
وفي تُملييه بعض شجر من الموز ، وفي قرى شجرات من اللّيمون الحامض ، وبقية
الأشجار الموجودة هناك كلّها نابتة طيبة في الخلاء . فأعظمها منفعة الهَجَلِيج ، وله
نوعان : الهَجَلِيج الأصفر ، والهَجَلِيج الأحمر ، وذلك بحسب لون ثمرها . وهذا الثمر
كالْبُسْتَر^(٤) الغليظ .

والهَجَلِيج : شجر يعظم كما يعظم الجُمَيْز في أرض مصر . أوراقه بيضيّة قليلا ، وله ثمر

(١) النشاء والنشأة بمعنى .

(٢) في الأصل : ضائقته .

(٣) كان عرض هذا الخليج لايزيد على عشرين قدما . Voyage au Darfour, p. 327 .

(٤) البسرة : الثمر قبل أن يرطب لفضاضته ، أو : ما لون ولم ينضج (اللسان)

حُلُو الطعم ببعضِ مرارة . وله رائحة خاصةٌ به . ولهذا الثمر غلاف [أبيض] ^(١) يكون عليه ، وهو قشرة ليست بالغليظة ولا بالرفيعة ، فينزعونها ويمصّون الثمر مصّاً ، لأنه خشبٌ مكسوٌّ بشيء كالظلاء يُمتصُّ أو يُبَلّ بالماء . فإذا ذهب صار الخشب ، أى : نواه ، أبيض . وهو غلافٍ لشيء كالصنوبر هيئةً وبياضاً . وهو يزر إلا أنه أكبر منه حجماً ، لكنه مرُّ الطعم . فيعطّونه في الماء نحو ثلاثة أيام ، ويغيّرون ماءه في كل يوم ، فتذهبُ مرارته . وحينئذ بعضهم يملّحه بالملح ، وبعضهم يقلّوه ، وبعضهم يطبخه بالمسل . وإذا كان مملوحاً ، كان طعمه كطعم اللوز المملوح .

وهناك نوع ثانى ^(٢) من الهجليلج (٢٨٣) وهو الهجليلج الأحمر ، فيأخذون لبّه بعد نضجه ، ويضيفون عليه الصمغ ويعجنونه به ، فيصير حلواً مرّاً لذيذاً . وعلى الإطلاق يأكلون ثمر الهجليلج على كيفيات مختلفة .

ولشجر الهجليلج هذا منافع لا توجد عندهم في غيره من الأشجار . لا يرمون منه شيئاً ، بل ينتفعون بجميع أجزائه . فأما ورقه ^(٣) فإنهم يطبخون الطريّ الغضّ منه في أذهم . وإذا كان بإنسان جرح ^(٤) فيه دُود ، يعضّون من هذا ^(٥) الورق حتى يصير كالعجين ، وينفخونه في الجرح ، فينقّي من الدود ، وينظف من اللحم النتن ^(٦) ، ويأخذ في البرء .

(١) الزيادة من الترجمة الفرنسية . Voyage au Darfour, p. 328 .

(٢) كذا ، بدل : ثان .

(٣) في الأصل : ورق .

(٤) في الأصل : جراح .

(٥) في الأصل : هذه .

(٦) في الأصل : النتن بفتح التاء .

وإذا أخذ ثمرُ المِجْلِيجِ وهو أخضر، وهُرس في مِهراس حتى صار كالعجين، نفع
كالصابون في غسلِ الثياب، فإن له رُغوة كالصابون يُنقى الأوساخ، وينظف الثيابَ
المغسولةَ به، إلا أنه يصفرُّها قليلاً. وإذا لم يكن وقت الثمر، تؤخذ جذور الشجرة وتدقُّ
ويغسلُ بها، فتفعلُ ذلك.

وخشبه يستصَبِّحُ به في البيوت بالليل عوضاً عن السراج، لأنه لا دُخان له. ومن
خشبه تعملُ ألواح القراءة. ومن رماده يعملُ الكُنبُو، وهو ملح سائل يؤخذ من الرماد
المذكور ويطبخ به، إلا أن به مَرَّاراً^(١)، وذلك عند إعوازم للملح لقلته وغلوته.
والنبق، وهو نوعان: عربي، وكُرْنُو. والثاني أكبر حجماً من الأول،
وأكثر لحماً، ويخالفه في اللون. فإن النبقَ المعتادَ العربي إذا نضج احمرَّ لونه، والكُرْنُو
إذا نضج اصفرَّ (٢٨٤). وهذا أنفع من الأول.

ومن منافعه أن الثمرَ عجينه يُمسك إطلاق البطن. وقبل ما يُدق ويعجن
يُنَحَّتْ^(٢) جلده الظاهرة، ثم يعماون منه أقراصاً، ويحففونها ويأكلونها. وإذا كسرنواه
يوجد فيه بزرتان في مسكنتين. والعرب يأخذون هذا البزر الصغير ويحففونه في الشمس،
ثم يطبخونه بالعسل فيصيرُ لذيذاً، ويبيعونه في دار الفور، ويسمى: كَسْنِيَا كَسْنِيَا، فيؤكل
كالخاوى. وإذا مضغ من به دودُ القرح، من ورق النبق الكُرْنُو، وازدرد ريقه،
قتل دودَ القرح وأخرجَه ميتاً.

والتَّبْلَدِي: وهو شجر عظيم ضخيم، أجوف الجذع، ينبت في الفياض. وأهل البادية
إذا اشتدَّ بهم العطش في غير وقت الأمطار، يأتون إلى التَّبْلَدِي فيجدون في تجويفه ماءً

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

مجتعماً من المطر فيشربون منه ويذهبُ أوامهم . ولهذا الشجر ثمرٌ مستطيل كبير كالألواز ،
في باطنه بزر أحمر ، كحبِّ التُّرْس في الحجم ، وكبزر الخُروب في اللون ، إلا أنه فيه دقيق
أبيض حامض الطعم ، يُستَفَّ منه فيوجد مرّاً . والاستفافُ منه على الريق يقيضُ
إطلاق البطن . وتعمل منه الكريّمة مع الدقيق فتصيرُ لذيذة .

وشجر الدَّآب : وهو المسمى في عُرف مصر بالجُوز الهندي ، إلا أن هذا الشجر
لا يوجد في جميع دار فور ، بل لا يوجد إلا في الجهة الجنوبية منها ، ويسمى في عرف
النور بالدَّليّيب : وهو شجر (٢٨٥) طوال كالنخل أو أطول ، وينتج جوزاً كبيراً ، إذا
كُسِر غلافه وجد ما في باطنه في غاية اللذة ، لاسيّما قبل تمام نُضجه ، فإنه يكون كاللبن
مع الحلاوة واللذة .

ومن أشجارهم ، الحُمَيْض : وهو شجر شائك كأضخم ما يكون ، وله ثمر كالنتفاح
الكبير ، إلا أن له عَجَمًا^(١) ، وفيه حموضة لذيذة ، ولونه أبيض يميل إلى الصفرة .

ومن أشجارهم ، الدَّؤوم : وهو شجر معروف في صعيد مصر ، ويسمى بالمُقل أيضاً .
ومن أشجارهم ، العندُرَاب : وهو شجر متوسط في الطول والغِلظ ، يحمل ثمرأً أشبه
بعنب الذئب ، إلا أنه أحمر قاني الحرة ، ولا عَجَم فيه . وهذا الثمر حُلُو^(٢) الطعم جداً ، ينضج
في أول فصل الدَّرت ، أي : الربيع ، بلغتهم ، وهو أول فصل الخريف عندنا^(٣) .

ومن أشجارهم ، القِدِيم : وهو شجر أشبه بشجر^(٤) الرمان ، يحمل ثمرأً صغيراً ذا

(١) العجم بالتحريك نوى كل شيء . (القاموس) .

(٢) في الأصل : حلوا .

(٣) أي في مصر .

(٤) في الأصل : شجر .

فَلَقَتَيْنِ، عليه جلدة حمراء ناصعة الحمرة ، في غاية الحلاوة ، وعَجَمُهُ كبير ، ولا أجده شبيهاً في فواكهنا أمثله به .

ومن أشجارهم ، شجر المَخْطِيط : وهو شجر صغير يحمل ثمرًا كالنبق ، فيه مَرَّار ، فيؤخذ وينقع في الماء أياما فتذهب مرارته ، فيرش عليه الملح ويطبخ ويؤكل . ومن الناس من يجففه بعد النقع ويسحقه ، حتى يصير دقيقًا ، وتعمل منه عصيدة ، وهذا الفعل خاص بأيام الغلاء ، واشتداد الكرب .

ومن أشجارهم ، اللؤلؤ : وهو (٢٨٦) شجر يقرب من شجر الجوز ، المسمى بعَيْن الجبل ، يحمل ثمرًا كثمر أبي فروة ، إلا أن ثمر أبي فروة فيه تفرطح . وهذا كحب البندق ، لكنه أكبر من البندق في الحجم ، [و] يساوى حجم أبي فروة . وأبوفروة : هو المسمى في بلاد الترك بالكَاشْتَنَّا ، وفي تونس بالقَصْطَل . ولهذا الثمر لبٌ دَسِيم ، ولا يوجد إلا في الجهة الجنوبية في آخر دارفور ، أى في جهة بلاد الفَرْتِيت . وأهل تلك الناحية يصيرون منه زيتًا . ولقد رأيتُه ووجدته أكثر شبيها بالسَّيرج^(١) في الهيئة ، وبزيت الزيتون في الطعم ، فيدهنون منه ، ويعملونه أذمًا في أطعمتهم . ويوجد الخَرْوب والجَمَيز^(٢) ، لكنهما رديئان^(٣) لا ينفعان بشيء .

ويزرعون القطن بنوعيه : البلدى ، ويسمى عندهم بالعربى ؛ والهندي ، ويسمى عندهم بـ « لوى » . وينتفعون عنه^(٤) أتم المنافع ، لأن منه كساويهم ، وبه معاملتهم ، كما قدّمنا ذلك في باب المعاملات .

* * *

(١) كذا بالشين في الأصل ، واللفظ في اللهجة المصرية : السيرج ، بالشين ومعناه : زيت السمسم . وفي الترجمة الفرنسية : « Syrig » Voyage P. 332

(٢) في الأصل : الجميز ، بفتح الجيم .

(٣) في الأصل : رديئين .

(٤) كذا .

وأما الأشجار التي لا يؤكل لها ثمر فكثيرة جداً ، تسكاد ألا تدخل تحت حصر ،
ولكن نذكر أشهرها وأنفعها فنقول :

من أنفعها ، العُشْر : وهو شجر قصير ، متعدد الفروع ، جذعه مكسوّ بشيء
أبيض كالشحم . إذا ضُفِط بين الأصابع يَتَفَتَّت . ورقه كبير ، وإذا كُسِر يخرج منه عَصَارَةٌ
بيضاء كاللبن ، وله ثمر كالكَرَّة ، باطنه ممتلئ بشيء كالزَّغَب أو الوَبَر ، يتطاير
في الهواء خلفته .

ولهذا الشجر منافع ، منها (٢٨٧) : أن عَصَارَتَهُ إذا وضعت على جلد حيوانٍ
أزالت شعره ، وَيُلَحُّون^(١) لحاءه ، فتوجد فيه خيوط رفيعة كالحرير ، فتُجمَع ويُقتَل منها
خيوط تنفَع نَحْرُز القِرْب ، ويقتل من اللحاء حبال فتتنفع للربط والحمل . والوبر الذي
في الثمر تسدُّ به خروق القِرْب . ومن عادتهم إذا سرقوا حماراً أو فرساً ، وأرادوا تغييرَ
شعر موضع منه ، يدهنون الحل الذي يريدون تغييره بهذه العصارة ، فيذهب الشعر
ويخلفه شعرٌ أبيض ، فيشبهه على أربابه ، لكن منهم من يعرف ذلك للاعتياد به .
وخشبُه خفيف كخشب القفل^(٢) ، ورأيتهم يسودون البارود بفحمه . وفي استنباط أبي زعبل
شجرة منه ، وفي الصعيد كثير منه أيضاً^(٣) .

ومنها شجر يسمى : الحَشَاب ، وهو شجر ذو شوك ، ومنه يؤخذ الصمغ العربي .
ولقد رأيتُه واجتنيْتُ منه الصمغَ لئِنَّا يَمْتَدُّ كالعَلَاك . وينبت في الأماكن المعطشة الرملية .

(١) يلحون : يقشرون .

(٢) بهذا الضبط في الأصل ، وانظر شرحه في الصفحة التالية .

(٣) في الأصل : ايضه .

ومنها ، السَّنَطُ : وهو شجر القَرَظُ ، وهو شائك ضخم .
ومنها ، الطَّلَحُ : وهو من فصيلة السَّنَط . والطلح : شجر يعلو أكثر من قامته ،
ولحاؤه أحمر ، وله شوك طويل^(١) كالإبر ، وورقه مركَّب من ورقات صغيرة .
والسَّيَالُ^(٢) : شجر طويل يعلو أكثر من قامته ، لكن أصغر من الطلح . ولون قشره
أخضر ، يضربُ إلى البياض ، وله شوك أبيض ، وأوراقه مركَّبة ، كلُّ ورقةٍ من (٢٨٨)
ورقات صغيرة .

ومنها ، السِّكِّيرُ : وهو شجر ذو شوك وفروع كثيرة ، وشوكه كالسَّيَّارَةِ ، وله صمغٌ
يجتنى منه ، لكن صمغ الحشاب أغلى وأحسن منه .
ومنها ، اللُّؤُوتُ : وهو شجر صغير ، ذو شوك صغير ، وفروع كثيرة ، فيه اخضرار
لا يفارقه وإن جفَّ . إذا قُشِرَ لحاؤه تَشَمُّ^(٣) منه رائحةٌ كريهة خاصة .
ومنها ، القَفْلُ^(٤) : وهو شجر ليس بالكبير ولا بالصغير ، لكن أكثره ينبت
في الجبال .

ومنها ، الحَرَّازُ : وهو شجر هائل الضَّخْم والكبير ، ذو شوك ، يعظم جذعه ،
حتى لا يعتنقه الرجلان إذا مَدَّا باعنيهما ، ظلُّه ظليل ، حتى إن منه ما يجلس في ظلِّه مائة
رجل وأكثر .

وبالجملة فالأشجار التي لا يؤكل لها ثمر ، تنفع في أمور آخر . فإنهم يقطعون منها
الأخشاب لبيوتهم .

(١) في الأصل : طويلة .

(٢) في الأصل : والسَّيَالُ بفتح السين وتشديد الياء .

(٣) في الأصل : وتشم .

(٤) ورد « القفل » في اللسان بسكون الفاء ، والقفل جمع قفلة ، وهى شجرة
بعينها تهيج في وغرة الصيف فإذا هبت البوارح بها قلبتها وظيرتها في الجو .

أما السَّنَط ، فَقَرَّظَهُ للدَّبَّاح ، وشُعْبَهُ الطَّوِيلَةَ عَمَدَ لبيوتهم .
وأما اللُّوْثُوت ، فَلَحاوُهُ يربطون به سَقَفَ البيوت ، وفروغُهُ يجعلونها في السَّقُوف
وفي العَصْرِيف . والعَصْرِيف عندهم ، عَوْضٌ عن الحائط عندنا .
وأما السَّكِّير والحشَاب ، فيأخذون منهما الصمغ ، وأحياناً يقطعون شوكتهما ، يجعلون
منه الزرابي لمواشيهم ولبيوتهم . لأن لكل بيت زريبة غالباً ، وهي كناية عن السور ،
وصريفاً ، وهو كناية عن الحائط . والبيوت في الوسط أشبه شيء بالبحيم والطَّوْزُوكِ
المضروب حولها (٢٨٩) .

والبيوت إما من قصب الدُّخْن ، أو من قصب رفيع يسمى : المَرْهَبِيْب ،
والثاني لا يُعمل إلا للأغنياء وأكابر الدولة . وهو قصب ناعم قليل الكعوب ، رفيع
كالتِّسْمَار ، أبيض ، يميل إلى الصفرة ، زكى ^(١) الرائحة ، خصوصاً بعد نزول المطر .

* * *

واعلم أن النبات في بلاد السودان كثيرٌ لا يحصى ^(٢) أفرادَه العَدَد ، ولا يوقِف له على
نهاية ولا حد . ولا أعرف منه إلا ما اشتهر وذاع ، وملأت شهرته البقاع ، لأنى كنتُ
إذ ذاك ^(٣) في سنّ الشباب ، والجهل سابلٌ على جلاب ^(٤) . لكن لكثرة مخالطتي بهم ،
وأسفاري معهم ، عرفت ما عرفته بالاسم ، ولا أقدر أن أُمَيِّزُهُ تَمِيْزاً ^(٥) كلياً .

فنه ، شجر «الشَّأُو» : وهو شجر كبير وصغير ، وصغيره أكثر من كبيره . وهذا
الصَّغِير أطول من القامة ، وقشوره خضراء بالنسبة للكبير . لأن قشرة كبيره مغبرة ، أعنى
أن لونها أغبر ، وهو اللون الذى يقرب للبياض ، وليس أبيض ناصعاً . ويحْمِل في إِبَّان

(١) فى الأصل : ذكى .

(٢) كسدا .

(٣) فسر المترجم ذلك الوقت بأنه مدة اقامة التونسى فى دارفور ووادى

Voyage P. 336

(٤) كذا ، وقد عدل المؤلف عن نصب جلاب مراعاة للسجع .

(٥) فى الأصل : تميزا .

حملة عناقيد تأكل منها أهل السودان . وهذه العناقيد فيها حبٌ كأصغر العنب ،
ما نضج منه يكون أسود ، وما قرُب للنضج يكون أحمر ، وما لم يقرُب منه يكون أخضر .
وطعمه حلو ، فيه بعض حرافة . وورقه يغالب على خاني أنه بيض ، أو يقرُب من أن
يكون بيضياً ، أخضرُ الظاهر والباطن .

والبَطْوْمُ : شجرٌ كبير هائل المنظر ، أغبر اللون ، غليظُ (٢٩٠) الساق ،
صلب الخشب ، أوراقه صغيرة بيضية ، في حوافها تسنن . وترى قشرة الساق من
أسفل مشققة شقوقاً غير منتظمة ، وثمره كثمر « الشاؤ » ، وعناقيده أيضاً . إلا أن هذا
لحبه أذنان طويلة ، ولا يؤكل ثمره ، وهو أصغر من ثمر « الشاؤ » ، وتعلوساقه أكثر
من قمتين ، ويتفرع فروعاً كثيرة .

وأما الأَبْنُوسُ : فهو شجر متوسط ، وقشرته خضراء داكنة ، والأَبْنُوسُ
قلبه . فإذا لُحِيت القشرة انكشفت عن عود أسود ، إلا أنه يكون سواده خفيفاً
وهو أخضر ، فسكماً يابس ازداد سواداً . وأحسن الأَبْنُوس ما أخذ من الجذور ، وهذا
النبات لا يوجد في دار القور ، وإنما يجلب من دار الفريت إليها .

والجُوخَانُ أو الجُوغان كذلك ، إلا أن الجُوخان له ثمر كالبنديق في الحجم ،
حلو الطعم ، فيه بعضُ يَبوسة كالغضروف .

وأما الجَعَجَمُ : فهو شجر متوسط أيضاً ، ولون ساقه يميل إلى الحمرة ، وفروعه
ليست كثيرة التفرع ، وفيه شوك طويل ، وأذنان أوراقه قصيرة ، فر بما ظن أنها ملتصقة
بالفروع لقصر أذنانها . وهذه الأوراق مستديرة مُسننة تسنناً غائراً . وثمره كثمر

الزعرور ، وفيه مساكُن ، إلا أنه غُضروفي ، أو فيه خشبيّة . وأغلب ظنى أن في كل ثمرة أربعة مساكُن ، بينها حواجز .

وأما دار فَرْتيت - وهم (٢٩١) تجوس الشّودان ، الحاذون لجنوب دارفور - فينبُت فيها القنا ، ومنها يصنعون أعواد حراييم . وأكثر أعواد حراي أهل الدولة في دارفور من القنا ، وهو جميل جدًّا ، ويُجَلَب من دار فَرْتيت .

* * *

وأما النباتات التي فيها الخواص ، فمنها شجرة كَيْلي : وهي شجرة متوسطة لا شوك فيها ، تثمر ثمرًا كالزعرور ، إلا أنه خشبي ، يؤخذ الثمر ويُنقع في الماء ، ويُسقى المشهور^(١) . ولون هذا الثمر كلون الرمان الحامض إذا جف .

والشغلّوب : وهو شجر نصف خشبي كثير الفروع ، لثنتها ورفيعها . تمتدّ فروعه وتشتبك ببعضها متراكمة ، حتى تصير الشجرة وحدها كالأكمة . وله ثمر كالبلح الكبير الأخضر ، ولا عَجَم ولا نوى فيه ، وفيه عصارة لبنية يبعث لزوجة^(٢) ، اطعمه بعض حلاوة ابتداء ، وخراقة انتهاء ، أخضر ، لا يفارقه لون الخضرة ولو جف . إذا مضغه شاربُ الخمر أزال ريحته^(٣) ، وقد تقدم ذلك^(٤) .

ومنها ، دَقَرَة : وهو نبات حشيشي ، ينبت في الأراضي الصّلبة ، أوراقه رقيقة ، فيها نوع استدارة . إذا دُقّ الورق في هاوُن وعُصر ماؤه في العين الرمضاء ، المتورمة بالتهاب حادٍّ ، ثلاثة أيام صباحًا ومساءً ، أبرأه .

(١) صيغة عامية .

(٢) في الأصل : لزوجة .

(٣) كذا بالأصل ، وهي صيغة عامية .

(٤) راجع ص ٢٢٣

ولقد كنتُ في سوقٍ مُتملّيه في غير رؤيةِ الجبل^(١)، ومَسَكْتُ^(٢) بيدي الفلفلُ وصرتُ أعبثُ به ، ثم هَبَّتْ رِيحٌ فَقَذَيْتُ عَيْنَايَ ، فدَعَكْتُهُمَا (٢٩٢) بيدي ، ونسيتُ أمرَ الفلفلِ ، فتَأَلَّمْتُ أَلَمًا عَظِيمًا ، وأَلْتَهَبْتُ^(٣) في الحالِ وورِمْتُ^(٤) ، فركبتُ وسافرتُ فلم أقدر على الركوبِ من شِدَّةِ الأَلَمِ . فدخلتُ في بلدةٍ وبتُّ عند امرأةٍ عجوزٍ فيها ، فلم أكتحلْ بنوم ، وبتُّ بأقبحِ ليلةٍ ، وانقلبَ الجفنانِ وغَلَطَا ، حتى خَشِيتُ على عَيْنَيَّ من العمى ، وصرتُ لا أعرفُ ما يَنقُذُنِي من ذلك .

فلما أصبحَ الصبحُ جاءَتْنِي عجوزٌ ونظرتُ عَيْنَيَّ ، وتوجعتُ لِي ، ثم قالتُ : هذا أمرٌ سهْلٌ . ثم دَعَتُ بَابَنَةً لَهَا صَغِيرَةً ، تكادُ أَنْ تكونَ ابنةَ سبعِ سنينِ أو ثمانية ، وقالتُ لَهَا بلغةِ الفورِ : اذهبي إلى أسفلِ الجبلِ ، واثْنيني بأوراقِ من النباتِ المسمَّى : دَقْرَةَ . فذهبتُ الصبيةُ وغابتُ قليلًا ، ثم جاءتْ ومعها أوراقٌ كثيرةٌ ، فأخذتها العجوزُ ودَقَّتْ بَعْضَهَا بينَ حجرينِ ، حتى صارَ كالعجينِ . وأمرتُ بفتحِ عَيْنِي ومَسَكْتُ يَدِي ، ثم عصرتُ في عَيْنَيَّ من عُصَارَةِ النَّبَاتِ المذكورِ ، فنزلَ في عَيْنَيَّ باردًا ، ثم ابتدأَ يأكلُ بغيرِ أَلَمٍ ، حتى كَأَنَّمَا في عَيْنَيَّ دودٌ ، وأريدُ أدعكُهُمَا بيديَّ فلا أستطيعُ ، للضَّبْطِ عَلَى ، فعانيتُ من ذلكِ مَشَقَّةً حتى اضْمَحَلَّ الْأَكْلَانِ ، وجاءَنِي النومُ فَنِمْتُ ، واستغرقتُ في نومي مدةً عظيمةً ، فلم أَفِقْ إِلَّا قَرَبَ الْعَصْرِ ، فأحسستُ في عَيْنَيَّ خَفَّةً وذهبَ الأَلَمُ . ولما كانَ منَ اللَّيْلِ جاءتْ وعصرتُ لِي من تلكِ العُصَارَةِ ، وبتُّ بَأَنَمٍ لَيْلَةً . وفي (٢٩٣) الصبحِ عصرتُ لِي مِنْهَا أيضًا ، فانفتحتْ عَيْنَايَ

(١) يقصد بذلك أنه لم يكن وقتذاك في زيارة لجبل مرة بل كان في زيارة خاصة

لسوق نمليه . Voyage au Darfour, p. 229.

(٢) كَذَا

(٣) في الأصل : والتهبا . . . وورما .

وكأنى لم أرمذ بهما ، فذبحتُ إذ ذاك كبشاً سميناً ولميةً لشفائى ، وأعطيتُ المعجوزَ
جَذِيًا سميناً .

* * *

وغالبُ النبات والشجر يُثمرُ في آخر زمن الخريف ، وهو الصيف عندنا ، لأنهم
يسمّون صيفنا : خريفًا ، وخريفنا : دَرَتًا . وفي عُرفهم يُعنون به : الربيع ، وريبعنا : صيفًا .
ولم يوافقونا إلّا في الشتاء . فإن الشتاء عندهم هو الشتاء عندنا . وفي الصيف الحقيقى تُمطر
السماء عندهم ويزرعون ، لأن أول سقوطِ المطر عندهم في الجوزاء ، ويسمّونه : الرُشاش .
وفي السّرطان تنفتح عَزَالِي^(١) السحاب ، ويكثرُ المطر ، وتمتلئ الأودية ، وبذلك تعلم سببَ
زيادة النيل المبارك .

وعما يؤكد أن كثرة الأمطار عند أهل السودان ، هى السبب فى كثرة نيل
مصر ، ما وقع من الاتفاق أن^(٢) سنة ١٢٥٣^(٣) هجرية ، وقع فى مصر غلاء عظيم حتى
أبيع الأردب من القمح بمائة وخمسين غِرشًا بل أكثر؛ وسببه عدم فيضان النيل
كعادته . وحينئذ كنت متشككًا هل وقع ذلك بأرض السودان أم لا ؟ وبقيتُ على
الشكّ إلى سنة ١٢٥٧^(٤) ، فجاء القاضى الدّليل ، قاضى القضاة بمملكة الوادى ، فأخبرنى
أنه فى تلك السنة قل القطر ، حتى أجذبت الأرض ، وغلت الأقوات ، وأكلت الناسُ

(١) العزالي بكسر اللام وفتحها جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية وغيرها .

(٢) كذا

(٣) ١٢٥٣ هـ = ١٨٣٧ م .

(٤) ١٢٥٧ هـ = ١٨٤١ م .

الجَيْفَ وَالْكِلَابَ . وهو (٢٩٤) اتفاق عجيب ، [و] أدلُّ دليل على أن زيادةً بحر النيل من أمطار تلك البلاد ، والله في ذلك حكمةٌ لا يعلمها إلا هو .

وفي وقت الرُّشاش يكثر هبوبُ الرياحِ والمُؤْتَفِكَاتِ^(١) ، وأكثر مجيئها في أوقات العصر . وإذا هبت تُرى من بُعدٍ كالسحاب ، فتارة تكون حمراء ، وقد سدَّت الأفقَ من الجهة التي تأتي منها ، وغالبُ المؤْتَفِكَاتِ تأتي من قِبَلِ المَشْرِقِ ، ونادراً أن تأتي من الجنوب . وفي مجيئها من الشرق ، تحملُ رملاً كثيراً من القَوَازِ الذي تمر عليه ، وكلُّ مؤْتَفِكَةٍ تأتي بجميعةٍ مطر ، لأنَّ^(٢) قِبَلَ ذهابها يَزْعَدُ الرِّعْدُ . وبعد الرُّشاش ينزلُ المطرُ برعدٍ قوى ، حتى إنه ربما نزلت منه صواعقُ فُضِرَتْ . ولقد رأيتُ صاعقةً نزلت على شجرةٍ هَجْلِيلِجٍ ، فكسرت منها فرعاً عظيماً ، وساخت في الأرض . وأخرى نزلت على بيتٍ ، فدخلت نارٌ من خلال البيتِ وأصابَتْ رجلاً ، فأحرقت ذراعَه ، وساخت في الأرض . وسمعتُ منهم أن من كان معه حديد لا تقربُه الصاعقةُ وهذا خلافُ رأى الإفرنج . وفي فصل صيفهم الذي نسميه : ربيعاً ، تكثر الزوابع ويُرَى السَّرَابُ في الأرض ، ولا أعلم أرضاً يكثر فيها الزوابعُ والسَّرَابُ كأرض السودان . وأحسنُ المطرِ عندهم وأهنأه مايقع بالليل والناس نيام . وهو وإن كان يحصل فيه رعدٌ ، إلا أنه لا يضُرُّ كما يضُرُّ الرعد الذي يأتي بالنهار . ويكثر قوسُ قُزَح (٢٩٥) عندهم في وقت نزولِ المطر ، حتى إنه يكون في الساعة الواحدة في أربعة محالٍّ أو خمسة ، منها ما يكون كالقوس ، ومنها ما يكون على خطٍ مستقيم ، وهو قليل . وأكثره يكون على خطٍ مُنْحَنٍ^(٣) .

(١) المؤْتَفِكَاتِ : الرياح التي تقلب الأرض أو تختلف مهاجرتها . (القاموس)
(٢) كذا .
(٣) كذا .

والرُّشاش عندهم نحو خمسة عشر يوماً ، وفيه يزرعون الدُّخْنَ والذَّرَّةَ بأنواعه^(١) .
وأطول خريف عندهم ستون يوماً غير أيام الرُّشاش ، وأوسطه ستون يوماً بأيام الرُّشاش ،
وأقله لا حدَّ له ، وأغلبه أن يكون خمسة وأربعين أو خمسين يوماً . وأقل من ذلك قحطٌ
وجذبٌ فهو كالعدم ، إلا إن جاءت في تلك المدة أمطارٌ غزيرة ، روت الأرض رِيًّا عظيماً ،
خصوصاً عند آخر الفصل ، وختام الزرع . وإذا طالَّت مدة الخريف ، وكثرت أمطاره ،
سمَّوه : خريف التَّيْمَان .

وأسماء الشهور في بلاد الفور والوادى بالعربية ، فلا يعرفون الأشهر الروميَّة
ولا القبطيَّة ولا الأجمعيَّة ، فأهل العلم منهم يسمُّونها كما سمَّتها العرب قديماً بالأسماء المشهورة
الآن : كمحرَّم وصفر وربيع الخ .

وأما عوامُّ الناس فيسمُّون الشهور بأسماء آخر . وهذه الأسماء وإن كان معناها
عربيًّا لكنها مستهجنة . ويبدأون في حساب السنة بشوَّال ، لكنَّ باسم آخر . فيسمُّون
شوالاً بالفطر ، وذى^(٢) القعدة فطرين ، وذى^(٣) الحجة بالضحيَّة ، ومحرَّمًا بالضحيتين ،
(٢٩٦) وصفرَ بالوحيد ، وربيعاً الأوَّل بالكرامة ، وربيعاً الثانى بالتَّوَم ،
وجمادى الأوَّل بالتَّوَمين ، وجمادى الثانى بسابق التَّيْمَان ولم يسلم من التَّغيير إلا رَجَب
ورمضان ، فيقولون رجباً ، ويسمُّون شعبان : القُصَّير ، ورمضان : انتهى .

وبالجملة فخواصُّ النبات في دارفور عجيبية حتى أنى أخشى إن ذكرتها يكذبونى
ولا أجد لى شاهداً على ذلك ، وأكثر الخواص في الجذور .



(١) كذا .
(٣٢) كذا في الموضعين .

وهناك معلمون نباتيون ، لهم تلامذة عديدة أكثر أوقاتهم مسافرون ، يصعدون
أعلى الجبال ، ويتخلَّلون بطون الأودية ، يحفرون على النبات ، ويعلمون تلامذتهم ، وهؤلاء
القوم يسمون «المُعزَّاقين» ، ولهم في دارفور شنان ، ولهم معاندة مع بعضهم ، كلُّ منهم
يريد أن يرتفع صيته . وجميع الجذور التي يأخذونها يضعونها في قرون الغنم ، بل
وفي قرون البقر .

وهي على أنواع ، منها: ماهو للمحبَّة والقبول ، والجذور التي لذلك تسمى : نارة .
وكان في أيامنا أشهر الناس بها رجلٌ يسمى : بَكْرُلُو كُو ، وكان مقرَّه بجديد السيل .
وكان من عشق صبيَّة ، وامتنعت عليه بغضاً فيه ، ذهب إلى بَكْرُلُو كُو ، فأخذ منه نارة ،
ودلَّك بها وجهه ويديه ، وذهب إلى محبوبته ، ومسح بيده على كتفها أو شيء من جسمها ،
فوقع حبُّه في قلبها ، بحيث لا تقدِّر تفارقه ، فيفعلُ بها ما يريد . وإن خطبها (٢٩٧) وأبى (١)
أبواها ، فرَّت معه حيث يريد ، وتزوجته قهراً عنهما .

ومن كان له حاجة بباب الملك ، وخشى ألا تُقضى ، وذهب إلى بَكْرُلُو كُو ،
وأخذ منه قطعة من النارة ، ودلَّك بشيء منها بين كفيه ، ومسح على وجهه ، أحبه
الملك ، وقضى حاجته ، وإن كان ضامراً (٢) له سوءاً . واشتهر بَكْرُلُو كُو بهذا الأمر ،
حتى إن النساء ليغنَّين به ويقلن :

بَكْرُلُو كُو أَبَى (٣)

بِلَتَيْنِ بَسَدَا

(١) في الأصل : وأبى .

(٢) كذا .

(٣) في الأصل : أبى .

ومعناه : أن بَكْرُ لَوْ كُو [بمقدرته السحرية]^(١) إن أراد أن يُرَخِّصَ مُهَوَّر البنات ، يجعل الرجل يتزوّج [بنتين]^(٢) بسداً^(٣) واحدٍ . والسّدا : هو عشرة أذرع غزلاً قياماً .

ومما اتفق لي في ذلك أنه في يوم من الأيام جاءني رجل معه نّارة يدّعي أنها عظيمة جدّاً ، وأنه أخذها من بَكْرُ لَوْ كُو وعرضها^(٤) على للشّراء ، فقلت له : يا هذا إنما يحتاج إلى النّارة من تبغضه النساء ، وأنا في شبابي هذا وتيسير حالي ، لو أردت ابنة الملك لما تعذّرت عليّ ، فكيف بغيرها ؟ ويحتاج إليها من يخشى سطوة الملك ، وأنا في أمنٍ من ذلك ، لأنني غريبٌ وشريفٌ ، ولي عند الملك حرمة ، فأعرضها على غيري ، فهو أولى بها مني ، لأنني أنا في نفسي نّارة ، فما أصنع بالنّارة ؟ انتهى ومنها ما يستعمل للمضرة وهو على أنواع :

نوع يستعمل لقتل العدوّ ، وكيفية ذلك أن يؤخذ الجذر الذي فيه خاصية القتل ، ويُعرّز في ظل رأس المراد قتله ، ففي الحال يتأثر ويلتهبُ المنخ ، ويبقى الشخص لا يعي شيئاً ، فإن لم يتدارك سريعاً بضد ما فُعل له مات . وإذا أريد إبطالُ عضو منه ، يُعرّز الجذر في ظلّ العضو المراد إبطاله كأيده أو الرجل ، ففي الحال يتألم العضو ويلتهب وينتفخ ، وربما حدثت فيه عُدة كعُدة الطاعون . وإن لم يتدارك سريعاً ينفتح ويتهي بفقد إحساس العصب ، وبطلان الوظائف كلّها .

(٢ و ١) الزيادة من الترجمة الفرنسية : Voyage, p. 346.

(٣) في الأصل : بسداه .

(٤) في الأصل : وعرفها .

وإذا أريد أن يصاب بالدوار والقيء ، هناك جذور توضع على الجمر ، ويُتَلَقَّى دخانها ولو في كمّ الثوب ، ويُطبَّقُ عليه طبقاً جيداً ، ويُتَوَجَّهُ للشخص المقصود ، فيُفْتَحُ كمّ الثوب ونحوه بقرب أنفه ، فتسَطَّعُ رائحة دخان الجذر في أنفه ، فيقع في الحال حتى تبقى رجلاه أعلى من رأسه ، فإن لم يُتَدَارَكْ في الحال بقي كذلك أياماً .

ومنها جذورٌ خاصيتها جذبُ النوم ، وهذه الجذور تستعملها السارقون ، وتجمعها في قرون ، فيدخلُ السارق بالليل على المحلِّ وأهله مستيقظون ، فيشير إليهم بالقرن الذي فيه الجذر ثلاث مرات ، فيضربُ الله على آذانهم فلا يعون شيئاً ، فيدخل السارق ويأخذ ما يريد أخذه . وربما ذبح الشاة وسلخها وشوى^(١) من (٢٩٩) لحماً وأكل ، ووضع في يد كل من أرباب المحل قطعة من السكيد ، ثم أخذ ما أراد وخرج . وبعد خروجه من الدار يُفَيِّقُون ، ويسأل بعضهم بعضاً عن الرجل الذي كانوا رأوه ، فكلُّ منهم يقولُ : رأيته ولا أدري ما فعل . فإذا بحثوا في محلهم يرون أنه ما ترك لهم شيئاً ، وقد فاز بما أخذ ، فيعضُّون أناملهم تلثماً ، وقد امتنع عليهم .

وبالجملة فهذا الأمر في دارفور مشهور لا يُنْكَر . وكنتُ سألت عن تلك الخواصُّ أستاذي الفقيه مدني القوتاوي ، أخا الفقيه مالك ، الذي تقدّم ذكره ، فأخبرني أن الكتب المنزلة على آدم وشيث ، وإبراهيم وغيره من الأنبياء ، دُفِنَتْ في الأرض ، وأنبت الله هذه النباتات في المحلِّ الذي دُفِنَتْ فيه ، وانتشر بزُرُها بهبوب الرياح في الأرض ، فعمَّ نباتها وانتشر ، واستُفِيدَتْ منها هذه الخواصُّ بالتجربة .

(١) في الأصل : شوى .

أقول : وهذا نوع من أنواع السّحر ، وضربٌ من ضروبه .
ومنها نوعٌ يُعمل بالكتابة والتّعزيم على الأملاك العلوية والسّفلية . ومن
هذا النوع تظهرُ أمورٌ كثيرةٌ خارقة للعادة .

لقد أخبرني الثقات^(١) ، بدارفور ، أن في محاربة الخليفة [اسحاق] للسلطان عبد الرحمن ، كان
للخليفة عدّة رجال يُقوّسون بالبندق ، فسحّروهم جماعة السلطان ، حتى إن البارود كان يخرجُ
من البندق كالمبول لا يُسمع له صوت ، ورصاصه كان لا (٣٠٠) يضُرُّ ، وبندق جماعة
السلطان بعكسه في الصوت والضّرر .

ومما وقع من هذا القبيل ، أنه^(٢) لما توفّي السلطان عبد الرّحمن ، ووُلّي ابنه السلطانُ
محمد فضل مكانه ، أبى عليه أولادُ السلاطين ، كأولاد السلطان تيراب ، وأولاد السلطان
أبي القاسم ، وأولاد الخليفة ، وأولاد السلطان عُمر ، وخرجوا عن الطاعة ، وركبوا
خيولهم ، وخرجوا إلى القرى ، وجيّدوا جيشاً عظيماً ، فخصّى [الأب] الشيخ محمد كراً من
خللٍ يقع في البلاد ، فدعا^(٣) بالفقيه مالك الفوتاوى ، وأعلمه بما يخشاه من غائلة هذا الأمر ،
فضمّن له أن يأتي بهم إلى بين^(٤) يديه أذلاء . فأخرج [الأب] الشيخ محمد كراً جيشاً
لنظر الملك محمد دلّدن ، ابن عمه السلطان محمد فضل ، وذهب الفقيه مالك فعمل من
سحره ما عمل ، وكانت أولاد السلاطين في محلّ بينه وبين الفاشر مسيرة يومين ،
فلما عمل فيهم السّحر ، ركبوا خيولهم عند المساء ، خوفاً من الملك محمد دلّدن أن يهجم

(١) في الأصل : الثقات .

(٢) في الأصل : أن .

(٣) في الأصل : فدعى .

(٤) كذا .

عليهم بجيشه ، وأرادوا البعد فَعَمَوْا^(١) عن الطريق ، وباتوا ليلتهم تلك سارين إلى جهة الفاشر ، والملك دَلَدَن في إثرهم ، فما أصبحوا إلا وهم تحت الفاشر . ولما أصبح الصباح ، ورأوا أنفسهم بقرب الفاشر ، ندموا على سَرَيَانِهِمْ^(٢) ، وسمع بهم [الأب] الشيخ محمد كُرَّا ، فارسل لهم . وحينما وصل الجيش (٣٠١) إليهم ، أطبق عليهم جيش الملك محمد دَلَدَن ، لأنه [كان] في أثرهم . ولما صاروا بين العسكرين ، انهزمت الناس الذين كانوا التقوا عليهم ، وبقيت أولاد السلاطين في نفر قليل ، فقبض عليهم الملك محمد دَلَدَن ، وتوجه بهم إلى [الأب] الشيخ محمد كُرَّا ، فأمر بهم إلى السجن ، واكتفى^(٣) شرهم ، وكان ذلك من السحر ، ولولاه لجأوا خلال دارفور ، وعاثوا فيها ، واتسع الخرقُ على الرّاقع .

والخصوص بالأعمال السحرية في دارفور هم قبيلة الغلّان ، ولقد رأيتُ منهم رجلا يسمّى : الفقيه تَمُرُو - بفتح المثناة الفوقية ، وضَمِّ الميم ، وآخره راء مشددة مضمومة - يذكرون عنه أموراً^(٤) عجبية ، ويفيضون [في] ذكرها ، مع التصديق لها ، حتى بلغت هناك مبلغ التواتر الذي يمتنع تكذيبه .

فمنها : ما أخبرني به الثقة من فقهاء دارفور ، أنه سافر مع الفقيه تَمُرُو المذكور من جديد كَرِيُو إلى الفاشر ، ورجع معه إلى جديد كَرِيُو ، فقال : لما كنا في أثناء

(١) كذا بفتح الميم .

(٢) كذا .

(٣) كذا .

(٤) في الاصل : أمور .

الطريق ، اشتد علينا حرُّ الشمس ، وكان الفقيه تَمْثُرُو رَاكِبًا على جمل ، فأخذ مِلْحَفَتَهُ وفَرَدَهَا ، ثم رجع وضمَّها بين يديه ، وقرأ عليها بعض أسماء ، ثم قذفها إلى أعلى ، فانفرد [ت] على رأسه كأنها ظِلَّةٌ ، وظلَّته هو وصاحبه من حرِّ الشمس ، كأنها ممسوكَةٌ من أطرافها بين رجلين ، تتبعهما أينما توجهَا كالمِظَلَّةِ ، وهذا الأمر من أغرب ما يُسمع وأعجبه (٣٠٢) .

ومنها : بينما هما سائران في سفرهما ذاك ، إذ نزل عليهما المطر ، فقال الفقيه تَمْثُرُو لخدام كان معهما : اِثْنَيْنِ بِقُبْضَةٍ من التراب . فناوله إِيَّاهَا فأخذها بيده ، وقرأ عليها بعض كلماتٍ ، ثم نثر الترابَ حول رأسه ، فانقشع السحاب ، وصار المطر ينزل عن يمينهما ويسارهما ، وهما يمشيان في اليَبْسِ ، لا تنزلُ عليهما قطرة .

ومما بلغني ، أن المساليط اقتتلوا مع الفُلَّانِ ، في بعض الأحيان ، وهزموهم ، واقتفوا أثرهم ليستأصلوهم ، فعمل الفُلَّانُ شيئًا من سحرهم ، فسحروا أعينَ المساليط ، حتى إنهم كانوا يَرَوْنَ أَثَرَ الذَّهَابِ معكوسًا ، كأنه أثر الحِجِيِّ .

ولقد بلغني من شيخنا الفقيه مَدَنِي الْفُوتَاوِي - عليه سحائبُ الرحمة - أن ملكَ الْبَرْنُونِ كان له كاتب جليل القدر ، على غاية من التقوى والصلاح ، فجاء إليه الوزير الأعظم وقال له : إن الملك يأمرُك أن تكتب كتابًا لفلان ، مضمونه كذا وكذا . فأبى الكاتب عليه وقال : لا أكتب إلا أن يقول لي السلطانُ بنفسه ، أو يرسل لي علامة تدل على صدق رسوله . فذهب الوزيرُ إلى السلطان وأخبره بما قاله الكاتب ، فدعاه السلطان وقال له : قد أذنتُك أن كلِّمًا قال لك وزيرى هذا ، اكتب لكذا أو كذا على لساني ، أن تكتب له . وكان الخاتم الذى تحتم به الأوامر السلطانية مع الكاتب

المذكور (٣٠٣) فامثل أمره، وصار يكتب له كلما أراد، حتى إنه جاء إليه يوم^(١) من الأيام وقال له: إن الملك يأمرُك أن تكتب إلى فلان الملك، أن يتوجه إلى العامل فلان، ويقتله، ويستصفى أمواله، ويرسلها صحيفةً رأسه. فكتب له ذلك، والسلطان لا يعلم بشيء من ذلك. فما راعه إلا وقد امتلأت البطحاء بالأموال والرقيق والبقر والإبل والغنم، ورأس شخص موضوعة على سِنِّ رُمح. فسأل السلطان عن الخبر، فأخبر أن هذا رأس فلان، وهذا ماله، وقد قُتل حسبما أمرت. فأنكر السلطان ودعا بالكاتب وقال: مَنْ أمر بقتل فلان، واستصفاء أمواله؟ فقال له: أنت. فقال له: في أي وقتٍ أمرتُك بذلك؟ قال: في الوقت الفلاني، جاءني وزيرُك فلان، وقال لي: اكتب إلى فلان العامل بالجهة الفلانية، أن يتوجه إلى فلان العامل بالجهة الفلانية، ويقطع رأسه، ويرسلها على رمح، ويرسل أمواله كلها. فقال: لم أأمره^(٢) بذلك. وكيف مع عقلك، وحسن تدبيرك، أنك كتبت له بغير استئذان مني؟ فقال: أيدك الله مولانا، إنك قد دعوتني في اليوم الفلاني، وقلت لي: كلما قال لك وزيرى هذا: اكتب لكذا أو كذا على لساني، فاكتب له. فامثلتُ أمرُك من ذلك الوقت، وصرتُ أكتب له كلَّ ما أمرني به. فغضب السلطان وقال: إني (٣٠٤) لم أأمرُك أن تكتب له في مثل هذا الأمر المهم، بل أمرتُك أن تكتب له في الأمور التي لا ضَررَ فيها على الدولة. أو مثل هذا الأمر يكون بغير استئذان؟ فقال الكاتب: إن مولانا لم يستثنِ أمراً من الأمور حين أمرني بطاعته. فزاد غضبُ السلطان، وأمر بالقبض على الكاتب، فلم يقدر أحد على القبض

(١) كذا .

(٢) كذا بهزتين وقد سبق له نظائر .

عليه ، وما ذاك إلا أنه كلٌّ من مدَّ إليه يداً ليقبض عليه تَبَسُّ ، فلا يقدرُ أن يثنيها ،
وتصيرُ كأنها قطعةُ خشب .

فلما رأى السلطان ذلك قال له : أُعِفُّ عن هؤلاء . فقال : لأعفو^(١) عنهم ، إلا إن
أعفاني السلطان من الخدمة . فأعفاه من الخدمة ، وعفا عنهم هو أيضا ، فلانت أيديهم ،
ورجعت كما كانت . وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ خاف من الله ، خاف
منه كلُّ شيء » ، ومن لَمْ يَخَفِ الله ، خوَفَهُ الله من كلِّ شيء . »

ومَّا ينخرط في سلك هذه العجائب^(٢) ماشاع على ألسنة أهل دارفور ، من أن
هناك قبيلتين من رعايا الفور إحداهما تسمى : مساليط^(٣) ، والثانية : تَمُورْ كَه^(٤) ، يتشكَّلان
بأشكال الحيوانات . لكن المشهور أن مساليط^(٣) تتشكَّل بشكل الضبع والهرِّ والكلب ،
وأما تَمُورْ كه فتتشكَّل بشكل السبع لا غير . وأعجب من ذا أن هذه القبيلة يقولون عنها : إن
الميت منها يقومُ بعد ثلاثة أيام من قبره ويتوجَّه إلى بلدٍ آخر ، ويتزوَّج بها (٣٠٥)
ويعيشُ زمناً . ولقد أشيع على ألسنة أهل دارفور ، أن للسلطان طائفةً من هذه القبيلة ،
يرسلُها في مهمَّات أموره ، وأن لها ملكاً حاكماً عليها ، ويبالِغون في [مقدرة]^(٥) هذه
الطائفة [على التشكُّل]^(٦) ، حتى إنهم يقولون : إنها تتشكَّل بجميع أنواع التشكُّلات ، حتى
الرجل منهم إذا ضاق عليه الجبال ، وخاف من الضبط^(٧) عليه ، يبقِي ريشاً .

(١) في الأصل : لا أعف .

(٢) في الأصل : الإعجاب .

(٣) في الأصل : مسلاط ، في الموضعين والتصحيح عن الترجمة الفرنسية

Voyage, p. 355

(٤) في الأصل تيموركه .

(٥ ، ٦) الزيادة عن الترجمة الفرنسية Voyage, p. 355

(٧) كسدا .

ولقد أدركتُ حاكم هذه الطائفة وكان يسمّى : عليّ كزتب ، وكان رجلاً مسناً ضعيف الحركة ، من فقراء الجند ، لا يظهر عليه أثر الثروة . ثم إنه مات ووُلى ابنه مكانه . وكان شاباً جسيماً وخش الخلقة ، لكن يظهر عليه أثر الثروة . وكان يركب العتاق من الخيل ، وله خدم وأبهاء ، فانعقدت يدي وبينه صحبة ، وذهبت إلى داره عدة مرار ، وكان يسمّى : عبد الله كزتب . فاتفق أني خالوت به في بعض المرات ، وسألته عما تقول فيه الناس من التشكّل ، وأنه يسافر مسيرة عشرة أيام في برهة . فشاغلني بكلام آخر ، ولم يفدني بشيء ، فتركته في ذلك الوقت ، وسألته ثانياً في وقت آخر ، فتبسّم وقال : سبحان الله ، ما كنت أظن أنك تصدّق هذا القول . ثم شاغلني بغير ذلك ، حتى خرجت من عنده ، ثم أنكر معرفتي بعد ذلك ، وصار يمرّ عليّ ولا يلتفت لجهتي . وتركته أنا أيضاً لما رأيت من تنكّره ، ولا أعلم لذلك سبباً سوى تكرار سؤاله في (٣٠٦) هذا الشأن .

ولقد سافرت للغزو^(١) مع ملك من الملوك اسمه : عبد الكريم بن خميس عرمان . وكان أبوه من أعظم وزراء السلطان ، ونقيم عليه ، وأبّد سجنه حتى مات . وصار ولده خادماً للدولة ، حتى أرسل للغزو في الفريت . وكان لي عليه دين ، فذهبتُ معه لأستوفاه^(٢) منه . فتوغلنا في بلاد الفريت مدة ثلاثة أشهر ، وكنا في محل لا يوجد فيه شيء من البقول ولا الخضراوات^(٣) . فدعاني ذات يوم من الأيام ، فلما دخلتُ عنده وجدت بصلاً أخضر وقفوساً ، وكل منهما كماأما أخذ من مَقْمَاتِهِ الآن . فسألته عنهما ، ومن أين وصلاه ؟ فقال : من دارفور . فسألته عن أني له بهما ، وكيف بقيا طريين مع بعد المسافة ، سيما القفوس ، فإنه كان غضاً بالكلية . فقال : قد جيء بهما في أقل زمن . وانظر إلى تاريخ

(١) المقصود بالغزو هنا : الاغارة على إحدى الجهات للحصول على الرقيق .

Voyage, p. 357.

(٢) كذا وهي صيغة عامية .

(٣) في الأصل : الخضروات .

هذا المكتوب . فأخذت المكتوب منه ، ونظرت إليه ، فإذا هو من بعض أحبابه بدارفور ، وتاريخه صبيحة ذلك اليوم . فبهتُ وصرتُ متعجباً من ذلك . فلما رأى عجائبي^(١) قال لي : لا تعجب ، فإن معنا جماعة من التَّموركه ، فيهم^(٢) قوَّة التشكل ، يذهبون إلى أبعد محلّ في أقرب زمن . فقلت : أريد أن تريّني أناساً منهم . فقال : لك ذلك .

ثم لما قفلنا نريد دارفور ، ووصلنا إليها ، بتنا بظاهر بلاد التَّموركه ، نسيت اسمها . ولما كان عند (٣٠٧) الصباح ، جاءنا أناس كثيرون يسألون على الملك وأنا جالس معه ، فرحّب بهم وأكرمهم ، وكسا رؤساءهم ثياباً حسنة ، وفرحوا بذلك .

ولما أردنا الرحيل قال رئيسهم : إنّنا نوصيكم إن رأيتم في طريقكم سباعاً فلا تمسوها بسوء ، لأن جميع ما ترونه من السباع في هذه الجهة منا . فقال الملك إذ ذاك : نحن نريد أن نسمع من بعض أصحابك الآن . فقال : سمعاً وطاعة . ثم ندب ثلاثة أنفار منهم سَمَّاهم ، فقاموا وتوجَّهوا إلى الخلاء ، فغابوا قليلاً ، ثم سمعنا زئيراً سدياً عظيماً أزعج القلوب ، وأفرزع الدواب ، فقالوا : هذا صوت فلان سَمَّوه ، ثم سكّت . وزأر أسد آخر يُقرب منه ثلاث زَّارات . فقالوا : هذا [صوت] فلان . ثم سكّت . وُسمِع بعد ذاك زئيرٌ أعظم من الزئيرين السابقين ، حتى كادت أن تنخلع القلوبُ لسماعه ، فقالوا : هذا صوتُ فلان . سَمَّوه وأعظموا أمره . ثم بعد قليل جاءوا على هيئةٍ لهم الأدمية ، وقبّلوا يد الملك . وفرح بهم وأكرمهم ، وكساهم ثياباً فاخرة ، وودّعناهم وارتحلنا ، وحينئذ قال لي الملك : هؤلاء الطائفة هم الذين أُنْثونا بالبصل والفَقُّوس ، ونحن في آخر دار فَرْتيت . انتهى .

* * *

(١) كذا .

(٢) في الأصل : وفيهم .

ومما يلحق بهذه العجائب ، ما يقوله الرّمّالون حينَ يضربون تحتَ الرمل ، لأنهم يقولون كلاماً وقع للإنسان لا يعلمُ به أحدٌ إلا الله تعالى . ويقولون على^(١) أمور (٣٠٨) تقعُ كأنه يراها بعينه .

فما دعاني إلى صدقي أقوالهم ، أني حين أردتُ الانتقال من دارفور ، والسفرَ إلى دار واداي ، كان في البلدة التي كنتُ فيها رجلٌ يقال له : سالم ، له صهرٌ في بلد آخر يقال له : إسحاق ، ماهرٌ في علم الرّمّل . وكنتُ ضيقَ الصدر لتعشّر أمور السفر على ، فقال لي سالم المذكور : هل لك في أن تتوجه معي إلى صهرى إسحاق ، يضرب لك الرمل ، ويقول لك ما يظهرك له ؟ فأجبتُه لذلك ، وتوجهت معه لبلدة صهره المذكور ، فدخلناها ضحى ، فرأيناه غائباً في زرعته . فصبرنا حتى قدم ، فرحب بناوأكرمنا، وأتى لنا بغداء^(٢) حسن . ثم قال له صهره سالم : إن الشريف قد جاء يلتمس منك أن تضرب له رملاً . فقال : السمع والطاعة . وضرب الرمل ، وقال لي كلاماً كنتُ أكذبه فيه ، فوالله لقد وقع جميعُ ما قاله ، وكأنه تسكلم من اللوح المحفوظ ، لم يخطيء في كلمة .

فمن ذلك ، أنه قال لي : إنك ستذهب إلى دار واداي عن قريب ، بجميع أهل بيتك ما عدا امرأة أهلك ، فإنها لا تذهب معك . وكنتُ أكذبه ، وأقول : كيف لا تذهب ، مع أنها أحوجُ الناس للدّهاب ؟ فصدّق الله قوله ، فلم تذهب معنا ، وعملت علينا

(١) كذا .

(٢) في الاصل : بغداء .

حيلة . وهي : أنها بقيت معنا حتى كانت ليلة الرحيل ، ففرت وتركت ابنتها بنت سبع سنين .
فلما أصبحنا طلبناها فلم (٣٠٩) نجد لها أثراً ، وسافرنا ولم نستقر لها على خبر .

ومن ذلك ، أنه قال لي : ليلة قدومك على بيت أبيك ، يأتونك بجارية صفتها كذا وكذا . فوقع كما قال .

ومنها ، أنه قال لي : لا تجتمع بأبيك في دار واداي . فكان كذلك ، ولم أجتمع معه إلا في تونس .

ومنها ، أنه قال لي : إن بيت أبيك حيطانه حمر ، كأنها طليت بمغرة ، فرأيتها كذلك . والمغرة نوع حجر لونه أحمر هَشَّ ، يسحقونه ناعماً ، فيطلى به البيوت ، ويصنعون به أيضاً الحبر الأحمر ، يخلط مع الصمغ في الماء .

ومنها ، أنه قال لي : إنك تركب هناك جواداً أخضر^(١) . فكان كذلك .

وقال لي : إن السلطان يُعِمُّ عليك بجوارٍ وغيرها . فكان كما ذكر .

ومن أعجب ما وقع حين كنا عنده ، [أن] جاءت نسوة يتخاضن مع بعضهن ، ويردن^(٢) أن يضرب لهن رملاً يظهر به مالا ضائعا ، لتعلم كل منهن من أخذه . فضرب الرمل وقال : قد ضاع لكن خرز أحمر ، منظوم في خيط ، وهو مخبأ في رتاج [باب] البيت الفلاني . فقامت امرأة ، وأتت به من الرتاج المذكور ، كما قال . لكن لم يقل من الآخذة له منهن .

(١) انظر ص ١٧٤ ، حاشية ١ .

(٢) في الأصل : ويريدن ، بتشديد النون .

وله في خط الرمل باع طويل ، ومن هذا القبيل ما حدثني به عمي السيد أحمد زروق ، أن والدي - عليه سحائب الرحمة والرضوان - لما كان صحبة المرحوم السلطان محمد صابون في محاربة جبل تامة ، ضاع له جمال بازل^(١) ، وأرسل العبيد والخدم ليفتشوا (٣١٠) عليه^(٢) ، فذهبوا وغابوا طويلا ، ثم رجعوا بالخبية ، فبيس المرحوم والدي منه .

وكان ممن صحبه رجل يعرف خط الرمل ، فقال له بعض الحاضرين : إنك رجل رمال ، فإن كنت عارفا ، بين لنا الجمل يأتي أم لا ؟ فضرب الخط وقال : إن الجمل هاهنا غير بعيد ، فقوموا وانظروا في إبل جيراننا . فذهبت العبيد إلى إبل الجيران ، فوجدوا الجمل باركا في وسطها ، وعرفوه ، وجاءوا به إلى محله . وهذه غاية الإلتقان في علم الرمل . ومن هذا القبيل أيضا ، ما حكى لي بعض الأشراف في دار واداي ، أن جماعة من العلماء كانوا مجتمعين في محل ، وفيهم من يعرف علم الرمل معرفة خبير ، وفيهم من يدعيه . فتذاكروا في علم الرمل ، والذي يدعيه يقول : أنا ضربت الرمل لفلان الملك ، ولفلان القائد ، وأخبرتهما بكذا وكذا . فطلب منه أحد الحاضرين أن يضرب له ، فضرب ، وقال كلاما لا يغني شيئا . فالتفت العارف إلى الخط المضروب وتأمله ثم قال : إني مبشرك أنك في غد تقبض من السلطان ستين رأس رقيق . وكان الأمر كما قال .

وإذ انجز الكلام إلى علم الرمل ، فلنذكر منه نبذة يقف بها المتأمل على ماهيته وأشكاله وأسمائه ، والأشكال السعيدة والنحسة والمتوسطة فنقول :

(١) الجمل البازل هو الجمل في تاسع سنه ، وليس بمده سن تسمى .
(القماموس) .

(٢) كذا .

أما أشكاله فهي ستة عشر شكلاً .
أولها : الطريق (٣١١) ، وصورته هكذا :



[الطريق]

وهي جيدة لمن أراد السفر ، وأجود منها لمن يسأل عن قدوم الغائب ، وردية لمن كان مريضاً ، فإنها تدل على طريقه للقبر .
وثانيها : الجماعة ، وصورتها هكذا :



[الجماعة]

وهو شكلٌ سعيد إلا في المريض ، فإنه يدل على اجتماع الناس لجنائزته .
وثالثها : اللحيان ، وصورته هكذا :



[اللحيان]

وهو شكلٌ سعيد في جميع الأحوال .
ورابعها : النكيس ، وصورته هكذا :



[النكيس]

وهو شكلٌ نحسٌ في جميع الأحوال ، إلا في الحامل ، فإنها تلد ذكراً .
وخامسها : الاجتماع ، وصورته هكذا :



[الاجتماع]

وهو شكلٌ سعيدٌ في جميع الأعمال ، إلا في قبض الدراهم .
وسادسها : العقلة ، وصورته هكذا ^(١) :




[العقلة]

وهو شكلٌ نحسٌ ، إلا في السؤال عن الحامل .
وسابعها : العتبة الداخلية ، وصورته هكذا :



[العتبة الداخلية]

وهو شكلٌ سعيدٌ في جميع الأحوال . فتمن (٣١٢) كان أول خطّه هذا الشكل
أو ثانيه ، إن كان مغموماً زال غمّه ؛ وإن كان مترقياً لجيء غائب ، قدِم عليه سريعاً ؛
وإن كان معسراً زال عُسرُه .

(١) رسم صاحب القاموس صورة العقلة في معجمه (مادة عقل) هكذا :  وسبقها بقوله : « العقلة بالضم في اصطلاح حساب الرمل » .

وثامنها : القَتَبَةُ الخارجة ، وصورتُه هكذا :



[القَتَبَةُ الخارجة]

وهو شكلٌ مُنْحَسٌ ، يدلُّ على موت المريض ، وتعطيل الحاجة ، واضطرابِ الأمور ، وطلاق الزوجة .

وتاسعها : القبضُ الداخل ، وصورتُه هكذا :



[القبضُ الداخل]

وهو شكلٌ مُتَمَتِّجٌ ، يدلُّ على قبضِ الدراهم ، والظفرِ بالعدو ، ولكنه يدلُّ على موت المريض ، وحبسِ المطلوبِ للعفاكم .

وعاشرُها : القبضُ الخارج ، وصورتُه هكذا :



[القبضُ الخارج]

وهو شكلٌ يدلُّ على عدم رجوع ما خرج من اليدِ ، وذَهابِ الآبقِ ، وإِبقاءِ الرقيقِ ، لكنَّه يدلُّ على الخلاصِ من الحبسِ ، وعلى السفرِ ، والانتقالِ من مكانٍ لآخر .

وحادي عشرُها : البَيَاضُ ، وصورتُه هكذا :



[البَيَاضُ]

وهو شكلٌ جيد في كل الأحوال إلا في (٣١٣) المريض ، فإنه يدل على الكفن .
وثاني عشرها : الحُمرة ، وصورتُه هكذا :



[الحُمرة]

وهو شكلٌ يدلّ على إهراقِ الدماء ، وعلى القبر للمريض . لكنه سعيدٌ للحامل ،
فإنها تلد ذكراً . ويدل على الثيابِ الحُمْر ، كما أن البياض يدلّ على الثياب البيض .
وثالث عشرها : الجَوْدَلَة وصورتُه هكذا :



[الجودلة]

وهو شكلٌ سعيد ، يدلّ على الفرح والسرور ، وأن الحامل تلد أنثى ، وأن الأمر يأتي
على أحسن حال .
ورابع عشرها : نَقِيّ الخدّ ، وصورتُه هكذا :



[نقي الخد]

وهو شكلٌ نحس ، ويدلّ على الشباب ، والعدوّ المجهول ، وطول المُسْكَن في الحبس ،
وقبض روح المريض .

وخامس عشرها : النَّصْرَةُ الدَّاخِلَةُ ، وصورتُهُ هكذا :



[النصرَة الدَّاخِلَة]

وهو شكلٌ سعيدٌ ، يدلُّ على النصر والظفر ، وقضاء الحاجة ، ونجاة المريض والمسجون والحامل .

وسادس عشرها : النَّصْرَةُ الْخَارِجَةُ ، وصورتُهُ هكذا :



[النصرَة الْخَارِجَة]

وهو شكلٌ يدلُّ على أمور حميدة، إلا في محاربة العدو، فإنه يدلُّ على انهزام الجيش، وعدم الظفر به .

فإذا أراد (٣١٤) الإنسان أن يضرب الرمل المذكور ، يأتي برمل نظيف نقي ، ويسطه على الأرض ، ثم ينقِّط فيه بالإصبع الوُسْطَى أربعة أسطر، من غير عددٍ بالأسطر، من اليسار إلى اليمين هكذا :



[ضرب الرمل]

ثم يتتبعه زوجاً فزوجاً ، حتى ينتهي إلى الآخر .

فإن كان الآخر زوجاً أثبتته ، وإن بقي فرداً أثبتته ، فيُثَبِّتُ ما تحصَّل من السطور

الأول أولاً ، وما تحصّل من الثانى تحته ، وهكذا ، حتى تتم الأربعة أسطر^(١) فيتحصل منها شكل من الأشكال الستة عشر المتقدّمة .

ومن لم يجد رملاً ، ضرب الخطّ بقولٍ أو حمص : وهو أنه يأخذ قبضة من غير عدد ويُسقطها زوجاً زوجاً ، ويثبت الأخير ، إن كان زوجاً أو فرداً .

وأما تولّدات أشكالها ، واتصالاتها ، وما يتعلّق بهما من الأسماء ، والحروف ، والكواكب ، والعاقبة ، وعاقبة العاقبة ، فذلك كلّهُ منوطٌ بمؤلّفات علم الرّمل ، فلا نطيل الكلام عليها . وإنما ذكرنا هذه النبذة اليسيرة ، ليكون للنّاظر فى رحلتنا هذه إلمامٌ بمهيّة الرّمل فى الجملة ، ولئلاّ تخلو هذه الرّحلة عن مثل هذه الفائدة والله عالم .

وقد طبّع بالحجر هذه النسخة الجميلة ، المنمّقة الجميلة ، بدار طباعة السيد كيميّلين الفاخرة ، الكائنة بمدينة باريس الباهرة ، وذلك برسم وخطّ السيد بيرون ، بنعمة الله وعون . وكلّ طبعه على ذمّته ، ونظيره وهّمته ، فى سلخ شهر نونبر^(٢) سنة خمسين وثمانمائة بعد الألف المسيحيّة ، والحمد لله فى البدء والنهاية ، ونسأله من الخير بلوغ الغاية ، آمين .

(١) كذا :

(٢) أى : نوفمبر

الملاحق

ملحق رقم (١) الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور .

» (٢) تاريخ سلطنة دارفور .

» (٣) معجم عربي - فوراوى .



الأمير أبو مدين

ملحق رقم (١)

الأمير أبو مدين ابن سلطان دارفور

ومشروع الحملة المصرية على دارفور سنة ١٨٤٣ م

كتبه الدكتور بيرون Perron باللغة الفرنسية ، وهو ملحق بكتاب :
Voyage au Darfour, pp. 370-396

الترجمة العربية :

ان المعلومات التى أوردها هنا ، تكملة لرحلة الشيخ التونسى .
وتتناول هذه المعلومات وصف اعداد الحملة التى تجهّز الآن ، كما تتناول
أخبار الأمير أبى مدين الذى تقوم الحملة لاجلسه على عرش دارفور ،
بدلا من سلطانها الحالى . وفيما يتعلق بهذا الأمير فان جميع ما سوف
أورده هنا ، دوتته أثناء محادثاتي المتعددة مع هذا الأمير الفوراوى فى
القاهرة ، اذ استقبلته عدة مرات ، ولحظت من علاقاته بالناس وتصرفاته
معهم ، أنه كان غاية فى الطيبة . وهذا أمر طبيعى بين المخلوعين من
الملوك ، فكثيرا ما استقبلنى الأمير أبو مدين فى داره ، وأتيحت لى وللشيخ
التونسى — أكثر من مرة — فرصة الجلوس اليه على مائدة واحدة بدون
تكليف وتناول طعام العشاء .

وامتد حديثنا الذى جرى باللغة العربية الى الكلام عن دارفور
وعادات أهلها وحاصلات كل اقليم من أقاليمها ، كما امتد الى الحديث عن
الأحوال التى جعلت هذا الأمير يقرر الهرب ، وعن المخاطر التى تعرض
لها ، والى أى حد استطاع الاستفادة من هذه الكارثة التى جاءت من
حسن حظه .

وهنا أخذت أنا والشيخ التونسي ، نكرّر له القول بأن العناية الالهية هي التي قادت به الى مصر ليتعلم منها وليوسع مداركه فيها ، وليرى مظاهر الحضارة الجديدة التي ينبغي له أن ينشرها بين أهل دارفور . وفي آخر مرة قابلته فيها — قبل رحيله من القاهرة الى السودان — ذكرت له هذا القول مرة أخرى وقلت : من المؤكد أنك سوف ترى مدينة تندلتي من جديد بفضل مساعدة محمد علي ، وسوف يستقبلك الناس سلطانا عليهم . ولكن اذكر أنت أن هذه الحوادث الخطيرة لا تقع لمصلحة شخص وحده ، وأن الله لا يقبل هلاك الناس من أجلك ومن أجل مصلحتك لكي تحكم أنت البلاد بنفسك ولخدمة أغراضك . إن أخاك السلطان لم يمت أثناء هروبك لكي تتربع أنت في دست السلطنة ، دون أن تهتم بشئون أهل بلدك . ويبدو أن العناية الالهية قيضت لك كل شيء لتفتح أبواب الحضارة لأهل السودان . انك رجل ذو حظ عظيم ، ولا تنس ذلك أبدا .

كان الأمير أبو مدين على جانب كبير من الذكاء ، وأدرك مغزى حديثي معه ، وأقسم خلال هذا الحديث أنه سوف يهتم بهذا الموضوع اهتماما كبيرا . وابتسمت ابتسامة تقتضيها أفكاره عن النظام الطبقي في دارفور ، وقلت : عندما تجلس في دست السلطنة ، الذي تركه لك أبوك التقى السلطان عبد الرحمن ، ارجع الى محمد علي مرة أخرى . وتخير عشرين أو ثلاثين من أذكى أبناء حاشيتك وأكثرهم مقدرة على الكلام باللغة العربية وأرسلهم الى مصر . ومن المؤكد أن والى مصر سوف يعاملهم معاملة كريمة ، والواقع أنه اذا عرف محمد علي أنك تقتفى أثره ، فانه سوف يهتم بتعليمهم ، وسوف يردهم اليك رجالا متعلمين ، فيكونوا أعظم هدية يقدمها ملك الى آخر .

وعندما ذهب لوداع أبي مدين ، قبل سفره بأيام ، ذكرني بحديثي معه والأفكار التي أبديتها له أنا والشيخ التونسي .

والآن قبل أن أذكر شيئاً عن حملة دارفور ، سوف أحكى أخبار
أبى مدين منذ هروبه حتى اليوم . وثقلت هذه السيرة — كما ذكرت
من قبل — على لسان أبى مدين نفسه ، وأكدها لى وللشيخ التونسي
أكثر من مرة ، تجار كردفان ودارفور ، الذين يأتى منهم الى مصر
عدد كبير .

أبو مدين : هو الأمير محمد أبو مدين بن السلطان عبد الرحمن
الرشيد المعروف باليتيم ، وأخو السلطان محمد فضل . ونشأ أبو مدين
يتيماً ، اذ توفى أبوه وهو طفل لم يبلغ من العمر سوى ستة أشهر . وتربى
مجهولاً فى مساكن الحريم بالقصر السلطانى ، ولذا لم يشعر أحد
بوجوده ، ولم يسمع الشيخ التونسي عن هذا الأمير شيئاً أثناء زيارته
لسلطنة دارفور ، كما أنه لم يسمع أحداً يتحدث عنه ، ولا عن أخيه
الصغير . وكان لأبى مدين أخوان غير أخيه الثالث السلطان محمد فضل .
وأصغر هذين الأخوين — ولا أذكر اسمه — كان يكبر أباً مدين بستين
ونصف سنة فقط . أما الأخ الأكبر فهو محمد بخارى .

ظل هؤلاء الأخوة الثلاثة موضع رعاية أخيهم السلطان محمد فضل
سنوات طويلة بوصفه وصياً عليهم . ولكن معاملته لآخوته لم تلبث أن
تغيرت ، وذلك حين شب أولاده عن الطوق . فقد عزم السلطان محمد
فضل أن يضمن لأولاده اعتلاء عرش دارفور ، وذلك بأن يقضى على كل
منافسة متوقعة من ناحية أعمامهم . وفى سبيل تنفيذ هذه الخطة المحوطة
بالحذر ، بدأ السلطان محمد فضل بقتل محمد بخارى أكبر آخوته الثلاثة .
وفى نفس الوقت نصح أخويه الآخرين ، بأن يحذرا تعريض نفسيهما لمثل
مصير أخيهما .

كان الأميران الصغيران يعيشان فى تونج باسى ، وهى البيوت المخصصة

لسكنى الأمراء ، وهى مؤلفة من سكتاتيات جميلة تقع شرقى مدينة تندلتى ، ولا تبعد عن هذه المدينة سوى عدة مئات من الخطوات . وتعرض أبو مدين وأخوه الصغير لمراقبة مستمرة ، فلم يستطيعا مبارحة مسكنيهما دون اذن خشية أن يشى بهما أحد عند السلطان . ولو قدر لهما أن يضبطا متلبسين بجريمة الهروب ، فإن اجراءات محاكمتهما وتنفيذ الحكم فيهما لا تطول كثيرا . ومن ثم كانا معرضين لنفس مصير أخيهما محمد بخارى . ولذا دبّر الأميران خطة ينجوان بها من الخطر الذى كان يهددهما كل يوم .

وانتهز الأميران أول فرصة للنجاة ، وحانت هذه الفرصة حين خطبت إحدى أخواتهما الى أحد أبناء خؤولتهم . ولما تحدد الزواج ، طلب الأمير أبو مدين وأخوه من السلطان محمد فضل أن يسمح لهما بالذهاب الى المناطق المجاورة لمدينة تندلتى ، لجمع البقر والضأن لتقديمها فى ولائم العشاء الخاصة بالعرس ، ولاعداد كل ما يتطلبه العرس من حاجات . وتعهد الأمير أبو مدين وأخوه بالقيام بهذه المهمة ، وفى الساعة الثالثة من مساء اليوم الذى حصل فيه على اذن من السلطان بالخروج ، ركبوا جواديهما وخرجا من مدينة تندلتى ، وفى صحبتهما بعض الأتباع والعبيد ، وسارا صوب القرى الواقعة جنوبى مدينة تندلتى ، وظلا فى هذا الاتجاه حتى غروب الشمس . ولما أسدل الليل أستاره ، اتجها ناحية الشرق وأغذاً السير فى الطريق المؤدى الى القوز .

واصل الأميران سيرهما طوال الليل ، حتى اذا أشرقت شمس اليوم التالى ، كانا قد بلغا السهول التى يسكنها عرب بنى جرّار ، وهم بدو مستقرون قرب بلدة الطويشة . وفى الحال اجتمع شيوخ هؤلاء البدو حول الأميرين الهارين ، ثم سألوهما عن الغرض من رحلتهما ، وعاملوهما معاملة

كريمة ، ثم عرضوا عليهما خدماتهم . فأخبر الأميران بنى جرّار بأنهما هاربان بسبب غيرة السلطان منهما وقسوته عليهما ، وكثيرا ما لقيا منه الأمرين ، وأنهما في طريقهما الى كردقان . فقال لهما شيوخ بنى جرّار : ارجعوا الى دارفور ، فسننضم اليكما ، ونكون منا فرقة كبيرة ننقض بها فجأة على السلطان في مدينة تندلتي ، مهما كانت الأحوال ، ونرد اليكما ميراث أبيكما . اعتمادا علينا ، فنحن أوفياء لكما .

ولما كان الأميران الهاربان يشكان في صدق نوايا بنى جرار ، فانهما اكتفيا بشكر شيوخها على عروضهم السخية ، وقالوا لهم : جزاكم الله خيرا على حسن نواياكم . دعونا نمضى في طريقنا ، وغاية ما نرجو منكم أن تمدونا ببعض فرسانكم لمرافقتنا ، ولحمايتنا من أى حادث يقع لنا ولارشادنا الى الطريق حتى نبلغ مأمنا . وبعد هنيئة اجتمع مائة فارس واصطحبوا أبا مدين وأخاه بمثابة حرس خاص .

ظلت هذه الجماعة مسافرة مدة يومين ونصف يوم لم تقابل خلالها أحدا . غير أنه حدث في اليوم الثالث أثناء عبورها بعض الرّبي عند أطراف دارفور ، أن تعرّف أحد سكانها على الأميرين الفوراوين . وما ان رأى الأمير الصغير حتى صاح قائلا : ها هو ذا ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد . وما ان سمع الأمير الصغير قوله حتى هجم على الرجل وقصل رأسه عن جسده بالسيف . فثار أهل القتل ثورة شديدة ، وحدثت ضجة . ثم أخذ هؤلاء يسبون حرس الأميرين ، وهجموا عليهم .

وكان الأمير أبو مدين وبعض الفرسان على مسافة قصيرة من مكان الحادث ، فعاد أدراجهم واندفع نحو أهل القتل محاولا وقف المعركة الدائرة بين الفريقين ، وانتحى بأخيه جانبا وأخذ يلومه على قصر نظره ، واتهمه بالوحشية والظلم ، وبدأ منه ما يوحى بتأييد حق أولئك القوم في الانتقام لمن أصابه الضرر ، وعمل على إبعاد رجاله عن مساكنهم .

ولم يكد الأمير أبو مدين يصل الى السهل حتى أسرع الخطى نحو البحر (النيل) . غير أن أهل القتل احتفظوا بحقهم في الانتقام ، ومن ثم أرسلوا من بينهم رجلا الى مدينة تندلتى ، فلم يلبث أن وصل اليها ، وأخبر السلطان محمد فضل بأن الأميرين هاربان من دارفور ، وأنهما فى طريقهما الى كردفان .

وما ان سسمع السلطان بهذا النبأ حتى أرسل من فوره فرقة من الفرسان بقيادة أحد المخلصين من أتباعه واسمه تورفيجّه ، لمطاردة الأميرين .

وغادرت هذه الفرقة مدينة تندلتى ، وواصلت السير ليلا ونهارا ، حتى عثرت على أثر الأميرين وحرسهما فى الصحراء ، وذلك على مسافة من أطراف دارفور . ثم قصد تورفيجّه الى مكان الأميرين الهاربين ولحق بهما ، وهاجمهما وهو مغضب . عليهما . وثبتت بينه وبينهما معركة ، وألقى الأمير أبو مدين بنفسه على تورفيجّه وضربه بالسيف ضربة فقأت عينه ، ثم ضربه أخرى فأراد قتيلا .

ورأى رجال تورفيجّه رئيسهم يسقط قتيلا ، ولكن أحدا منهم لم يجرؤ على الدفاع عنه ، لأن العرف جرى فى دارفور أنه لا يحق لأحد أن يشهر سلاحا فى وجه أى فرد من أفراد أسرة السلطان . فلو حدث أن أحدا من أهل دارفور قتل أى فرد تجرى فى عروقه الدماء السلطانية ، فإن جزاء القاتل الاعدام ، سواء كان القتل سهوا أو خطأ أو للدفاع عن النفس ، ولو كان القتل بناء على أوامر صادرة من السلطان .

من الدليل على ذلك أن الفلاح المصرى زبادى الذى قتل اسحاق الخليفة بن السلطان محمد تيراب ببندقيته بأمر السلطان عبد الرحمن الرشيد نفسه — فانه بعد أن نال المكافأة التى وعده بها السلطان عقب معركة جركو — أمر السلطان عبد الرحمن بقتله ، وذلك تمشيا مع العرف

الذى جرى فى دارفور ، بعدم الاعتداء على السلطان أو على أى فرد من أفراد الأسرة السلطانية . وهكذا فإن سفك الدماء السلطانية — مهما كانت الظروف المحيطة به — جريمة كبرى لا يخفف من وقعها شىء ، ولا تفتدى بشىء .

وأكثر من هذا فإنه لو قتل أحد أبناء السلطان أو أحد أقاربه عمدا أو سهوا فى قرية من ريف دارفور ، وظل المجرم مجهولا ، أو لم تفلح جهود سكان المنطقة التى وقعت فيها جريمة القتل فى القبض عليه ، فإن الانتقام من هؤلاء السكان يكون أشد عنفا وقسوة . فالمذنب لا بد من الانتقام منه ، أو من أحد أقاربه ، مهما كانت أسباب الجريمة . ولذا كانت تحرق الربى التى يقطنها أهل المذنب وتدمر تدميرا ، وتقع فيهم مذبة كبيرة تعويضا لما وقع من جريمة فى حق الأسرة السلطانية ، مع الاستمرار فى تعقب الجانى الهارب حتى ينال جزاءه .

وخضوعا لهذه المبادئ الشائعة فى دارفور ، تخلت الفرقة عن رئيسها تورفيجه ، وتركته وحيدا يتلقى طعنات الأميرين الفوراوين دون أن يحرّك أفرادها ساكنا ، أو يتقدم أحد منهم خطوة واحدة للدفاع عنه . ولما رأى أفراد الفرقة رئيسهم قتيلا ، وأنهم أصبحوا من غير رئيس يقودهم ، تفرقوا ولاذوا بالفرار .

غير أن السلطان محمد فضل لم يلبث أن أرسل فرقا أخرى من الفرسان أكثر عددا من الفرقة الأولى . اذ توقع مقاومة عنيفة من جانب الأميرين اللذين احتفظا بقوة حرسهما ، فضلا عن استعداد هذا الحرس للدفاع عنهما بقوة . ورأى السلطان محمد فضل أن اللاحاق فى مطاردة الأميرين الهارين سوف يجعل لفرسانه فرصة فى احراز النصر على الأميرين . ولذا رأى السلطان أن يثبى مهمة أولئك الفرسان سرية الا لرؤسائهم ، لأنه خشى أن يسرع أحد أصدقاء الأمير أبى مدين أو أخيه

بأنذارهما بالخطر المحدق بهما أو باحباط مطاردتهما .
والتقى الجنود الفوراويون الهاربون من الأميرين بالفرسان الذين
ذهبوا للحاق بهم ، ولم تمض بضع ساعات حتى تجمع هؤلاء وأولئك
جميعا . وفوجيء الأميران وحرسهما باقتراب غبار الجنود الفوراويين
الزاحفين نحوهم .

أما بنو جرار ومن كان في حمايتهم ، فانهم تفرقوا بعيدا بحثا عن
الماء ، ثم ضلوا الطريق دون أن يعثروا على شيء . ومع هذا اقترب
بنو جرار من أطراف كردفان ، لأنهم حين التقوا بجنود دارفور ، تفرقت
جماعات منهم هنا وهناك بحثا عن الماء حتى صاروا على مسافة تبعد يومين
ونصف يوم من أطراف كردفان .

وأخذ بنو جرّار يفكرون في موقفهم من الجنود الفوراويين ، ورأوا
أنه ليس من المفيد لهم أن ينتظروا فرصة الدخول معهم في معركة كبيرة .
غير أنه عزّ عليهم أن تضيع جهودهم سدى ، فاستولوا على الجمال التي
كانت تحمل المتاع أو المؤونة للأميرين وأتباعهما ، وهرعوا الى ناحية
البحر (نهر النيل) .

لم يبق مع الأميرين الفوراويين بعد خيانة بنى جرّار سوى بضعة
رجال ممن صاحبوهما عند خروجهما من مدينة تندلتى ، ومعهم عدد من
الجمال السريعة التي ركبها اثنان أو ثلاثة من أولئك الرجال .

وأخذ الأميران يفكران في طريقة يتخلصان بها من مطاردة فرسان
دارفور ، فأسرعا في السير صحبة أتباعهما ، واستطاع الجميع أن يهتفوا
عن أنظار العدو . غير أن المجهود المضنى الذى بذلوه في تلك الرحلة
الشاقة ، مع قلة الماء وشدة تعب الخيل أدى الى توقفهم عن السير بضع
ساعات . ولم يلبث أن ظهر فرسان دارفور فجأة وانقضوا عليهم ، وخطفوا
الأمير الفوراوى الصغير وأخذوه أسيرا .

ومن حسن الطالع — للمرة الثانية — أن الأمير أبا مدين كان بعيدا عن أتباعه . فلما شهد ما حدث ، لم يتوقف لحظة واحدة عن الجرى بعيدا ، ولم يفقد وعيه رغم ما كان يعانيه من شدة العطش . ثم عاد الأمير أبو مدين الى رفاقه حين رأى فرسان دارفور يحملون أخاه الأمير الصغير أسيرا ، ويستولون على متاعه القليل . وعندئذ اختبأ الأمير أبو مدين ، أول الأمر ، ثم ولى ظهره لفرسان دارفور ، ولاذ بالفرار بأقصى ما يستطيع من سرعة .

أما فرسان دارفور ، فانهم شغلوا بالأمير الصغير ، ولم يفتن أحد منهم الى مطاردة أتباعه القليلين ، بل تركوهم يلوذون بالفرار . وممن هرب من أولئك الأتباع : الفقيه محمد المحسى الذى كانت تربطه بالأمير أبى مدين صداقة وطيدة منذ الطفولة ، ولم يفارقه ألبتة . وللفقيه المحسى هذا وجه صغير . أما لون بشرته فأقل سوادا من لون بشرة الأمير أبى مدين ، ويشع من عينيه ذكاء سريع ، ويتصف بالحماسة والصرامة والاعتداد بالنفس والشجاعة والجرأة والنشاط الذى لا يعرف الكلال . بقى الأمير أبو مدين هائما وحيدا فى جوف الصحراء ، واضطر الى التوقف بعد مدة قليلة بسبب ما نال حصانه من الإعياء والعطش ، فنزل عن الحصان وأطلقه ، وواصل هو اتمام الرحلة مشيا على قدميه . وهكذا ظل الأمير أبو مدين تحرسه عناية الله حتى قارب النهار نهايته .

وعندما أרךى الليل أستاره على الصحراء ، قابل أبو مدين الفقيه المحسى راكبا جملا من النوع السريع الجرى . وهنا عرف الفقيه المحسى الأمير أبا مدين ، فاقترب منه وتخلى له عن مكانه على ظهر الجمل ، وسار هو على قدميه . وبعد قليل لمح الاثنان بدويا على مسافة منهما ، فاقتربا منه وكلماته ووعدها بمكافأة سخية اذا هو دلتهما على الطريق ، أو قادهما الى مورد ماء يشربان منه . فقبل البدوى ذلك ، وسار ثلاثتهم

وقتاً طويلاً من الليل . وفى متنفس الصباح التالى وصلوا الى مورد ماء فشربوا ، واستراحوا بعض الوقت . ثم استأنف الأمير أبو مدين والنقيه المحسى سيرهما من جديد حتى وصلوا فى اليوم الثالث الى أراضى كردفان .

وعندما صار الأمير أبو مدين فى أرض كردفان ، أرسل رسولا الى الحاكم المصرى بمدينة الأبيض عاصمة كردفان ، ليخبره أنه ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد سلطان دارفور ، وأنه جاء الى كردفان لاجئاً يطلب الحماية والمأوى . فأرسل الحاكم المصرى على التو عدداً من الجنود لحراسة الأمير الفوراوى واصطحابه الى مدينة الأبيض . واستقبل الأمير أبو مدين استقبالا رسمياً ، عند دخوله عاصمة كردفان ، وذلك بإطلاق المدافع تحية له .

ثم علم الأمير أبو مدين عقب وصوله الى مدينة الأبيض أن فرسان دارفور اقتادوا أخاه الصغير الى السلطان محمد فضل بالفاشر ، وأن السلطان أمر بسمل عينيه . ثم وصلت الأمير أبا مدين رسالة من أخيه السلطان محمد فضل يطلب منه الرجوع الى دارفور ، ووعده بأن يعامله معاملة كريمة . غير أن الأمير أبا مدين لم يصدق هذا الوعد ، ورفض الرجوع الى تندلتى ، لأنه يعلم مقدماً ما ينتظره من غدر وقسوة .

هكذا تمت هجرة الأمير أبى مدين الى كردفان سنة ١٢٤٩ هـ أى فى سنة ١٨٣٣ م . وفى هذه السنة — وعقب وصوله مباشرة الى الأبيض — أرسل الحاكم المصرى فيها الى محمد على والى مصر وقتذاك رسالة يسأله فيها عما يجب عمله نحو هذا الأمير اللاجئ . فأصدر محمد على أمراً بارساله الى مصر .

سافر الأمير أبو مدين الى القاهرة فى شهر رجب عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٤ م ، وبعد وصوله اليها بنحو ستة أشهر ، أفهمه محمد على

بضرورة العودة الى كردفان ، ووعده بحملة عسكرية للانتقام له من أخيه السلطان محمد فضل ، وتنصيبه سلطانا مكانه في حكم دارفور .

آمن الأمير أبو مدين بهذه الوعود وسافر الى كردفان . ولما كانت العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول الأوربية الكبرى وقتذاك تحتل كل تفكير محمد على ، فانه أرجأ تنفيذ وعده للأمير أبي مدين مدة .

وفي عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٨ م ، قام محمد على برحلة الى اقليم فازوغلى في السودان ، ولما علم الأمير أبو مدين بأمر هذه الرحلة ، ذهب لمقابلة محمد على للتحدث معه في أمر حملة دارفور الموعودة .. فقال له محمد على : سوف أكون عند وعدى الذى قطعته على نفسى ، واعمل ترتيبك على أن تكون فى القاهرة عند عودتى من فازوغلى . ومن مصلحتك أن تعرف أنت أكثر مما عرفته سابقا عن أحوال مصر .

ثم سافر محمد على الى فازوغلى بالسودان وزار مناجم الذهب به ، ثم عاد الى القاهرة . وبعد عودته اليها بنحو شهرين حضر أبو مدين فاستقبله محمد على استقبالا حسنا وأكرم وفادته ومنحه منزلا للإقامة به ، وأمر باعطائه جميع ما يطلب ، كما عيّن له راتباً شهرياً .

ثم سافر محمد على الى الاسكندرية ، ودعا الأمير أبا مدين اليها ، فسرّ لهذه الدعوة سرورا عظيما . وأتيح للأمير أبى مدين خلال الشهر الذى قضاه فى الاسكندرية أن يرى كثيرا من معالمها الحضارية . فقام بزيارة الحى الافرنجى ، وقصر رأس التين ، والميناء والترسانة البحرية . كانت هذه المعالم وغيرها ، فضلا عن ضوضاء المصانع هى التى أثارت الدهشة فى رأس الأمير .

وكان الأمير أبو مدين يقص علينا ما شهدته فى مصر من أشياء مدهشة فى سذاجة تشبه سذاجة الطفل الذى يرى الحياة لأول مرة . واقترنت هذه السذاجة فى نفس الوقت بحماسة من ينتظر تحقيق أمر ، ويشعر بالقلق من أن المستقبل قد لا يحقق آماله .

وللمرة الأولى سمعت الأمير أبو مدين يتحدث عن أفق البحر ، وعن السفن الخربية ، وعن المدافع في الدور الثاني أو الثالث من السفينة الحربية . ولم يكن الأمير يحسن التعبير أو الوصف لكل ما يجول بخاطره ، بل كان كلامه بادی الضعف ناقصا . من ذلك ما قاله لى يوما في وصف محمد على : الباشا رجل عظيم . ولقد قال لى : عندما تعود يا أبا مدين الى دارفور وتصبح ملكا ، تذكر ما رأيته في مصر ، وحاول أن تصنع هناك ما صنعته أنا هنا . ابن مدينة مثل مدينة الاسكندرية التى بنيتها . وعلى العموم كن رجلا .

ولما حان موعد الحج الى مكة ، أبدى الأمير أبو مدين رغبته فى الذهاب الى الحرمين الشريفين لتأدية فريضة الحج . فنصح محمد على الأمير أبا مدين بالذهاب صحبة المحمل المصرى ، وأعطاه جميع ما يحتاج اليه فى هذه الرحلة .

سافر الأمير أبو مدين الى مكة ، ولما عاد الى مصر ، أقام فى المنزل الذى منحه اياه محمد على من قبل فى القاهرة .

ومنذ ذلك الوقت أخذ محمد على يزور الأمير أبا مدين فى كل مرة يحضر فيها الى القاهرة . وكان دائما يوصيه بالصبر وانتظار الوقت المناسب لانتفاذ حملة دارفور التى شرع فعلا فى اعدادها .

وفى شهر المحرم سنة ١٢٥٩ هـ (الموافق فبراير سنة ١٨٤٣) حضر محمد على الى القاهرة ، فقام الأمير أبو مدين بزيارته . وكانت أول عبارة قالها محمد على للأمير : استعد للرحيل خلال بضعة أيام ، فان حملة دارفور على أهبة الرحيل . وقدّم الأمير أبو مدين عبارات الشكر الى محمد على ، وخرج من عنده مسرورا غاية السرور . ثم بدأ يستعد للرحيل ، اذ كان يخيل اليه كأنه جالس على عرش دارفور ، وكان جميع عارفيه وأصدقائه يهنئونه بالجملة ويلقبونه بلقب « السلطان » .

ثم علم الأمير أبو مدين من الجلالة (تجار الرقيق) ومن التجار الوافدين حديثا من دارفور . أن السلطان محمد فضل توفي ، وأن ابنه الأمير حسين خلفه على عرش دارفور . كان الأمير حسين هذا يبلغ من العمر وقتذاك ثمانى عشرة سنة أو عشرين سنة . فتفاءل الأمير أبو مدين خيرا بهذه الأخبار ، لأن السلطان حسين — فى رأيه — رجل ضعيف صاحب نزوات ، لا ينتظر خير على يديه ، اذ تنقصه الشجاعة الكافية ، فلا يستطيع التأثير بلسانه فى أهل دارفور ساعة الخطر .

كان الأمير أبو مدين متأثرا غاية التأثير بهذه الأخبار ، مستلنا بالآمال العريضة ، فرحا مسرورا . ثم انه ظل مشغولا بمشاريعه وأحلامه وأمانيه ، حتى وقع فريسة المرض . ذلك أنه أصيب بمرض فى عقله ، فأخذ يهذى ، ولا يتحدث الا عن الحرب ، وكانت تصدر عنه صيحات تنم عن الغضب الشديد . ويقال ان بعض أصدقائه ورجال بلاطه أصدروا منشورا يقولون فيه : ان بعض حساد الأمير وجواسيس السلطان حسين فى القاهرة عملوا سحرا لابن السلطان عبد الرحمن الرشيد . بيد أن مفعول هذا السحر لم يستمر أكثر من خمسة عشر يوما ، اذ شفى الأمير أبو مدين من مرضه وبدأ يهتم اهتماما جديا بأمر حملة دارفور .

كان محمد على غائبا عن القاهرة وقتذاك ، فأرسل الأمير الفوراوى الى مجلس المشورة بالقلعة طالبا تسليم جميع ما يلزم لرحلته الى السودان ، كما طلب بصفة خاصة أن يجهز له عشرون رجلا وخمسة خيول تجهيزا كاملا . ثم صرف له مجلس المشورة عشرين كيسا ، أى ما يقرب من ستة آلاف فرنك ، كما صرف له خمس خيام : اثنتان منها خضراوان له ، وثلاث لاتباعه ، فضلا عن مؤونة الرحلة ، ووضعت تحت تصرفه ذهبيتان .

أما فيما يتعلق بالأسلحة فقد صرف الأمير أبو مدين خمسة أزواج من

المسدسات ، وخمس بنادق ، وخمسة سيوف . وأخيرا تسلم الأمير رسائل لتسليمها الى أحمد باشا (جركس) الحاكم المصرى فى سنار . وتضمنت هذه الرسائل توصيات لأحمد باشا بأن يسلم الأمير أبا مدين جميع ما يحتاج اليه من المؤونة ، ووسائل النقل والرجال الذين يصحبونه فى رحلته الى دارفور .

وفى يوم ٥ صفر سنة ١٢٥٩ هـ الموافق ٦ مارس سنة ١٨٤٣ غادر الأمير أبو مدين القاهرة الى سنار بطريق النيل . وسبقه اليها ببضعة أيام ثمانمائة جندى من الجند المرتزقة ، وهم الجنود الذين كان من المقرر أن ينضموا الى الفرق المصرية التى عهد اليها فتح دارفور .

ذلك أن المشروع الأول لمحمد على قضى بأن يتحرك من مصر جيش من اثنى عشر ألف جندى من المصريين مزودين بعشرة مدافع بقيادة حسن باشا ، وهو الذى صدرت اليه الأوامر بالاستعداد للرحيل . ثم أرسل محمد على الى أحمد باشا الحاكم المصرى فى سنار رسالة يطلب منه فيها اعداد ما يلزم لحملة دارفور عند مرورها بسنار ، ويسأله عما اذا كانت أحوال ولايته تسمح له بمغادرتها ، واسناد القيادة العامة للحملة اليه . فأرسل أحمد باشا الى محمد على رسالة يقول فيها : ان نقل اثنى عشر ألف رجل من القاهرة الى سنار يتطلب تكاليف باهظة ووقتا طويلا . ويرى أن حالة ولاية سنار والنظام الذى وضعه لادارتها ، يسمحان له بالقيام بحرب دارفور . واعتمادا على ما لديه من معلومات عن حالة البلاد وسكانها ، فان جيشا مكونا من ستة الى سبعة آلاف رجل ، أى : فرقتين من الفرق الأربع فى سنار يكفى للقيام بهذه الحرب . ولما كان أحمد باشا قريبا من كردفان ، فانه طلب اسناد القيادة اليه حتى يستطيع أن ينهيها نهاية طيبة فى وقت قصير .

وبناء على رسالة أحمد باشا هذه تقرر ارسال ثمانمائة جندى من القاهرة : أربعمائة من المشاة الأرنأؤوط وأربعمائة من الفرسان غير

النظاميين ، ومعظمهم من بلاد الروملى . أما الجنود الموجودون حاليا فى سنار فتتكون منهم أربع فرق تضم كل منها ثلاثة آلاف رجل . وهؤلاء هم الذين أتت بهم حملات جمع الرقيق قرب فازوغلى وجبال نوبا ومواطن الشلك .

كان فى سنار فرقة واحدة من الجنود المصريين ، وهى الفرقة الثامنة التى كانت فى سنار منذ زمن طويل . وأدى سوء الأحوال الجوية وازدياد الرطوبة فى الهواء وارتفاع درجة الحرارة الى انتشار الأمراض فى هذه الفرقة المصرية والفتك بها . ولذا حل محل رجال هذه الفرقة المصرية رجال من أسرى الزنوج . وبذا غدت الفرق الأربع تضم أعدادا من الزنوج المختارين القادرين على احتمال جو البلاد . أما البقية الباقية من الجنود المصريين الذين كانت تضمهم الفرقة الثامنة ، فانهم كانوا ضباط صف فى فرق جديدة ، وعهد الى هؤلاء بتدريب الجنود الذين تقرر امداد حملة دارفور بفرقتين منهم ، فضلا عن الثمانمائة جندي الذين أرسلهم محمد على من القاهرة .

وكان السلطان الفوراوى الحالى (وهو حسين بن السلطان محمد فضل) جالسا فى دست السلطنة بحق شرعى ، لأنه ابن السلطان المتوفى . لكن الأمير أبا مدين بنى حقوقه فى السلطنة على هذه البلاد على أساس أن للسماء الحق فى اختيار من تهيئه من بين أفراد الأسرة الواحدة للاضطلاع بالحكم ، وذلك من أجل صالح البلد وخيرها . وبنى أبو مدين حقوقه كذلك على أساس التفوق الحضارى والخلقى ، وهذه صفة تنقص ابن أخيه الذى لم يرتفع عن مستوى الهمجية . ولعل زيارته لبلاد أخرى متفوقة على بلاده ، هى التى جعلته يفكر فى القيام باصلاحات فى بلاده .

وإذا أتيج لبلاد دارفور أن تغير مجرى تاريخها ، فلن يكون بعيدا

أن يحين خلق السودان من جديد فيتصل بالأمم التي قطعت شوطا في طريق الحضارة . وبذا يكون محمد على قد أسهم في هذا العمل المجيد .

وإذا نحن نظرنا الى حملة دارفور في ضوء هذه النظرة ، وضع لنا أنها حملة لمشروع يحقق للسودان نتائج عظيمة . إذ كان في الحسابان جميع ما يتعلق بهذا المشروع من علوم وصناعة وتجارة ورفع مستوى أهله .

وكان على القوات المسلحة أن تبدأ في الزحف عقب انتهاء فصل الأمطار ، وأن تسير في خط مستقيم مارة بكردفان والصحراء التي تفصلها عن دارفور . ولو أخذنا برأى أبى مدين ، فإن هذه القوات سوف لا تزحف مباشرة على تندلتى العاصمة الحالية لسلطان دارفور . إذ حدثنى أبو مدين أنه يعتزم أن يعرج على الجنوب ، وأن يمر ببلاد عرب الرزيقات الفيوزين على استقلالهم ، فظالما شن هؤلاء اغارات جريئة جشعة على أراضي الفور لأقل سبب أو دافع . ويأمل أبو مدين أن يحصل من القبائل العربية المجاورة لأطراف دارفور ، على مساعدتها له في أعماله الحربية .

ويرى الأمير أبو مدين أن السلطان حسين لا يجهل نوايا والى مصر تحوّه ، وأن الفوراويين الخاضعين له يستطيعون أن يقاوموا مقاومة خمسين ألف زجل . وفي تقديره أن جيشا مدربا على الطريقة المصرية الحديثة ومزودا بأسلحة نارية ، يستطيع في بضع ساعات ، أن يقضى على القوات الفوراوية التي لم تملك سوى الرماح والسهام . ولا سيما أنه لم يكن لدى فرقة الفرسان وخيولها سوى ملابس مهلهلة تحميها من الطلقات النارية والقذائف ، كما لو كانت هذه وتلك سيوفا أو رماحا . وإذا حلت الهزيمة بالجيش الفوراوى ، فسوف تؤدي هذه الهزيمة الى خلع السلطان الحالى الى غير رجعة ، واحلال نظام آخر محل النظام الحكومى القائم . وبصفة عامة ، فإن الظفر في الحرب في البلاد السودانية ، يجعل من حق المنتصر

— لو كان من الأسرة المالكة — ولاية السلطنة . وجرت العادة أن ينسى الناس اليوم حكومة الأمم . اذ رأينا كيف استطاع السلطان عبد الرحمن الرشيد ، أبو الأمير أبي مدين ، أن يستعين بالسلاح في الحصول على لقب سلطان ، واخضاع الخليفة اسحق لسلطانه . والآن يحدث نفس الشيء ، اذ قد يصادف أبو مدين ما صادفه أبوه من قبل ، ومن المحتمل أن يجد أبو مدين في دارفور حزبا قويا يعول عليه .

واذا اعتلى أبو مدين عرش دارفور ، فسوف يتحقق لأهلها على يديه خير كبير . فهو في سن النضج ، اذ يبلغ من العمر حوالي أربعين عاما . ثم ان سنوات ثفيه واقامته في مصر زودته بنوع خاص من التربية ، فضلا عن بعض الأفكار التي يعتزم تحقيقها ، فهو من أشد المعجبين بالوالي محمد علي ؛ ولو وجد من يساعده ويتعاون معه تعاونًا صادقًا ، فانه سوف يعمل — فيما أعتقد — على ادخال اصلاحات مفيدة في بلاده .

كان أبو مدين يحاول دائما — أثناء أحاديثه — أن يتزود بالمعلومات وكثيرا ما كان يسألني عن أنواع الحكومات في أوروبا ، وعن قوانين فرض الضرائب وجبايتها في فرنسا ، وعن تكوين الجيوش ، وحقوق المواطنين ، فضلا عن أشياء أخرى خاصة بالتجارة والصناعة والتربية والتعليم . وكثيرا ما أبدى رغبته في رجاء محمد علي أن يبعث به الى باريس لقضاء عام أو عامين ، حتى يستطيع أن يشهد بعينه مظاهر الحضارة التي سمع عنها .

وبدأ أبو مدين فعلا في تعلم اللغة الفرنسية ، فكتبت له الحروف الأبجدية وجعلته ينسخها عدة مرات ، واستطاع بعد ذلك أن يوقع باسمه بالأحرف الفرنسية . ولست أدري اذا كانت الرغبة في تعلم اللغة الفرنسية راودت سلاطين آخرين سواء كانوا بيضا ، أو سمرا ، أو أقرب الى اللون الأصفر .

ولأبي مدين وجه صريح ، وحديث شيق مستفيض ، وعينان تلمان

عما يجول بخاطرہ وتبدو على شفثيه ابتسامة ، وله وجه كبير ذو جبهة واسعة وعارضين نحيفين حتى الذقن . وله حاجبان كثيفان يتلوهما جفنان عريضان فوق عينين نجلاوين ، مما يجعل للوجه استدارة لطيفة . ولأبى مدين شارب خفيف قصير ، شأنه فى ذلك شأن كافة الزوج ، وكان ذا لحية خفيفة كأنها باقة فى طرف الذقن .

ولأبى مدين وقار فى تصرفاته وحركاته . ففى الأعياد ، كانت تبدو لوجهه هيبة حين يلبس بدلته الحمراء ، وهى بدلة ذات زراير عريضة فى حجم الفئجان من النحاس الأصفر ، وأكمام واسعة فضفاضة مبطنة بحريز أصفر برتقالى ، ولها تموجات ضوئية مثل المرأة . غير أن ذلك لا يعنى أنه كان رجلا متكبرا ، وذلك على الرغم من أن أى شخص يمثل بين يديه كان يناديه باسم « سلطان » .

وكثيرا ما سألنى عن رغبتى فى الذهاب يوما من الأيام لزيارة دارفور ومما قاله لى : لو شاء الله أن أعود الى مدينة تندلتى ، أو أن أصبح سلطانا مثل أبى ، فانه يجب عليك أن تحضر إلينا فى دارفور ، لترى الأعمال التى سوف أقوم بها ، ولتزدنى بنصائحك . سوف تزور دارفور من أولها الى آخرها . ففى هذه الأيام يسافر الى دارفور رجال ينتمون الى جميع الأديان : بينهم مسلمون ومسيحيون ، بل حتى هنود ممن لا أعرف الى أى دين ينتمون . فأجبتة قائلا : ان هذا مستطاع حتى كوبيه أو تندلتى ، أما ما وراء هذا .. ؟ ولو شاء الله سوف أعمل على تنظيم البلاد وتدريب الجنود وتوزيعهم فى أماكن رئيسية ، وتستطيع حراسة جميع المسافرين الأجانب . لكن هل سيحترم جميع المسافرين ؟ أليس من المحتمل أن يقتلوا جميعا ؟ وأضفت قائلا : عندما يعيدك محمد على الى دارفور ، فما الجيش الذى تستطيع جمعه ، اذا فرضنا أنك ستقوم باجراء تجنيد عام مثلما يفعل السلطان حسين ؟ فأجابنى أبو مدين مبتسما : من المستحيل جمع كل من فى

دارفور من رجال قادرين على حمل السلاح في مكان واحد ، وفي جيش واحد . من ذا الذي يستطيع أن يقوم — ولو مدة شهر — على خدمة مائة ألف رجل في أية ولاية ، دون أن يقوم باستعدادات أولية لهذه الحملة ؟ ذلك أن عادات الناس وأنواع الإدارات المختلفة تحول دون القيام بمشروع على جانب من الأهمية من طراز هذا المشروع . وسألته : كم ألف رجل — فيما تعتقد — يستطيع السلطان حسين تجنيدهم ؟ قال : من خمسين الى ستين ألف رجل على الأكثر . قلت : ولو انهزم هذا الجيش الأول .. ؟ قال : سوف ينتهي كل شيء بالنسبة لحسين ، وسوف يستحيل عليه جمع مائتين من الفوراوين ، لأن المدفع الذي يضرب بالنار سوف يكون له أثر خطير .

قلت : وأخيرا كم عدد الجنود الذين تستطيع أن تقدمهم بلاد دارفور كلها ؟ فمن الضروري أن يعرف كل سلطان موارده من الجند ، وأن يقوم دائما بإجراء احصاء تقريبي لقواته .

وهنا بدا على وجه أبى مدين أنه لا يريد الاجابة عن هذه الأسئلة بطريقة قاطعة . لكننى كنت أخرجت كبريائه فقال : حين كنت في تندلتى ، أمر أخى محمد فضل بإجراء احصاء للسكان الذين يستطيعون حمل السلاح عند الضرورة ، فقام جميع ملوك دارفور-الكبار والصغار وجميع السلاطين الصغار والشراتي بإجراء احصاء بعدد سكان ولاياتهم ومقاطعاتهم ، وكذلك بالعدد التقريبي للأعراب القاطنين قرب الأطراف الشرقية والشمالية ، وبعدد الرجال الأقوياء ، سواء أكانوا صغارا أم في سن الرجولة . وبلغ عدد هؤلاء وأولئك حوالى خمسمائة ألف رجل .

ثم سأله : ما الحد الأقصى للسن المطلوب للجندى الصالح للجنودية ؟ قال : كل من بلغ الثانية عشرة الى الخمسين سنة من الفوراوين ، وكل العبيد القاطنين بأرض دارفور ، وكذلك كل الأعراب ، يصبحون بطبيعة الحال جنودا منذ اليوم الذى تعلن فيه الحرب .

فقلت له : يبدو لى ان هذا العدد الضخم مبالغ فيه . فأجابنى أبو مدين بانفعال : لا أعرف ، وليست لدى احصاءات أخرى .

بدا لى واضحا من نعمة أبى مدين ومن حماسته فى الرد على أننى لن أحصل منه على معلومات أخرى ، ولذا غيرت مجرى الحديث . فالزئوج لا يقبلون الإدلاء بتفاصيل عن بلادهم فى سهولة .

وفى اليوم التالى استأنفت بحث الموضوع نفسه مع الشيخ التونسى ، فزودنى بجميع المعلومات التى كان باستطاعته أن يمدنى بها . والمعروف أن هذه المعلومات تقرىية . فهى تقتصر على عدد محدود من الأماكن ، وهى فضلا عن ذلك لا تتناول سوى العدد الذى يمكن أن تقدمه كل مدينة أو قرية من الرجال القادرين على حمل السلاح . وليس من اليسير أن نعرف عدد السكان تماما . فهذه المعلومات جميعها خاصة بعدد الرجال القادرين على حمل السلاح . ويبدو من الجدول التقريي (١) أنه من المحتمل الحصول من الأقاليم المختلفة على حوالى ثلاثة وخمسين ألف رجل مسلح على وجه التقريب . ويدل هذا الرقم — مع ما فيه من مبالغة — على أن سكان دارفور يتراوح عددهم بين أربعة ملايين وخمسة ملايين نسمة ، وذلك باستثناء الملحقات .

وفضلا عما سمعته من الشيخ التونسى بصدد سكان جبل مرّة ، وغرب وشمال دارفور ، فأننى سمعت مثل هذا كثيرا من تجار دارفور الذين يأتون الى القاهرة كما سمعته من أبى مدين نفسه . وفيما يتعلق بعدد العبيد المحسوبين ضمن السكان ، فأننى لم أحص منهم سوى خدم العائلات وهم فى نفس الوقت جزء من هذه العائلات . وبعد اقامة لمدة معينة يتزوج أولئك الخدم فيما بينهم على أيدي سادتهم . وبذا تتكون عائلات فوق العدد المطلوب للخدمة . واستبعدت من احصاء العبيد جميع الأفراد المخصصين للبيع ، والذين كانوا يذهبون بضاعة كل عام الى الحجاز

ومصر وبلاد المغرب ، وهؤلاء كان عددهم كبيرا نسبيا . وسنرى فى رحلة وادى كيف كانت تتم رحلات جمع العبيد ، وكيف كان يقوم أهل دارفور وأهل وادى برحلات للقضاء على قبائل الفريت والجناخيرا الوثنية .

ملحق اضافى :

وصل الجنود الأرنأؤوط الأربعمئة — الذين سبق أن تحدثنا عنهم — الى أسىوط . وكان سلوك هؤلاء عاديا ، ولكنهم تشاجروا فى حفلاتهم الباصبة وقامت معارك بينهم ، وتبادلوا بعض الألفاظ القبيحة ، وانقسموا حزبين دبت فىهما الفوضى . وبذا تكون معسكران مقتتلان ، فلقى مائة وستون رجلا منهما مصرعهم . وعندما مرت الفرقة الأرنأؤوطية بالقاهرة انتشرت فى أرجاء العاصمة ، وارتكبت أعمالا وحشية . ونادرا ما كانت تغادر العاصمة دون أن تقتل بعض سكانها بالرصاص أو بالخناجر فى وضح النهار . ولم يحدث ألبتة أن يثرى أرنأؤوطى غير متمنطق بحزام به خنجر كبير ومسدسات بارزة الى الأمام ، للدفاع عن نفسه ضد أى هجوم . ولعل تهديد المارة وقتلهم فى قارعة الطريق دون سبب أمر تافه بالنسبة للأرنأؤوط . وبعد وقوع جريمة القتل ، يترك الأرنأؤوطى القاتل فريسته المقتول ويمضى الى حال سبيله ، ملوفا ببندقيته أو خنجره فى يده . والويل لمن يقترب منه . ولذا لم يفكر أحد فى القبض على أرنأؤوطى .

ولما سمع والى مصر بما سبق من أنباء أسىوط ، أصدر أمرا باعادة الفرقة الأرنأؤوطية وقائدها ديموز أغا الى القاهرة . ومن المؤكد أنه لم يعد من الأرنأؤوط صحبة هذا القائد سوى مائة وثلاثين رجلا . اذ فرّ منه فى طريق الصحراء من أسىوط الى القاهرة نحو سنين رجلا ، وتأخر فى الطريق نحو مائة وخمسين رجلا . وهؤلاء لم يستطيعوا الوصول الى القاهرة بسبب تفشى المرض فيهم .

وتأجلت حملة دارفور الى ما بعد فصل الأمطار فى السودان . ويقال ان سبب تأجيل الحملة ، قلة خبرة قوات سنار فى المناورات العسكرية . ومن الضرورى أن تدرب بعض الوقت لاعادتها للحرب .

أما حسن باشا الذى عهد اليه قيادة حملة دارفور ، فان السلطان العثمانى عبد المجيد رقاه من أجل هذه الحملة نفسها الى رتبة ميرمران أو جنرال الفرقة ، وسوف يتفق مع أحمد باشا سنار على خطة تقضى بأن يبقى أحدهما فى سنار ، وأن يذهب الآخر على رأس الجند الى دارفور لاعادة الأمير أبى مدين اليها وذلك حسبما تمليه الفرصة الكفيلة بنجاح مشروع الحملة ، وعندما ترحل الحملة ، سوف يبقى أبو مدين فى كردفان ليعمل على اعداد أنصاره ، لمساعدته فى الوقت المناسب . وسوف يكون أبو مدين الحاكم المطلق ، يتصرف ما شاء له أن يتصرف ، دون تدخل أحد فى شئون حكومته ، وسوف تنسحب القوات المصرية ، أو تعود ثانية الى كردفان حسبما يريد أبو مدين .

دكتور بيرون

القاهرة فى سنة ١٨٤٣

تاریخ سلطنت دارفور

ملحق رقم (٢)

منقول من : نعوم شقير

(تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته . ج ٢ ، ص ١١١ - ١٤٧)

﴿ تاريخ سلطنة دارفور ﴾

منذ أول نشأتها الى الفتوح المصرى اى منذ سنة ٨٤٨ هـ : ١٢٩١ هـ = ١٤٤٥ : ١٨٧٥ م

(تمهيد فى أصل سلطنة الفور)

لقد أجمعت التقاليد السودانية على أن سلطنة الفور هى من أصل عربى ، والذي عليه البعض وتدعيه سلالتهم الى اليوم أنهم من بنى العباس . ولهم فى ذلك رواية لطيفة تختلف فى التفصيل بحسب الرواة ، وتتفق فى المغزى . وأشهر ما روهه : أن الأمراء العباسيين بعد انقراض دولتهم ببغداد سنة ٨٢٣ هـ ١٤٢١ م ^(١) تفرقوا فى بلاد المشرق . فذهب منهم شقيقان الى تونس الغرب ومعهما نفر من الأعراب ، وكان اسم أكبرهما علياً ، وأصغرهما أحمد سفيان . وكان على متزوجا بامرأة ذات جمال ، وأحمد سفيان غاربا ، ولكنه كان آية فى الجمال فأحبته امرأة أخيه حباً لم يسعها معه الكتمان . فكاشفته بحبها ، فأفكر عليها ذلك وعذلها ، ولكنه وعدّها

(١) لا يتفق هذا التاريخ وسقوط الدولة العباسية على أيدي المفلوح سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

أن يكتنم سرّها . أما هي فاشتعلت غيظا من أبائه ، وعزمت على الانتقام منه . فأتت زوجها ذات يوم وقالت : انى جئتك بأمر جليل لا يحسن كشفه ، فأقسم لى أنك لا تبوح به لأحد . فأقسم لها ، فقالت : ان شقيقك أحمد يراودنى عن نفسى ، وأنا أنتهره وأزجره وهو لا ينزجر . فعظم هذا الخبر جدا على علىّ واغتم لأجله غما شديدا ، ولكنه لم يصدق ما قالت له امرأته على علاقته ، لأنه كان يحب أخاه محبة فائقة ، ويشق بعنافه وشهامته ، فبقى مرتابا فى الأمر .

وكان أحمد لما رأى أن امرأة أخيه استاءت منه جعل يتلطف لها ويترضاها ، فرأى أخوه منه ذلك فقوى الريب فيه وصدق ما قالت له زوجته ، فاسودت الدنيا فى عينيه وكره أخاه وزوجته والأرض التى كان نازلا فيها . فأمر أن تقوض خيامهم ورحلوا من تلك (١١٢) الأرض . وتأخر فى الطريق مع أخيه وهو يفكر بالذى يفعله ، فأبت نفسه أن يكشفه بسر زوجته ، ولم يطاوعه قلبه على قتله . فقرر رأيه أن يعقره برجله فيسمه بوسم يؤنبه ما دام حيا . فاستل سيفه وفاجأه بضربة فى رجله اليمنى فغرقه وتركه يسيل منه الدم ولحق بقومه .

وأدرك أحمد سفيان سبب غدر أخيه به ولكنه كان من الأنفة على جانب عظيم فلم يفه ببنت شفة ، بل صبر على الضيم ، وجلس ينتظر الموت والدم ينزف من عقر رجله . ولهذا سمى أحمد سفيان المعقور . ثم علم به عبیده وخاصته ، فاجتمعوا حوله وعالجوه حتى برىء جرحه ، فسار بهم بطريق الصحراء مهاجرا بلاد تونس حتى أتى جبل مرة من أعمال دارفور .

وكان فى ذلك الجبل أمة من شبه السود يقال لهم « الفور » عليهم ملك منهم يسمى : شاو دورشيت . فكان هذا الملك عريقا فى الهمجية ، ولكنه كان كريم الطبع حسن النقد . فلما علم بقدوم أحمد أحضره لديه ،

فأعجبه عقله وأدبه . فعهد اليه في تدبير منزله وسياسة مملكته ، فأحسن أحمد السياسة ، وعلم رجال حاشية الملك آداب السلوك . ثم التفت الى المملكة فنظم أحوالها وأصلح أمورها ، فأحبه الملك حبا شديدا ، ولم يكن له الا بنت واحدة ، فزوجه بها ، فولدت له ولدا سماه : سليمان ، فشب ثاقب الفكر ، سديد الرأي ، حسن السياسة ، مجبا للخير والاحسان ، فأحبه أهل الجبل وألفوه . وتوفي أبوه أحمد سفيان في حياة جده السلطان شاو دورشيت . ثم توفي جده فنأدى به أهل الحل والعقد باجتماع الكلمة سلطانا عليهم ، وبإيعونه على السمع والطاعة ، وكان ذلك سنة ٨٤٨ هـ ١٤٤٥ م . فأقام في عاصمة جده في جبل مرة ، وكان أول سلالة السلاطين العربية الذين تولوا دارفور نحو ٤٤٣ سنة ، الى أن دخلت في حوزة الحكومة المصرية الخديوية عن (١) يد الزبير رحمت باشا كما سيجيء .

هذه هى رواية أهل السودان في أصل سلطنة الفور ، وهى لا تخرج عن حد الروايات الموضوعة التى يكثُر أمثالها في السودان . فانه ما من قبيلة أو مملكة عربية اشتهرت في السودان الا رجعت في نسبتها الى النبى أو الصحابة أو من اتصل بهم . وفي المشهور أن دارفور كانت في ذلك الزمن سلطنات متفرقة من السود وشبه (١١٣) السود وفي جملتها سلطنة لفور في جبل مرة . وكان العرب المسلمون قد هاجروا اليها من مصر أو تونس أو الحجاز أو منها جميعا وملأوا مدنها وبواديها ولم يكن لهم سلطان واحد يرجعون اليه ، بل كانوا قبائل شتى تحت حكم سلاطين البلاد الأصليين . فلا يبعد أن يكون سلطان الفور في ذلك الحين قد أعجب بنجاة شاب من شباب العرب العريقين في النسب ، فزوجه بابنته فولدت منه سليمان ، فأسس السلطنة التى فيها كلامنا . على أن عامة أهل دارفور يرجعون في أنسابهم الى أبى زيد الهلالي الذى اشتهر في تونس .

(١) كسلا .

(تاريخ سلاطين الفور^(١))

(١) السلطان سليمان الأول ، سنة ٨٤٨ : ٨٨٠ هـ — ١٤٤٥ : ١٤٧٦ م)

هو رأس سلاطين الفور المار ذكره ؛ قيل انه لما تولى السلطنة لم يكن في جبل مرة مساجد للعبادة ، فبنى المساجد وأقام صلاة الجمعة والجماعة . ثم شرع في ضم كلمة المسلمين ، واستعان بعرب البادية المنتشرين في البلاد ، فأخضع ملوك شبه السود المحيطة بجبل مرة الى سلطانه وعلمهم دين الاسلام . وأخضع بعض ملوك السود البعيدين عن جبل مرة فبقوا على الوثنية . فأصبحت دارفور كلها سلطنة واحدة لمن يتولاها من ذرية السلطان سليمان الى يوم انقضائها .

وكان جملة الذين خضعوا للسلطان سليمان وبقوا الى عهد خراب السلطنة ٢٧ ملكا : سبعة مجوس من السود ، والباقون مسلمون من شبه السود .

أما سلاطين المجوس ، فهم سلاطين : كاره ، ودنقو ، وفنقرو ، وبينه ، وبايه ، وفروقي ، وشالا . وكلهم في بلاد فرتيت الى الجنوب الغربي من دارفور (٢) .

وأما ملوك المسلمين فهم : البرقد ، والتنجر ، وكتبقه ، والميمه ، والمسبعات في الشرق من جبل مرة ؛ والمراريت ، والعورة ، وسميار ، والمساليث ، والقمر ، وتامه ، والجلاوين ، (١١٤) وأب درق ،

(١) في الأصل : الفصل الاول ، في تاريخ سلاطين الفور .

(٢) راجع ص ١٣٦ ، حاشية ٤ .

وجوجه ، وأسمر ، في الغرب والشمال الغربي ؛ وزغاوة كبا ، والميدوب ،
في الشمال والشمال الشرقي ؛ والبيقو ، والداجو ، ورتقا ، في الجنوب
والجنوب الغربي .

ذلك ما عدا القبائل العربية الذين جمع كلمتهم واستنصر بهم وأهمهم :
الهبانية ، والرزيقات ، والمسيرية ، والتعايشة ، وبنو هلبة ، والمعالية ،
في الجنوب ؛ والحضر في الشرق ؛ والزيدانية في الشمال ؛ والماهرية ،
والمحاميد ، وبنو حسين في الغرب .

وكانت مدة السلطان سليمان ٣٣ سنة هـ وجاء بعده من سلالة :

- (٢) السلطان عمر ٨٨٠ : ٨٩٧ هـ — ١٤٧٦ : ١٤٩٢ م)
- (٣) السلطان عبد الرحمن ٨٩٧ : ٩١٦ هـ — ١٤٩٢ : ١٥١١ م)
- (٤) السلطان محمود ٩١٦ : ٩٣٢ هـ — ١٥١١ : ١٥٢٦ م)
- (٥) السلطان محمد صول ٩٣٢ : ٩٥٧ هـ — ١٥٢٦ : ١٥٥١ م)
- (٦) السلطان دليل ٩٥٧ : ٩٦٧ هـ — ١٥٥١ : ١٥٦٠ م)
- (٧) السلطان شرف ٩٦٧ : ٩٩١ هـ — ١٥٦٠ : ١٥٨٤ م)
- (٨) السلطان أحمد ٩٩١ : ١٠٠١ هـ — ١٥٨٤ : ١٥٩٣ م)
- (٩) السلطان ادريس ١٠٠١ : ١٠١٣ هـ — ١٥٩٣ : ١٦٠٥ م)
- (١٠) السلطان صالح ١٠١٣ : ١٠٣٥ هـ — ١٦٠٥ : ١٦٢٧ م)
- (١١) السلطان منصور ١٠٣٥ : ١٠٤٨ هـ — ١٦٢٧ : ١٦٣٩ م)
- (١٢) السلطان شوش ١٠٤٨ : ١٠٦٨ هـ — ١٦٣٩ : ١٦٥٨ م)
- (١٣) السلطان ناصر ١٠٦٨ : ١٠٨٠ هـ — ١٦٥٨ : ١٦٧٠ م)
- (١٤) السلطان توم ١٠٨٠ : ١٠٩٤ هـ — ١٦٧٠ : ١٦٨٣ م)
- (١٥) السلطان كورو ١٠٩٤ : ١١٠٦ هـ — ١٦٨٣ : ١٦٩٥ م)
- (١٦) السلطان سليمان الثاني ١١٠٦ : ١١٢٦ هـ — ١٦٩٥ : ١٧١٥ م)

ومن الرواة من لا يعترف بالسلطين السابقين لهذا السلطان ، ويؤكدون أنه هو أول سلاطين الفور بعد أن سرى الدم العربى فيهم ، ويلقبونه بسليمان صولون^(١) ، أى : العربى ، وينسبون اليه كل ما نسب الى السلطان سليمان الأول ، ويجعلون « ١٥ : السلطان كورو » (١١٥) فى مكان شاو دورشيت . ويؤيدون قولهم بأختام سلاطين الفور المتأخرين كختم السلطان ابراهيم الأخير ، والسلطان حسين من قبله ؛ فان نسبتهم فى أختامهم تنتهى الى السلطان سليمان الثانى هذا كما سترى . ولكن الامام الذى أخذنا عنه سلسلة سلاطين الفور ومعظم تاريخهم يؤكد أن أختام السلاطين الأول ترجع نسبتهم فى أختامهم الى ما وراء السلطان سليمان الثانى ، وأن لقب صولون هو لسليمان الأول وقد نسبوه الى سليمان الثانى جهلا .

(١٧ السلطان موسى ابنه ١١٢٦ : ١١٣٨ هـ — ١٧١٥ : ١٧٢٦ م)
وكان على مثال أبيه فى العدل والاحسان .

(١٨ السلطان أحمد بكر ابنه ١١٣٨ : ١١٥٨ هـ — ١٧٢٦ : ١٧٤٦ م)
وقد اشتهر بكثرة الأولاد ، قيل كان له نحو مائة ولد .

(١٩ السلطان محمد دورة ابنه ١١٥٨ : ١١٧٠ هـ — ١٧٤٦ : ١٧٥٧ م)
ولم يكن أكبر اخوته ، بل كان ثانيهم ، فقتل أخاه الأكبر ليخلو له الملك . فلما ملك شرع فى قتل باقى اخوته ليخلو له الملك لأولاده من بعده . قيل : فلما رأى نساء أبيه أنه شرع فى قتل اخوته جعلن لأولادهن الذكور « كنافيس » وألبسنهم لبس البنات ليحجبهن عن عينه . ومع ذلك فقد قتل منهم نحو الخمسين .

(١) فى التونسى ، ص ٨٣ : (سلونج) .

(٢٠) السلطان عمر الثاني ^(١) ابنه ١١٧٠ : ١١٧٧ هـ — ١٧٥٧ : ١٧٦٤ م)

وكان من أعدل سلاطين الفور وأشدّهم محافظة على الكتاب والسنة .
ومما يروى عن عدله أنه بعد تولّيه الملك بثلاثة أيام ، خرج الى مجلس خاصته وسألهم أن يولّوا أحد أعمامه في مكانه . قال لأن طاقية الملك ،
يعنى بها : مسئولية الملك ، ثقيلة . فرفضوا ذلك بتاتا وأبوا الا أن يكون
هو السلطان . فقال لهم : اذا انتظرونى أسبوعا فأخبركم بما أريد . فخلا
أسبوعا في منزله ثم خرج ومعه قرون من الخشب تمثل قرون الغنم والبقر ،
وقال لهم : أريد أن يعمّ الأمن ويبطل التعدّي حتى تسلم ماشية أضعف
النساء ، وتنمو قرونها فتصير مثل هذه القرون . ثم التفت الى الحكام
وقال : أريد أن تعدلوا في الرعية لكي لا يجيء أحد منهم الىّ بشكوى .
فلم يمض الا القليل حتى جاءته (١١٦) الشكاوى على ٣٠ عاملا من المقادير
والشراتي والجنود ، فأحضرهم اليه . ولما تحقق ظلمهم أمر فذبحوا عند
بابى داره : ١٥ منهم عند باب الحريم ، و ١٥ عند باب الرجال . فوَقَّعت
الرهبّة في قلوب الجميع واقطع الظلم . قيل وقد بارك الله في البلاد بسببه
حتى أتأمت الابل والبقر والحمير ، وغزرت الينابيع في جبل مرة ، وجرت
الأنهار ، فلقب بـ « سَرَف » ، أى : الماء الجارى .

(٢١) السلطان أبو القاسم عمه ١١٧٧ : ١١٨١ هـ — ١٧٦٤ : ١٧٦٨ م)

قيل وفي أيامه خرج عربى صالح من كردوفان يسمى عبد الكريم الى
دار ودّاي ، وكانت اذ ذاك بيد الشنجر فاغتصبها منهم ، وكانوا قبل ايدفعون
الجزية الى سلاطين الفور . فلما تولى عبد الكريم أبى دفع الجزية .
فجرد السلطان أبو القاسم جيوشه عليه وواقعه واقعة شديدة . ولكن
اختلفت كلمة جيشه فنزل بنفسه الى ساحة القتال ، فجرح واقتل راجعا

(١) ويعرف باسم عمر ليله . راجع ص ٨٣ — ٨٤ .

الى دارفور ، فمات فى دار تامه ، فحمله رجاله ودفنوه فى مدفن أجداده
فى جبل مرة . وخلفه :

(٢٢) السلطان تيراب أخوه ١١٨١ : ١٢٠١ هـ — ١٧٦٨ : ١٧٨٧ م)

وكان له ثلاثون ولدا ونيّف من الذكور البالغين ما عدا الصبيان
والبنات . وقد أطلق لهم العنان فتفرقوا فى البلاد يعيشون ويفسدون
وما تركوا شيئا نفيسا عند أحد الا اغتصبوه منه . وكان أحدهم « مساعد »
لا يتحرك الا راكبا على ظهور الرجال فكان اذا أراد الانتقال من بلدة الى
أخرى اتقى عددا من رجالها الأشداء ، فحملوه بالتناوب الى المحل الذى
يقصده ، حتى ضاقت نفوس أهل دارفور منهم ؛ ورفعوا الشكوى الى
أبيهم ، فما أصغى اليهم ؛ وقال : انى لأعجب كيف أن رعيتى لا تصبر
على أولادى . فاذا أتوا أقل شىء لا يرضيهم شكوهم الى ! فامتنع الناس
عن الشكوى وسلموا أمرهم الى الله . وكان اسحق أكبر أولاده أنجبهم
وأحبهم اليه ؛ فأطلق عليه اسم الخليفة ، لأنه أراد أن يرشحه للملك
بعده ، وجعل له حاشية من الوزراء والأتباع مثل حاشيته . فجعل أبناء
وزرائه وزراء لابنه ، وأبناء أتباعه أتباعا لابنه . وكان له زوجة يحبها
ويراعبها ولها ابن منه يسمى : أحمد . فطلبت اليه أن يرشح ابنها للسلطنة
بدلا من اسحق (١١٧) . فقال لها تيراب : نمتحن الاثنين أمامك ، فالذى
نجدّه أفرس من أخيه نرشحه للسلطنة . فرضيت أم أحمد بذلك .

فبعث السلطان فى طلب الاثنين الى غرفته الخصوصية ، وكان للغرفة
بابان : باب للرجال ، وعليه أسدان مقيدان بالحديد ، فى كل جانب أسد ؛
وباب للحریم ليس عليه شىء . فلما اقترب الولدان من باب الرجال نظر
أحمد الى الأسدين فتحول عنهما ، ودخل من باب الحریم . وأما اسحق
فانه دخل من باب الرجال بين الأسدين ، وكان دخوله جبواً على عادة

الدخول الى السلطان . فمزق الأسدين ^(١) ثيابه ، وشرطا جسمه بأظافرهما ، وهما يلعبانه كعادة الأسود الأليفة . فلم يعبأ اسحق بهما ودخل على أبيه فسلم عليه ، وكذلك سلم عليه أحمد . فسألهما بعض الأسئلة ثم أمرهما بالانصراف . فخرج كل منهما من الباب الذي دخل منه ، وكانت أم أحمد جالسة مع السلطان تشاهد ذلك ، فالتفت اليها السلطان وقال : من منهما يستحق الخلافة ، ويؤمن على الملك ؟ قالت : لا والله ، ابنك اسحق ، فانه رجل ، أما ابني فقد أخجلني .

وكان كرسى سلطنة الفور الى هذا العهد في جبل مرة فنقله السلطان تيراب الى بلدة شوبة قرب كبكبيّة ، حيث بنى منزلا فاخرا ومسجدا فخيميا من الطوب الأحمر ، وأقام فيها آمنا مطمئنا حتى خرج عليه المسبعات في كردوفان فجهز لقتالهم .

أما المسبعات ففي المشهور أنهم هم وسلاطين الفور من جدّ واحد . قيل ان السلطان سليمان صولون المتقدم الذكر لما تولى دارفور كان له أخ يدعى مشبّع ، فتولى كردوفان وتعهد الاثنان على أن يقنع كل منهما بملكه فلا يطمع بملك الآخر . فعاشا بسلام وأمان الى أن توفيا ، ودام هذا الحال في أبنائهما الى أيام السلطان تيراب . وكان من ذرية مشبّع على كردوفان في ذلك الوقت السلطان هاشم ، وكان شجاعا محبا للحروب والغزوات ، فغزا السروج ^(٢) والعرب البادية الذين على حدود دارفور فقهرهم ، فسوّلت له نفسه اخضاع دارفور ، فجمع جيشا من السود مؤلفا من عشرة آلاف مقاتل ، وجيشا آخر من العرب الدناقلة والكبابيش والزيقات ، وبدأ بشنّ الغارة على حدود دارفور ، فقتل وغنم وسبى . فلما علم تيراب بذلك كتب اليه ما معناه :

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعل المقصود : التروج ، سكان جبال نوبا .

« الى ابن العم المكرّم السلطان هاشم سلطان كردوفان أعزه الله .
(١١٨) أما بعد فاني لا أعلم السبب الذي يحملك على غزو بلادى مع
ما هنالك من صلات القربى وعلاقات المودة التى تربطنا ولم يكن منى
ما يكدر صفاءها ، وأنت تعلم أن هؤلاء الذين تغزوهم هم مسلمون مثلك
يعبدون الله ورسوله ، وما من عاقل يفعل ما أنت فاعل . فعند وصول
كتابى هذا أرجو أن تكف عن العداء رفقا بالرعية ، وتذكر أن الظالم
ينال جزاء فعله والسلام » .

فلم يلتفت السلطان هاشم الى هذا الكتاب ، بل عاد الى ارسال
السرايا لغزو الحدود . فتيقن السلطان تيراب اذ ذاك أنه لا يرجع
الا بالسيف . فجهز لقتاله بكل قوته وآلة حربه ، ولم يشأ أن يخلى العاصمة
من السكان ، فأعتق مئة عبد بنسائهم ، وأمر رجاله فأعتق كل منهم عبدا
أو أكثر بنسائهم ، وجعل أكبر عتقائه حاكما على المدينة ، وعتيق امامه
الحاج عبد الغنى اماما للمسجد ، ونهض بجميع جيوشه قاصدا كردوفان .
فنزل بمحل يقال له : ريل ، فى بلاد البرقد ، وبنى له زريبة من شوك
وبنى فى داخلها منازل من الطين ، وشرع فى الاستعداد للحرب .

وجرى للسلطان تيراب وهو يتأهب للحرب فى ريل حكاية مع أحد
البرقد تستحق الذكر . قالوا :

خرجت جارية من جوارى السلطان الى بشرقربة من الزريبة لتستقى ،
فرآها رجل من البرقد ، فهمم بها وطلب حضانتها فى منزلها على جارى عادة
أهل تلك البلاد . فقالت له : ومن أين لك ذلك وأنا فى زريبة السلطان ؟
قال : دلىنى على محلك فى الزريبة وأنا أعلم كيف أدخل اليه . فدلته ،
ولما جنّ الليل جاء الى الزريبة واقتلع الشوك من بعض جهاتها البعيدة
عن الخفراء ، وذهب الى حيث دلته الجارية ، وجلس ينتظر قدومها .
فاتفق أن السلطان خرج فى ذلك الوقت من مخدعه يتمشى فى الزريبة ،

فرأى الرجل أمام باب الجوارى ، فقال له : من أنت أيها الرجل ، وما جاء بك الى هذا المكان ؟ فأخبره بقصته على التمام . فطلب تيراب الجارية فحضرت وهي ترتعد خوفا ، فأمنها وسألها عن الحقيقة ، فأجابته بما قاله الرجل . فلما تحقق خبرهما سمح لهما بالمحاضنة . وفي الغد عقد مجلسا من كبار دولته وقص عليهم خبر الرجل وطلب الحكم عليه فحكم البعض بقتله والبعض بسجنه والبعض بجلده . فقال السلطان : رأيى على الضد من رأيكم فان مثل هذا الرجل لا يقتل كأنه نعمة أو دجاجة ، ولا (١١٩) يهان بسجن أو بجلد بل يربى للحروب والقتال ، فانه لو لم يكن شجاعا مقداما لا يعرف الخوف ، ما أقدم على الدخول الى منزلى بهذه الجرأة . وفي الحال أمر له بجواد وآلة حرب وعبيدين وزوجه بالجارية ، وجعله فى مصاف فرسانه .

وقد طالت اقامة السلطان تيراب فى ريل مصابرة للسلطان هاشم لعله يرتدع عن شن الغارة فما زاده ذلك الا تماديا فى غيه . فتحمس ثلاثة من فرسان السلطان تيراب فركبوا خيولهم وأتوا الى النحاس فضربوه وجمعوا الناس للحرب بلا استئذان السلطان ، وكان الوقت العصر . فلبس السلطان عدة حربه وركب جواده وجاء الى مكان النحاس فسأل الفرسان عن الخبر . فقالوا : ان نحاس السلطان هاشم أوقر آذاننا ، ونحاسنا ساكت ، فلم يعد لنا صبر على هذه الحال ، فاما أن نُسكت نحاس السلطان هاشم ونردعه عن البغى أو نموت فى هذا السبيل . فقال السلطان تيراب : اتبعونى اذا . فتبعوه ، ولحق بهم الجيش . فاستمر السلطان سائرا والجيش يتبعه الليل كله الى طلوع الشمس ، فتقدم أحد الوزراء الى السلطان وقال له : يا مولاي ، ان الجيش أنهكه التعب ولم يذق زادا . فلم يصغ السلطان اليه وواصل السير الى العصر . فتقدم اليه وزير آخر وقال : يا مولاي ، ان الجيش قصّر عن السير حتى الفرسان . فوضع يده تحت فخذيه وأخرجها

ملوثة بالدم وقال : انظر ما جرى لى ولم أتضجر . وعاد الى متابعة السير .
فتقدم اليه امامه الحاج عبد الغنى وقال له : يا أمير المؤمنين ، فاتنا خمسة
أوقات من الصلوات المفروضة علينا دينا ، فان كنت لا تقف شفقة على
نفسك والجيش « فلا بد من وقوفك لأداء فرض ربك فى الصلوة . فوقف
السلطان اذ ذاك وقال : لقد أوقفتنى بالرغم عنى يا حضرة الامام .

وكان على مقربة من بئر « تولو » فنزل عندها واستأنف الاستعداد
للحملة على كردوفان فجمع عربان البادية القاطنين بلاد دارفور من أبالة
وبقارة وأمرهم بمرافقة الجيش بما معهم من الابل والبقر لحمل الذخائر
والمؤن فعهد الى الأبالة حمل الماء والحبوب ، والى البقارة حمل باقى المؤن
من العسل والسمن .

ولما أتمّ استعدادده ترك ابنه اسحق وكيلا عنه فى ريل ، وسار هو
لقتال السلطان هاشم بجيش كثيف بهيئة مربع هائل فى طليعته دادات (١)
السلطان حاملين القوس (١٢٠) لقطع الأشواك والأشجار وتمهيد طريق
الجيش ، وفى ساقته مقدم الغرب (٢) وفى ميمنته مقدم الصعيد (٣) ،
وفى ميسرته مقدم الشمال (٤) . وفى القلب القوات الآتية على الترتيب :
محافظ العاصمة (٥) ومعه الموظفون الملكيون من وراء دادات السلطان
الذين فى طليعة المربع ، ثم قبيلة السروج حاملين الحراب والدرق ، ثم قلعة
السلطان من أمامه حملة النبايت ومن ورائه الياوران (٦) حاملين الحراب
المكسوة بأكياس من الجوخ الملوّن ، وعن يمينه الوزراء . والملوك وعن
يساره أولاده وأولاد السلاطين السابقين ، ثم حريم السلطان يحيط بهن

(١) راجع ص ١٠٤ ، حاشية ٣ . ومن هذا النص يتضح أن « دادات »
جمع : « دادا » .

(٢) مقدم الغرب هو أباديا . راجع ص ١٤٢ . حاشية ٢ .

(٣) مقدم الصعيد هنا . هو : أبأوما . راجع ، ص ١٥٠ حاشية ٣ .

(٤) مقدم الشمال هو : التكنياوى . راجع ص ١٥٠ ، حاشية ٣ .

(٥) المقصود بمحافظ العاصمة هنا : أروندولنج . راجع ص ١٥١ ،
حاشية ٦ .

(٦) المقصود بالياوران هنا : جماعة الكوركوا ، أى : حاموا الحراب ،
وهم حرس السلطان . راجع ص ٧٩ ، حاشية ١ .

الفخر من الأغوات وعليهم « أبو شيخ »^(١) مقدوم الشرق رسماً ، ثم حرّيم كبار الجيش وأغواتهن ، ثم حملة العربان حاملين المؤن والذخائر أمام مقدوم الغرب الذي في ساقية المربع .

وكان السلطان هاشم قد علم بقدوم السلطان تيراب بجيش كثيف لا قبل له بمحاربته وتفرّق عنه أكثر رجاله ، ففرّ بحاشيته وعائلته والتجأ الى ملك سنار . فسار السلطان تيراب في أثره حتى وصل قرب أم درمان . فقابلته جيش العابدلاب من قبل ملك سنار قاصدين منعه عن النزول الى النيل . فأوقع بهم واقعة عنيفة ، وكسرههم شر كسرة . فحملوا نحاسهم المسمى بالمنصورة وفرّوا به طالبين النجاة . فتبعهم جيش السلطان تيراب بقصد الاستيلاء على النحاس ، فدافع العابدلاب عنه بأنفسهم دفاع الأبطال ، حتى قتل منهم سبعون رجلاً ، وفاز تيراب بنحاسهم ، فسرّ به سروراً فائقاً حتى انه طلاه بالذهب من الداخل والخارج وعمل له نهودا من الذهب وحفظه الخلف عن السلف الى انقضاء ملكهم . وكانوا في كل سنة يجدّدون تجليده بموكب حافل يجتمع فيه أهل دارفور خاصتهم وعامتهم من جميع الأنحاء . وداموا على ذلك الى أن سقطت دارفور بيد مصر فحمل الى القاهرة .

ثم ان السلطان تيراب بعد انتصاره على العابدلاب نزل في أم درمان وأخذ يستعد للزحف على سنار ، فوجد النيل في طريقه وعرضه ٦٠٠ يردا ونيف ، ولم يكن عنده المراكب والمعدات اللازمة لاجتياز النيل ، فبقى هناك أشهراً يدبر الوسائل لاجتيازه فلم يفلح ، فسئمت نفوس رجاله من الانتظار واشتاقوا الى عيالهم في دارفور .

(١) « أبو شيخ » هو : « الأب النسيخ » راجع ما ذكر من هذا المنصب في ص ٦٢ ، حاشية ١ .

(١٢١) فألحوا عليه بالرجوع فأقسم لهم أن لا يرجع الا برأس هاشم فاغتالوا منه واتفقوا مع على ود برقو والد احدى زوجاته على قتله . فاطلع تيراب على الدسيصة وقتل على ود برقو ، وبقي في أم درمان الى أن مرض فحملوه ، وعادوا به قاصدين دارفور . فاشتد عليه المرض في الطريق ومات في باره ، فحفظوه وحملوه الى جبل مرّة ودفنوه في طرّة ، التي هي مدفن سلاطين الفور .

وقد اتسعت مملكة دارفور في أيامه اتساعا لم نر مثله قبل ولا بعد . فكان حدها من الشمال بئر النترون في الصحراء الكبرى ، ومن الجنوب بحر الغزال ، ومن الشرق بحر النيل ، ومن الغرب مضيق ترجه ، وهو مضيق بين جبلين فاصل بينها وبين ودّاي . وكان طولها مسيرة ٣ أشهر على القوافل ، وعرضها مسيرة شهرين . وقد بنى السلطان تيراب سورا من الطوب في أم درمان لا تزال آثاره ظاهرة هناك الى اليوم . ولم يخلفه على الملك ابنه اسحق كما دبّر من قبل بل خلفه :

(٢٣) السلطان عبد الرحمن أخوه ١٢٠١ : ١٢١٥ هـ — ١٧٨٧ — ١٨٠١ م)

فلقب باليتم والعاقل والرشيد . قيل لقب باليتم لأنه عند وفاة أبيه كان لا يزال رضيعا ، وبالعادل لأنه كان عادلا ، وبالرشيد لأنه أرسل الى « جلالة أمير المؤمنين وسلطان السلاطين في الآستانة » هدية من العاج والريش فأرسل جلالته كتابا يشكر له هديته ويلقبه بالرشيد ، وهو اللقب الذي عرف به في اختتام سلاطين الفور .

وقالوا في تفصيل ولايته أنه لما مرض أخوه تيراب كان يطلب العلم في بلدة كريو من أعمال دارفور وكان له هناك صديق يسمى الشيخ مالكا من الفلاته ، فأشار عليه بالذهاب الى أخيه بحجة عيادته فاذا توفي تسنت له الفرصة للملك . فسار عبد الرحمن برأى صديقه وأدرك أخاه في باره .

قيل فلما سمع تيراب بقدومه فرح به وقال : أحضروا الى ابن والدي لأراه قبل موتى فانه سلطان فور بعدى . فأحضروه اليه فترحب به ، وأمر له بهدية نفيسة . ولما توفى قام أبناء السلاطين المرافقين لجيش تيراب ، فادعى كل منهم الحق بالملك بعده ، الا عبد الرحمن فانه لم يقل شيئا . فعقد الأعيان ورؤساء الجيش مجلسا بحضرة العلماء ، وحلّقوا أبناء السلاطين على الكتاب أنهم يرضون بالذى يختارونه لهم ، فاختروا عبد الرحمن باتفاق الآراء لأنه كان رجلا (١٢٢) عادلا صالحا محبوبا من الرعية . فنادوه الى المجلس وولّوه سلطانا على دارفور . ثم نادوا الباقيين واحدا واحدا وأخبروهم بولايته سلطانا عليهم فبايعوه مضطرين .

وكان عبد الرحمن متزوجا بجارية سوداء طيبة الأخلاق من قبيلة البيقو تسمى أم بوسه وكان يحبها محبة شديدة ، وقد أحضرها معه الى باره . قيل : فلم يتم الأمراء مبايعتهم له ، حتى حضر عبد من منزله فقال ان سيدتى وضعت غلاما هذه الساعة . ففرخ به عبد الرحمن وقال : فليكن اسمه محمد الفضل ، وهو الملك بعدى ان شاء الله . وكانت ولاية عبد الرحمن فى رأس القرن الثالث عشر الهجرى فقال اللهم اجعل هذا القرن لى ولذيرتى من بعدى وكان كذلك .

ثم ان السلطان عبد الرحمن قام بالجيش الى الأبيض فوضع فيها مقدوما يرجع بأحكامه اليه واستطرد السير الى دارفور ، وكان عليها اسحق بن تيراب كما علمت ، فرفض الطاعة له وحاربه فى عدة وقائع كان النصر فيها للسلطان عبد الرحمن . وفى الواقعة الأخيرة أصابته رصاصة طائشة من رجال عبد الرحمن فأصابته منه مقتلا ، ولكنه بقى يومين حيا فدخل عليه عبد الرحمن قصد عيادته . قيل فأغمض عينيه وقال له : لا أريد أن أرى وجهك الى يوم القيامة . وبقى مغمض العينين ، حتى خرج عبد الرحمن من الخيمة ففتحهما ولم يمض الا القليل حتى مات فاستتب

الملك لعبد الرحمن ، ونقل كرسى السلطنة الى الفاشر الواقعة على خور
تندلتى على ٣٥ ميلا من جبل مرّة ، فصارت الفاشر عاصمة دارفور من ذلك
العهد وبقيت الى انقضاء السلطنة .

وقد نال عبد الرحمن شهرة لم ينلها غيره من سلاطين الفور الذين
تقدموه وكان له علاقة بمصر . وفي أيامه انتشر العلم فى دارفور ، واتسع
نطاق التجارة ، وقويت شوكة الديانة الاسلامية ، لأنه كان عالما ورعا .
وفى سنة ١٧٩٣ م زار السائح الانكليزى برون بلاد دارفور عن طريق
الأربعين . ويظهر أن المماليك ضيقوا على القوافل التى كانت تأتى من
دارفور وعطلوا التجارة بينها وبين مصر ، فلما دخل بونابرت مصر فى أواخر
القرن الثامن عشر ونكّل بالمماليك كتب اليه السلطان عبد الرحمن يهنئه
بفوزه عليهم وهذا هو فحوى الكتاب :

(١٢٣) « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . من سلطان
دارفور السلطان عبد الرحمن الرشيد ، الى المعظم سلطان الجيوش
الفرنساوية ألف سلام .

« أما بعد فنعلمكم أن خبر انتصاراتكم على المماليك وصل إلينا
فتلقيناه بغاية السرور ، وقد أخبرنا أحد الافرنج الذين اعتنقوا الاسلام
بحسن معاملتكم للأجانب ، فأرسلنا كتابنا هذا مع خير القافلة يوسف
الجلابى ، وكلفناه أن يؤكد لكم صدق مودتنا التى نسأل الله دوامها .
ونحن نوصيكم بالخير خيرا لتحموه هو وأتباعه وعبيده ، ولكم منا ألف
تحية وسلام . ١٠ هـ .

فكتب اليه بونابرت فى الجواب ما معناه :

(١٢) مسيدور من السنة السابعة للجمهورية الفرنسية سنة ١٧٩٩ م)

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله . الى السلطان عبد الرحمن سلطان دارفور . تناولت كتابكم وفهمت فحواء واعلموا أن قافلتكم قد وصلت في حين كنت متغيبا في بلاد الشام أعاقب أعداءنا وأدمرهم والآن طلبى اليكم أن ترسلوا الىّ مع أول قافلة ألقى عبد من العبيد الأشداء المتجاوزين السنة السادسة عشرة من العمر ، اذ مرادى أن أبتاعهم لنفسى والأمل أن توعدوا الى القافلة بسرعة القيام ومواصلة السير الحثيث وها أنا أمرت من بلزم بحمايتها ووقايتها حيث تكون .

(الامضاء) « بونايرت القائد العام للجيش الفرنساوى »

(٢٤) السلطان محمد الفضل ابنه ١٢١٥ : ١٢٥٤ هـ — ١٧٨٧ : ١٨٣٩ م)
الملقب بقمر السلاطين ، وكان أول أعماله أنه حرّر قبيلة أمه أم بوسة البيقاوية ، ومنع أخذ الرقيق وبيعه منها . قيل انه عند توليته الملك كان خاله المسمى فزارى يرعى البقر فى بلاده على ٥٠ ميلا الى الجنوب الغربى من الفاشر . فأرسلت أخته رسولا تبشره بتولية ابنها على الملك . فسار الرسول بالخبر على جواد مطهّم وأطلق له العنان . فما وصل الى فزارى حتى نهك الجواد التعب فسقط فى الأرض ميتا ، وتقدم الرسول الى فزارى وقال له : أبشر بالخير ، فان ابن أختك أم بوسة قد تولى عرش سلطنة دارفور منذ خمسة أيام . وكان فزارى اذ ذاك يسقى البقر عند حوض الماء فطار فرحا لهذا الخبر وضرب الحوض برجله ووزّع البقر على الحضور ، ثم أتى بعنكريب (١٢٤) نام عليه وقال للذين حوله . احملونى ، فحملوه حتى أوصلوه الى الفاشر ، فولاه محمد الفضل الوظيفة المعروفة بمملكة الخوال . وكان عمر محمد الفضل عند توليته الملك ١٤ سنة ، فوكله أبوه الى رئيس خصيانه كثرّة المعروف بلقب « أبو شيخ » وجعله قيما عليه لأنه كان وزيرا صادقا له ، وكان من الشجاعة وحسن الدراية على جانب عظيم . فأقام كثرّة فى خدمة سيده محمد الفضل بالأمانة

والاخلاص كما خدم أباه حتى حدث ما غيَّره ، فانقلب عليه . وذلك أن السلطان محمد الفضل أولم وليمة لكبراء دولته فجلسوا على الموائد فئات حسب مقاماتهم ، كل فئة على مائدة . وكان أبو شيخ كرامة في فئة الملوك فمر السلطان بالموائد لمؤانسة المدعوين على جرى العادة . فلما مرَّ بمائدة الملوك حيَّاهم بالسلام فرَّد الملوك عليه السلام أحسن ردٍّ أما أبو شيخ كرامة فانه كان قد أكثر من الخمر وفقد الواعز ، فالتفت الى السلطان مازحا وقال له : تفضل معنا ، ولم يكن من عادة سلاطين الفور الأكل مع أحد فاغتاظ السلطان من دالَّة كرامة وتطاوله ، وكان بيده عصي من الخيزران فضربه بها على أم رأسه ضربا أليما حتى كسَّر العصي وطرده عن المائدة . فانصرف كرامة الى منزله من غير أن يفوه بمنت شفة . ولكنه حقد على السلطان من ذلك العهد ، ولم يعد اليه حتى اجتمع الوزراء وتراضوا السلطان فرضى عنه وأعطاه هدية فاخرة . فرجع ولكنه بقى حاقدا عليه ، وأخذ يسعى في ثل عرشه ، وتولية أخيه باسى عوض الله مكانه . فاغتيال أكثر الملوك المخالفين له ، ولم يبق منهم سوى الملك ابراهيم ود رماد ملك النحاس فدعاه يوما الى منزله ليقتله فعلم بالمكيدة فاعتذر بعدم مقدرته على الذهاب وسعى حتى دخل على السلطان وقال له : اعلم أن كرامة لا يزال حاقدا عليك من يوم ضربته على المائدة وهو يسعى في ثل عرشك وتولية أخيه باسى عوض الله مكانك ، وقد استمال أكثر رجال الجيش اليه ، وقتل الملوك غيلة ، وهو يريد أن يقتلنى لهذه الغاية . فقال السلطان : وما دليلك على ذلك ؟ قال : نرسل أحد الضباط ينفر من العساكر الى الآبار التى يستقى منها ليمنعوا عبيده الورود ، فاذا جاءك شاكية ، كان لا يزال على الولاء والا فلا . فاستحسن السلطان هذا الرأى وأرسل ضابطا الى آبار كرامة فكان كلما وردھا (١٢٥) أحد من جماعة كرامة منعه الضابط وردّه خائبا . فلما علم بذلك جمع عبيده ورجال الجيش الذين من حزبه وجاء الى الآبار

فقتل الضابط ومن معه ، وتقدم الى منزل السلطان فدخله محاربا . وكان الملك ابراهيم قد أعد الجيوش لمصادمته ، فاقتتل الثريقان الى ما بعد الغروب . فنادى الملك ابراهيم أبا شيخ كرّة من وراء الجدار وقال له : حقا انك امرأة ، لأنك لو كنت رجلا لم تطلب الحرب ليلا بلا ميعاد . فقال كرّة : كنت قد نويت أن لا أخرج من هذا المكان حتى أقتلك وأخلع سلطانك ، أما الآن وقد قلت انى فاجأتك ليلا بلا ميعاد ، فلاقنى صباح الغد الى ساحة القتال شرقى المدينة . قال ذلك وانصرف بعساكره الى منزله . فأخذ كل فريق يجهز جيشه للغد .

وكان فى جيش السلطان محمد الفضل رجل كهل مشهور بالفروسية والاقدام يسمى : أحمد ود جراب الفيل ، وقد حضر عدة وقائع حربية ، من جملتها واقعة السلطان أبى القاسم مع ملك ودّاي ، فأبلى فيها بلاء الأبطال ، وحضر الواقعة التى تقدم ذكرها . فلم يبد ما كان ينتظر منه بل كان كلما قابلته كتيبة من الفرسان أعرض عنها . فلما جمع الملك ابراهيم رؤساء العساكر للنظر فى قتال الغد ، كان ود جراب الفيل حاضرا . فقال له الملك : ما أصابك أمس يا ود جراب الفيل حتى أحجمت عن القتال ، أصبح ما شاع أن كرّة اشتراك بمئة رأس من الرقيق ، فتركت القتال ؟ فقال ود جراب الفيل : المثلّى يقال هذا الكلام ، يا ملك ابراهيم ، أنا أبيع ود السلطان عبد الرحمن بمئة رأس رقيق . ولكن قل لى بماذا أحارب أبسيفى وقد أخذوه منى ووضعوه فى خزينة سلاح السلطان ، أم بحصانى هذا الضعيف النحيف الشبيه بالنعجة . فان كنتم تحبون أن ترون ^(١) منى حرب الرجال وتشاهدون بأعينكم ما اشتهر عنى من البسالة والاقدام فأرجعوا لى سيفى وهاتوا لى فرسا يحمل الكر والفر . فأريكم غدا ما يسركم . فأمر السلطان باحضار سيفه فأحضر اليه ، ثم أمر باحضار الخيول ليختار منها جوادا يعجبه . قيل فكان ود جراب الفيل يقبض

(١) كذا .

على ناصية الجواد ويجذبه بيده وهو جالس في الأرض فيختر الجواد على ركبتيه من شدة الجذبة ، الى أن قبض على ناصية جواد فجذبه كما فعل بما تقدمه ، فنفض الجواد رأسه ورفع ود جراب الفيل حتى أوقفه على قدميه . فقال ود جراب (١٢٦) الفيل : هذا جوادى الذى أركبه . ثم ركه واستل السيف وقبّله والتفت الى أم السلطان وقال : اعلمى أن دارفور تكون بيد ولدك لا ينازعه فيها منازع قبل ظهر نهار غد ان شاء الله . ففرح الملك ابراهيم بذلك وكان له ثلاثون ولدا من صلبه راكبين الخيول كاملى العدة ، فأحضرهم الى ود جراب الفيل وقال له : أنت رئيس أولادى هؤلاء ، وأريد منكم اذا التقى الجمعان فى الغد أن لا تقتلوا أحدا غير كرتة ، فاقصده حيث يكون وقتلوه حتى تقتلوه ، فلما كان صباح الغد واصطف الفريقان للقتال ، برز ود جراب الفيل ومن معه من أولاد الملك ابراهيم قاصدين كرتة . فاعترضهم أخوه باسى عوض الله فقتلوه وتقدموا الى كرتة فتلقاهم بقلب لا يهاب الموت ، وكان لابسا درعين من الحديد وعلى رأسه خوذة تغطيه ، وتغطى وجهه حتى كان لا يرى منه الا عيناه ، فكانوا يضربونه بالسيوف فلم يتمكنوا منه ، وكان هو أيضا يكر عليهم ويهاجمهم مهاجمة الأسود ، فلم يصب منهم مقتلا ، لأنهم كانوا متدرعين مثله . فاحتال بعضهم عليه بأن ركب على فرسه من ورائه وجندله ، فأطبق الفرسان عليه ، ونزعوا خوذته ، ثم حزوا رأسه وحملوه الى السلطان . فلما رأى جيش كرتة ما جرى لشيخهم ولوا الأدبار منهزمين . فتبعمهم جيش السلطان ونكل بهم وكان من عادة كبار الخصميين فى دارفور أن يقتنوا زوجات من الأرامل اللواتى لهن أولاد ، فيتبنون الأولاد لتنتفى عنهم مذلة الخصى ولو ظاهرا . وكان لأبى شيخ امرأة ولها ابن يسمى : شيل فوت (أى خذ واذهب) وهو من الفرسان المعدودين . وكان السلطان محمد الفضل يود أن يجعله من

أتباعه وأعوانه ، فأوصى جيشه قائلاً : اذا انهزم جيش كرّة وظفرتهم بشيل فوت ، فلا تقتلوه ، بل ائتوني به حيّا . فلما كان انهزام جيش كرّة ظفر بعض الفرسان بشيل فوت ، فتصدى لهم فأخبروه بوصية السلطان لهم . ولما أمن جانبهم جاء معهم الى السلطان فأمنه وعفا عنه . ثم التفت اليه الملك ابراهيم وقال له : يا شيلفوت ، لأجل فضلة الطعام تحارب مثل هذه الحرب ؟ قال ذلك لأن شيلفوت كان يأكل فضلة طعام كرّة على عادة الابن مع أبيه في السودان . وكان من عادة الملك ابراهيم كملك النحاس أن يوزع طعام السلطان على الجيش ، فأجابه (١٢٧) شيلفوت على الفور ، أنت حاربت لأجل توزيع الطعام أفلا أحارب أفا لأجل أكله .

واستتب الملك للسلطان محمد الفضل بعد قتل كرّة ، ولم يعد له معارض ، فتفرغ لتأديب العرب الذين خرجوا عن طاعته وهم بنو هلبة ، والعريقات ، والرزيقات . أما بنو هلبة والعريقات فقد أخضعهم بالسهل ، أما الرزيقات فكانوا قبيلة قوية وقد طالما عصوا سلاطين الفور واستقلوا عنهم ، فصمم السلطان محمد الفضل على الايقاع بهم . فجمع جيشا عظيما وأحاط ببلادهم احاطة السوار بالمعصم ، وحصرهم وأثنى فيهم ، وقتل كل رجل فيهم ولم يستحي الا النساء والأولاد ، فقسمهم نصفين . فأرسل النصف الواحد الى أرض العريقات وأسكنهم اياها ، وأبقى النصف الآخر في أرضهم وأعاد لهم قسما من ماشيتهم ، فأعطى كل أرملة قتل زوجها بقرة حلابة وثورا .

وحكى عن السلطان محمد الفضل نادر تان : احدهما مع أحمد ود عدلان آخر وزراء الهمج بسنار ، تدل على كرمه . والثانية مع السلطان آدم سلطان ودّاي تدل على شهامته . أما نادرته الاولى فهي أن جعليّ التقى بود عدلان في البرية خارجا للقنص فقبض على لجام

فرسه وقال له : أيها الملك ، انى رجل فقير وقد جاوزت سن الأربعين ، ولم أذق رائحة البخور . يريد بذلك أنه لم يتزوج بعد لعدم مقدرته على الزواج . فقال له الملك : تعال معى الى سنار فأعطيك ما قسمه الله لك . فقال له الجعلى : لا أتركك حتى تعطينى ما قسمه الله لى الآن . لأنى اذا ذهبت معك الى سنار دخلت منزلك وشغلت عنى ولم يدخلنى اليك أحد . ولم يكن مع ود عدلان فى ذلك الحين الا فروة من الجلود مفروشة فوق سرج فرسه ، فأعطاه اياها وقال له : أدلك على واسطة تنال بها الغنى ، تذهب بهذه الفروة الى السلطان محمد الفضل سلطان دارفور ، وتقص عليه قصتك ، وتعطيه الفروة ، فان كان الله قد أغناك فهو يغنيك . فحمل الجعلى الفروة وسار حتى وصل دارفور ، واستأذن فدخل على السلطان محمد الفضل ، وقص عليه قصته مع محمد ^(١) عدلان ، وأعطاه الفروة . فنادى السلطان محمد الفضل أحد وزرائه وقال له : خذ هذا الرجل الى منزلك وأكرمه غاية الاكرام ، وائتنى به فى الغد . ففعل الوزير كما أمره السلطان ، وفى الغد حضر الرجل بين يدى السلطان فسأله عما قال له (١٢٨) ود عدلان ، فقال : قال لى خذ هذه الفروة الى السلطان محمد الفضل ، فان كان الله قد أغناك فهو يغنيك . فأمر السلطان وزيره بأن يعطيه أربع مئة رأس من الرقيق والابل والبقر والغنم ، من كل صنف مائة رأس ويأخذه الى منزله فيكرمه ويعود به اليه فى اليوم التالى . ففعل الوزير كما أمره السلطان . ولما مثل الجعلى أمام السلطان فى اليوم الثانى سأله أيضا عما قاله له ود عدلان . فأعاده له فأمر له بأربع مئة رأس أخرى من الأصناف الأربعة المذكورة ... وهذا بقى الجعلى يتردد على السلطان ، والسلطان يأمر وزيره أن يعطيه ما أمر له فى اليوم الأول على عشرة أيام حتى اجتمع عند الجعلى ٤٠٠٠ رأس ، من كل صنف ألف . فلما أتى به فى اليوم الحادى عشر وسأله السلطان عما قاله له

(١) كسدا .

ود عدلان قال : أطل الله بقاء مولاي وأيده بالنصر على الأعداء ، انى قد اغتنيت غناء الأبد ، وقد نسيت الذى قاله لى ود عدلان . فضحك السلطان لقوله وقال لوزيره : خذه الآن وسلمه با وهبناه اياه ، وأرسله مع الحرس اللازم الى بلاده . وأما الأصناف التى أعطيناه اياها ولا يمكن نقلها الى بلده كالبقر والغنم فبعها وأعطه ثمنها . ففعل الوزير ما أمره السلطان ، وخرج الجعلى بهداياه من أرض دارفور شاكرًا حامداً ، وعاد الى وطنه ، فتزوج من اشتهاها من نساء بلده وشم رائحة البخور .

أما نادرته الثانية مع السلطان آدم ، سلطان ودّاي ، وهو السلطان الثامن بعد السلطان عبد الكريم ، فهى أن السلطان محمداً الفضل بلغه أن عند السلطان آدم فرسا سريع الجرى مشهورا بالسبق ، فأرسل اليه فى طلبه ، فجمع السلطان آدم وزراءه وشاورهم فى الأمر ، فقالوا له : هذا « عشم فسيل » أى : هذا رجاء باطل يشف عن احتقار واستخفاف . فقال : اذا ما رأى ؟ فقالوا : رأى عندنا أن تكتب له ، وتقول : اذا أزوجتنى بأختك أرسلت اليك الفرس . فكتب السلطان آدم هذا الجواب ودفعه الى الرسول . فلما قرىء الجواب للسلطان محمداً الفضل ، طار صوابه من شدة الغضب . قيل وكان بيده اليسرى سيف ، فلما وصل القارئ الى قوله : « اذا أزوجتنى بأختك » ، جعل ينقر السيف بسبابة يده اليمنى ، حتى انكسر الظفر ، وسال منه الدم ، وهو لا يدري (١٢٩) ؛ وعزم على التنكيل بالسلطان آدم وارغام أنفه . فسأل الحاضرين : أتعرفون أحداً هنا من أهل ودّاي ، ولو أنه من عامتهم لنوليّه على ودّاي بدل هذا السلطان ؟ فقال له بعضهم : عندنا ، يا مولاي ، فى بلدة جديد رأس الفيل جزار من دار ودّاي يسمى محمد شريف . وربما كان من العائلة المالكة مع أنه جزار ، لأن آدابه وأخلاقه تدل على كرم أصله ، وفى وجهه أثر النعمة والعز . فقال : ائتوني به فى الحال . فأتوه به ،

فقال له السلطان : من أنت يا رجل ، وما أتى بك الى هذه البلاد ؟ قال :
يا مولاي ، أنا محمد شريف ابن السلطان صالح بن خريفين ، شقيق
السلطان آدم سلطان برقوق الحالى ، وقد فررت من وجه أخى السلطان
آدم خوفا على بصرى ، لأن من عادة سلاطيننا كما لا يخفى على مولاي ،
أنه اذا تولى أحدهم المثلک قلع عيون اخوته ، وجميع أقاربه الذين يخاف
شرهم ، حتى لا يبقى له مزاحم على المثلک ، ففررت الى هنا وفضلت
أن أعيش جزارا فى بلاد الغربى ، وأنا أبصر ، على أن أعيش فى بلادى
أميرا بلا بصر . فقال السلطان محمد الفضل : فهل لك أن تكون سلطانا
على بلادك بدلا من أخيك ؟ فقال له : ومن أين لى ذلك يا مولاي ؟
قال : لك ذلك منى ان شاء الله . ثم أمر فألبسوه حلة السلطنة ، وسيره
الى ودّاي بجيش عرمرم ، وعليه اثنان من وزرائه وأربعة من أولاده ،
ومنهم حسين الذى تولى السلطنة بعده . فسار محمد شريف بالجيش
حتى وصل حدود ودّاي ، فالتقاء السلطان آدم بجيوشه ، وحصل بين
الجيشين عدة مواقع دموية ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين . ولكن
غلب فيها جيش السلطان محمد الفضل ، وأخذ السلطان آدم أسيرا ،
وغنم نحاسه ، وولّى محمد شريف سلطانا على ودّاي ، وعاد الى دارفور
ومعه السلطان آدم أسيرا . فبقى السلطان آدم فى دارفور مدة ، ثم تمكن
من الفرار الى ودّاي ، فأرسل السلطان محمد شريف عسكرا وراءه
فتعقبه وقتله وبقي لا ينازعه أحد الى أن مات .

وتولى بعده على ودّاي السلطان على ابنه ، ثم السلطان يوسف
أخو على ، فالسلطان ابراهيم بن يوسف ، فالسلطان أحمد الغزالى
ابن على ، فالسلطان محمد دود مرّة ، أخو ابراهيم ، وهو السلطان
الحالى .

هذه رواية البعض فى سبب الحرب بين السلطان محمد الفضل

والسلطان آدم . (١٣٠) وقال بعضهم ان رواية الفرس لم تكن بين السلطان آدم والسلطان محمد الفضل ، بل كانت بين السلطان على المذكور وبين معاصره من سلاطين برنو ، وأن السلطان علياً هو الذي طلب الفرس من سلطان برنو ، فأجابه سلطان برنو بما هو منسوب الى سلطان ودّاي .

قالوا وأما سبب الحرب بين دارفور وودّاي فهو أن محمد شريف المذكور جاء الى السلطان محمد الفضل يستنصره على أخيه فنصره لأنه كان أميل الى دارفور من أخيه السلطان آدم .

وفي أيام السلطان محمد الفضل أرسل محمد على باشا ابنه اسماعيل بجيش جرار لفتح سنار ، وصهره الدفتردار لفتح كردوفان . وكان في كردوفان مقدم من قبل السلطان محمد الفضل يقال له : المقدوم مسلم ، فتغلب عليه الدفتردار وامتلك البلاد منه بعد واقعة شديدة على ما سيجيء بالتفصيل في الفتح المصري . قيل وكان السلطان محمد الفضل واجدا على المقدوم مسلم ، فلم يشأ أن ينصره ، فلما علم أنه قتل أرسل جيشا تحت قيادة أبي الكليك ، فخرج له جيش الحكومة فالتقاه في سودره بين فوجه والأبيض . وحدثت واقعة شديدة حارب بها جيش الفور حرب الرجال حتى قتل قائدهم ، فانهزموا راجعين الى الفاشر ، فخاف السلطان محمد الفضل على دارفور ، وأخذ من ذلك الوقت يحشد الرجال ، ويستكمل العدة ، محافظة على سلطنته . وقيل انه كتب « أسماء » على نية منع الحكومة المصرية من الدخول الى بلاده ، وجعلها في قماقم من نجاس ، ودفنها في الصحراء الشرقية والشمالية ، ولم يخف على سلطنته من الجنوب حيث دخل الزبير باشا كما سيجيء .

وكان لمحمد الفضل أخ يكرهه ويزاحبه على الملك يسمى ، أبا مدين .

ففر الى مصر وأخذ يهون على محمد على فتح دارفور ، فأرسله محمد على الى كردوفان للسعى مع مديرها في ذلك فبقى في الأبيض الى أن توفي (١) . ولما كانت سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م أرسل محمد على باشا كتابا الى محمد الفضل يدعوه فيه الى التسليم . فأجابه محمد الفضل بكتاب أخذنا صورته عن نسخة بيد الزبير باشا بمصر وهذا نص الكتاب : (١٣١) « الحمد لله الذى حكم بين عباده بالحق قطعا ، سبحانه يجزى كل نفس

بما تسعى ، واليه المعاد والرجعى ، وهو حسبي وكفى . من حضرة من آمن الله به البلاد ، وجعل ملكه مسموعا من كل أحد ، وصيره فى قلوب الأعداء نارا تستعر ، وجمرا يتوقد ، وجعل الله على يده ضرب من طغى وتمرد ، ومن ضل وتعند ، وهو شاب صغير السن ، ولو صار كهلا لخضعت له الانس والجن . وقد اشتهر بالكرم والجود ، وحال بعوارضه أنجم السعود ، وان قامت الهيئات بنفسه يجود ، ويصل الى الأعداء بقواطع الهنود ، وينتصر بعون الله على كل موجود !!!

هو مولانا السلطان محمد الفضل بن عبد الرحمن الرشيد أعزه الله . الى حضرة الكوكب العالى ، والنير المتلالى ، بهجة الأنام وقودة الليالى ، صاحب العز والافتخار ، أخينا العزيز محمد على باشا ، سلمكم الله تعالى من المحذورات ، واستعملكم بالباقيات الصالحات ، بمنه وكرمه . « أما بعد : فسلام الله عليكم ، ورحمته وبركاته لديكم ، قد وصلنا جوابكم أوصلكم الله الى رضوانه وفهمنا خطابكم ، ومقتضى جوابكم ، وكل كلمة من المرقوم ، يستحق جوابها المفهوم . ولكن يكفى من ذلك كله كلام الحى القيوم حيث قال : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال » .. « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .. انكم طالبون دولتنا

(١) راجع ملحق رقم (١) .

وطاعتنا ، وانقيادنا لكم ، هل بلغكم أننا كفار وجب لكم قتالنا ، وأبيح ضرب
الجزية علينا ، أو غركم قتالكم مع ملوك سنار والشايقية ، فنحن السلاطين
وهم الرعية ؟ أورد لك دليل من الله تجد فيه ملكك ، أم ورد لك حديث
من رسول الله تجد فيه تمليكك ، أم خطر لك خاطر من عقلك بأن لك ربا
قويا ، ولنا رب ضعيف ؟ الحمد لله نحن مسلمون وما نحن كافرون
ولا مبتدعون ، ندين بكتاب الله وسنة رسول الله (صلعم) وتؤدى الفرائض
ونتترك المحرمات ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، والذي لم يتصل تأمره
بالصلاة ، والذي لم يركب نأخذ منه الزكاة ونضعها في بيت المال ولا (١٣٢)
ندخرها ، ونرد الأمانات الى أهلها ، ونعطى كل ذى حق حقه ، حتى دانت
لنا القبائل العظام . ومن أتى دولتنا يرجع مكرما باذن الله تعالى ،
ولو اشتدت به الريح في يوم عاصف . ألم تر الى قوله (صلعم) « لو بغى
جبل على جبل لدك الباغي » . أما علمت أن دارفور محروسة محمية
بسيوف قطع هندية ، وخيول جرد أدهمية ، وعليها كهولة وشبان يسرعون
الى الهيجاء بكرة وعشية ! أما علمت أن عندنا العباد والزهاد والأقطاب
والأولياء الصالحين من ظهرت لهم الكرامات في وقتنا هذا وهم بيننا يدفعون
شر ناركم ، فتصير رمادا ، ويرجع الملك الى أهله ، ويكفى من بعد ذلك ،
والله يكفى شر الظالمين . كتبه الفقيه محمد ود عمارى من منتخرجى الأزهر
وكان مدرسا للسلطان محمد الفضل وأولاده بالفأشر . ١ هـ .

وتوفى السلطان محمد الفضل سنة ١٨٣٩ وخلفه :

(٢٥) السلطان محمد حسين ابنه ١٢٥٤ هـ — ١٨٣٩ : ١٨٧٤ م)
وكان معاصرا للمغفور لهما سعيد باشا واسماعيل باشا فبادلهما الهدايا
والمكاتبات ، فكان يهدى اليهما الخصيان والريش والسن وغير ذلك من
تحف دارفور وهما يهديان اليه النفيس من تحف مصر . وقد أرسل له
سعيد باشا مركبة برأسين من جياذ الخيل وخيما وتحفا كثيرة . أما المركبة

فانه لم يركبها قط ، بل أمر سائقها عند وصولها بركوبها أمامه . فذهب بها السائق من بيت السلطان الى الجامع مسافة فرسخ وعاد بها الى بيت السلطان ، فأمر السلطان بوضعها في الاسطبل ، فبقيت الى الفتح المصرى . وأما الخيل فقد قيل له انها مسحورة فتركها للعلف نحو ٥ سنين ثم وهبها لبعض خاصته . وأهدى اليه اسماعيل باشا شالات كشمير ، وسروج ذهب ، وسبح كهرمان ، وخرز سوميت ، وغيرها من تحف مصر المستحسنة في دارفور .

وكان السلطان حسين جوادا كريما محبا للرعية . حدثنى الشيخ على بك الخبير من مشاهير التجار بدارفور وقد عاصره قال : دخلت يوما على السلطان حسين للسلام عليه وأخذت له معى هدية نفيسة من تحف مصر تساوى ألفى غرش ، فأمر لى بمئتى بعير من أكرم الابل .

ولما كانت سنة ١٨٥٦ م كف بصره فطلب التحفظ على ملكه . فألف جيشا ينيف على ١٠٠٠٠ مقاتل وسلحهم بالأسلحة النارية ، فكان هو أول من استعمل الأسلحة (١٣٣) النارية في جيش دارفور وقد كان اعتماد السلاطين قبله على السيوف والحرا ب والدرق والسكاكين والنشاب . وكان للسلطان حسين أخت تسمى اياباسى زمزم اشتهرت باتساع الثروة وكان لها نفوذ تام في السلطنة .

وفي أيام السلطان حسين كانت « واقعة القرطاس » المشهورة بين عربان المعالية وعربان حمر . وذلك أن عربان المعالية قطعوا الطريق على قافلة آتية من مصر الى دارفور ، وقتلوا تجارا مشهورين بأهل زريبة عبد العزيز ، وأخذوا أموالهم من سكر وأنسجة ونحوها . فغضب السلطان حسين من تعديهم ، وكان بينهم وبين عربان حمر عداوة قديمة فأرسل السلطان في طلب الشيخ مكى ود منعم شيخ عربان حمر ، وقال له : انى أبحت لك دماء المعالية وأموالهم . فجمع الشيخ مكى رجاله وحلفاءه وغزا عربان

المعالية ، وكانوا مشهورين بالصبر والثبات في الحروب ، فحدث بين القبيلتين واقعة دموية شديدة كان النصر فيها لعربان حمر ، فقتلوا المعالية شر قتلة . قيل وقد سميت هذه الواقعة بواقعة القرطاس ، لأن الصحارى امتلأت من قرطاس السكر والأنسجة التى نهبها المعالية من التجار .

(٢٦ السلطان ابراهيم ١٢٩٠ : ١٢٩١ هـ — ١٨٧٤ : ١٨٧٥ م)

وهو آخر سلاطين الفور وكانت مدة ملكه سنة وسبعة أشهر وأربعة عشر يوما . قيل لما مرض السلطان حسين وعلم بدنو أجله أراد أن يضمن الملك من بعده لابنه ابراهيم لأنه كان يحبه أكثر من جميع اخوته . ولم يكن أكبرهم بل كان أبو البشر أكبرهم . فالتدب اثنين من أمنائه وهما الأمين بخيت من قبيلة الميدوب ابن الوزير آدم بوش كبير الأمراء ، والأمين « خيرقريب » من عبيد الفريت أمين الخزينة والأسلحة ، وأنى بالمصحف المسمى بسوار الذهب وحلفهما عليه بأن يوليا ابنه ابراهيم بعد وفاته . وكان أحمد شطه أمير الصعيد المقيم في دارا يجب أن يولى الأمير أبا البشر لأنه كان متزوجا بشقيقته ، وكان له صديق في الفاشر يسمى الشيخ أحمد الدردير . فلما اشتد المرض على السلطان حسين أرسل الدردير يخبر الوزير أحمد شطه ، فأتى الفاشر ونزل في منزل أحمد الدردير واستأذن فدخل على السلطان وسلم عليه فقال له (١٣٤). السلطان : كيف تركت مركزك وجئت الى هنا بلا اذننى ؟ قال : بلغنى يا مولاي خبر مرضك فأسرت بالحضور لعيادتك . فقال له : ارجع على الأثر ولا تبيت هنا . فقال : سمعا وطاعة . ولكنه علم أن السلطان مائت قريبا ، فتربص في الفاشر ليرى ما سيكون من الأمر بعد وفاته . وعلم الوزيران المار ذكرهما قصد أحمد شطه . فلما توفي السلطان أخفيا خبره وأرسلا الى أحمد الدردير يقولان : ان السلطان حسينا يطلب حضورك لتكتب له حجابا . فلما حضر قبضا عليه وقيدها بشعبة وخبأه في غرفة منفردة ، ثم أرسلا يطلبان الأمير

ابراهيم ابن السلطان حسين . فأجلساه على كرسى السلطنة وطلبا الوزير أحمد شطه ، فحضر وسلم على السلطان ابراهيم وهو يظن أنه السلطان حسين . فأخبراه اذ ذاك بموت السلطان حسين ووصيته لهما ، فما وسعه الا التسليم وقال : ما استخدمنا السلطان حسين الا لنصره وننصر من يحب . وحيث ان السلطان ابراهيم هو ابن السلطان حسين وقد تولى بارادة أبيه فسمعا وطاعة لأمره . فقال السلطان ابراهيم : أما وقد أظهرت الطاعة ، فقد ثبتك على مركزك في دارا ، تقيم فيه كما كنت في حياة أبي كل العمر . فدعا له وحلف له يمين الطاعة ، ثم أرسلوا الى الوزراء واحدا واحدا فحلفوا له يمين الطاعة ، ودفنوا السلطان حسينا في اليوم الثالث من وفاته .

وأما الدرديرى فان السلطان ابراهيم أرسله الى كوبي وحبسه حبس عين بمنزل الحاج محمد صالح ثروة الجعلى المار ذكره ، فبقى الى أن أطلقه الزبير باشا بعد فتح الفاشر .

وقد اشتهر السلطان ابراهيم بالكرم كأبيه . حدثنى على بك الخبير السالف الذكر قال : كنت أعرف السلطان ابراهيم شخصا قبل توليه الملك ، فلما تولى كنت في مصر فأخذت له هدية ودخلت للسلام عليه ، فوجدت عند بابه قطيعا من الابل فيه خمسون بعيرا . فقلت في نفسى : ان كان هذا السلطان كأبيه فى الكرم تكون هذه الابل لى اليوم . وكان كذلك ، فانى لم أنصرف من مجلسه حتى أمر لى بها . فخرجت شاكرا حامدا .

وبقى السلطان ابراهيم نافذ الأمر والنهى فى دارفور الى أن قتله الزبير باشا فى بلدة منواشى فى ١٤ رمضان سنة ١٢٩١ هـ — ٢٤ أكتوبر ١٨٧٥ م فى واقعة (١٣٥) دموية شهيرة . وكان فى قتله زوال سلطنة الفور ودخولها فى حوزة مصر على ما سيجىء .

وبعد استيلاء الحكومة المصرية على دارفور ألقت القبض على عدة أمراء من ذرية سلاطين الفور ، وأرسلتهم مع بعض الأعيان الى مصر ،

فأسكنتهم في الحى المعروف بسوق السلاح تحت القلعة وأجرت لهم «المرتبات» فعاشوا براحة وسلام الى هذا اليوم . وبينهم الأمير عبد الحميد ابن السلطان ابراهيم و ١٩ آخرون من أبناء السلاطين .

وكان في جملة الأعيان المرحوم الشيخ الطيب امام جامع السلطان ابراهيم فتوفاه الله في مصر القاهرة في ٢١ أغسطس سنة ١٩٠٢ على نحو ستين سنة من العمر . وكان رحمه الله رحمة واسعة عالما صالحا ذكيا طيب الخلق نقى القلب ، وقد حفظ في ذاكرته تاريخ دارفور برمته فأخذت عنه معظم ما رويته هنا عن تاريخ السلاطين ، وهو أقرب الى الرواية منه الى التاريخ ولكنه أفضل ما روى عن سلطنة الفور الى اليوم ، ما عدا الذى رواه سلاطين باشا في كتابه « النار والسيوف في السودان » ونقله « المقتطف » الأغر الى العربية ، فانه يجعل السلطان كور أول سلاطين الفور ثم يذكر بعده السلطان أحمد المعقور الذى لم يملك في روايتنا ، ثم السلطان دالى الذى هو في روايتنا أحد كبار الخصيان . ثم السلطان صولون . ومن هذا السلطان فنازلا الى السلطان ابراهيم تنفق سلسلتنا مع سلسلته ، ولكنها تختلف اختلافا طفيفا في تفصيل أخبار بعض السلاطين. هذا وقد ظلت بلاد دارفور في يد الحكومة المصرية الى أن كانت الثورة المهدية فدخلت في حوزة المهديين .. ولكن قام في أثناء ذلك من ذرية السلاطين الذين بقوا في البلاد من ناصب الحكومة العداء ، ثم المهدية وحاولوا استرجاع السلطنة فخذلوا . والذى قام منهم في عهد الفتح الأول :

- (الأمير حسب الله ابن السلطان محمد الفضل) . (الأمير بوش أخوه) .
 - (الأمير هارون ابن الأمير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل) .
 - (الأمير دود بنقا ابن الأمير بكر ابن السلطان محمد الفضل) .
- وأما الذين قاموا في عهد المهدية فهم :

(الأمير يوسف بن السلطان ابراهيم) (الأمير أبو الخيرات أخوه)
(١٣٦) (الأمير على دينار بن الأمير زكريا بن السلطان محمد الفضل) .
وهو القائم الآن بأمر دارفور على جزية يدفعها للحكومة السودانية ، وقد
جاءها بعد واقعة أم درمان . وسيأتى ذكر هؤلاء الأمراء وما كان من أخيارهم
بالتفصيل فى تاريخ السودان الحديث .



﴿ حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها ^(١) ﴾

(رجال السلطنة) أما حكومة سلطنة الفور ، فكانت من النوع الملكي المطلق . وكان السلطان سليمان الأول لما أخضع ملوك البلاد على ما مر قد خلعه من مناصبهم ، وولى على البلاد نوابا من أهلها ، وجعل مع كل نائب عدة شراتي أو مثدراء ، ومع كل شرثاى عدة دمالج أو مأمورين ، ومع كل دمالج عدة مشايخ بلد .

وبقى هذا النظام معمولاً به الى أيام السلطان موسى ، فرأى عدم الاخلاص من النواب الوطنيين ، فعين عليهم أربعة مقادير من رجال حاشيته الأخصاء في كل جهة من الجهات الأربع مقدوما ، وجرد النواب من السلطة الا أنه أبقاهم في مراكزهم يحكمون بالاسم فقط . واستمر هذا النظام الى انتهاء السلطنة .

وكان تعيين المقدم بفرمان خاص يقرأ على النواب والشراتي والدمالج ومشايخ البلاد والعربان وأصحاب الحواكير وغيرهم . ولباس المقدم كلباس السلطان ، واکرامه في ناحيته كاکرام السلطان ، وحكمه نافذ في كل القضايا حتى في القتل ، الا في بعض الأحوال الخاصة فانه يرجع في حكمه الى السلطان .

أما رجال حاشية السلطان الذين بيدهم سياسة البلاد المركزية فأهمهم: « الوزير » وعليه ادارة شئون البلاد سياسيا واداريا وحريريا .

(١) في الأصل : الفصل الثاني ، في حكومة سلطنة الفور وبعض أخبارها .

« وأبو شيخ » وهو كبير الخصيان ومقامه أكبر مقام في السلطنة ، اذ هو المرجع الأعلى لقانون دالي ، الذي هو القانون العرفي للبلاد ، وسيأتي ذكره . وله الفصل في الخلاف الذي يقع في حرم السلطان وهو مقدم الشرق رسماً والمحافظة على نحاس السلطنة .

(١٣٧) ومن رجال الإدارة المركزية : ملك النحاس ، وملك دادات السلطان ، وملك خوال السلطان ، وملك الفاشر أو محافظها ، وملك الجبابة ، وملك الحدادين .

وكان لكل سلطان من سلاطين الفور وكيل رسمي من ذرية السلطان شاو دورشيت يسمى « الكامنة » . وفي دار السلطنة ممن ييدهم الحل والعقد الميارم أخوات السلطان ، والحبوبات جدات السلطان . وفيها رهائن النواب المسلمين ورهائن ملوك المجوس السبعة المار ذكرهم .

وكان كل من هؤلاء الملوك يرسل ولي عهده ليكون رهينة عند السلطان فيجعله السلطان في خدمته ، ويعودده على طاعته ، ويعلمه القراءة والكتابة ، حتى اذا ما مات الملك أعطى السلطان ولي عهده كسوة فاخرة ، وعكازاً مفضضاً ، وطاقيّة مقصبة بقرنين ، ونعلين ، ونقارة نحاس ، وولاه بفرمان خاص على بلاده في مكان سلفه . وكان على كل ملك من هؤلاء الملوك جزية سنوية معلومة من الرقيق والسمن والعسل .

(الحواكير والعربان) وقد عمل « ١٧ السلطان موسى » بالنظام المشهور في الشرق فيما يتعلق بملكية الأراضي فجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان ، وقسم بلاد الحضرة الى حواكير أو اقطاعات ، ووزعها على أهله وأخصائه وكبار قومه بحجج مختومة بختمه ، فعاشوا بريعتها هم وأهلها المزارعون . وكذلك قسم قبائل البادية فخص كل قبيلة بأمر من أبناء

السلطين ، أو بعين من الأعيان تجبى له زكاتها . وجمع السلطان نصيبه من الزكاة والفطرة والعشور ، حسبما يفرضه الشرع الاسلامى . وكان المقادير يجمعون الزكاة من البادية ، وملوك الجبابة يجمعون الفطرة والعشور من الحضر . وربما تنازل السلطان عن نصيبه فى الحاكرة أو القبيلة فأعطى صاحبها « حجة بالجاه » ، فلا يقربه أحد من الجبابة أو المقادير . وقد جرى على هذا النظام جميع السلطين الذين أتوا بعد السلطان موسى الى انقضاء السلطنة .

(قانون دالى) وكان القضاء فى دارفور شرعيا وهو المشروع بالكتاب والسنة ، أو عرفيا وهو المشروع بالعرف . وقد جمعت الأحكام العرفية كلها ، فى كتاب واحد عرف « بقانون دالى » وهو بمثابة قانون الجزاء عندنا . وكان القائم بتنفيذه المقادير ومن هم دونهم من الحكام بالاتحاد مع أصحاب الحواكير والقبائل .

و « القاضى الأعظم » (١٣٨) الذى يرجع اليه فى هذا القانون هو كبير الخصيان الملقب بأبى شيخ كما مر . أما لفظ « دالى » فهو فى لغة الفور بمعنى لسان . ويراد بقانون دالى لسان السلطان أو أوامره . على أن بعض الرواة يجعل دالى سلطانا من سلاطين الفور المتقدمين كما سيحىء .

ومن أحكام هذا القانون : أن الملك يكون وراثيا للابن الأكبر الا اذا كان الأكبر غير لائق للأحكام ، فيولون غيره ممن فيه اللياقة من العائلة المالكة . وقصاص السارق غرامة ست بقرات أو ما هو بثمنها . فإذا لم يقدمها حبس الى أن يفتديه أهله . وقصاص القاتل القتل ، اذا كان القتل عمدا ، والا فدفعت الدية مئة بقرة اذا كان من البقارة ، أو مئة بعير اذا كان من الإبل . وأما الزانى ، فان زنى بمحصنة فغرامته ٦ بقرات أو بأيم فبقرة واحدة ، أو بىكر فكل منهما يغرم بقرة . وقصاص الضارب ، فان كان فى الضرب جرح فغرامة ثوب من الدمور ، وان لم يكن جرح فنصف ثوب .

وهكذا جزاء الشاتم . وقصاص شارب الخمر الجلد ثمانين جلدة ، وكسر
أواني الخمرة في بيته . ومع ذلك فهم لا ينقطعون عن تعاطي الخمرة لأنهم
مولعون بشربها .

حكى أن رجلا من أهل دارفور طاب له شرب « المريسة » حتى لم
يمكنه الانقطاع عنها مع تكرار وقوع الحد عليه . فيحفر له غارا تحت
الأرض ، وسقفه سقفا متينا ، وجعل له بابا ضيقا وصار كلما أحب شرب
المريسة ، ينزل الى الغار فيشرب حتى يسكر ، ثم يصعد على سطح الأرض
ويبقى على ذلك حتى سمع حاكم البلدة به ، فباغته في الغار وهو يشرب .
فقال الرجل : لا حكم لكم علىّ هنا ، فان الحكم لكم على ظاهر الأرض .
أما الحكم في باطن الأرض فلله .

وإذا حصل حريق في الصحراء في العشب الذي ترعاه المواشي ، غرمت
أقرب بلدة الى الحريقة على حساب بقرة لكل طول درقة ، وذلك سواء
كانت الحريقة من أهل تلك البلدة أم من طاريء مفاجيء . والمراد بتعميم
هذه الغرامة منع الناس عن احراق الزرع وتحريضهم حتى اذا ما شبت
خريقة في جوارهم أسرعوا الى اطفائها في الحال لئلا تتسع فيتسع الجزاء
عليهم .

وفي دارفور خرافة قديمة عند بعض العجائز مؤداها أنه لا يخصب لهن
زرع الا اذا قتلن شخصا مسموما بسم حية ، ولكن قانون دالي يعاقب
على هذه الجريمة (١٣٩) بأعظم عقاب ، وذلك بتصدير مال القاتلة الى
خزينة السلطنة واحراق بيتها ثم لفها بحصير من شوك ، وضربها بالعصى
الى أن تموت .

أما محصول « الدالي » فنصفه للسلطان والنصف الباقي لأصحاب
الحواكير والمقاديم والشراتي على نسبة معلومة .

(دخل السلطان وخرجه) أما دخل السلطان الذى كان ينفق منه على بيته وأخصائه وجنوده ، فالعشور والفطرة من الحضر ، والزكاة من البادية. وعشور البضائع من التجار ، ونصيبه من قانون دالى ، والضرائب على التجار والحدادين « والنفوس » . ومن الهدايا التى كانت تأتية من الحكام وأصحاب الحواكير والتجار ، اذ لم يكن يدخل للسلام عليه أحد من رعيته من موظفين وأعيان وتجار الا بهدية نفيسة تعرف « بالسلام » من الرقيق والابل والخيول والبقر والغنم والتكاكى والطرق والطاقت والذهب والفضة والعسل والسمن والسن والريش .

أما دخل المقادير والشراتي والدمالج فمن نصيبهم من محصول دالى والهدايا ومرتبات أصحاب الحواكير ، ومن حواكيرهم الخاصة .

وكان سلاطين الفور يكرمون رجالهم الذين يصدقونهم الخدمة حتى كانوا يزوجونهم بناتهم ويمهرونهم الحواكير والعربان . وهذه هى صورة حجة حاكورة مهرها السلطان حسين لصهره أحمد بن عيسى من أعيان دارفور عند تزويجه بابنته الميرم فاطمة أم دريس . ويليه حجة « عربان » مهرهم أيضا لصهره ، ثم حولهما صهره لزوجته وابنته .

« من حضرة أمير المؤمنين ، وخلاصة الأكرمين ، خادم الشريعة والدين ، الوائق برب العالمين ، سيدنا ومولانا السلطان محمد حسين المهدي ابن السلطان محمد الفضل على ضريحه سحائب الخير والرضوان آمين .

« الى حضرة كل من يقف على هذه الوثيقة ، وينظر ما فيها من الحقيقة ، من الأمراء والوزراء والملوك وأبناء السلاطين والميامر والحبوبات والقضاة والجبايين والشراتي والمكاسين والدمالج وغيرهم من سائر أهل هذه الدولة من ذوى الشوكة .

أما بعد : فالذى نصيره بشرف علمكم من قبل حاكورة « نعمة » التى

كانت سابقا (١٤٠) بيد الملك كرتكيله متاعا ، ثم بيد الملك عبد الله كرقاش متاعا ، ثم بيد المقدم عبد الله العزيز متاعا ، ثم بيد جدتنا الحبوبة والدة سيدنا المرحوم متاعا انى الآن تفضلت وأعطيت وأوهبت وصدقتهنا لصهرنا الحاج أحمد بن عيسى برقيقتها هبة مختارة ، وملكتها اياها ملكا تاما . ثم وجهت لحيارتها ابراهيم المقام من طرف الأمين صالح وأمرت المقدم عبد العزيز أن يبعث له من طرفه أحدا يذهب معه . فبعث له الملك هرون ابن الفقيه عبد الله فذهبا لتلك الحاكمة وطافا بها من كل الجهات وحدداها .. فهذه الأرض التى شملتها هذه الحدود أقطعتهنا لصهرنا الحاج أحمد بن الحاج عيسى اقطاعا ناجزا ، وحوزتها حوزا كاملا ، وملكتها ملكا تاما هى والريق التى فيها ، وعدته خمسون ، يتصرف فيها وفى رقيقتها تصرف المالك فى ملكه بالزرع والتزريع والبيع والهدم والبنا والصدقة والشراء . فهى له ولذريته من بعده فلا يغيره ولا يبدله سلطان بعدى . ثم انى تركت لها الفطرة والزكاة أعنى بها الأحكام الشرعية ، وكذلك عفونا عن سبلها العادية من دم كبير أو صغير وفسق وهامل ونار وقوار ودرقه ، ولا يتعدى عليهم ملك ولا جباى ولا مقدم ولا خدام من أحد الخدامين . وقد تركنا ذلك اعانة لها فى دينها ودنياها والله على ما نقول وكيل ، وحسبنا الله ونعم ، حرر ذلك سنة ١٢٦٣ هـ ١٨٤٧ م .

« من أمير المؤمنين سيدنا ومولانا وأعلانا السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى آمين . الى كل من يقف على هذه الوثيقة ، وينظر ما فيها من الحقيقة ، أما بعد : فان ابنتنا الميرم فاطمة أم دريس عرضت لنا مكتوب زوجها الأمين الحاج أحمد عيسى نظرت به بأنه أوهب لها حاكورتها « نعمة » التى سبقت فأعطيته اياها فالآن هو أوهبها لزوجته وأنا أتممت لها هبة زوجها فصارت ملكا وحوزا لها تتصرف فيها فى ذاتها وغلالها الشرعية والعادية لها ولذريتها من بعدها . هذا جوابى ومهرى لمن يعرفه .

تحريرا فى ٧ شعبان سنة ١٢٦٩ هـ — ١٥ مايو ١٨٥٣ م » اهـ .

وهذه حجة العربان :

« من حضرة سلطان المسلمين ، وخليفة سيد المرسلين ، سيدنا ومولانا
السلطان محمد الحسين المهدي المنصور بالله تعالى آمين ، الى كل من يقف
على هذا الرسم من ولاية الأمور والأمراء والوزراء والملوك والشراتي
والدمالج وأبناء السلاطين والميامر والجباين (١٤١) وملوك العربان
والمشايخ والكراسى والخدامين ومقاديمهم وكافة أهل الدولة من الخدام .
أما بعد : فانى سابقا تفضلت وأعطيت صهرنا الحاج أحمد عيسى عربا من
الماهرة من جماعة الشيخ دلم ، وأسمائهم : عبد النعيم ونعمان والدانى
وأحمد وحسين وحامد وزرزار وطاهر وعجز وأحمد . هؤلاء الرجال
المذكورون كسرت عظمهم وأتبعتهم لصهرنا الحاج أحمد عيسى وعفوت له
بجميع منافعهم وصاروا تبعا له ولذريته . والآن صهرنا المذكور أعطاهم
لابنته الميرم زهره ؟ فى زيانة رأسها وأعلمنى به ، فأنا أتممته وقابلتها بجميع
منافعهم الشرعية والعادية من الزكاة والفطرة والدم والفسق والهامل وغير
ذلك ليس عليهم شوية ولا نوبة ولا خدمة جميع أمرهم مقابل اتنايتنا (أى
ابنة بنتنا) الميرم زهره ، لا يتعرض لها فيهم معترض ، ولا ينازعها منازع »
بل صاروا عربا لها ، ورعاتها لها ولذريتها من بعدها . هذا جوابى ومشراطى
ومهرى لمن يعرفه . تحريرا فى عام ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ م .

(اختام السلاطين) وكان سلاطين الفور يختمون كتبهم من أعلاها بختم
كبير على شكل دائرة قطرها نحو أربعة قرايط ، وهى منقوشة سطورا
مستوية بين كل سطر ووسطر خط دقيق أو خطين^(١) ، يضع فيها اسمه وأسماء
البعض من أجداده على قدر ما يسع الختم . الا أنه لابد من انتهاء النسب
بالسلطان سليمان جدهم الأعلى ومؤسس سلطنتهم . وقد يكون حول
السطور سطورا^(٢) فى دائرة مكتوب فيه آية من القرآن .

(١) كذا .

(٢) كذا .

(صرة الحرمين) وكانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الأرض كله
لا تدفع جزية لأحد ، ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدمهما ، بمحمل
وصرة كل سنة . فكان موكب المحمل يأتى الى مصر ومعه الريش والسن
والصمغ وغيرها من خيرات البلاد فيبيعها ويتم بشمنها تقود الصرة ، ثم
يستطرد الحج الى الحرمين مع الركب المصرى .

(منزل السلطان ابراهيم) وكان منزل السلطان ابراهيم آخر سلاطين
الفور قائما على شاطئ خور تندلتى الشمالى ، وهو منزل متسع له سور
من الطوب الأحمر ، محيطه نحو ثلاثة أميال ، وعلوه نحو عشرين قدما .
وحول السور على عشرة أمتار منه زريبة من شوك ، وللسور بابان كبيران :
باب للشمال وهو باب الرجال ^(١) ، وباب للجنوب وهو باب الحريم ^(٢) .
ومنزل السلطان فى الوسط . ومن كل باب منهما الى منزل السلطان (١٤٢)
سبعة أبواب تفتح شرقا وغربا ، أى أنها على زاوية قائمة من البابين
الكبيرين . وهى عبارة عن شباك من العيدان تصل ما بين أطراف جدران
متوازية مبنية داخل السور . وعند كل باب منازل للضباط بهيئة القطايطى
أو الرواكيب . أما منازل السلطان فكلها مبنية بالطوب الأحمر غرضا مستوية
السطوح ، وغرف هنامه وجلوسه مكسوة جدرانها وسقفوها بالجوخ
الملون ، منها غرفة معدة لجلوسه مع الخاصة تسمى « التيرمه » . وله غرفة
معدة لاستقبال العامة عند الباب الرابع من أبواب الرجال تسمى « كالا » .
وكان سلاطين الفور يقتنون من النساء عشرات ، أربع منهن شرعيات
والباقيات محظيات .

(لباس السلطان) وكان لباس السلطان قميصا مقصبا فوقه برنس
مقصب يجعله شال من الكشمير ، وعلى رأسه تاج مزركش بالذهب تحف

(١) هو المعروف باسم : « وريديا » . انظر ص ٢٠٤ .

(٢) هو المعروف باسم « وريديا » . انظر ص ٢٠٤ .

به سبع ريشات رقيقة من الذهب والفضة على شكل الأمواس ، وفي رجليه
حذاء من السختيان الاسلامبولي الأصفر أو الأحمر ، وعلى جنبه الأيسر
سيف محذب محلى بالذهب .

(جلوس السلطان) وكان جلوسه في « التيرمه » على عنكريب
أو سجادة في الأرض ، وعن يمينه مخدة من قطن . وفي الراكوبة « كالا »
على دكة عالية من الطين مفروشة بالسجاد . وإذا جلس على « الككر »
أو كرسي السلطنة لمبايعه الناس له ، حمل في يده اليمنى صولجانا وهو عصا
طويلة ملبسة بالفضة المحلاة بالذهب ، وفي يده اليسرى سيف مستقيم ،
وعلى جنبه الأيسر سيف محذب ، فيبايعه أهل الحل والعقد ليلا . وفي
الصباح يبايعه العامة ، وهذه هي صورة المبايعه : « بايعتك على السمع
والطاعة . الأمر أمرك والنهي نهيك على السنة والكتاب » .

(مقابلة السلطان) وكان القاصدون باب السلطان يأتون باب الراكوبة
« كالا » ويستأذنون في الدخول عليه ، فاما أن يدعوهم الى التيرمه
أو يخرج فيقابلهم في الراكوبة « كالا » . وكان الداخل عليه يخلع نعليه
وطاقيته وسلاحه خارج الباب ، ويتقدم حتى يكون على عشرين مترا منه ،
فيلقى بنفسه على الأرض ويحبو على الركب والأيدى كالسلحفاة الى أن
يكون على بعد أربعة أمتار منه ، فيقف جاثيا على ركبتيه منكس الرأس
ويدعو للسلطان ، وهو يمهد الأرض بكفيه يميناً وشمالاً ويقول « أطال
الله (١٤٣) بقاءك ، وسترك الله ونصرك على أعدائك ، ولا أراك سوءا
ولا مكروها أبد الدهر » ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله . وكل من
دخل على السلطان ولو أنه أخوه لزمه مثل ذلك الا العلماء وملوك القرائيت،
فان لكل فريق منهم آداب (١) خاصة .

أما العلماء فان الداخل منهم على السلطان يحني رأسه الى أن يكون
على أربعة أمتار منه ، فيجلس على الأرض جلسة المصلى ثم يرفع كفيه فيرفع

(١) كذا .

السلطان كفيه أيضا ، ويقرأ الفاتحة معا ، ثم يأخذ العالم في الدعاء للسلطان وهو يصفق بكفيه والسلطان يؤمن على دعائه الى أن يتم الدعاء . وأما ملوك الفراتيت فالداخل منهم على السلطان يلقي بنفسه الى الأرض وهو على ٢٠ مترا ، ثم يدنو منه متدحرجا كأنه جذع شجرة حتى يصير على أربعة أمتار منه ، فيستوى جالسا ، ويدعو للسلطان وهو يصفق بكفيه ، ثم يشرع في الكلام الذي جاء لأجله .

(ركوب السلطان الى الجامع) : وكان في الفاشر جامع فخيم على نحو فرسخ من منزل السلطان ، والسلطان يخرج اليه بموكب حافل كل يوم جمعة لأداء صلاة الظهر . فكان الفرسان يجتمعون عند باب الزربية صفوفًا عن جانبي الطريق ، وأمامهم المشاة حاملين النبايت ينتظرون خروج السلطان من منزله . وقبل الظهر بساعتين يركب السلطان جوادا مزركشًا العدة عند باب التيرمه فترفع الامباية صوتها اشعارا للعساكر بأن السلطان قد ركب ، فيتهيأون لاستقباله . ثم يخرج اليهم وأمامه العساكر الحاملة الأسلحة النارية مشاة ، ومن ورائه الخصيان راكبين الخيول وبينه وبين الخصيان بعض الجياد بسروج الرهط كاملة العدة ، يقودها السياس خلفهم صفا واحدا . وعن جانبي السلطان نفر من المشاة يتناوبون حمل مظلة واسعة تظله وتظل جواده ، وهى مصنوعة من نسيج متين مطرز بالقصب ومبطنة بأطلس مختلف الألوان ، كل شقة بلون ، تتدلى من أطرافها شراريب قصب ، ولها يد طويلة من خشب متين ، مغطاة بنسيج ملون كل شبر بلون . وعند خروج السلطان من الزربية ، يحييه الفرسان بهز سيوفهم فوق رؤوسهم ، فيرد تحيتهم بهز سبحة أو سوط أو منديل في يده . ويسير في موكبه هذا حتى يصل الجامع فيقف الموكب خارج السور ويدخل السلطان الى (١٤٤) غرفة معدة له عند باب السور ، فيخلع ثياب الملك ويلبس لباس الصلاة وهو جبة بيضاء وعلى رأسه عمامة بيضاء فوق مكابية من الحرير يغطيها ثوب

من الشاش الأبيض الرقيق على هيئة الخطيب . ثم يقف للصلاة فى غرفة خاصة به ، لها نافذة تشرف على الامام . وبعد انتهاء الصلاة يرجع الى الغرفة التى عند باب السور ، فيخلع لباس الصلاة ، ويلبس لباس الملك ويعود بالموكب الى منزله .

(جيش السلطنة) : هذا ولم يكن عند سلاطين الفور جيش منظم حتى كثف بصر السلطان حسين ، فنظم جيشا من عبيده وسلاحهم بالبنادق المعروفة بأبى روحين . وجعل عليهم عبدا يقال له « خير قريب » قومنداننا ، وبقي هذا الجيش الى زمن السلطان ابراهيم ، فحارب به الزبير باشا على ما تقدم . وكان سلاطين الفور الذين تقدموا السلطان حسين ، اذا أرادوا جمع الرجال للحرب ، أصدروا أمرهم الى المقاديم ، فبعث هؤلاء بالأمر الى الشراى ومشاىخ البادية ، فجمعوا عددا معلوما من الرجال على نسبة عدد بلادهم ، حتى اذا ما اجتمع العدد المطلوب ساقهم المقاديم بأنفسهم الى ساحة الحرب .

(تجليد النحاس) : وكان سلاطين الفور يجلدون النحاس « المنصورة » الذى غنموه من العابد لاب مرة فى كل سنة ، ويحتفلون بتجليده احتفالا عظيما . يجتمع اليه موظفو البلاد وأعيانها ، فيأتون بثور وخروف أبلقين . ينتقلونهما من قطع يربونه فى جبل مرة لهذه الغاية . ويذبحونهما . ويجلدون بجليديهما النحاس المذكور .

(اختبار أولاد السلاطين) : ثم يأخذون فخذ من الثور وفخذ من الخروف ، ويتركونهما حتى يتنا ، ثم يطبخونهما بشطة وملح كثير ، ويضعونهما فى قدح فى غرفة منفردة ، ثم يؤتى بأولاد السلاطين فيدخلون واحدا واحدا الى قدح الطعام الذى يحيط به الحرس من عبيد السلطان ، ويبد كل منهم نبوت كبير ، وكلما دخل واحد أكل لقمة من الطعام . فاذا لم يسعل من شدة تنانة اللحم وكثرة بهاراته ، لم يتعرض له أحد بسوء ، بل

سألوه أن يغسل يديه وينصرف . وإذا سئل اتهم بأنه خائن متعمد الغدر ، وأرسل في الحال الى جبل مرة حيث يبقى في السجن الى أن يعفى عنه أو يتولى سلطان آخر ، فيخرجه من سجنه (١٤٥) .

(كسر الضلع) : ويأخذون ضلعا من أضلاع الثور ، ويحكونها حتى تصير رخفة جدا قابلة للكسر ، فيأتى السلطان الى بيت النحاس بموكب خاص ماشيا على قدميه ووراءه كبيرة أخواته ، ومن ورائها جمهور من الجوارى اللابسات أبهى الحلى والحلل ، ومن خلفهن وعن جانبيهن الخصيان حاملين السياط ، والسلطان نفسه مكبوم بقطعة شاش يمسك طرفيها من خلفه كبير أمثاله ، ويمشى الهويناء حتى يصل مكان النحاس ، فيأخذ الضلع التى أعدت له ، ويضرب بها النحاس . فإذا انكسرت عدوا انكسارها نصرا وسلاما ، وزغرد النساء ، وضرب النحاس ، والا أوجس الكل شرا ، وخافوا سوء المصير .

(العرضة وموكب السلطان) : وبعد كسر الضلع يخرج مناد من قبل السلطان للاستعداد للعرضة . فيجتمع الكل مشاة وفرسانا حلقة كبيرة فى ساحة السوق ، أمام منزل السلطان . ثم يخرج ملك النحاس بجندة مخيطة بنحاسات الفور السبع محمولة على سبعة جمال ، وفى مقدمتها « المنصورة » التى غنموها من العابدلاب ، ثم « البيضاء » التى غنموها من آدم سلطان ودائ ، ثم نحاسات فور الخمس القديمة . فيخترق الحلقة بموكبه حتى ينصفها فيقف متجها نحو الشرق . ثم يأتى السلطان بموكبه الخاص وهو راكب جواده ويقف مقابل ملك النحاس متجها نحو الغرب وبينهما فسحة كافية لعرض الجيش . وموكب السلطان الخاص مؤلف من أولاده ووزرائه وأخته الكبرى والعلماء والقضاة فنقف أخته وراءه ، راكبة جوادا ، ومن ورائها الجوارى حاملات أباريق النحاس بلا ماء ، وبينها وبين السلطان حملة الحراب المكسوة بالجوخ الملون . ويقف أولاد

السلطان عن يمينه ووزراؤه عن شماله ، ويقف أمام صفى الوزراء والأمراء صفان من العلماء والقضاة ، وترفع فوق رأس السلطان مظلة واسعة جدا تظله وجواده ، ومن ورائه رجلان حاملان مروحتين كبيرتين يزين حواشيهما ريش النعام لحجب الشمس عن ظهره . وعن كل من جانبيه مروحة يحملها رجل يروح بها عليه . ثم يبدأ الاستعراض فيخرج الناس من الحلقة فرقا ، كل فرقة يتقدمها رئيسها راكبا على جواده ، فيحيط السلطان بهز سيفه فوق رأسه ، فيرد السلطان التحية بهز سوطه . ثم يرجع هذا الرئيس برجاله الى مكانه من الحلقة فيعرض الرئيس الذى يليه وهكذا الى تمام الحلقة . ثم يتقدم السلطان وحده (١٤٦) الى النحاس ويدور حول الجيماال التى تحمله ، فيهب السيف فوق كل نحاس ، ثم يدور من داخل الحلقة لرؤية الجند ، ويعود الى موكنه فتستقبله أخته وجوارىها بالزراغيت ، ثم يأمر فينصرف النحاس . ثم يتبعهم بموكبه الى أن يدخل منزله ، فيتفرق الجنود الى منازلهم . وبعد أيام ينادى الى مثل هذه العرضة . وهكذا الى سبع عرضات ، ثم ينصرف كل الى بلاده .

وأما فى زمن الحرب فيسير الجيش على الترتيب الذى مر ذكره فى الكلام عن السلطان تيراب وكانت عادة سلاطين القصور أن يضربوا النحاس فى يومى الاثنين والخميس فى الصباح والمساء .

(العلم) : وكان فى دارفور مساجد جمّة ، فى كل بلدة مسجد أو أكثر ، يعلم بها الكتابة والقرآن . وكان لكل عالم مسجد قرب منزله يصلى به الصلوات الخمس ، وفى لصقه خلوات للمجاورين يعلم بها العلوم الشرعية . وله « حاكورة » هبة من السلطان يعيش هو وتلامذته من ريعها . وكان بعضهم يحىء الى مصر لتلقى العلوم فى الأزهر ولهم فيه رواق معروف برواق دارفور الى اليوم .

(الجوامع) : أما الجوامع فكان لهم في كل بلدة شهيرة جامع
الا الفاشر ففيها جامعان : جامع بناء السلطان عبد الرحمن عند بناءه الفاشر
فحسنة السلاطين الذين خلفوه ، وهو في القسم الشمالي من البلدة مسيرة
ساعة من بيت السلطان . وجامع بنته أخت السلطان حسين في القسم الجنوبي
من الفاشر . وكوبى ففيها أيضا جامعان : جامع القاضي أحمد ود طاها من
أهل كوبى ، وجامع الفقيه سعد العالم من أهل الخبير على .

(الزراعة والصناعة) : وأهم زراعة دارفور الدخن ، يزرع على المطر .
وفيها من أرباب الصنائع الحدادون والنجارون والحاکة والدباغون لقضاء
حاجاتها كما في بلاد سنار .

(التجارة) : وكان لها تجارة مهمة مع كردوفان وبحر الغزال ووداي
ومصر وكان يرد منها الى مصر من ١٠ : ١٥ ألف جمل تحمل الرقيق والسن
والريش والصمغ والتمر الهندى والنحاس والنطرون وحبة العين والجلود
والأقداح الخشبية والأطباق والعسل ، فتعود الى دارفور ومعها من الأنسجة
القطنية والحريرية الدبلان والشيت والخام والجوخ والأطلس والملايات
الحجازية والبنادق والسيوف والسروج وأنواع (١٤٧) الحلى الذهبية
والفضة والمرجان والسوميت وغيره من أنواع الخرز المطلوب عندهم .
وكانت العملة الرائجة قطع ^(١) مختلفة من الدمور ، ثم راج بعد الفتح
المصرى للسودان المقاطع المصرية من الخام المصبوغ المار ذكرها . وراح في
كردوفان أيضا قطع دقيقة من الحديد على أشباه المسامير الكبيرة تسمى
الحشاشات .

(الأمير على دينار) : هذا ما تيسر لى استقصاؤه عن حال سلطنة الفور
القديمة قبل دخولها في حوزة مصر ، تلقيت أكثره عن الشيخ الطيب
محمد بن المار ذكره . ويقال انها الآن تسير على مثال هذا النمط في عهد
أميرها الحالي الأمير على دينار ابن الأمير زكريا ابن السلطان محمد الفضل

(١) كذا .

الذى يحكمها على جزية سنوية يدفعها لحكومة السودان كما أشرنا آنفا .
(منشور السلطان ابراهيم عند توليه الملك) : وقد عثرت على كتاب
أرسله السلطان ابراهيم آخر سلاطين الفور الى الجهات ، يذيع فيه نعى
أبيه السلطان حسين ، وتوليه الملك بعده وهو :

(نقش خاتمه فى أعلى الكتاب)

ملك أمير المؤمنين السلطان ابراهيم . ابن السلطان حسين . ابن
السلطان محمد الفضل . ابن السلطان عبد الرحمن الرشيد . ابن السلطان
أحمد بكر . ابن السلطان موسى . ابن السلطان سليمان ، صاحب البر
والاحسان . يوم الأحد اثنى عشر وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٠ هـ .

(صورة الكتاب)

من حضرة من أثار به البلاد ، وأزال به الفساد ، سيدنا ومولانا
السلطان ابراهيم ، المعتصم بالله تعالى آمين ، الى حضرة محمود والامام
أحمد طه وكافة الجلالة تجار كوبى وحواليها . أما بعد : فالذى نعرفكم به
اجرنا الله وإياكم فى مصيبة سيدكم والدنا المرحوم السلطان محمد الحسين .
توفى الى رحمة الله وأنا توليت الملك بضحي الأحد اثنى عشر وعشرين من شهر
صفر سنة ١٢٩٠ هـ . تعلموا به وربنا يلزمنا وإياكم الصبر الجميل .

معجم
عسزنی - فور اوی

ملحق رقم (٣)

معجم

عربي — فوراوى

هذا المعجم العربى الفوراوى الصغير مما جمعه المسيو جومار (Jomard) فى مقدمته الطويلة للترجمة الفرنسية لكتاب « تشحيذ الأذهان » للتونسي ، نقلا عما جمعه كونيغ (Koenig) فى رحلته الى كردفان ، ثم ضمنه ما أورده التونسي فى كتابه ، ناسبا ذلك اليه بقوله : « عن الشيخ » . وكذلك ضمنه الكلمات التى جمعها هو بنفسه فى بحث له عن الألفاظ فى أفريقيا الشمالية الشرقية .

« ١ »			
ابن السلطان البكر	دَتْنِيح	أداة الاستفهام	سَا
أَبْنُوس	بَطْلُوم	أداة النسبة أو الإضافة	تَنْيَح ، إِنْ
إِبْنَة	نَوُو	أذرة (أنواع منها)	مَارِيْق ، أَزِيْتُ
إِبْنَة السلطان	مَيْرَام	أذن	أَبُو شَاوَلُو ، أَبُو أَبَاط
أبيض	مَيْرَم (عن الشيخ)	أذَى	كَلُو
أَتَى ، جاء	فَتَا	أربعة	حِجِّي
ائنان	أَنْدُول	أرز	أُونَجِل
أحمر	أَوْ	أرز (صنف منه)	رِيس
أَخ	تَوَكَايْ	أرض	دَفْرَه ، دَفْرِي
أخوال السلطان ، قريبه الأدنى	دُوْمَبَارَا		دَالُو
أخت	بَاسِي (عن الشيخ)	أرنب برى	وَاطَا [عربية سودانية]
أخضر	دُونْتِيَتَانِيح	أزرق	بِيَا
	فَوَكَايْ	أسد	دِكُو
			مُورُو

أَسْنَان	كَيْه	ب (باء الجرّ)	ب
أَسْوَد	دِكَآ ، دِكَوئ	يَاب	وَرِي
إَصْبَع	تَرِي	بَارِد	دَتِفِيه
أَصْفَر	كَرَوِي	بَاكِر ، غَدَا	أَلَل
أَطْفَال	دُقْلَه	بَاخْرَج ، بَرَا	تُورَا
أَكَل	آم	بُحِيرَة	بَوُو ، سَرَف
الله	الله	بَذُور تَقَاوِي	تِيرَاب
أُمّ	حِيَامَه	بَرَا	تُورَا
امْرَأَة	بَايَا (عن الشيخ)	بَوَق	كُوِيُوْلَمَالَا
امْرَأَة ، زَوْجَة	يَنْسَكُوِيَه	بَطْن	دِثُو
أُمْعَاء	كَرْتِيِيْجِه	بَقْرَة	وَا
إِنَاء يَقْدَم فِيهِ الطَّعَام	عُمْرَة ، وَالْجَمْع : عُمَار	بَلَح ، تَمَر	سُنْدُو
أُنَاس ، نَاس	دُقْلَه	بَلَد	بَرُو
أَنْت (فِي مَخَاطَبَةِ الْأَهْلِ	حِي	بَلَدَة ، مَدِينَة	حَلَّه ، حَلَفَه
وَالْأَقَارِب)	حِي (عن الشيخ)	بَيْت حَوَالِج السَّلْطَان	دَنْجَايَه
أَنْتُمْ	يِي	بِئْر	أَرُو
أَنْف	دَرْمِيَه	بَيْضَة	حِيِيُورُو
أَسِي	كَام		
إِيَّاهُ (ضَمِير نَصَب)	يَا		
إِيَّاهُمْ	يِيْن ، كِيْن	تَبَغ	تَابَه
	نَحْيَا (عن الشيخ)		تَابَا (عن الشيخ)

« ت »

ثُحْيَة ، سلام	دُونَجِيَه
تَغْتَ رَوَان ، هودج	تَخْت رَوَان
تَعَال (أمر للمخاطب)	حَيَلَا
تَقَاوِي	تِيرَاب
تَمْسَاح	نَمُو
تَمِيمَة	تَمِيمَة
تَيْتَل	تَيْتَل

« ث »

ثَدِي ، انظر : حَلَّة الثَدِي	
ثُعْبَان ، حَيَّة	نُوم
ثَقِيل	دِرْزِي
ثَلَاثَة	إِسْن
ثَوْر	نُجِيُون

« ج »

جاء ، أَتَى	أَنْدُول
الْجَابِي ، مُحْصِل الضَّرَائِب	جَبَّائِي
جاف ، نَاشِف	وَقِيَه
جاموس	إِنَانِيُو
جَبَل	فُويَا
جَبْهَة	أَرِي

جدار الحائط	دُرْدُر
جدول ماء	سَرَف ، سَرَف
جُذَام	جُزَام
جذور نبات تستعمل في السحر	نَارَه
جِرَاب	جُرَاب
جراب من الجلد لحفظ السمن	بَطْلَه ، [والجمع : بُطَاط]
جَلَاد ، سَيَّاف	كَبَزْتُو
جلد	دَرَمَه
الْجَمْع (علامة له)	نُجَيَا ، إِنْجَيَا
جَمَل	كَمَل
الجنوب	صَعِيد
جِنِّي ، حارس من الجِنِّ	دَمَزُوق

« ح »

حاجب مجلس السلطان	فَلَقْنَاوِي
حارس من الجِنِّ	دَمَزُوق
حَاكِم إِقْلِيم (في درجة محافظ)	شَرْتَائِي ، والجمع : شَرَاتِي
حَاكِم جَهَة	عَقِيد ، والجمع : عَقْدَة
حَاكِم الْقَبِيلَة ، حَاكِم إِقْلِيم	دُمْلُج ، أو : دُمْلُج .
بدرجة مأمور	والجمع : دَمَالِج
حَجَر	دِيدُو

كَانَ ، تُكْرَمُ	خَبَزَ	مِرْ	حَدَّادٌ
تُقَرُّوْ (عن الشيخ)		دَاوَزُوْ	حَدِيدٌ
فُوْلَانِيَّةٌ	خَدَّ	نِيُوْلَمَكِيْرُوْ	حَدِيْقَةٌ
دَلْبَةٌ	خَرَّتِيْتٌ	تَكِيْلَةٌ	حَارٌّ
شُوشٌ	خَرَزٌ رَفِيْعٌ تَعْمَلُ مِنْهُ	كُوْرٌ	حَرَبَةٌ
	المِسْبَحَةُ	كُوْرُ كُوَاْ	حَرَسٌ خَاصٌ
دَرَّتْ	الْخُرَيْفُ	حَشَّاشَةٌ	حَشَّاشَةٌ ، مِغْرَقَةٌ
خَزَامٌ	خُزَامٌ	دَائِيٌّ	حَشِيْشٌ أَخْضَرٌ
آرَةٌ	خَشَبٌ	أَرْكَمَةٌ	حِصَانٌ
طَوَاشِيٌّ	خَصِيٍّ ، أَغَا	يَاْمُوْرَتُهُ (عن الشيخ)	حَلَمَةُ الثَّدْيِ
مُوجِيَّةٌ	خَلْبُوصٌ ، مَسْخَرَةٌ	كَنْسُوْ	حِمَارٌ
خَلْخَالٌ	خَلْخَالٌ	لَيْلٌ	حَمَلٌ
جَرَانِيْحٌ	خَلَعٌ	حِيَايُوْ	حَمَلٌ ، رَفَعٌ
كِرِيٌّ	خَلَفٌ ، وَرَاءُ	جِيْسُوْ ، كَيْلَا	حُمَّى
	خَمْرٌ ، انْظُرْ : مَشْرُوبٌ	وِرْدٌ ، أَوْ : وِرْدَةٌ	الْحُمَّى الْقِرْمِيزِيَّةُ
أَوْسٌ	خَمْسَةٌ	بَرْجُوْكَ	حَيْطَانٌ
مَدُوْ	خِيَانَةٌ	جَبِيٌّ	حَيَّةٌ ، ثُعْبَانٌ
		نُومٌ	حَنَّا عَلَى ، عَطْفٌ عَلَى
		رَنْدَلٌ	

« د »

فَرَنْدِيْتٌ	دَاءُ الْفَرَنْتِيْتِ
سُوْتِيَّةٌ	دَاءٌ فِي الرُّكْبَةِ
دُوْقِرِيٌّ	دَاءٌ فِي قَصْبَةِ السَّاقِ

« خ »

مَدُوْ	خَانَ ، خِيَانَةٌ
--------	-------------------

دار السلطان	دُرَا
دايرقاش يوضع حول الخيمة	طُرْلُكْ
لمنع الريح والتراب	كُوَا
دَم	دِمْلِيچ ، والجمع : دَمَالج
دُمْلُج	

« ذ »

ذُباب	دَاوِي
ذَقْن	أَصْو
ذَهَبْ	داف

« ر »

رَأْس	تَبُو
رِتَاج ، عارضة من الخشب	رِتَاج
يفلق بها الباب	
رَجُل	وَدَاي

ردىء	دَايَا (عن الشيخ)
رَعْد	حِيّئِي
رَعِشَة ، صَرَع	كُوتُو
رُفَات	غُزِيل
رَفَع ، حَمَل	دَارُو
رَفَع ، حَلَع	جِيَسُو ، كِيَلَا
	جِرَانِيچ

رَفِيع ، دَقِيق	مَنْدَر
رَقَبَة	كُويِي
رَقَصَ	كَأُولِيه
رَقَصْ (أنواع منه)	تَنْدَجِيَه ، دَلُو كِه ، جِيل

	لَنْقِي ، شَكَنْدَرِي
	بَنْدَلَه ، تُوَزِي
	تَنْدَنْجِيَا (عن الشيخ)

رَمَل	سُرُو
رِيكَة (لهجة سودانية) ، قُفَّة	رِيكِه
(لهجة مصرية)	

رئيس الشبان في البلدة	وَرَنَانِيچ
رئيسة النساء في البلدة	مِيرَم

« ز »

زَبْدَة	دَيِي
زَرَفَة	أُوَز
زَهْرَة	دُور
زَوْجَة ، امْرَأَة	يَنْكُويِه
زَوْجَة السلطان الأولى	يَاكُورِي

« س »

ساخن ، حَرَّ	تُكِيَلَه
--------------	-----------

سَاقٍ	فَرِنَا	« ش »
سَمِعَ ، أَسَدَ	مُورُو	شَابُ
سِنَّةٌ	أَوْصَانْدِيكَ ، سَدَاسِي	
سَحَابَةٌ	كُتُو	الْشَتَاءُ
سَقَطَ ، وَقَعَ	فَوِيَهْ	شَجَر (أنواع منه)
سَلامَ ، تَحِيَّةَ	دُونَجِيَهْ	جُوخَان
سَلامَ سَلامَ	دُونَجِيَهْ رَاي دُونَجِيَهْ	هَجَلِييَح
	(رَاي : حَشُوْ لَامَعْنَى لَهُ)	نَلِيكِيَح
سَلَّةٌ	يُفُون	حَشَاب
سَمَاءٌ	سَمَا	كِيَر ، طَانَح ، لَوُوت ،
سَمَكَةٌ	فُونَهْ	شَاو ، حَرَّاز
سَهْمٌ ، نَشَابٌ	نَشَاب	دَايُوق
سُوءٌ	رَحِيّ	كُرُو
سور خارجي من الشوك	زَرِيْبَةٌ	بَطْلُوم
سور داخلي قريب من البيت	صَرِيْف	شَدِيْد ، صَارَم ، صَلْب ،
سُوَّاسُ الْخَلِيلِ	كُوْرَايَات	نَاشَف
سَيَافٌ ، جَلَادٌ	كَبَرَهْتُو	شَرَبَ
سَيِّدَةُ الشَّرَفِ فِي حِفْلِ الزَّوْاجِ	مَبْرَم (عن الشيخ)	شَرِيْط من القماش تستعمله
سِرْ جِلْد	وَحِييَح	النِّسَاء لِسْتَرِ الْعَوْرَةِ
سَيْفٌ	سَارُ	شَعَر
سَيِّءٌ ، رَدِيءٌ ، السُّوءُ .	رَحِيّ	شَنَّة
الْأَذَى		شَفِيْ

الشمال (جهة)
شمس

ريج
دولا

« ط »

طار ، دُفّ (آلة موسيقية)	برَدِيَه
طائفة الصيادين	دَرَامِدَة ، والمفرد: دَرْمُودِي
طبل كبير	دِنْقَار
الطبول السلطانية	نَقَارِيَه
طبيب عيون	شَلَانِج ، [والجمع: شَلَانَجِين]
طَرِي	خِيءُوكِيَه
طعام (نوع منه)	كُنْيَا كُنْيَا
طويل	كُرَا
طَير ، عصفور	أَزِينَجَا

« ظ »

ظُفَر	كُرُنْجِيَه
ظِلّ	نَمَا
ظُفَر	ضَهْر

« ع »

عَارِضَة من الخشب يُغْلَق	رِتَاج
بها الباب	
عارضة خشبية يُحْمَل	بَلْدَايَا
عليها السقف	

« ص »

صَاح	أُرُوكَرُورُ
صارم	كُو
صباح	صَبَاح
صَدْر	كُورَنْجَا
صَرَع ، رِغْشَة	غُزِيل
صَغِير	أَتَجِه
صَلَب ، شديد ، صارم	خِيءُور
	كُو (عن الشيخ)
صُوف	نَلُو
صياح ، هتاف	كُرُورَاك ، رَكَرَكِه
صياد	دَرْمُودِي

« ض »

ضَان	دُولِيَه
ضَبَاط قضائيون	كَبَرْتُو
ضَبْع	دَاه ، تَرُو
ضَخَم	بَرُورِي

عَبْدُ أَسْوَدَ	سَدَّاسِي	عَنْز	دَاوُ
عَبْرَ ، اجْتَازَ	جَوَا	عَوْرَةَ الرَّجُلِ	دَاكُو
عَجَلُ	نُونَجِي	عَوْرَةَ الْمَرْأَةِ	سَيَرِيَّتَهُ
عَجُوزَ	يَتَوَي	عَيْنَ	كُونِي
عَجِيزَةٌ	دُبَا		

« غ »

الْعَرَضُ أَوْ الِاسْتِعْرَاضُ	حِلْدَنَجَا	غَدَا ، بَاكِرَ	أَلَلْ
السايطاني	جَلْدَنَجَا (عَنِ الشَّيْخِ)	غَزَالُ	فِرَا
عَسَلُ نَحْلِي	نَاسُو	غَنِيَّ	شَبْعَانُ
عَشْرَةٌ	وَيَّيْهِ	غَنِيَّ	كُونَهُ
عَصَا مِنْ الْخَشَبِ عَلَى شَكْلِ	سَقْرُوكَ		
حرف T			

« ف »

عُصْفُورُ	أُرَيْنَجَا	الْفَجْرُ	تَوْدِكُورِي
عِطْرُ (أَنْوَاعٌ مِنْهُ)	سُنْبُلُ ، مَخْلَبُ ، كَعْبُ	فَخِذُ	دُبُولُكُ
عَطَفَ عَلَى ، حَنَا عَلَى	الطَّيِّبُ ، شَيْبُهُ	فُرُوعُ شَجَرٍ تُمَضَّغُ أَوْرَاقُهَا	شَعْلَابُوبُ
عِقْدُ (أَنْوَاعٌ مِنْهُ)	رَنْدَلُ	لِتَزِيلِ رَائِحَةِ الْخَمْرِ	مَسْكِينُهُ
	مَنْصُوصُ ، رِيشُ ، قَاوُ ،	فَقِيرُ	أَنْدُو
	عَقِيقُ ، مُدَرَّدَمُ ، سُوْمِيَّتُ ،	فَمُ	فَرَدَهُ ، مُنْزَرُ ،
علامة الجمع	دَمُ الرَّعَافِ	فَوَطَةُ حَزَامِ	دُرَاعَهُ ، تُكِّيَّهُ
عُمْلَةٌ عَلَى شَكْلِ حَلَقَاتٍ	نَجَا ، إِنْجَا		أَنْجِيرُ
مصنوعة من القصدير	تَارَنِيهِ		
عِنْدَ ، لَدَى	إِنْ	فِيلُ	

« ق »

قَمَاشٌ يَسْتَعْمَلُ فُوطَا

شِيكِهِ ، كَتَكَات

قَمَح

قَمَا

قَمَر

دَوَال

قَمِيص

جُورِي

قَهْرَمَانَاتِ السُلْطَانِ الْعَجَائِزِ

حَبَّوْبَاتٍ ، وَالْمَفْرَدِ : حَبَّوْبَهُ

قَوْز (كَثِيبٌ مِنَ الرَّمْلِ)

قَوْز

« ك »

كَبِير

أَبْنَى

كَتِف

كَدَّابَهُ

كَلْب

شَو

كُم (ضَمِيرُ الْمُخَاطَبِينَ)

دُزَيْن

كُوْنَحٌ لِلْكَسْنَى (أَنْوَاعٌ مِنْهُ)

سُوْكَدَّابَهُ ، تُسْكُنَتِي

كَرْنَك

كُوع

كَيِي

كَوْكَب

أُورُنِيَا

كَوْلِيْرَا ، هَيْضَةُ

هَيْضَه

« ل »

لَا ، كَلَاً

تَلَا

لَبَن ، حَلِيب

بُورَا

لَحْم

نِنُو

قَائِمٌ خَشْبِيٌّ يَسْتَعْمَلُ فِي دُرُزُوِيَه

بِنَاءِ الْمَسَاكِنِ

قَدَم

تَارَ ، وَاجْمَعُ : تَارُنْجِيَا ،

تَارُنْجِيَا ، إِيْنَاَر

تَارُنْجِيَا (عَنِ الشَّيْخِ)

قَدِيدٌ ، لَحْمٌ مَحْفُوفٌ فِي الشَّمْسِ

قَدِيد

حِجِّي

قَذِر

كُورُو

قِرْد

قَرِيبُ السُّلْطَانِ ، أَخُو السُّلْطَانِ

بَابِي (عَنِ الشَّيْخِ)

حَلْفَيْنِ

قَسَمٌ ، يَمِينٌ

دُرَا

قَصْرُ السُّلْطَانِ

بِسْ

قَطَّ

لَا حِيَّ ، نَرِيَه

قُطُن

رِيَكِه

قُفَّةٌ (لَهْجَةٌ مِصْرِيَّةٌ) ،

رِيَكِه (لَهْجَةٌ سُوْدَانِيَّةٌ)

كَلَمَه

قَلْب

قَمَاشٌ (أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنْهُ)

سَار

أُورُنِيَا

قَمَاشٌ (أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنْهُ)

شَوْتَرُ ، عَيْكُ ، تِيكُو ، قُدَانِي ،

تُكَايَه ، وَاجْمَعُ : تَكَاكِ

تَسْتَعْمَلُ شَبَهَ عَمَلَةٍ لِلتَّبَادُلِ

لحية	فَرُو	مَرَضُ السَّيْلَانِ	حَقِيل
لسان	دَالِي	مَرَضُ الصَّرَعِ	غَزِيل
لُفَّة	دَالِي	مَرَضُ الْقَمِّ عِنْدَ الْأَطْفَالِ	أَمَّ صَقْع
لقب تشریف	تَكْنِيَاوِي (١)	مِرْفَق	كِئِي
كَلِيل	نَتِّيَه	مَرْكُوب	مَرْكُوب
« م »			
ماء	كُورُو	مَسَاء	كَنْيُو
مات	وُئِي	مَسَاكِنُ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ	سُومِينْدَقْلَه
مجرى ماء ، جدول	سَرْف ، سَرْف	يُعَدُّونَ لوظائف الدولة	كَمْكُولَاك ، والجمع :
مجلس	مَجْلِس	مَسْتَشَار قَضَائِي	كَمَا كَلَه
مجموعة من الطبول	دَاوُكَه	مَسْخَرَة ، خَلْبُوص	مُوحِيَه
مخارة	أَحِيرَا	مَسْكَن	تُونِيح ، سُوم
محصل الضرائب	جَبَائِي	مَسْكَنُ أَبْنَاءِ السَّلْطَانِ	تُونِيحُ بَاسِي دَقْلَه
محل إقامة السلطان	فَاشِر	مَسْكِين	مَسْكِينَه
محل الديوان	لَقْدَا بَه ، رَاكُوبَه	مَشْرُوب (نوع منه)	دِينَزَايَا
مدينة ، بلدة	حَلَه ، حَلَقَه	مَشْرُوب أَحْمَر (أنواع منه)	مِزْر ، أَمَّ بُلْبُل
مرض الجذام	جُزَام	مَشَى	إِلُو
مرض الحصبة	حَصْبَا	مَصَارِين	كُرْتِيَجِيَه
مرض الحمى	وَرْد ، أَوْ : وِرْدَة	مَطَر	كُويَه
مرض الحمى القُرْصِيَّة	بُرْجُوك		

(١) معناه : الذراع الأيسر أو الجناح الأيسر للسلطان .

مطر خفيف ، ينزل أول

الرُشاش الحريف

مِعْزَى دَاوْ

مَغْصَ مَعْوَى هَبُوب

مِكَتَل ، زَنْبِيل مصنوع من مِكَتَل

خوص شجر الدوم

ملح

ملح سائل

من حيث أن

منزل ، مسكن

الموت

موظف الجمارك

كِرَا

كَنْبَسُو

صَقَل

أُورُو، تُوْنِيح (عن الشيخ)

وَتَى

كُوَار

« ن »

نَا (ضمير متصل)

نار

ناس ، أناس

ناشف ، جاف

نَامَ

نَبَات

نبات لعلاج أمراض العيون

نَجْم ، كوكب

نَحْنُ

دَا يَنْبِيح (عن الشيخ)

أُوتُوْنِيح

دَقْلَه

وَقْيَه ، كُوْ

أَنْبَحُو

دَايْ

دَقْرَه

أُورِنْيَا

رَكِي

نَخْلَة

نَشَاب

نَظِيف ، خاصّ

نَعَامَة

نَعْل ، صندل

نَعَم

نَمَ (فعل أمر)

نَمِر

نَهْزِر

سَنْدُون كُرُو

نَشَاب

فَتَّائِي

سُومُو

كَأُولَه

أَلْنَجِيُوَا ، أَي (عربية)

سُور

فُؤْلَنْجِيَه

بَاوُو

« ه »

رَكَرَكَه ، كَرُورَاك

نَا

نَتَو (عن الشيخ)

بِسْ

وَيْكَة دُودَرِي

إَيْنْ ، كَيْنْ

نَجَا (عن الشيخ)

هَلَا

دَاوَلُو

تَخْت رَوَان

هَتَاف ، صياح

هَذَا ، هَذَا هُوَ

هَذَا هُوَ الْيَوْمَ ، هَذَا هُوَ النَّهَار

هَرَّ

هَرِيَسَة عِظَام ، عِظَام مَدْقُوقَة

هُم (ضمير متصل)

هَنَّاك

هَوَاء

هُودَج ، تَحْتَ رَوَان

«و»

وراء ، خلف

وسخ ، قدير

وقع ، سقط

ديك

جري جرانبيح

تارنجيا جيسو

صبح جلتو (عربية)

كوني

ودع (عن الشيخ)

ضفر (عن الشيخ)

واحد

وجبة العشاء (أنواع منها)

وجه

ودع المسبحة الصغير

ودع مستطيل

«ي»

كا

ثرونيا

أسلاله

ياء المتكلم

يد

يوم

الفاظ عربية - فوراوية - رونيكاوية

لاحظ جومار أن مفردات اللغة في دار رونيكاوية المتاخمة لدارفور تختلف كل الاختلاف عنها في دارفور . ووجد أسماء العدد على سبيل المثال تختلف تماما في كلتا اللغتين فأوردها مثالا لذلك هنا ، كما أورد بعدها خمسة وعشرين كلمة أخرى ، نقلا عن التونسي وعن براون (١) .

اللفظ العربي	معناه في دار فور	معناه في دار رونيكاوية
واحد	دِيك	كِدْنَدَه
اثنان	أُو	امِرْ
ثلاثة	إِس	أَتَكْ
أربعة	وَال	مَنْدِرْ
خمس	أُس	»
ستة	سَدَاسِي	سُبُورْتِكِيدَه
سبعة	سَبَاه (عربية)	أُو
ثمانية	تَمَانِي (عربية)	سَبَاتِيئِسْ
تسعة	تِسَّاه (عربية)	أَتِهْ
عشرة	وَايَه	بُوفْ

(١) راجع : Voyage au Darfour, préface LII

معناه في دار رُونِيحَه	معناه في دار فوز	اللفظ العربي
نَسُو	كَلُو	أَذِنَ
أَنْذَرَانِيح	دِكُو	أَزْرَقَ
دَتَا	فُويَا	جَبَلَ
دِسِي	دِيدُو	حَبَّرَ
سُيُوك	كُور	حَرَبَ
فِلَاه	أَرْكَمَه	حَصَان
حُسْنَدِيَه	لِيل	حَمَار
أَنْجَم	آرَه	خَشَب
كَمَرِيَه	وَدَاي	رَجُل
كَنْيُونِيح	فُونَه	سَمَكَة
أَنْيَسِيح	دُولَا	شَمْس
تُجِي	نَاسُو	عَسَل
كِدِي	أَرْيَنْجِيَا	عَصْفُور
خَسُو	كُونِي	عَيْن
إِتَار	تَار	قَدَم
	تَارِنِيَا	
مَدْنِيح	دُوَال	قَمَر
مِنِيح	أَسُو	كَلْب
مَسِيش	نِنُو	لَحْم
تَا	كُورُو	مَاء

اللفظ العربی	معناه فی دار فور	معناه فی دار رُونِیَہ
مَظَر	کُوَیہ	کَنِیَہ
منزل	أورو	تُونِیَہ
نار	أوتُونِیَہ	نِسیک
نجم	أورِنِیَا	بِیْتِیَہ
نعل	کولَا	بُرو
یَد	تُرِنِیَا	تُسُو

الفاظ وعبارات عربية — فوراوية

جمعت عن أهل جبل مَرَّة أثناء الرحلة التي قننا بها إلى دارفور في شتاء عام ١٩٦١

عربي	فوراوى	عربي	فوراوى
أب	بَابَا	أم	إِيَا
أبيض	فَتَا	امراة	ذُونِيَا
أحمر	فُكَا	أمس	أَرَا
أخ	بَرَا	أنتَ	جِي
أخِي	ذَوِين بَرَا	أنتم ، أنتن	بِي
أخ أكبر	بَاي	أنف	سُبْرُك
أخت	دَدَا	بطن	ذَبُو
أخضر	كِرْو	بفنة ، جَلَابِيَّة	وَذِن
أذن	دِلُو	بقرة	أُو
أزرق	دِكُو	بنت	وِينِيُو
أسد	مُورُو	بيت	تُونِيح
أسود	دِكُو	ثعلب	بَرْنِيُو
إصبع	تُورِي	ثور	تُونِيح
أصفر	فُوَا	جدّ	أُوو

عربی	فوراوی	عربی	فوراوی
جَدَّة	أَبُو	شمس	دَلِيه
جدید	دِيوِي		(الجمع : دَلِينْجِيَا)
جَلَابِيَّة	وَذِن	طویل	كُرَا
جَمَل	كَمَل	عافل	تَلِيه
حاجب العين	إِرْمُو	عَمَّ	بَا بَم بَرَا
حصان	مُورْتَا		(أى : أخو الأب)
حطب	آرَه	عَيْن	نَمِي
خال	مَامَا	فَار	دُدُو
خالة	كَالَا	فَحَم	مِنْنُو
خشب	آرَه	فَرَس	مُرْتِي
دجاجة	دَوْحِيَا		(الجمع : مُرْتَنْجِيَا)
دِيك	زُونْجِيَا	فَم	أَدُو
ذئب	تُورُو	قَدَم	تَار
رأس	تَبُو	قَدِيم	تَسْوِي
رَجُل	دُونْجِيَا أَبَا	قَصِير	مُبْتِيه
	(الجمع : أَبَنْجِيَا)	قَط	بِن
رقبة	كُوِي	قَر	دُوَال
زوجة	دُونْجِيَا	كَبِير	أَبْثُو
سمين	بُورُو	كَلَب	أَسَا
شعر	نِيلُو	مَاء	كُورُو

عربي	فوراوى	عربي	فوراوى
ماعز	ديو	هذا الرجل	این دُونِیچ ابا
مجنون	أل	هذه المرأة	این دُونِیا
مرفق ، كوع	كى	هم ، هن	اینیچ
نار	أدُونِیچ	هو ، هي	یسی
نجم	أرى	هواء	دَاوُلُو
	(الجمع : أرينجيا)	هؤلاء	کِنِیچ
نحن	كى	هؤلاء الرجال	کِنِیچ أبنجيا
نخيف	مندیين	هؤلاء النسوة	کِنِیچ یانجيا
نساء	إيانجيا	هي	یسی
نعجة	مُرى	وَ (واو العطف)	نَا ، ن ، نَ
نور	جَارَا	يد	دُونجيا
نملة	دَائى	يد ورقبة	دُونجيان كوى
هذب	إِرمُو	قط وفأر	بِسْ نَا دُدُو
هذا ، هذه	این		

الأعداد

واحد	ديك	ستة	أَوْصَنْدِيكْ
اثنان	أُو	سبعة	سَابِ
ثلاثة	إيس	ثمانية	تَعْنِ
أربعة	أُونجِيل	تسعة	تِيسِ ، تِيسِ
خمس	أوسْ	عشرة	ويه

عربي	فوراوی	عربي	فوراوی
أحد عشر	وی نَ دیک	أربعون	وینجیا أونجیل
اثنا عشر	وی نَ أو	خمسون	وینجیا أوس
ثلاثة عشر	وی نَ إیس	ستون	وینجیا أوصندیک
أربعة عشر	وی نَ أونجیل	سبعون	وینجیا سآب
خمة عشر	وی نَ أوس	ثمانون	وینجیا تمَن
ستة عشر	وی نَ أوصندیک	تسعون	وینجیا تیس
سبعة عشر	وی نَ سآب	مائة	فری
ثمانية عشر	وی نَ تمَن	مائتان	فرنجیا أو
تسعة عشر	وی نَ تیس	ثلاثمائة	فرنجیا إیس
عشرون	وینجیا أو	أربعمائة	فرنجیا أونجیل
ثلاثون	وینجیا إیس	خمسمائة	فرنجیا أوس

الضمائر المنفصلة

أنا	کا	نحن	کی
أنت	جی	أنتم، أنتن	بی
هو، هي	یسی	هم، هن	اینیح

عربی	فوراوی	عربی	فوراوی
تصريف الافعال			
(مضارع)			
أنا آكل موزًا	کا موز آم	نحن نأكل موزًا	کي موز کام
أنت تأكل »	جی » جام	أنتم تأكلون »	بی » بام
هو يأكل »	بی » آم	هم يأكلون »	اینیچ » کای
(ماض)			
أكلت موزًا	کا موز اُمی	أكلنا موزًا	کی موز گمی
أكلت »	جی » جَمی	أكلتم »	بی » بَمی
أكل »	بی » اُمی	أكلوا »	اینیچ » گَمی
(مستقبل)			
سأكل موزًا	کا موز نَشیچ اُم	سأكل موزًا	کی موز نَشیچ گم
سأكل »	جی » جَم	سأكلون »	بی » بَم
سأكل »	بی » اُمی	سأكلون »	اینیچ » گَمّا

كشاف
كتاب تشييد الأزهكان بسيرة
بلاد العرب والسودان
للنوينسى

فهرس

أسماء الأعلام والبلاد والأماكن

- | | |
|--|--|
| ابن خلدون : ٥٤ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٨ هـ . | آدم (السلطان) : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، |
| ابن دريد : ٤ . | آدم بوش (الوزير) : ٣٩٥ . |
| ابن سعيد : ٥٤ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٨ هـ . | الاستانة : ٣٨٠ . |
| ابن فضل الله العمري : ١٣٤ هـ . | آل عثمان : ١٧٩ . |
| أبو البشر (الأمير) بن السلطان حسين : ٣٩٥ . | أب درق : ٣٧١ . |
| أبو بكر (شيخ الجبل) : ١٥٦ . | أب سنون (قبيلة في وادى) : ٢٦٥ . |
| أبو بكر الصديق : ٧٧ . | ابراهيم (الفقيه) : ١١٧ . |
| أبو الجدول : ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ١١٦ ، | ابراهيم الرياحى (الشيخ) : ٢٥ ، ٢٩ . |
| ٢٨٣ ، ١٥٢ . | ابراهيم ود رماد (الأمين) : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٩ ، |
| أبو الخيرات (الأمير) : ٣٩٨ . | ١٣٠ ، ٢٠٨ (خريطة) ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، |
| أبو زعبل : ٤ ، ٤٣ ، ٣١٢ . | ٣٨٦ ، ٣٨٧ . |
| أبو زيد الهلالي : ٣٦٩ . | ابراهيم بن محمد حسين (السلطان) : ٣٧٢ ، |
| أبو عسل : ٧١ . | ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ . |
| أبو فاطمة (بلدة) : ٨٥ هـ . | ابراهيم بن يوسف (سلطان وادى) : ٣٩٠ |
| أبو فهر : ٢٣ ، ٢٤ . | ابن أبى الضياف : ٢١ . |
| أبو القاسم بن السلطان أحمد بكر : ٧٣ ، ٧٤ ، | ابن بطوطة : ١٣٤ هـ ، ١٣٧ هـ . |
| ٩٧ هـ ، ٣٢٤ ، ٣٧٣ ، ٣٨٥ . | ابن حجر الشافعى (الامام) : ٤٦ . |

أبو الكليلك : ٣٩١ .

أبو مدين (الأمير) : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٩١ .

الأبيض : ٣٥٢ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .

أحمد (السلطان) : ٣٧١ .

أحمد باشا جركس (أبو ودان) : ٣٥٦ ، ٣٦٤ ، أحمد البدوي (السيد الشريف) : ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ١٦٢ .

أحمد بكر (السلطان) : ٦٣ هـ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ هـ ، ٣٧٢ ،

٤١٣ .

أحمد البنزرتي : ٣٦ .

أحمد تيراب : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

أحمد اللردير : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

أحمد زروق : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٣٣٣ .

أحمد شطة : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

أحمد الصغير (السيد) : ٥٦ .

أحمد الغزالي (سلطان وادي) : ٣٩٠ .

أحمد الفاسي : ٢٩٣ .

أحمد العقور (سفيان) : ٨٣ ، ١٤٥ هـ ، ٣٦٧ ،

٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩٧ .

أحمد ود جراب الفيل : ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

أحمد ود طه : ٤١٢ .

أحمد ود عدلان : ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

أحمد بن سليمان الأزهرى : ٣٢ .

أحمد بن عمر التونسى : ٣٥ .

أحمد بن عيسى : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

أدجز ، انظر : أغاديس .

أدريس (السلطان) : ٣٧١ .

الأدريسى : ٥٤ هـ ، ١٣٨ هـ .

أدقر انظر : أغاديس .

أدموه : ١٣٣ هـ .

الأرناؤوط : ٣٦٣ .

الأزهر : ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩٣ ، ٤١١ .

اسحاق (من أهل واداي) : ٣٣١ .

اسحاق الخليفة : ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

١٠٣ هـ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٥٣ ،

٣٢٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .

اسحاق قابا : ٢٠٨ (خريطة) .

اسكندرية : ٩ ، ٣٢ ، ٣٥٣ .

اسماعيل بن محمد على (الأمير) : ٣٩١ ، ٣٩٣ ،

٣٩٤ .

اسماعيل بن محمد بن ميكال : ٤ هـ .

أسمور : ٣٧١ .

أعجام الفور : ١٤٤ ، ١٦٥ ، ٢٢٤ .

أغاديس أو أدقر أو أدجز : ١٣٤ .

أفريقيا : ٦٣ هـ .

الأقطار المصرية : ٣٤ .

اقلينا (أخت قابيل) : ٢٤٩ .

الألفى : ١١٨ .

أم بعوضة : ٦٧ ، ٦٩ .

أم حبيب ، انظر : اياكرى كنانة .

أم درمان : ٨٨ هـ ، ١٦٥ هـ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٩٨ .

أم سلمى (بنت السلطان عبد الرحمن الرشيد) : ١٢٩ .

أمبوس ، انظر : أنبوسة .

امرؤ القيس : ٤٤ .

أمين حامد : ٢٠٨ (خريطة) .

أنبوسة (أم السلطان محمد فضل) : ١٠٢ ،

٢٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ .

انجلاتيرة : ١٦ .

أوربا : ١٥٦ ، ١٦٠ ، ٢١٤ ، ٣٠٦ ، ٣٥٣ .

أيا صوفيا : ٢٥ .

اياكرى كنانة : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٩٢ .

(ب)

باب المعلى : ٣٣

باجرمى ، انظر : باقرمه .

بارت : ٧٦ هـ ، ١٣٣ هـ .

بارة : ٨٨ هـ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ .

باريز : ٣٣٩ .

باسى ريز ، انظر : ريز .

باسى ريز ، انظر : ريز .

باسى طاهر ، انظر : طاهر بن السلطان أحمد
بكر .

باسى عوض الله : ٧٠ ، ٧١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ .

الباقرمه (مملكة أو سلطنة) : ٧٤ هـ ، ١٣٣ ،

١٣٥ ، ١٣٥ هـ ، ١٤٩ هـ ، ٢١١ ، ٢٦٥ .

باية : ٣٧٠ .

البجه : ٨٥ هـ .

بجرمى ، انظر : باقرمة .

بحر الجباى : ١٠٦ .

بحر الجبل : ١٤٠ هـ .

بحر الغزال : ١٠٢ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٤٠ هـ ،

١٤١ هـ ، ٣٨٠ ، ٤١٢ .

بحيرة تشاد : ٧٤ هـ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ ،

١٣٥ هـ .

بخيت بن آدم بوش : ٣٩٥ .

بدوى بن السيد أحمد بدوى : ٥٦ .

البديات : ٢٨١ .

البديرية : ٨٥ هـ ، ١٤٠ هـ .

البربر : ١٣٤ هـ .

البرتي : ٨٤ هـ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ،
١٥١ ، ١٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٨٣ .

البرجوب : ١٤٠ .

البرقد : ٧٦ ، ٨٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ،
١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ،
٣٧٠ ، ٣٧٦ .

برقو ، انظر : دار برقو .

البرقو (قبيلة) : ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٦٤ ،
٣٩٠ .

بركة الرطلى : ٢٨ .

برنسو : ١١٦ هـ ، ١٣٣ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٥ ،
١٣٧ هـ ، ١٤٩ ، ١٥١ هـ ، ١٧٧ هـ ، ٢١١ ،
٢٦٥ ، ٣٩١ .

براون (الرحالة) : ٣٨٢ .

بستان أبى فهر : ٢٣ .

بستان منوبة : ٣ .

البسوس : ٢ .

بفسداد : ١١ ، ٣٦٧ .

البقارة : ٨٥ هـ ، ١٠٣ هـ ، ١٤٢ .

بكرلوكو : ٣٢١ ، ٣٢٢ .

بلاد التروج : ٨٤ ، ٣٧٥ .

بلاد الريح ، انظر : دار الريح .

بلاد العرب : ٥ ، ٢٥٨ .

بلاد المغرب : ١٣٤ هـ ، ١٥٦ ، ٢١١ .

البلالة : ١٣٣ هـ .

بلدانجا : ١٥٠ هـ .

بنجا : ١٣٦ هـ .

بندلا : ١٣٦ هـ .

بنه : ٣٧٠ .

بنو جرار : ١٤٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،
٣٥٠ .

بنو حسين : ٣٧١ .

بنو حفص : ٢٤ .

بنو حلبه : ١٣٩ ، ١٤٢ هـ ، ١٤٥ ، ٣٧١ ،
٣٨٧ .

بنو العباس : ٣٦٧ .

بنو عمران : ١٤٠ ، ٢٨٢ .

بنو فزاره : ٢٨٣ هـ .

بنو هلال : ٨٣ هـ ، ٨٤ هـ ، ١٤٥ هـ .

بنو هلبة ، انظر : بنو حلبه .

بنى على : ٤٧ ، ٥٢ .

بوا (واد شمالي دارفور) : ١٠٨ .

بوش بن محمد فضل (الأمير) : ٣٩٧ .

بولاق (بلد) : ٤٨ .

بولاق مصر : ٤٨ .

بونابرت : ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

البيت الحرام : ٧ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨ .

بيت النحاس : ٢٠٦ ، ٢٠٨ (خريطة) .

بشر تولو : ٣٧٨ .

بشر الزغاوى : ٥٣ ، ٢٩٩ .

بئر سليمة : ٥٠ .

بئر السوينة : ٥٤ .

بئر المزروب : ٥٤ ، ١٣٦ ، ١٤١ .

بئر الملحسة : ٥١ .

بئر النظرون : ٥٠ ، ٥١ ، ٣٨٠ .

بيريس ، انظر : أبريس .

البيقو : ٨٤ هـ ، ١٠٢ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ ،

١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٣٧١ ،

٣٨١ .

بينجه ، انظر : دار بينجه .

بيرون : ٤ ، ٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٤ ، ٣٣٩ .

(ت)

التاجوين او التاجو ، انظر : الداجو .

تارنييه : ٦١ .

تالدوا : ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٤١ .

التاما : ٢٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ .

تبستى (جبال واقليم) : ٢٦٥ هـ .

تبلدية : ١٠٥ ، ١٤١ ، ١٤٤ .

التبو ، أو : تدا : ٥٤ هـ ، ٢٦٥ هـ .

تجابو (تلال) : ١٠٠ هـ .

تدا ، انظر : التبو .

ترجه (مضيق) : ٣٨٠ .

ترقنك محمد : ٢٥٦ .

الترك : ١٦٠ ، ١٨٨ .

ترة ، أو : طرة : ٨٤ هـ ، ١١٣ هـ ، ٣٨٠ .

التروج (بلاد) ، انظر : بلاد التروج .

التروج (جبل) ، انظر : جبل التروج .

تشاد ، انظر : بحيرة تشاد .

التعايشة : ١٤٢ هـ ، ٣٧١ .

التكاير : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ .

تكرور : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ .

تمبكتو ، انظر : دار تمبكتو .

تمرو الفلانى (الفقيه) : ١١٧ ، ٢٨١ ، ٣٢٥ ،

٣٢٦ .

التموركة : ١٤٣ هـ ، ١٤٤ ، ١٤٥ هـ ، ١٥٠ ،

١٦٥ ، ١٨١ ، ٢٦٤ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ .

تمبكتو ، انظر : دار تمبكتو .

التنجور : ٧٤ هـ ، ٨٤ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ ،

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢٦٤ ، ٣٧٣ .

تندلى : ٦٤ ، ٧٠ ، ١١٤ ، ١٤١ ، ١٥٢ ،

٢٠١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ،

٣٦١ ، ٣٧٠ .

التهامى (أبو الحسن) : ٣٥ .

تورفيجه : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

تولو ، انظر : بئر تولو .

توم (السلطان) : ٣٧١ .

تونج باسى (بيوت الأمراء) : ٣٤٥ .

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٢٠٣ هـ ، ٢٢٣ هـ ،
 ١٣٨ هـ ، ١٣٩ هـ ، ١٤٣ هـ ، ١٤٤ هـ ، ١٤٥ ؛
 ٣٠٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ؛
 ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٤٠٩ ،
 ٤١٠ .

الجبلاويون : ٣٧١ .

جد العيال (رئيس الفلان) : ١٢٦ .

جلو : ١٠٠ .

جدة : ٣٠ .

جديد راس القيل : ٥٥ هـ ، ١١٤ ، ١٤١
 ١٤٤ ، ٣٠١ .

جديد السيل : ٥٥ ، ٧٠ ، ٢٠١ .

جديد كرىو : ٥٥ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ٣٢٥ .

جركو ، أو : جر كول : ١١٠ ، ٣٤٨ .

الجزائر : ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ .

جزيرة سنار أو جزيرة النيل الأزرق : ٣٠ ،
 ٣١ .

الجزيرة العربية : ١٣٩ هـ .

الجعليون : ٨٥ هـ .

جمال (السيدة ، ابنة عم السيد أحمد بدوى)
 ٥٣ .

الجمر : ٧٤ هـ .

جهينة : ١٣٣ هـ ، ١٣٩ هـ .

الجوامعة : ٧٤ هـ .

تونس : ٧ ، ٩ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ،
 ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٦٧ ، ١١٦ ،
 ١٣٤ هـ ، ٢٥١ ، ٣٣٢ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ .
 تونسام (المسبع) : ٨٣ ، ٨٤ ، ١٣٣ هـ ، ٣٧٥ .
 تيراب (السلطان) : ٦٢ هـ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ هـ ،
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ هـ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
 ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٦٥ هـ ،
 ١٩١ ، ٢٥٣ ، ٣٢٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ؛
 ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤١١ .

ج

الجامع الأزهر ، انظر : الأزهر .

الجامع الأموى : ٢٥ .

جامع أيا صوفيا : ٢٥ .

جامع القرويين : ٢٥ .

جبال الثوبا : ٨٤ هـ ، ١٠٣ هـ ، ٣٥٧ .

جبرائيل : ٢٤٨ .

جبل تامه : ١٤٩ ، ٣٣٣ .

جبل التروج : ١٠٣ .

جبل تقلى : ٨٤ هـ .

جبل حريز : ٧٦ ، ١٣٩ هـ .

جبل سى : ١٤٣ هـ ، ١٤٥ هـ .

جبل مرة : ٦١ ، ٦٣ ، ١٣٠ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ هـ ،

١٣٨ هـ ، ١٣٩ هـ ، ١٤٣ هـ ، ١٤٤ هـ ، ١٤٥ ،

١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،

جوجة : ٣٧١ .

جولتو ، انظر : حلة جولتو .

ح

الحاج عبد الفنى : ٣٧٦ ، ٣٧٨ .

الحاج محمد صالح ثروة الجعلى : ٣٩٦ .

الحاج نور : ٢٧٧ .

حام : ٤١ .

الحيانية (الهبانية) : ١٤٢ ، ٢٩٥ .

حبيب (ابن السلطان تيراب) : ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

١٢٤ ، ١٢٥ .

الحجاج : ٨ .

الحجاز : ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٢٧٤ ، ٣٦٩ .

الحرمان الشريفان : ٤ ، ٣٥٤ .

الحريرى (أبو القاسم) : ١٣ ، ١٧ .

حريز ، انظر : جبل حريز .

حسب الله جران (الأمين) : ٩٤ ، ٩٥ .

حسب الله بن محمد فضل (الأمير) : ٣٩٧ .

حسن باشا : ٣٥٦ ، ٣٦٤ .

حسن الكو (الشيخ) : ٢٥٤ .

حسن ود عووضه (الفقيه) : ١١٦ .

حسين باشا : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

حسين عمارى الأزهرى (الشيخ) : ١١٧ ،

٢٠٨ (خريطة) .

حسين ود تورس (الفقيه) : ١١٧ .

الحكومة المصرية : ٣٦٩ ، ٣٩٧ .

حلق الواد : ١٩ ، ٢٤ .

حلة جولتو : ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩ .

حليمة (جارية مكادية) : ٣١ .

حمر (قبيلة) : ١٠٣ هـ ، ٣٧١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

حمودة باشا (أبو محمد) : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ،

٢٥ .

حميدة (اسم جارية) : ٦٦ .

حواء (الميرم ، بنت السلطان عبد الرحمن

الرشيد) : ١١٦ ، ١٢٩ ، ٢٠٨ (خريطة)

٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الحوصا (أو : الهوسا) : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ .

١٣٤ هـ .

خ

الخارجة (الواحة) : ٤٧ ، ٤٨ هـ .

الخرطوم : ١٣٧ هـ .

خط الاستواء : ١٦٦ .

الخليفة ، انظر : اسحاق الخليفة .

الخليل (بلدة) : ٢١٦ .

خليل بن الخليفة اسحاق : ٩٣ .

خليل بن اسحاق المالكي (الشيخ) : ١١٦ .

خور تندلى : ٤٠٦ .

خورشيد باشا : ١٧ .

خير قريب (الامين) : ٣٩٥ ، ٤٠٩ .

د

الماجو : ٧٦ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ هـ ، ١٣٨ هـ ،
١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٦٥ ،
٣٧١ .

دار اباديما : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٩ .
دار اباديما (اى : بيته فى فاشر السلطان) : ٢٠٨
(خريطة) .

دار الامين يوسف : ٢٠٨ (خريطة) .
دار برقو : ٧٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٩٠ .
دار بندله : ١٤١ .

دار بينجه : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٨٢ .
دار تاما : ١٢٦ هـ ، ١٣٦ .

دار التكنياوى (او : دار الزغاوة) : ١٠١ هـ

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

دار التكنياوى (اى . بيته فى فاشر السلطان) :
٢٠٨ (خريطة) .

دار تموركة : ١٤٣ .

دار تنبكتو : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ هـ .

دار حامد : ١٠٠ هـ .

دار رونجه : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ .

دار الريح : ١٠٠ ، ٢٨١ .

دار الزغاوة ، انظر : دار التكنياوى .

دار سالا : ١٤٥ .

دار شالا : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٨٢ ، ٣٧٠ .

دار صليح : ٧٤ ، ١٢٦ هـ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٣٨ هـ ، ١٥٢ .

دار الغراوجيه : ١٤٢ ، ١٤٤ .

دار فريتيت : ١٣٦ .

دار فنقرو : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ٢٨٢ ، ٣٧٠ .

دارفور : ٥ هـ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٣ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ هـ ، ٧٦ ،

٨١ ، ٨٤ هـ ، ٨٥ هـ ، ٨٦ ، ٨٨ هـ ، ٩٣ ،
٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ هـ ، ١٠١ هـ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٠٥ هـ ، ١٠٨ هـ ، ١١٣ هـ ، ١١٦ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ هـ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،

١٤٠ هـ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ هـ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ هـ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،

١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ هـ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ،

٢٨٢ ، ٢٨٣ هـ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ،

٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٢٣ ،

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٩٦ ، ٣١٧ ،

٣٢٧ ، ٣٢٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،

٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،

٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ،

٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ،

٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،

٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤١١ ، ٤١٢ .

دار قمر : ١٢٦ هـ ، ١٣٦ .

دار الكامنه : ٢٠٨ (خريطة) .

دار مسـاليط (أى : مملكة المساليط)
١٢٦ هـ ، ١٣٦ .

دار مسيرية : ١٣٨ هـ .

دار ملا أو ملى أو مالى : ١٣٤ ، ١٣٥ .

دار النحاس : ١٦٨ ، ١٧٦ .

دار وادى ، انظر . وادى .

دارا : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

الداراوية : ١٤٥ .

دالى (السلطان) : ٦٢ هـ ، ٨٤ هـ ، ٣٩٧ .

الدبة : ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٥ هـ ، ١٣٧ .

دراو : ١٤٠ هـ .

درب الأربعين : ٤٨ هـ ، ٣٨٢ .

دردوك (الأمين) : ٢٠٨ (خريطة) .

الدفتردار (صهر محمد على) : ٣٩١ .

دفع الله (الشيخ) : ٢٤٦ .

دلدن ، انظر : محمد دلدن .

دلدنج ود بنيه : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

دليل (السلطان) : ٣٧١ .

الدليل (القاضى) : ٢٧٤ ، ٣١٨ .

دمشق : ٢٥ .

دنقله : ٨٥ هـ ، ٣٧٥ .

دنقله : ٨٥ هـ .

دنقو : ٣٧٠ .

الدنكا : ١٤٠ هـ ، ١٤٢ هـ .

دود بنقا (الأمير) : ٣٩٧ .

ديمانجا : ١٤٢ هـ .

ديموز آغا : ٣٦٣ .

ذ

ذراع القادر (جارية) : ٢٦٠ .

ذميما (أخت هاييل) : ٢٤٩ .

ر

الرزىقات : ٧٦ هـ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٣٥٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٨٧ .

٣٨٧ .

رنقا : ٣٧١ .

الرهـد (بلدة) : ١٤٢ هـ .

رواق المغاربة : ٣٦ .

رودس : ٨ .

الرومللى : ٣٥٧ .

رونجه (قبيلة من الفريت) : ١٣٦ هـ ، ٢٥١ .

ريز بن السلطان احمد بكر : ٧٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ .

٩٨ ، ١٠٢ .

ريف مصر : ٣ ، ٦١ .

زيد (الفقيه) : ١٥٧ ، ١٥٨ .

س

ساحل الذهب : ١٣٤ هـ .

ساحل العاج : ١٣٤ هـ .

سالم (من أهل واداي) : ٣٣١ .

سام : ٤١ .

ست النساء (بنت السلطان عبد الرحمن الرشيد) : ١٢٩ .

سراج (الفقيه) : ٢٠٨ (خريطة) .

سراط ، انظر : صراط .

سرف الدجاج : ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ .

سرور بن أبي الجود (الشريف) : ١١٦ .

سعد (الفقيه) : ٤١٢ .

السعيد ، انظر : الصعيد .

سعيد باشا : ٣٩٣ .

سكوتو : ١٣٥ هـ .

سلا ، انظر : دار سلا .

سلاطين باشا : ٣٩٧ .

سلونج ، انظر : سليمان سلونج (السلطان) .

سليمان تير : ٢٥١ ، ٢٠٨ (خريطة) ، ٢٥٢ .

سليمان سلونج (السلطان) : ٨٣ ، ٨٤ ، ١٣٣ هـ ،

١٤٥ هـ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ،

٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ .

ريفا بن السلطان أحمد بكر : ٧٣ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

الريل : ١١٤ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ٣٠١ ، ٣٧٨ .

ز

الزاي بن السلطان عبد الرحمن الرشيد : ١١٧ .

زاوية الشيخ العفيفي : ٢٨ .

زبادي (فلاح مصري) : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٣٤٨ .

الزبدية : ٢٩٢ .

الزبير رحمت : ٣٦٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٩ .
الزرقاء : ٩ .

زربية عبد العزيز : ٣٩٤ .

الزغاوة : ٥٤ ، ٨٤ هـ ، ١٠٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ هـ ،
١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ،
٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٧١ .

الزغاوي : ٥١ ، ٢٩٩ .

زمزم (ايباسي) : ٣٩٤ .

الزنوج : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ هـ .

زهرة (زوجة السيد عمر التونسي) : ٦٨ .

زهرة (الميرم) : ٤٠٥ .

زوانة كاشف : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

الزوراء : ٤٣ .

الزيادية (قبيلة) : ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٧١ .

سليمان بن عبد الملك : ٧٨ .

سليمان بن علي دينار : ١١٣ هـ .

سليمان بن نمر : ١٥٤ .

سليمة ، انظر : بئر سليمة .

سميار : ٣٧١ .

سنار : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣٣ ،

٢٦٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨٨ ،

٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤١٢ .

السناري : ٣٠ .

السنغال : ١٣٤ هـ ، ١٣٥ هـ .

السنوسي بن الساطان عبد الرحمن الرشيد :

١١٧ .

سواكن : ١٣٣ هـ .

السودان : ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٣ هـ ،

٧٦ ، ٨٥ هـ ، ١٣٢ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ ،

١٣٥ ، ١٣٩ هـ ، ١٥٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦ ،

٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٤٤ ، ٢٥٠ ، ٣٥٣ ،

٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٧ ، ٣٩٧ .

السودان الأوسط : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ ،

١٣٥ هـ .

سودرة (معركة) : ٣٩١ .

سوق البلاط بتونس : ١٥ .

سوق الحفلاويين : ٢٤ .

م - ٢٩ التشحين

سوق السلاح : ٣٩٧ .

سوق الشواشية : ٣٦ .

سوق نمليه : ١٥٥ .

سومينجا : ١٥٠ هـ .

السوينة ، انظر : بئر السوينة .

السيد محمد (عم محمد بن عمر التونسي) :

٣١ .

سيف بن ذي يزن : ١٣٤ .

ش

شاري (نهر) : ١٣٥ هـ .

شالا ، انظر : دار شالا .

الشام : ١ ، ٤٢ ، ٧٤ ، ٢١٦ ، ٣٨٣ .

شاو دورشيت (السلطان) : ٣٦٨ ، ٣٦٩ ،

٣٧٢ ، ٤٠٠ .

الشايجية (أو الشايقية) : ٨٥ ، ٣٩٣ .

الشب أو : عين شب : ٤٩ .

شت : ١٣٦ هـ .

شرف (السلطان) : ٣٧١ .

الشعرية : ٥٥ ، ٣٠١ .

الشلال الثالث : ١٣٣ هـ .

الشلال الرابع : ٨٥ هـ .

الثلثك : ١٤٠ هـ ، ٣٥٧ .

شو : ٤٨ .

شوبة : ٣٧٥ .

شوش (السلطان) : ٣٧١ .

شيث : ٣٢٣ .

ص

صابون ، انظر : عبد الكريم صابون .

صالح (السلطان) : ٣٧١ .

صالح أبو غدير : ٢١ .

صراط : ١٩ .

الصعيد (في السودان) : ١٤٣ ، ٢٨٢ ، ٣٧٨ ، ٣٩٥ .

صعيد مصر : ١٤٠ هـ ، ٣١٧ .

صفاقس : ١٨ .

الصفتي : ٢ ، ٢٦٧ .

صليح ، انظر : دار صليح .

صليح (السلطان) ، انظر : محمد صليح .

صوصو : ١٣٤ هـ .

ط

طاهر بن السلطان أحمد بكر : ٧١ ، ٧٣ ، ٩٦ ،

٩٨ ، ١٠٢ ، ٢٣٧ .

الطائف : ٣٣ .

طرابلس الغرب : ١٤ ، ٢٥ ، ١٣٤ هـ ، ٣٠٠ .

طرة ، انظر : ترة .

الطغرائي : ٤٢ .

طه المصطفى ، انظر : محمد (صلعم) .

الطوارق ، انظر : المثلثون .

الطويشة : ١٣٦ ، ١٥٣ ، ٣٤٦ .

الطيب محمدين (الشيخ) : ٣٩٧ ، ٤١٢ .

الطيب ود مصطفى (الفقيه) : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ .

طيبة : ٩ .

ع

عبد الحميد بن السلطان ابراهيم : ٣٩٧ .

عبد الرحمن الرشيد (السلطان) : ٥١ ،

٦٢ هـ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٦٧ ،

١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ،

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤١٢ ، ٤١٣ .

عبد السيد : ٢٠٨ (خريطة) .

عبد الكريم (حفيد وودا) : ٧٤ هـ ، ١٣٣ هـ .

عبد الكريم صابون (السلطان) : ١٤٩ ،

٢٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ .

عبد الكريم بن الفقيه حسن ود عوضه : ١١٦ .

عبد الكريم بن خميس عرمان : ٣٢٩ .

العبد اللاب : ٨٥ هـ ، ٨٨ هـ ، ١٦٥ هـ ،

٣٧٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ .

عبد الله جثا (الأب الشيخ) : ٩٤ .

عبد الله جماع (شيخ عرب القواسمة) :
١٣٣ هـ .

العبيدية (الرقيق المجلوب من بلاد التروج) :
٨٤ هـ ، ٢٠٨ (خريطة) .

عثمان ود علو : ٢٧٣ .

عد الغنم : ١٣٩ هـ .

عدلان الثاني : ٨٧ هـ .

العدنانيون : ١٣٩ هـ .

العراق : ٧٨ .

العرب : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٥ هـ ،
١٣٦ هـ ، ١٤٥ هـ ، ١٤٩ هـ ، ١٦٥ هـ ، ٢٩٤ هـ ،
٣٢٠ هـ ، ٣٦١ هـ .

عرفة الدسوقي المالكي (الشيخ) : ٣٦ .

العريقات : ٢٩٢ ، ٣٨٧ .

عز الدين الجامعي (الفقيه الشيخ) : ١١٧ .

عفنو : ١٣٤ هـ ، ٢٦٥ .

العفيفي (الشيخ) : ٢٨ .

عكاشة (قرية) : ٥٠ هـ .

علوة (مملكة) : ١٣٣ هـ .

على ، أخو أحمد المعقور : ٣٦٧ .

على باشا الأول : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٢ .

على بك الخير : ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤١٢ .

على الدرويش (الشيخ) : ٢٨ .

على دينار (السلطان) : ١١٣ هـ ، ١٥١ هـ ،

٢٨٣ هـ ، ٣٩٨ هـ ، ٤١٢ .

على كرنب (حاكم التموركة) : ٣٢٩ .

على الغراب (السيد) : ٩٠ .

على ود برقو (الوزير الامين) : ٨٨ ، ٨٩ ،
٩١ ، ٣٨٠ .

على ود جامع (الامين) : ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٤ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ .

على بن أبي طالب : ١٠ .

على بن محمد شريف (سلطان واداي) : ٣٩٠ ،
٣٩١ .

عمارة دونقس (زعيم الفونج) : ١٣٣ هـ .

العماميم (عرب) : ٥١ .

عمر التونسي السيد : ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٧ ،
٦٥ ، ٦٩ ، ١٢٧ .

عمر ليلة بن السلطان أحمد بكر : ٧٣ ، ٩٧ هـ ،
٣٢٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ .

العنج : ٨٥ هـ .

العورة : ٣٧١ .

عوض الله ، أنظر : باسي عوض الله .

عيسوي : ٢٠٨ (خريطة) .

عين شب ، أنظر : الشب .

غ

غانة : ١٣٤ هـ .

غرب افريقية : ١٣٤ هـ .

الغز : ٣٧ ، ٤٧ ، ١١٨ .

الفسطاط : ٤٠ .

الفلاتة : انظر : الفلان .

الفلان ، أو : الفلاتة : ٦٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٤ هـ ،
١٣٩ ، ١٤٢ هـ ، ١٤٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٣٢٥ ،
٣٢٦ .

القلبة : ١٣٣ هـ ، ١٣٤ هـ .

فنقرو ، انظر : دار فنقرو .

فوته : ٦٣ ، ١٣٥ هـ .

فوجه (بلدة) : ٣٩١ .

الغور : ٥٥ هـ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ١٠٠ هـ ،
١٠٢ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٦ هـ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٣٩ هـ ، ١٤٣ هـ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٥١ هـ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ،
١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ هـ ،
٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،
٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،
٣١٧ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ،
٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ،
٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ .
الفونج : ٣٠ هـ ، ٨٥ هـ ، ١٣٣ هـ .

ق

قابيل : ٢٤٩ .

قاسم البواب : ٢١ .

القاضي الدليل : انظر : الدليل .

ف

فارس : ٤ هـ .

فازوغلى : ١٣٣ هـ ، ٣٥٣ .

فاس : ٢٥ .

الفاشر : ٥٥ هـ ، ٦٠ هـ ، ٦١ هـ ، ٦٤ ، ٦٧ هـ ،
٧٦ هـ ، ١١٠ هـ ، ١١٣ ، ١٢٨ ، ١٤١ ،
١٥١ هـ ، ١٦٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ (خريطة) ، ٢٨٢ ،
٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٥٢ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ،
٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ .

فاشر واداي : ٢٠٠ هـ .

فاطمة أم دزيس (الميرم) : ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

الفرانسييس أو : الفرنساوية : ٣٧ ، ١١٨ .

فراوجيه : ١٣٦ هـ ، ١٣٨ ، ١٤٢ .

الفرتيت : ١٣٦ هـ ، ١٣٨ هـ ، ١٤١ ، ٢٣٦ هـ ،

٣١١ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٩ ، ٣٧٠ ، ٣٩٥ ،

٤٠٧ ، ٤٠٨ .

فرج الله (الخير) : ٥٢ .

فرحانة (جارية) : ٦٨ .

فزارة : ١٠٠ هـ ، ١٣٩ ، ١٤٠ هـ .

فزاري (خال السلطان) : ٢٠٨ (خريطة) ،

٣٨٣ .

فزان : ١٤ ، ٣٠٠ .

القاهرة : ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٥ ،
٢٧٤ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٩ .

القرافة الصغرى : ٢٨

القرطاس (واقعة) : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

القرطبي : ١٢٦

القرعان : ١٣٨ هـ

قرلى : ٦٧ ، ٧١ ، ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ٢٠٣ هـ ،
٣٠٧ .

قرى (مدينة) : ٨٥ هـ

قس بن ساعدة : ٤٤ .

قسطنطينية : ٢٥ ، ٢٥١ .

قسطنطينة : ١٩ هـ .

قصر رأس التين : ٣٥٣ .

القصر : ٣٢ .

قلعة الكاف : ٢٤ .

القلقشندى : ١٣٤ هـ .

القمر : ٧١ هـ ، ١٣٦ هـ ، ٣٧١ .

القواسمة : ١٣٣ هـ .

القوز : ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٤٦ .

(ك)

كاره : ٣٧٠ .

كامجار : ٥٤ هـ .

كانم : ١٣٤ هـ ، ١٣٧ هـ ، ١٣٨ هـ .

الكبايش : ٨٥ ، ٣٧٥ .

كبقه : ٣٧٠ .

كبكاية : ٥٥ ، ٦١ ، ٦٧ هـ ، ٨٤ هـ ، ١٥٧ ،

٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٧٥ .

كبي : أنظر : كوييه .

كتكو : ١٣٥ ، ٢٦٥ .

الكراكريت : ١٤٣ هـ ، ١٤٤ ، ١٤٥ هـ ، ١٥١ ،

١٥٤ هـ ، ٢٦٤ .

کردفان - كردفال : ٥٤ هـ ، ٧٤ هـ ، ٧٦ ، ٨٣ ،

٨٤ ، ٨٥ هـ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٠ هـ ، ١٠١ ،

١٠٥ هـ ، ١١٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٨ هـ ،

١٣٩ هـ ، ١٤٠ هـ ، ١٤٢ هـ ، ١٥٣ ، ١٦٥ هـ ،

٢٧٥ ، ٢٨٣ هـ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ،

٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩١ ،

٣٩٢ .

كرو (قرية) : ٢٣٦ ، ٣٠١ ، ٣٨٠ .

كشمة (قبيلة فى الوادى) : ٢٦٥ .

كشنا : ١٣٤ هـ .

الكعبة : ٢٧ .

كنانة ، أنظر : اياكرى كنانة .

الكنجارية : ٨٤ هـ ، ١٤٣ هـ ، ١٤٤ ، ١٤٥ هـ .

١٥٣

الكنورى : ١٣٤ هـ ، ١٥١ هـ .

الكنوز : ٨٥ هـ .

كواييه : ٥٥ ، ١١٦ ، ١٤١ ، ١٥٧ ، ٢٣٧ ،

٢٤٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٩٦ ، ٤١٢ ، ٤١٣ .

كورو بن السلطان دالى : ٨٤ هـ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٩٧ .

كوكو (اقليم) : ١٣٤ هـ .

كيلين (ناشر فرنسى) : ٣٣٩ .

مربوطة : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

الكوكه : (قبيلة فى وادى) : ٢٦٥ .

كونبونجا : ١٥٠ هـ .

كير (أسرة من الفور) : ١٣٧ هـ ، ١٤٥ هـ .

كيرى (قرية اسفل جبل مرة) : ٢٠٣ .

(ل)

لقية : ٥٠ ، ٥١ .

(م)

ما جوج : ٢٨٣ .

مالك الفتاوى (الفقيه) : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ،

٦٦ ، ١٠١ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

١٣٠ ، ٣٠٨ (خريطة) : ٢٨١ ، ٢٨٤ ،

٣٢٣ ، ٣٢٤ .

مالى ، انظر : دارملا .

الماهرية (فرع من البقارة) : ٨٥ هـ ، ٣٧١ ،

٤٠٥ .

المنبى : ٨٧ ، ١١٣ .

المجانين : ١٠٠ ، ١٣٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ .

المجوس : ٢٦٣ .

المحاميد : ٨٥ هـ ، ١٣٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،

٣٧١ .

المحروسة : ٢٨ ، ٣٣ .

محمد (صلعم) : ١١ ، ٣٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،

٢٨٢ ، ٣٦٩ .

محمد أبو مدين بن السلطان عبد الرحمن

الرشيده ، انظر : أبو مدين .

محمد الأمير الكبير (الشيخ) : ١٧ ، ٣٦ .

محمد أوردكا (الأب الشيخ) : ٢٥٣ .

محمد الباجى السعودى : ١٤ .

محمد بخارى بن السلطان عبد الرحمن

الرشيده : ١٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

محمد البركاوى (الفقيه) ابن أخى السلطان

عبد الرحمن الرشيده : ١١٧ .

محمد التونسى (أخو السيد عمر) : ٣٦ ،

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ .

محمد تيتل (خال السلطان محمد فضل) :

٢٠٨ (خريطة) ، ٢٥٨ .

محمد جلال الدين بن السلطان عبد الرحمن

الرشيده : ١١٧ .

محمد الجولى ، قائد صفاقس : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

محمد جودة (السلطان) ، انظر : محمد صايح .

محمد الحسنی : ٧ .

محمد حسین (السلطان) : ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ .

محمد درت (السلطان) : ١٤٩ هـ .

محمد دردوك : ١٠٠ .

محمد دكمی بن الأمين علی ود جامع : ٩٦ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ .

محمد دلدن (الملك ، ابن عمّة السلطان محمد فضل) : ٧٠ ، ١٣٠ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

محمد دود (سلطان وادای) : ٣٩٠ .

محمد دورة (السلطان) : ٧٣ ، ٣٧٢ .

محمد سنجق (الملك ، قائد الزغاوی) : ٥٤ .

محمد شریف (سلطان وادای) : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ .

محمد شهاب الدين (الشيخ) : ٢٧ .

محمد شيلفوت : ٧٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

محمد صابون : (سلطان وادای) : ٣٣٣ .

محمد صليح (أى المخلص) أو : محمد جوده (السلطان) : ٧٤ هـ ، ١٤٩ هـ ، ٢٦٥ هـ .

محمد صول (السلطان) : ٣٧١ .

محمد طاهر (ابن عم التونسى) : ٣٧ .

محمد طاهر (السيد) : ٣١ ، ٣٧ .

محمد علی باشا : ٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ .

محمد فضل (السلطان) ابن السلطان عبد الرحمن

الرشيد : ٥١ ، ٦٣ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٢ هـ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ هـ ، ١٥٠ هـ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٩٢ ، ٢٣٦ هـ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

محمد كرا (الاب الشيخ) : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٠ هـ ، ١٨٢ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

محمد كريتيم (الفقيه) : ١١٦ .

محمد المحروقي : ٢٨ ، ٢٩ .

محمد المحسى (الفقيه) : ٣٥١ .

محمد المكنى : ١٤ .

محمد ود عمارى : ٣٩٣ .

محمد بن أحمد البدوى : ١٦٤ .

محمد بن علی ود جامع : ٩٧ ، ١٢٨ .

محمد بن عمر التونسى : ١ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ١٤٠ هـ ، ١٤٣ هـ ، ١٥٠ هـ ، ١٥١ هـ ، ١٥٤ هـ ، ٢٠٠ هـ .

محمد بن القاسم : ٧٨ .

محمد بن ميكال : ٤ هـ .

محمد بن نمر (الفقيه) : ١٥٤ ، ١٥٧ .

المسيرة الحمر : ١٠٣ هـ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
٢٨٣ ، ٢٩٥ .

المسيرة الزرق : ١٠٣ هـ ، ١٤٠ ، ١٤٥ .
مسينا (عاصمة بأقرمة) : ١٣٣ هـ .

مصر : ١٧ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٥١ ،
٥٧ ، ٦٧ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٦ ،
١٣٩ هـ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، ٢١١ ،
٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ،
٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ،
٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٩٣ ،
٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤١٢ .

مصطفى كساب (الشيخ) : ٤٣ .

المعالية (قبيلة) : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

المغرب ، انظر : بلاد المغرب .

مغلطاي التركي : ١١٧ .

مفتاح (الحاج) أكبر عبيد الخليفة اسحاق :
١٠٤ ، ١٠٦ .

المقام الحسيني : ٢٨ .

المقريزي : ١٣٤ هـ .

المقس : ٤٩ .

المقطم : ١٥٣ .

مكة المكرمة : ١ ، ١١ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٢٨٢ ، ٣٥٤ .

مكى ود منعم : ٣٩٤ .

ملا ، انظر : دارملا .

المثمون (أو : الطوراق) : ١٣٧ هـ .

ملنقا (قبيلة في وادى) : ٢٦٥ .

محمود (السلطان) : ٣٧١ .

محمود افندى : ٢٨ .

المحيط الأطلنطى : ١٣٥ هـ .

مدبا (قبيلة في وادى) : ٢٦٤ هـ .

مدرسة الطب البشرى : ٤٣ .

مدرسة الطب البيطرى : ٤٣ .

مدلا (قبيلة في وادى) : ٢٦٤ هـ .

مدنى الفتواوى (الفقيه) : ١١٧ ، ٢٧٧ ، ٣٢٣ ،
٣٢٤ ، ٣٢٦ .

المدينة المنورة : ٩ هـ ، ٧٧ ، ٢٨٢ .

مراد بيك : ١١٨ .

المراريت : ١٣٧ هـ ، ٣٧١ .

مرة ، انظر : جبل مرة .

المزروب ، انظر : بئر المزروب .

مساعد (الشريف) : ١١٧ .

مساعد بن السلطان تيراب : ٧٥ ، ٣٧٤ .

السياليط : ٨٤ هـ ، ١٢٦ ، ١٤٢ هـ ، ١٤٥ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ٢٦٥ ، ٢٨٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ،
٣٧١ .

المسبغات (أبناء عمومة سلاطين دارفور) :
١٣٣ هـ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ .

المسبع تونسام ، أنظر ، تونسام .

المسعودى : ٥٤ هـ .

مسلم (المقدم) : ٣٩١ .

المسيرة : ١٠٣ .

ملى : أنظر : دارملا .

الماليك : ١٨ ، ٣٨٢ .

مندرة : ١٣٥ .

منسا موسى : ١٣٤ هـ .

منصور (السلطان) : ٣٧١ .

منفلوط : ٤٧ .

مننقا ، أنظر : ملنقا .

منواشى (بلدة فى دارفور) : ١١٤ هـ ، ٣٩٦ .

منوبة : ٢٣ .

المنية : ٤٧ .

المهدية : ٣٨٣ هـ ، ٣٩٧ .

المهلبى (الوزير) : ١١ ، ١٢ .

مورمينجا : ١٥٠ هـ .

المورة : ٤ ، ٢٥ .

موسى (السلطان ، ابن سليمان سلونج) : ٨٤ هـ ،

٣٧٢ .

ميدوب : ١٠٠ هـ ، ١٣٧ ، ٢٦٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ،

٤٠٠ ، ٤١٣ .

الميرم حواء ، أنظر : حواء .

ميكائيل : ٢٤٨ .

اليمه : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٦٤ ،

٢٦٥ ، ٢٨٣ ، ٣٧٠ .

(ن)

ناختجال : ١٠٤ هـ ، ١٣٨ هـ ، ١٤٢ ، ١٥١ هـ .

ناصر (السلطان) : ٣٧١ .

النطرون ، أنظر : بشر النطرون .

نفه (مملكة أو سلطنة) : ١٣٤ ، ١٣٥ .

نمر (الفقيه) : ١٥٤ .

نمليه : ١٥٤ ، ١٦٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ .

النوايبة (فرع من البقارة) : ٨٥ هـ .

النوبة : ٥٠ هـ ، ٨٥ هـ ، ١٣٤ هـ ، ١٣٧ هـ ،

١٣٨ .

النوبيون : ٨٥ هـ ، ١٣٧ هـ .

نور الأنصارى (الفقيه) زوج الميرم حواء بنت

السلطان عبد الرحمن الرشيد ١٦٦ .

نيالا : ١٠٥ هـ ، ١٠٦ هـ ، ١١٤ هـ ، ١٣٦ هـ .

النيجر : ٥٤ هـ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

نيجريا : ٦٣ هـ ، ١٣٤ هـ .

نيسابور : ٤ هـ .

النيل : ٨٥ هـ ، ٨٨ هـ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٥ هـ ،

١٣٧ هـ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

النيل الأبيض : ٣٠ هـ .

النيل الأزرق : ٣٠ هـ .

الوادی الأكبر ، انظر وادی الکوع .

وادی زروق : ٥٤ هـ .

وادی الکوع (الوادی الأكبر) : ٢٠١ ، ٣٠٦ .

وادی مسروق : ٥٤ هـ .

وادی الملك : ٨٥ هـ .

وادی ، انظر : وادی .

وكالة الجلالة : ٣٩ .

وودا : ٧٤ هـ .

(ی)

الیتیم ، انظر : عبد الرحمن الرشید .

یعقوب (الشیخ) : ٢٤٦ .

یعقوب (الفقیه) : ١١٧ .

الیمن : ١٢٣ هـ .

یوسف (خازندار الکاشف زوانة) : ١٢١ .

یوسف باشا صاحب طرابلس الغرب : ١٤ .

یوسف الجلابی : ٣٨٢ .

یوسف خوجه صاحب الطابع : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ،

٣٠ ، ٣٧ .

یوسف بن السلطان ابراهیم : ٣٩٨ .

یوسف بن محمد شریف (سلطان وادی) :

٣٩٠ .

(هـ)

هاییل : ٢٤٩ .

الهادی محمد : ١٣٤ هـ .

هاشم المسبعاوی (السلطان) : ٨٤ ، ٨٦ ،

٨٧ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٣ هـ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،

٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

الهبانیة ، انظر : الحبانیة

هرون (الأمير) : ٣٩٧ .

الهند : ٢١٤ .

الهوسا ، انظر : الحوصا .

(و)

الواحة الخارجة ، انظر : الخارجة .

وادی : ٥٥ هـ ، ٧١ هـ ، ٧٤ هـ ، ٧٦ هـ ،

٨٥ هـ ، ١٢٦ هـ ، ١٣٣ هـ ، ١٣٦ هـ ، ١٣٨ هـ ،

١٣٩ هـ ، ١٤٥ هـ ، ١٤٩ هـ ، ١٥٣ هـ ، ٢٠٠ هـ ،

٢١١ هـ ، ٢٥٦ هـ ، ٢٦٣ هـ ، ٢٦٥ هـ ، ٢٦٩ هـ ، ٢٧٤ هـ ،

٢٧٥ هـ ، ٢٨٢ هـ ، ٢٩٢ هـ ، ٢٩٣ هـ ، ٣١٨ هـ ، ٣٣١ هـ ،

٣٣٢ هـ ، ٣٣٣ هـ ، ٣٧٣ هـ ، ٣٨٠ هـ ، ٣٨٥ هـ ، ٣٨٧ هـ ،

٣٨٩ هـ ، ٣٩٠ هـ ، ٤١٢ هـ .

وادی أزوم : ١٤٢ هـ .

مصطلحات الوظائف والرتب والألقاب

البوابون : ٢٠٦ .

(ت)

تتونجى باشى : ١٨٠ .

التكنياوى : ١٠١ ، ١٠٨ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٨٢ ، ٣٧٨ هـ .

(ج)

جباى (جمعه : جبايين) : ٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
جوخه دار : ١٨٠ .

(ح)

حبوبات : ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

حونب (جمعه : حوائب ، أى : قواصة) : ١٦ .
الحدادون : ٢٨٧ .

(خ)

الخازندار : ١٨٠ .
خبير القافلة : ٣٥ .

(ا)

الأب الشيخ : ٩٤ ، ١٥٠ هـ ، ١٥٢ ، ١٨٢ ، ٢٥٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .

أبا أومانج ، أباؤما : ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٨١ ، ٣٧٨ هـ .

أباديما ، أو : أباديمانج : ١٣٨ هـ ، ١٤٢ هـ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٣٧٨ هـ .

أبافورى ، أو : فورنج أبا : ١٥١ ، ١٨١ .

الأروندولونج : ١٥١ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٣٧٨ هـ .

أفوات (مفردة : أفا) : ٢٤٨ .

الأمين (جمعة : الأمناء أى الوزراء) : ١٥٢ ، ١٨٢ .

اياباسى : ٣٩٤ .

ايا كرى : ٩٣ ، ٩٤ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ .

(ب)

بشكير أغاسى : ١٨٠ .

خشم الكلام : ٢٠٠ ، ٢٠١ .

خصيان (المفرد : خصي) : ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢١٣ ،
٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٨ .

الخلبوص : ١٨٨ .

(د)

دادا (الجمع : دادات) : ١٠٤ ، ٣٧٨ ، ٤٠٠ .
الدرامدة (المفرد : درمودى) : ٢٨٨ ، ٢٩٠ ،
٢٩٢ .

دمالج (الجمع : دمالج ، دلمج) : ٦٩ ، ١٨٤ ،
١٩٢ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ .

الديوت دار : ١٨٠ .

(س)

سر بوابين : ١٨٠ .

السلاح دار : ١٨٠ .

السوترى : ١٨٨ .

سوميندقله : ١٨٣ ، ٢٠٦ .

(ش)

شربتجى باشا : ١٨٠ .

شرتاى أو شرطاى (الجمع شراتى أو شرطاى ،
كيزرو أو كيزونج) : ٦٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ هـ ، ١٨٤ ،
٢٦١ ، ٣٧٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ،
٤٠٩ .

(ص)

صاحب حاكورة : ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،
٤٠٣ ، ٤٠٤ .

صاحب الدنقار : ١٩٨ .

صقل (ملك ، شيخ) : ٢٣٧ .

(ط)

طبابى (طبيب) : ٢٨١ .

الطواشسية (المفرد : طواشى) : ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،

(خريطة) : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(ع)

العقدة (مفردة : عقيد) : ٢٠٠ .

(ف)

فلاقنة (مفردة : فلقناوى) : ١٥٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
(خريطة) .

(ق)

قانون دالى : ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،

القاضى الأعظم : ٤٠١ .

قفطان اغاسى : ١٨٠ .

قبودان (قبطان) : ١٦ .

قزار اغالار (اغوات الحريم) : ٢٤٨ .

قايجي باشى : ١٨٠ .

قهوجى باشى : ١٨٠ .

(ك)

الكامنه : ١٥١ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٤٠٠ .

الكتخدا : ١٧٩ .

الكماكلة (مفردة : كمكولاك) : ٢٠٠ .

الكورايات : ٨٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، (خريطة)

كوركو : ٧٩ ، ٨٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،

١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، (خريطة) ،

٣٧٨ .

كيزو ، انظر : شرتاي .

كيزونج ، انظر : شرتاي .

(م)

المسخرة : ١٨٨ .

المقدم (الجمع : مقاديم) : ١٣٣ هـ ، ١٥٠ هـ

٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ،

٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩ ،

مقدومية : ١٥٠ هـ .

مك (أى : ملك) : ٣٠ ، ٨٨ .

المكاسون : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٤٠٣ .

ملك الجبايين : ١٨٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ .

ملك الجلابة : ١٧٤ هـ .

ملك خوال السلطان : ٤٠٠ .

ملك الحدادين : ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٢ .

ملك العبيدية : ١٨٣ .

ملك القوارين (أى المكاسين) : ١٨٣ .

ملك الموجيه : ١٨٥ ، ١٩٨ .

ملك النحاس : ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٠ ، ٤١٠ .

ملك وريبايا : ١٨٣ .

ملك وريدايا : ١٨٣ .

ملكة الحبوبات : ١٦٧ .

المهر دار : ١٨٠ .

الموجيه (الخلبوص ، أو : المسخرة) : ١٧٢ ، ١٨٨ ،

١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٨ .

الميرم (الجمع ميأرم) : ١٥١ هـ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(و)

الورنائج : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٨٦ .

ورنج أبا : ١٥٢ .

الوزير الأعظم : ١٧٩ .

**العملة وأنواع الضرائب والأدوات المنزلية وغيرها
والملابس والحلى وأنواع الطيب**

تكجل (طبل) : ١٩٩ .	(أ)	أبو مدفع : ٢٩٨ .
تمبل : ١٥٧ .		أمد : ٢١٩ .
تميمة (الجمع : تمائم) : ٢١٥ .		الاجة : ٢١١ ، ٢١٢ .
تيكو (قماش من المغرب) : ٢١١ .		
(ث)		
ثوب (ملاعة) : ٢١٢ .	(ب)	
		البردية (طبل) : ١٩٩ ، ٢٠٠ .
(ج)		بخسة (اناء من فخار) : ١٥٦ .
الجزية : ٣٧٣ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ .		بطة : (وعاء لحفظ السمن أو العسل ، جمعه :
جلاد (نوع من الطيب) : ٢١٨ .		بط) : ٢٩٣ .
جوخ : ١٠٣ ، ١١٩ ، ١٧٠ ، ٣٧٨ ، ٤١١ ،		بفت : ٢١١ ، ٢١٢ .
٤١٢ .		البيضاء (طبل) : ٤١٠ .
(ح)	(ت)	
حرش (خرز) : ٢١٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .		تابا (الدخان) : ٣٠٠ .
حشاشة : (حديدة تستخدم في كى المريض) :		تارنيه (عملة) : ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٤١٢ .		التقادم (ضريبة) : ١٨٥ .
حفاظ : ٢١٢ .		تكية (جمعه : تكاكي) : ٢١٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
الحكم (غرامة) : ١٨٥ .		٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٤٠٣ .

(خ)

- خدور (خرز) : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣٠٢ .
- خرص (الجمع : أخراص) : ٢١٣ .
- خزام : ٢١٣ ، ٢١٤ .
- خزام حلقى : ٢١٣ .
- خزام شوكى : ٢١٣ .
- خشب الصندل : ٢١٨ .
- الخطية (غرامة أو ضريبة) : ١٨٥ .
- خلخال (الجمع : خلاخيل) : ٢١٨ .

(د)

- دايوق (ثمر شجر زكى الرائحة) : ٢١٩ .
- دبلان : ٤١٢ .
- دراعة (فوطاة صغيرة تلبس على صدور النساء) : ٢١٢ .
- دربكة (طبل) : ٢٢٩ .
- دلنج (نوع من الجرار المصنوعة من الفخار) : ٢٠٣ .
- دلوكة (آلة للرقص) : ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٣٧ .
- الدم (دية) : ١٨٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
- دمليج (جمعه : دمالج) : ٣٠٢ .
- دم الرعاف (خرز أحمر داكن) : ٢١٤ .
- دمور : ٤٠١ ، ٤١٢ .

دانجراف (دم الرعاف) : ٢١٩ هـ .

دنقار (طبل) : ١٦٩ ، ١٩٨ .

(ر)

- الربط (غزل من قطن) : ٣٠١ .
- رقاد الفاقسة (خرز كبير مثل الجوز) : ٦٠ ، ٢١٦ .
- ريال فرانس : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .
- ريش (خرز مستطيل) : ٦٠ ، ٢١٤ .
- ريش : (مروحة كبيرة من ريش النعام) : ١٧ ، ١٧١ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤١٢ .
- ريكة (قفة) : ٦٧ .

(ز)

الزكاة : ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(س)

- سدا : (غزل أو منسوج) : ٣٢٢ .
- سداسى : ٢٩٨ .
- سفروك (عصا) : ٢٤٥ ، ٢٨٧ .
- السن : ٣٩٣ .
- السلام (ضريبة) : ٤٠٣ .
- سنبل (طيب) : ٦٠ ، ٢١٨ .
- سوط (جمعه : سياط) : ٤١٠ .
- سوميت (خرز جامد) : ٢١٤ ، ٣٩٤ ، ٤١٢ .
- سوط (جمعه : سياط) : ٤١٠ .

(ش)

- شاش : ٦٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ .
- شوتر (قماش ، والجمع : شواتر) : ٢١١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ .
- شوش (حب صغير أحمر) : ٢١٥ ، ٢١٦ .
- شوور (عقد) : ٢١٧ .
- شيبه (طيب) : ٢١٨ .
- شيت : ٤١٢ .
- شيكه (قماش) : ٢٩٧ .

(ص)

- صرة الحرمين : ٤٠٦ .
- صمغ : ٤١٢ .
- صندل : ٦٠ .

(ط)

- طاقيه : ٢١٢ ، ٤٠٠ .
- طربوش : ٢١٢ .

(ظ)

- ظفر (طيب) : ٢١٨ .

(ع)

- عبك (قماش) : ٢١١ .
- عرق أم أبيض ، انظر : كعب الطيب : .
- عرق بنفسج ، انظر : كعب الطيب .
- العشور : ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
- عقيق (خرز أحمر كروي) : ٦٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ .
- عمرة (اناء ، والجمع : عمار) : ١٧٧ .
- عنكريب : ٣٨٣ ، ٤٠٧ .

(غ)

- غلال : ٤٠٤ .

(ف)

- فاو (مرجان صناعي كروي) : ٢١٥ .
- فردة (مثزر يلبس في اوساط النساء) : ٢١٢ .
- فلقو (ملح صناعي) : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
- فسق (غرامة) : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
- الفطرة : ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ .
- فلقوية : ٢٩٩ .
- فوطه : ٢١٢ .

(ق)

- قداني : ٢١١ ، ٢١٢ .
- قص (نوع من المرجان) : ٢١٤ .

- قطيفة (قماش) : ٥٣ .
اقوار : ٤٠٤ .

(ك)

- كتكات (قماش) : ٢٩٧ .
كرباج (جمعه : كرابيج) : ١٧٦ .
كشمير : ١٠٣ ، ١١٩ ، ٣٩٤ ، ٤٠٦ .
كعب الطيب : ٢١٨ .
كلكف (قماش من قطن) : ٢١١ .
كنبو (ملح) : ٢٨٥ ، ٣٠٩ .
كنفوس (أى حفاظ ، والجمع : كنافيس) :
٢١٢ ، ٢٥٨ ، ٣٧٢ .
كيم (أساور تصنع من القرون) : ٢١٨ .

(ل)

- لداى (سلك غليظ من الفضة نصف دائرى) : ٢١٧
لوى : (قطن هندى) ٣١١ .

(م)

- محب (طيب) : ٦٠ ، ٢١٨ .

- مدردم (نوع من المرجان) : ٢١٤ .
مدرعة (عقد) : ٢١٧ .

- مرجان : ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٤١٢ .
مرسين (طيب) : ٢١٨ .
مشاهرة (خرز) : ٢١٦ .
منجور (خرز) : ٢١٦ ، ٢٦٠ .
المنصورة (الطبل الكبير الخاص بالسلطان) :
١٦٨ ، ١٧٤ هـ ، ٣٧٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ .
منصوص (خرز) : ٦٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ .

(ن)

- نار (غرامة) : ٤٠٤ .
النحاس (طبل) : ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ،
٤٠٠ ، ٤٠٩ ، ٤١١ .
النفوس (ضريبة) : ٤٠٣ .
النقارية : (الجمع : نقاير) : ١٦٨ ، ١٧٣ ،
٤٠٠ .

(هـ)

- هامل (ضريبة) : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

النبات والأشجار والأطعمة والأشربة وفصول السنة وشهورها

ترمس : ٣١٠ .

تمر هندي : ٢٩٥ ، ٤١٢ .

التوم (شهر ربيع الثاني) : ٣٢٠ .

التومين (جمادى الأولى) : ٣٢٠ .

(ث)

ثوم : ٣٠٦ .

(ج)

جری جرانج : ٢٤٣ .

جمعج : ٣١٥ .

جميز : ٣٠٧ .

جوخان : ٣١٥ .

جوز : ١٧٧ .

الجوز الهندي : ٣١٠ .

(ح)

حب الرشاد : ٦١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

حراز : ٣١٣ .

حشاب أو هشاب : ٢٠٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

حميض : ٣١٠ .

(خ)

خروب : ٣١٠ .

خريف التيمان (فصل الأمطار) : ٣٢٠ .

(١)

ابنوس : ٣١٥ .

أبو إباط (ذرة شامي) : ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

أبو شلولو (ذرة بيضاء) : ٣٠٤ .

أبو فروة : ٣١١ .

أنل : ٤٩ .

أرز : ٣٠٥ .

أم بلبل : ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٤ .

(ب)

باذنجان : ٦١ .

بامية : ٦١ .

بصل : ٦١ ، ٣٠٦ .

بطوم : ٣١٥ .

بطيخ : ٣٠٥ .

بوزة : ٢٣١ .

(ت)

تارنجا جيسو : ٢٤٣ .

تبلدي : ٢٧٩ ، ٣٠٩ .

سنط : ٣١٣ ، ٣١٤ .

سويبا : ٢٣١ .

سيال : ٢٠٠ ، ٢١٣ .

سيرج أو شيرج : ٣١١ .

(ش)

شاو : ٣١٤ .

شراميط : ٢٨٨ .

شعلوب : ٣١٦ .

شعير : ٦١ ، ٣٠٤ .

(ص)

صبح جلو : ٢٤٣ .

الصمغ العربى : ٣١٢ .

صندل : ٢٣٦ .

صنوبر : ٣٠٨ .

(ض)

الضحية (ذو الحجة) : ٣٢٠ .

الضحيتين (شهر المحرم) : ٣٢٠ .

(ع)

عاقول : ٤٩ .

عبل : ٤٩ .

عزير (ذرة حمراء) : ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

عسل نحل : ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٤١٢ .

(د)

دخن : ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ،

٣٢٠ ، ٤١٢ .

الدرة (فصل الجفاف ، سبتمبر وأكتوبر) :

٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣١٠ ، ٣١٨ .

دفرة : ٢٩٥ ، ٣٠٥ .

دقرة : ٣١٦ ، ٣١٧ .

دليب : ٢٣٤ ، ٣١٠ .

دندى (دخن) : ٣٠٤ .

دودرى : ٢٨٤ .

دوم : ٣١٠ .

دينزايا : ٢٣١ ، ٢٤٤ .

(ذ)

ذرة : ١٨٤ ، ٣٠٤ .

(ر)

رجلة : ٦١ .

الرشاش (الطر) : ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(س)

سايق التيمان (جمادى الثانى) : ٣٢٠ .

سنة : ٢٩٥ .

سمار : ٣١٤ .

سمسم : ١٨٤ ، ٣٠٥ .

عشر : ٣١٢ .

عنب الذئب : ٣١٠ .

عندراب : ٣١٠ .

عنقلو : ٢٨٥ .

عيش (ذرة) : ٦٩ .

عين الجمل : ٣١١ .

(غ)

غلال (مفردة : غلة) : ٦٨ .

(ف)

الفطر (شوال) : ٣٢٠ .

الفطرين (ذو القعدة) : ٣٢٠ .

فقوس : ٦١ .

فلفل : ٦١ ، ٣٠٦ .

فول : ١٨٤ .

الفول المصرى : ٣٠٥ .

(ق)

قشاء : ٦١ ، ٣٠٧ .

قديد : ٢٨٥ ، ٢٨٨ .

قديم : ٣١٠ .

قرظ : ٣١٣ ، ٣١٤ .

قرع : ٦١ .

قصطل : ٣١١ .

القصير (شعبان) : ٣٢٠ .

قطن : ٦٧ ، ١٨٤ ، ٣١١ .

قفل : ٣١٢ ، ٣١٣ .

قمح : ١٦٠ ، ٣١٤ .

(ك)

كاستنا : ٣١١ .

كتر : ٢٠٤ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الكرامة (ربيع الاول) : ٣٢٠ .

كرنو : ٢٩٥ ، ٣٠٩ .

كريمه : ٣٠٦ .

كسبرة : ٣٠٦ .

كمبا : ٢٨٥ .

كمون : ٦١ .

كنياكنيا : ٣٠٩ .

كوريب : ٢٩٥ .

كيلى (شجر وماء) : ١٧٧ ، ٣١٦ .

(ل)

لوبيا : ٣٠٥ .

لولو : ٣١١ .

لؤوت : ٣١٣ .

الليمون الحامض : ٦١ ، ٣٠٧ .

- . نبيل : ٢٢٩ .
- . نخل : ٣١٠ .
- . نصيص : ٦٠ .
- . نيلمو : ٢٨٥ .

(ه)

- هجليج : ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٣٠٧ ،
- . ٣١٩ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ .

(و)

- . الوحيد (شهر صفر) : ٣٢٠ .
- . ورائية : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
- . ويكة : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(م)

- . ماريق (ذرة) : ٣٠٤ .
- . مخيط : ٣١١ .
- . مديدة : ٢٧٩ ، ٣٠٦ .
- . مرهيب : ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٣١٤ .
- . مريسة : ٢٤٦ ، ٤٠٢ .
- . مزر : ٢٢٩ ، ٢٣١ .
- . ملوخية : ٦١ .

(ن)

- . نارجيل : ٢٣٤ .
- . نبق : ٣٠٩ ، ٣١١ .

الأمراض

- الحصر : ٢٧٥ .
- حمى التثليث : ٢٧٢ .
- حمى الربيع : ٢٧٢ .
- حمى الغب : ٢٧٢ .
- الحمى المطبقة : ٢٧٢ .
- حمى الورد : ٢٧٢ .

(د)

- دود القرح : ٣٠٩ .

(ذ)

- ذات الجنب : ٢٧٥ .

(س)

- السل : ٢٧٧ .
- السوتية : ٢٧٦ .
- السيلان الأبيض : ٢٧٥ .

(ط)

- الطاعون : ٢٧٣ ، ٢٧٧ .

(ا)

- ابو الصفوف : ٢٧٥ .
- ابو صغير : ٢٧٢ .
- أبو لسان : ٢٦٩ .
- الأدرة : ٢٧٧ .
- الاستسقاء : ٢٧٧ .
- أم صقع : ٢٧٠ .

(ب)

- البرجك : ٢٧٦ .
- البرص : ٢٧٥ .

(ج)

- الجدري : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
- الجدام : ٢٧٥ .
- الجقيل : ٢٧٤ .

(ح)

- الحصبا : ٢٧٦ .

(غ)

الغزير : ٢٧١ .

(ف)

الفرنديت : ٢٧٦ .

(ق)

القرمزية : ٢٧٦ .

(ك)

الكتراتا : ٢٧٧ .

(م)

المرض الأفرنجي : ٢٧٤ .

(ن)

النقرس (داء الملوك) : ٢٧٧ .

نوشة : ٢٧٢ .

(هـ)

الهبوب : ٢٧٥ .

الهواء الأصفر : ٢٧٤ .

الهيضة : ٢٧٤ .

(و)

رجع الطحال : ٢٧٧ .

الوردة : ٢٧٢ .

المساكن والمباني واقسامها

(ق)

قطيعة (جمعه : قطاطى) : ٤٠٦ .

(ك)

كالا : ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

كربابة (كرتينة) : ٢٧٣ .

كرنك : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

ككر : ٤٠٧ .

(ل)

لقدابة (راكوبة) : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ (خريطة)

(م)

مسيد : ٢٣٠ .

مظامير (مفرده : مطمور) : ٦٨ ، ١٨٤ .

(و)

وريبايا (باب النساء) : ١٨٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ (خريطة)

وريدايا (باب الرجال) : ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ (خريطة)

(ب)

بلدايا (الجمع : بلدايات) : ١٩٥ ، ١٩٦ .

(ت)

تكلتى (الجمع : تكالى) : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

تيرمه : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(د)

دار النحاس : ١٦٨ ، ٢٠٦ .

دردر : ٢٠٤ .

درزويه (الجمع : درزويات) : ٢٠٣ .

دنجاية : ٢٠٧ .

(ر)

راكوبة : ١٩٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

(ز)

زربية : ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٧٦ ، ٤٠٦ ،
٤٠٨ .

(ش)

سكتاية (الجمع : سكتايات وسكتاى) : ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ .

(ص)

صريف : ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٣١٤ .

انواع الرقص

- | | |
|---|---|
| <p>(ج)</p> <p>• جبل : ٢٣٢ ، ٢٣٣</p> <p>(د)</p> <p>• دلوكة : ٢٣٢</p> <p>(ش)</p> <p>• شكندري : ٢٣٢ ، ٢٣٣</p> <p>(ل)</p> <p>• لنقى : ٢٣٢ ، ٢٣٣</p> | <p>(ب)</p> <p>• بندله : ٢٣٢ ، ٢٣٤</p> <p>(ت)</p> <p>• تندنجه : ٧٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤</p> <p>• توزى : ٢٣٢ ، ٢٣٤</p> |
|---|---|

السحر وضرب الرمل

- | | |
|--|---|
| <p>(ع)</p> <p>• العتبة الخارجة : ٣٣٦</p> <p>• العتبة الداخلة : ٣٣٥</p> <p>• العقلة : ٣٣٥</p> <p>(ق)</p> <p>• القبض الداخل : ٣٣٦</p> <p>• القبض الخارج : ٣٣٦</p> <p>(ل)</p> <p>• اللحيان : ٣٣٤</p> <p>(ن)</p> <p>• نارة : ٣٢١ ، ٣٢٢</p> <p>• النصره الخارجة : ٣٣٨</p> <p>• النصره الداخلة : ٣٣٨</p> <p>• نقى الخد : ٣٣٧</p> <p>• النكيس : ٣٣٤</p> | <p>(ا)</p> <p>• الاجتماع : ٣٣٥</p> <p>(ب)</p> <p>• البياض : ٣٣٦</p> <p>(ج)</p> <p>• الجماعة : ٣٣٤</p> <p>• الجودلة : ٣٣٧</p> <p>(ح)</p> <p>• الحمرة : ٣٣٧</p> <p>(د)</p> <p>• دمزوقه : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤</p> <p>(ط)</p> <p>• الطريق : ٣٣٤</p> |
|--|---|

تصويبات واستدراكات

الصفحة	سطر	الصفحة المراد إثباتها	الصفحة	سطر	الصفحة المراد إثباتها
٣	١١	ونارت ^(٢)	٤٨	٦	للشمر
٥	١٢	بريئة من	٥١	٣	صبيحة
٨	١٣	فخلص	٥٢	٥	ونصه
٩	٢	إهال إلى أن وصل إلى	٥٦	١	سرف
	٣	جهد ما استطاع	٦٠	٤	بالرّيش
٩	٥	السكتب	٦١	٢٠	(٣)
١٥	٢٠	اطمينان	٦٣	١	الفلانة
١٦	١٤	الانجلا تيرة	٧٩	١٣	أهل الحراب
١٩	٦	أخبية المعسكر	٨٤	٢	حتى كان زمن
	٨	البرية والبحرية	٩٠	١٩	قطعه
٢٥	١	عليه	٩٧	١٤	ريز
٢٨	٢	ملئت... المحروقي	١٠٣	١٨	منهما
		٣١٥ ٤٨٠	١١٤	١٨	التنوفة
٣٥	٣	على محل	١١٧	١	و[كانت] فيه [أداة من] فقه
٤٠	٦	الذميل	١١٨	٦	وجمال
٤١	٤	تجربها	١٢٧	١	يا أبّو
	٧	والسر المصقع	١٣١	١	سينه
٤٣	٦	يوما	١٣٨	٢٤	الفراوجيه
	١٥	ومادته	١٣٩	١١	محمد فضل
٤٥	٢	لنحرير	١٤١	١	ثم
٤٧	٨	ما احتجنا ^(٢)			

الصفحة	سطر	الصفحة المراد إثباتها	صفحة	سطر	الصفحة المراد إثباتها
١٤٤	١٨	(٢)	١٩١	١٩	أوردناه
	٢٠	(١ ، ٣)	١٩٥	٧	الصف
١٥٣	٣	بالتقويز	٢٠٤	٩	وأهل ورّيبايا
	١٩	حاشية ١	٢٠٦	٦	مع خواصه
١٥٥	١٧	والثوم	٢٠٧	٥	والحلي
	١٩	ص ١١٠ حاشية ٢	٢٢٤	١	من ذلك
١٥٦	٧	حاشيته	٢٢٦	٩	الحاصرتين في الصفحة التالية
١٥٧	١	كوبيه	٢٢٧	١	[الباب الثاني]
١٥٩	٢٠	بما ورد... حاشية ٢	٢٣٤	١٥	التندنجيا
١٦٠	١	الميرم	٢٣٧	٢	التندنجيا
١٦١	١٥	سب ، تمنّي ، تساه	٢٣٨	٤	الميرم
	١٧	ساب ، تمن ، نسي	٢٤٤	٨	المفاجي
١٦٤	١٣	وخلصت	٢٥٦	١٧	من الوافر
١٧٢	٣	والموحيه	٢٦٠	٥	شيء
١٧٧	٥	ماء كيلى	٢٦٨	١	[الباب الثالث]
١٨٠	٢٢	رقم ١	٢٧٨	٦	الى
	٢٣	رقم ١٢	٢٧٩	٥	والرجال
	٢٤	١٥١	٢٨٠	٨	فتأخرة
١٨١	١١٢	والذّب	٢٨٢	٣	الصعيد
	١٦ و ١٧	١٥١		٤	وفتقرو
١٨٩	١١	أنث	٢٨٦	٣	الورنانج
١٩١	١٣	خلصوا	٢٨٨	١١	والسيّاط

صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها	صفحة	سطر	الصيغة المراد إثباتها
٢٨٨	١٦	يَجْعَلُهُ	٤١٧	١٥	حَلَفَهُ
٢٩٠	١٠	بِقَلِيلٍ	٤٢١	٢٤	حِجَّتِي
٣٠٤	١٤	كُوبِيهِ	٤٢٢	٢٠	دُولِيهِ
٣٠٧	٨	وَبْنَى	٤٢٣	١٤	شَيْبَهُ
٣١١	١	فَلَقَتَيْنِ	٤٥٣	٢٥	كُوبِيهِ
٣٩٢	٩	الْأَعْدَاءِ	٤٦٢	١١	جَمْعُهُ : يُطَطِّ

صفحة	سطر	
٣	١٢	ظَلَّ اللهُ الظِّلِيلُ (بضم اللامين في الأصل) .
٣٢	١٨	يُضَافُ إِلَى الْحَاشِيَةِ ١ : وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْمَقْصُودَ : الرَّحَالَةَ .
٤٩	١١	يُضَافُ إِلَى الْحَاشِيَةِ ٦ : وَالْفُرُودُ كَذَلِكَ تَلَالُ رَمْلِيَّةٍ صَغِيرَةٍ مُتَنَقِّلَةٌ بِفَعْلِ الرِّيحِ . انْظُرْ
		الْمَقَالَةَ الَّتِي عُنْوَانُهَا : « الْفُرُودُ » فِي مَطْبُوعَاتِ وَزَارَةِ الدِّفَاعِ الْوُطْنِيِّ ١٩٣٨ .
٦٩	٢٠	يُضَافُ إِلَى الْحَاشِيَةِ ٤ : وَ « عَرْمَان » هِيَ الصَّحِيحَةُ .
١١١	١٨، ١٧	يَنْقُلُ قَوْلَ الْمُؤَلَّفِ : « عِنْدَ السَّلْطَانِ كُلِّمَا وَقَعَ مِنْهُمْ أَمْرٌ مَعَ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْقِبَائِلِ الْآخَرِ »
		إِلَى مَكَانِهِ الصَّحِيحِ فِي صَفْحَةِ ١٢٦ ، السُّطْرِ الْأَوَّلِ ، بَعْدَ قَوْلِهِ : « وَصَارَ يَذُبُّ عَنْهُمْ » .

أسرة كيرا

دالى

كورو

تونسام ، المسيع (سلطان كردفان)

هاشم المستعاضى

(١) سليمان سلونج (سلطان دارفور)

١٦٦٠ - ١٦٤٠

(٢) موسى

١٦٨٤ - ١٦٧٠

(٣) أحمد بك

١٦٨٤ - ١٧٤٤

(٨) عبدالرحمن الرشيد
١٧٨٧ - ١٨٠٤

طاهر

(٧) محمد تيارب
١٧٨٧ - ١٧٥٢

ريفا

ريز

(٦) أبو القاسم
١٧٥٢ - ١٧٣٩

(٤) محمد دوزة
١٧٣٩ - ١٧٢٢

(٥) عمر لييل
١٧٣٩ - ١٧٣٢

إسحق الخليفة

الأمير محمد أبو مدين

الأمير محمد بخارى

(٩) محمد فضل
١٨٠٤ - ١٨٣٩

الأمير زكريا

الأمير سيف الدين

الأمير بكر

(١٣) الأمير بوتش
١٨٧٥ - ١٨٧٤

(١٢) الأمير حسبل الله

(١٠) محمد حسين
١٨٧٣ - ١٨٣٩

(١٨) السلطان على دينام
١٨٩٦ - ١٩١٦

(١٤) الأمير هارون
١٨٧٥ - ١٨٧٩

(١٥) الأمير عبدالله دود بئقا
١٨٨٠ - ١٨٨٥

(١١) إبراهيم
١٨٧٣ - ١٨٧٤

(١٧) الأمير أبو الخيرات

(١٦) الأمير يوسف

جدول سلاطين دارفور